دراساتي حول رسائل النور

دراساتي حول رسائل النور

إحسان قاسم الصالحي

اسطنبول ٢٠٢٤م

دراساتي حول رسائل النور

إحسان قاسم الصالحي

تنسيق الكتاب وتصميم الغلاف

سعيد قاسم اوغلو

İstanbul İlim ve Kültür Vakfı

مؤسسة اسطنبول للثقافة والعلوم

The Istanbul Foundation for Science and Culture

الطبعة الاولى

اسطنبول ٢٠٢٤م

المحتويات

المقدمة ٧
شمّة من نسيم هدايات رسائل النور ٩
لماذا المجدد؟ ١٥
ولماذا رسائل النور؟ ١٩
جوانب من حياة بديع الزمان سعيد النورسي ٢٣
نظرات حول ترجمة معاني القرآن الكريم في تركيا ٣١
من جوانب التجديد عند النورسي ٤٧
النازع العلمي بين التنظير والتطبيق عند النورسي ٦٧
رسائل النور والأدب الإيماني ٧٧
قضية الإنسان الكبرى ٨٧
رسائل النور وانقاذ الايمان ٩٥
رحلة النورسي الى عالم القرآن من خلال سيرته الذاتية ١٠٧
دور العلماء في العهد العثماني والأمة التركية النورسي أنموذجاً ١٢٥
وحدة الأمة الإسلامية وجهود النورسي العملية في سبيل إقامتها ١٤٣
أبعاد جمالية في دعوة الإيمان والقرآن ١٥٧
هوامش على ترجمة رسائل النور ١٦٥
قراءة كتاب الكون في منهج الإمام النورسي في تفسير القرآن الكريم ١٧٧
أبعاد في دعوة الإيمان والقرآن ١٩١
جهود سعيد النورسي في التواصل الحواري ١٩٧
نماذج من تطبيقات مقاصدية للنورسي في حياته ٢١٥
النورسي ومكانة رسائل النور في الفكر الإسلامي الحديث ٢٣١

رؤية النورسي لعرفانية ابن عربي من خلال رسائل النور ٢٤١
العلوم محاريب إيمان وعرفان ٢٦٧
البيئة في مقاربة كونية عند الإمام بديع الزمان سعيدالنورسي ٢٩١
البعد اللساني في حاشية النورسي على منظومة السلم المرونق للأخضري ٣٠٥
مفهوم الجهاد في العصر الحديث عند بديع الزمان سعيد النورسي ٣١٥
الإصلاح في نظر علماء الإسلام النورسي نموذجا ٣٢٩
التغيير الحضاري والسنن الكونية بديع الزمان سعيد النورسي نموذجا ٣٤٩
مفاتيح لمشاكل المغترب من حياة بديع الزمان سعيد النورسي..... ٣٦٥
من التغيير إلى التحرير ٣٧٩
دور رسائل النور في استعادة صياغة القرآن للإنسان ٤٠١
رسائل النور أنموذج متكامل لتقديم الإسلام إلى الإنسان المعاصر ٤١٩
آثار بديع الزمان سعيد النورسي ٤٣٩
المصادر والمراجع..... ٤٣٩

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

أقامت مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم في سنة ١٩٩١م أول مؤتمر عام في إسطنبول في فندق فاخر للتعريف برسائل النور إلى الأوساط الأكاديمية والعامة. وتحقق ذلك بفضل الله تعالى. ثم تتابعت المؤتمرات بدعوة الأكاديميين من خارج تركيا، فأخذت المؤتمرات صفة العالَمية وتحققت في كل سنتين، ثم في كل ثلاث سنوات. ثم تتابعت المؤتمرات والندوات في خارج تركيا بالمشاركة مع مؤسسات علمية وجامعات. وكان الطابع العام لهذه المؤتمرات هو العلمية بعيدًا عن الأسلوب الخطابي الحماسي.

ومن ثم الأكاديميون الذين شاركوا في هذه الندوات في تركيا بدأوا بتنظيم فعاليات مشابهة لها في بلدانهم. فتحوّلت هذه الفعاليات إلى سباق علمي. وذلك بعد انتشار ترجمة "كليات رسائل النور" إلى الإنكليزية من قبل شكران واحدة، ومنّ الله علي أن ترجمت كليات رسائل النور إلى اللغة العربية في العراق وانتشرت بسرعة في الدول الأخرى مثل مصر وسوريا والأردن والمغرب والجزائر والسودان وعديد من البلدان الاخرى.

ولم يقتصر توصيل حقائق القرآن الكريم للعالم على علماء المسلمين وحدهم، بل تناولها الأكاديميون من مختلف الأديان والمعتقدات بشكل مشترك. فأصبح العلماء من جميع الفئات يبحثون عن حلول لمشاكل الإنسانية

المشتركة من كليات رسائل النور بغض النظر عن الاختلافات الدينية والثقافية.

ومن ثم بدأ العديد من الشباب من جامعات العالم العمل على دراسات الماجستير والدكتوراه في هذا المجال. فتم تنظيم مؤتمرات "الشباب الأكاديميين" مرات عدة بمشاركة هؤلاء الشباب. والتي عقدت باللغات التركية والعربية والإنجليزية، مما ساعدالأساتذة الشباب في أطروحاتهم.

ولقد منّ الله سبحانه وتعالى عليّ أن شاركت ببحوث علمية في رسائل النور وباللغة العربية، في الندوات والملتقيات والمؤتمرات التي عقدت في كل من البلدان الآتية وفي أغلبها مرات عدة: المغرب الأردن والجزائر ومصر والسودان وتشاد والنيجر والشارقة وسورية ولبنان واليمن وإيران والهند وباكستان وبنغلاديش وماليزيا وإندونيسيا والفليبين وأستراليا والبرازيل. فأحببت أن أجمع هذه البحوث التي ألقيتها في تلك البلدان حسب تسلسلها التاريخي، لعل الله سبحانه يجعل فيها فائدة للمهتمين.

ولشد ما أعجبت بما كتبه أخي الشهيد نجدت قاسم الصالحي بحثاً تحت عنوان: لماذا المجدد؟ وضعته في مقدمة البحوث، ولطالما اقتبست منه فقرات في البحوث التي كتبتها وألقيتها في بلدان عدة.

والله ولي التوفيق.

إحسان قاسم الصالحي

شمّة من نسيم هدايات رسائل النور

احتوت رسائل النور نسائم الهدايات القرآنية، فَيُشَمُّ عطرها الأخّاذ بالقراءة المتدبّرة لقليلها، وتزيد قوّة الشَدِّ إليها بزيادة القراءة الوظيفية، قراءة قصدها إنقاذ الإنسان بإنقاذ الإيمان، بشرط أن تستشرف الشَمَّة أفق الانخراط في سياق التسبيحات الكليّة التي تؤسس لها الرسائل في كلّ جنباتها.

إنّ القراءة المتدبّرة للرسائل مظنة شمّ شيء من عطرها، إنّ الشمة الواحدة منها تملأ الآفاق، والجوانح، وتريح البال، إذ عطرها يسيل حيث مددت إليه قلبك بعقلك وروحك، تمنحك الرسائل عبقها بقدر جديّة انخراطك فيها.

ولا شكّ أنّ إدامة النظر الجامع (العقل، والقلب، والروح) فيها يصقل المواهب ويعدّل المزاج، ولا يُحْفَظُ هذا المقام إلاّ لمن استغرق نظره فيها الأنفاسَ، مستصحبا أنّها دلاّلة على الله، مبيّنة لمقام رسول الله ﷺ، ومرشدة إلى تجليات أسماء الله الحسنى في الكائنات، فيجمع الناظر فيها بين دلالة القرآن على الله، ودلالة رسول الله ﷺ على الله، فضلا عن دلالة الكائنات على الله، فتتّحد المعرفة وتكون المعرفة الدالة على مولانا واحدة متكاملة شاملة مستغرقة لصريح التنزيل وأصحّ ما جاد به العقل البشري عبر العصور.

دخل الأستاذ إحسان قاسم الصالحي رحاب رسائل النور مسترشداً مفتّشاً عن أدوية تفيده في ظل أمراض أصابت أهل عصرنا في مقاتل، وكادت أن

تُردي أهله المهالك التي عمّت وطمّت، وخاصة في ظروف أُهمل فيه التشخيص الدقيق، فشاع فينا الاستهانة بالأمراض فتحوّلت مع الأيام إلى أمراض مزمنة. قدّمت رسائل النور أجود التشخيص لأمراض عصرنا، ولخّصتها في: حياة اليأس الذي يجد فينا أسبابه وبعثه، وموت الصدق في حياتنا الاجتماعية والسياسية، وحبّ العداوة، والجهل بالروابط النورانية التي تربط المؤمنين بعضهم ببعض، وسريان الاستبداد سريان الأمراض المعدية المتنوعة، وحصر الهمة في المنفعة الشخصية. فهل يمكن لعاقل أن يميل عن صيدلية وجد فيها أدوية تدفع هذا المرض وتطعّم بشكل متجدد ما يدفعه.

انخرط الأستاذ إحسان قاسم الصالحي مبكراً في خدمة الرسائل، فكان نِعم المترجم والناشر، والمعرّف، والمقدّم، والمعلّق،... وكان لتعدّد المداخل إلى رحاب رسائل النور فرصة سانحة لشمّ أعبق المعارف والهيام بها، فلا غرو أن تمتلك على الأستاذ إحسان أنفاسه، فيجدّد صلته بها فيتجدّد شَمَّهُ بِشَمِّ أعطر محبوبات العطر المعنوي، وأقصر الطرق وأسلسها في الوصول إلى إنقاذ الإنسان بإنقاذ إيمانه. إن استثمار الشمّة الواحدة المستفادة من رسائل النور، أسعفت الأستاذ إحسان بالمداومة عليها بالترقي من النورانية ترشحاً إلى النورانية نسباً معنوياً عالياً وغالياً، ورتبة النورانية تستغرق الإنسان في كلّه فيكون منوّر العقل، والقلب، والروح، وتتجلى النورانية في السواعد فعلاً إيجابيا في شعاب الحياة.

ولعلّ بعض ما حُفِظَ لنا إسهامات الأستاذ إحسان (حفظه الله ورعاه، ونفع به أمتنا) خير شاهد على ما تمتّع به من شمّة لحقائق رسائل النور، فكانت عباراته في بيان هذه الشمّة خير محبّب للقراءة الواعية المستوعبة لرسائل النور، لعلّ القارئ يظفر بما فيها من عبق عطر أصيل يستمد نورانيته من القرآن الكريم والسنّة

المطهّرة والتمثّل الأشمل والأكمل لجيل التنزيل من أهل بيت النبوّة الأطهار (عليهم السلام) والصحابة الكرام الأبرار الأخيار، رضوان الله عليهم أجمعين.

اختار الأستاذ إحسان استهلال سفره هذا بما كتبه أخوه الأصغر الشهيد الأستاذ نجدة قاسم الصالحي رحمه الله، الذي اغتالته يد الغدر في العراق الجريح أواخر رمضان من عام ٢٠٠٦م، كتب رحمه الله: لماذا المجدد؟ وهو اختيار موفّق يبيّن الحاجة الماسة في الأمة للمجدد، بشرط أن يكون حقيقاً بتجديد العمل بالدين في الأمة، لا مبدداً لمكاسبها المعنوية والمادية.

يلاحظ قارئ هذه الدراسات أنّها متنوّعة الاهتمامات تغرف في جميعها من بحر رسائل النور، فكتب الأستاذ إحسان "جوانب من حياة بديع الزمان سعيد النورسي"، و"نظرات حول ترجمة معاني القرآن الكريم في تركيا"، وكان التركيز فيها رسائل النور، وبيّن في مقالة أخرى بعض جوانب الجدّة في الرسائل، واختار له عنوان" من جوانب التجديد عند النورسي"، ومن مقتضيات مواجهة إشكالات الخوض العلمي المعاصر، كتب "النازع العلمي بين التنظير والتطبيق عند النورسي"، ولأجل تأكيد اهتمامه بنقل شمّاته من الرسائل، كتب "دور العلماء في العهد العثماني والأمة التركية النورسي أنموذجاً"، شمّات رسائل النور تؤكّد أنّ النورسي (رحمه الله) لم يكن رجلاً طوباوياً نظرياً تجريدياً، بل كان رجل الأمة والإنسانية، ولدلالة على ذلك كتب الأستاذ إحسان "وحدة الأمة الإسلامية وجهود النورسي العملية في سبيل إقامتها."

جمع الأستاذ النورسي بين قوة المعنى وجمال المبنى، وعبّر الأستاذ الصالحي عن هذه المعاني في عدد من الدراسات منها "رسائل النور والأدب الإيماني"، و"أبعادٌ جمالية في دعوة الإيمان والقرآن"، و"قراءة كتاب الكون في منهج الإمام النورسي في تفسير القرآن الكريم."

وقد استثمر الأستاذ إحسان رسائل النور في استلهام أجوبة على أسئلة العصر العامة الفكرية والتربوية، فكان منها بيانه لـ"جهود سعيد النورسي في التواصل الحواري"، و"أبعاد في دعوة الإيمان والقرآن"، و"رؤية النورسي لعرفانية ابن عربي من خلال رسائل النور"، و"النورسي ومكانة رسائل النور في الفكر الاسلامي الحديث"، و"العلوم محاريب إيمان وعرفان"، و"البيئة في مقاربة كونية عند الإمام بديع الزمان سعيد النورسي"

ومن تتمات هذا السعي العناية بأسئلة قريبة الصلة بالتخصصات اللسانية والمنطقية والفكرية، فضلا عن أسئلة الراهن في بلاد الغرب، وبهذا الصدد كتب الأستاذ إحسان (حفظه الله ورعاه): " البعد اللساني في حاشية النورسي على منظومة السلّم المرونق للأخضري"، و"الإصلاح في نظر علماء الإسلام النورسي نموذجا"، و"التغيير الحضاري والسنن الكونية بديع الزمان سعيد النورسي نموذجا"، و"مفاتيح لمشاكل المغترب من حياة بديع الزمان سعيد النورسي"، و"من التغيير إلى التحرير"، و"رسائل النور وإنقاذ الإيمان"، و"هوامش على ترجمة رسائل النور"، و"رحلة النورسي إلى عالم القرآن من خلال سيرته الذاتية". وختم هذا السفر بدراستين، أولاهما: موسومة بـ"دور رسائل النورفي استعادة صياغة القرآن للإنسان" والثانية عنوانها "رسائل النور أنموذج متكامل لتقديم الإسلام إلى الإنسان المعاصر" .

أُلقيت هذه الدراسات في مؤتمرات علمية وأيام دراسية احتضنتها مؤسسات التعليم العالي في البلاد الإسلامية، فكانت هذه اللقاءات العلمية وسيلة فعّالة لتعريف العالم الإسلامي برسائل النور وما حوته من جواهر معنوية وعلمية وروحية بأبعاد متعدّدة، فأسهمت هذه الدراسات في تقريب رسائل النور وتحبيبها وتيسير الانتفاع بها، لعلها تكون في القابل قيمة مضافة معرفياً ومعنوياً وتربوياً.

ربطت العناية برسائل النور الشرق بالغرب وعمّقت الصلات بين أهل الشرق، نقل الأستاذ هذه الشمّات المعنوية إلى: الأردن والمغرب والجزائر ومصر والسودان وتشاد والنيجر والشارقة وسورية ولبنان واليمن وإيران والهند وباكستان وبنغلاديش وماليزيا وإندونيسيا والفليبين وأستراليا والبرازيل.

إن ما بذله الأستاذ إحسان قاسم بهذه الدراسات تَمَثُّلٌ عملي لما قاله الأستاذ النورسي وهو يقدّم لمواجهة أمراض العصر أدوية فعّالة مقتبسة من فيض صيدلية القرآن الحكيم، والذي يمثّل بحق وصدق كلية الطب حياتنا الفردية والاجتماعية، وهو أقصر طريق وأنفذ أسلوب في مداواة عصرنا بدفعنا للانخراط الطوعي في الاستشفاء بالقرآن معنوياً، وهو الذي يعد مدخلا موضوعياً للطمع في الظفر بما نستأصل به أمراضنا المادية.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

وصلى الله على سيّدنا محمد صلاة تطهّرنا بها من جميع الآفات وتبلّغنا بها أعلى الدرجات في الحياة وبعد الممات.

الفقير إلى رحمة ربّه
عمار جيدل
(الأستاذ الدكتور في جامعة الجزائر)

لماذا المجدد؟

الاستاذ نجدة قاسم الصالحي رحمه الله[1]

إن المتأمل في الأمور الغيبية الإيمانية ينحو به أن ينظر إليها من منظارين:

الأول: الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التي تتسم بالثبات والبقاء، ما دامت السموات والأرض.

الثاني: مدارك الإنسان العقلية، وعمق تصوره، وسعته المتسمة بالتغير والاختلاف والتباين من فرد إلى فرد ومن جيل إلى جيل.

ولا جرم أن التصديق بالأمور الغيبية لا يتم أو لا تتكامل عناصره بالاكتفاء بعرض نصوص الأول وحده، أو بالاعتماد على الثاني وحده؛ إذ إن مهمة بعث الإيمان - ولا سيما في هذا العصر - لا يكفيه عرض الآيات الكريمة وسردها آية آية، وإيراد لأحاديث الشريفة حديثاً حديثاً من غير تنوير عقلي وإدراك إنساني متناسب مع قدراته، كما أن مدارك الإنسان وقدراته العقلية وسعة أفقه لا تكفي أساساً لبناء ايماني متين، من غير تبصير قلبي وانبعاث روحي،

---

[1] هو أخى الأصغر (مواليد ١٩٤٦م) كان أستاذًا في الجامعة المستنصرية ببغداد. اختطفه الإرهابيون فى أحداث العراق في (١٩رمضان ١٤٢٧هـ) ثم استشهد فى العشر الأواخر (٢٥ رمضان الموافق ١٦ /١٠ /٢٠٠٦م)، ورمى بجثمانه في الشارع ثم دفن. كان أديبًا وضليعا في اختصاصه التربوي. (احسان قاسم)

واستلهام وجداني من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة.

وعلى هذا، فإن التصديق بالأمور الغيبية الإيمانية قوامه: الهداية الربانية، والتنوير القرآني المقرون بتطويع الإنسان لما يمتلكه من قدرات ومدارك - محدودة في أوسع مستوياتها- لتلقي تلك الاستلهامات الإيمانية من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة.

زد على ذلك أن ثمة حاجة الفطرة إلى الإيمان التي تفصح عن شدة إلحاحها كلما ضعفت ركائز الإيمان في القلوب، وهذه الحاجة الإنسانية أيضاً ليست ثابتة على مر العصور، بل هي متغيرة تبعاً لتغير الإنسان.

ومما سبق نرى مصداق قول الرسول ﷺ في عناية الله الشاملةعلى البشرية في بعثه من يجدد أمر دينها كل مائة سنة من الزمان.

وربما يرد سؤال: ما الحكمة في تجديد الدين؟ وما الحكمة في تسلسل المجددين وتواترهم؟ أليس الإسلام قد اكتمل؟

ان التفكير في هذا الأمر يجعلنا نربط بين تجديد أمر الدين - وهو مكتمل أبداً- وبين الحاجة الإنسانية إليه، وهو أمر مرتبط ضمناً بتغير الإنسان في مداركه وتصوره وخياله، فلابد إذن من استثمار قدراته ومداركه المتسعة لتعميق الجذور الإيمانية فيه، وإيقاظ نعمة الإذعان الإيماني في فطرته طالما أن معين الإيمان لا ينضُب، فهو منهل أبدي يشبع نهم المؤمن إلى المعرفة ما دامت الحكمة ضالته. ومن هنا كان المجددون ممثلي عصرهم، مرشدي إنسان عصرهم إلى مناهل الإيمان وإلى ارتشاف نسغ الحياة من روح الآيات الكريمة ورحيق الأحاديث الشريفة، ليجدوا لذة الإيمان أنّى كانوا وكيفما كانوا. وعلى ذلك استحقوا تسمية: "ورثة الأنبياء".

فالمجدد لأمر الدين يهبه الله سبحانه رؤية واضحة شاملة، وبصيرة نفاذة، وقدرة على سبر غور الآيات والأحاديث، لينهض في أداء الرسالة والتبليغ بها، حتى كأنه مندوب لهذه الأمة منذ نشأته وحتى مماته. فإذا بحياته سجل حافل ينقل صورة عصره وتصويبه لزلات معاصريه، ويفتح أمامهم سبل الاستهداء والاسترشاد.

وبديع الزمان سعيد النورسي رجل قد أفاض الله على قلبه من نور القرآن الكريم ما جعله يدخل عالم الإيمان والغيبيات بثبات وإقدام، في عصر طغت فيه قوى المادية، فأسدلت غشاوة على الأبصار والبصائر، فلم تعد ترى العقبى، وبدت الغيبيات شاحبة باهتة خافتة تنتظر من يجلوها ببريق الإيمان، فما فتئ النورسي يجول ويصول في هذه الساحة متزوداً بنور الهداية الربانية، وما حباه الله من قدرات فائقة في استيعاب ما وصل إليه عصره وما وصلت إلى عصره من علوم، وما تفتحت أمامه من آفاق الحاجة الإنسانية في عصره، حتى وجدناه في رسائله - رسائل النور - وفي تربيته لطلابه مثالاً للمجدد المقتدي بالرسول الكريم ﷺ ، والمقتفي خطوات الهداية في نور القرآن المبين.

ولعل العناية الإلهية شاءت أن تغرس في النورسي بصيرة نفاذة، وقدرة عجيبة في دمج العلوم العقلية الحديثة والعلوم النقلية الشرعية، فكأنه ينهل من جذور المعرفة لا من فروعها؛ إذ يقدم حلولا وإرشادات في أعقد الأمور الحياتية والإيمانية و الغيبية في بلاغة رائقة وأسلوب رشيق، تأنس به العقول وتطمئن به القلوب، فتجد فيه ضالتها، ومنفذ خلاصها من دون أن يكدر شيئاً على صفو الأفهام أو يغرقها في الفروع دون الأصول.

ولكي يكون أسلوبه جامعاً لجماح العقول وشرود القلوب، فقد أودع الله

فيه قدرة على الاستشهاد بـ"الأمثلة" المقنعة القريبة من العقل والقلب معاً، ومنحه قوة المنطق الفطري والبرهان العقلي والأدلة المقنعة وإقامة الحجج القوية في معالجته الأمورالغيبية الإيمانية، لذا يجد قارئ الرسائل متعة جديدة كلما أعاد قراءتها، بما ينكشف أمامه من آفاق إيمانية احتجبت عنه في مطالعته الأولى.

والله نسأل أن يرزقنا الانتفاع بعلوم الإيمان، ويهب لنا من رحمته الإخلاص في القول والعمل، فاللهم وثق رابطة هذه القلوب المؤمنة إليك، وأدم ودّها، واهدها سبلها، واشرح صدور هذا الجمع المبارك بفيض الإيمان بك، وجميل التوكل عليك، وأحينا يا ربنا بمعرفتك وبمحبة رسولك ﷺ إنك نعم المولى ونعم النصير.

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

ولماذا رسائل النور؟

يجيب الأستاذ النورسي بالآتي:

"جواب عن سؤال خاص

إنك يا أخي تسأل: لماذا نجد تأثيراً غيرَ اعتيادي فيما كتبتَه في «الكلمات» المستقاة من فيض القرآن الكريم، قلّما نجده في كتابات العارفين والمفسرين. فما يفعله سطرٌ واحد منها من التأثير يعادل تأثيرَ صحيفة كاملة من غيرها، وما تحمله صحيفة واحدة من قوة التأثير يعادل تأثير كتاب كامل آخر؟

فالجواب: وهو جواب لطيف جميل، إذ لمّا كان الفضل في هذا التأثير يعود إلى إعجاز القرآن الكريم وليس إلى شخصي أنا، فسأقول الجوابَ بلا حرج:

نعم، هو كذلك على الأغلب؛ لأن "الكلمات":

تصديقٌ وليست تصوراً.[1] وإيمانٌ وليست تسليماً.[2] وتحقيق وليست تقليداً.[3]

---

[1] التصديق: هو أن تنسب باختيارك الصدق إلى المخبر. بينما التصور: هو إدراك المعرفة من غير أن يحكم عليها بنفي أو إثبات. وفي المنطق: التصديق هو إدراك النسبة التامة الخبرية على وجه الإذعان. والتصور: إدراك ما عدا ذلك. (عن التعريفات للجرجاني).

[2] مأخوذة من قوله تعالى: ﴿قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلٰكِنْ قُولُوٓا اَسْلَمْنَا﴾ (الحجرات: ١٤).

[3] التحقيق: إثبات المسألة بدليلها بينما التقليد: قبول قول الغير بلا حجة ولا دليل (عن التعريفات للجرجاني).

وشهادة وشهود وليست معرفة.[١] وإذعان وليست التزاماً.[٢] وحقيقة وليست تصوفاً. وبرهان ضمن الدعوى وليست ادعاءاً.

وحكمة هذا السر هي: أنَّ الأسسَ الإيمانية كانت رصينةً متينة في العصور السابقة، وكان الانقياد تاماً كاملاً، إذ كانت توضيحات العارفين في الأمور الفرعية مقبولة، وبياناتُهم كافية حتى لو لم يكن لديهم دليل.

أما في الوقت الحاضر فقد مدّت الضلالةُ باسم العلم يدَها إلى أسس الإيمان وأركانه، فوهب لي الحكيم الرحيم، الذي يهب لكل صاحبِ داءٍ دواءه المناسب، وأنعم عليّ سبحانه شعلةً من "ضرب الأمثال" التي هي من أسطع معجزات القرآن وأوضحها، رحمةً منه جل وعلا لعجزي وضعفي وفقري واضطراري، لأُنير بها كتاباتي التي تخص خدمة القرآن الكريم. فله الحمد والمنة:

فبمنظار "ضرب الأمثال" قد أُظهِرَتْ الحقائقُ البعيدة جداً أنها قريبةٌ جداً.

وبوحدة الموضوع في "ضرب الأمثال" قد جُمِّعَتْ أكثر المسائل تشتتاً وتفرقاً.

وبسلّم "ضرب الأمثال" قد تُوصِّل إلى أسمى الحقائق وأعلاها بسهولة ويُسر.

ومن نافذة "ضرب الأمثال" قد حُصّل اليقين الإيماني بحقائق الغيب وأسس الإسلام مما يقرب من الشهود.

---

[١] الشهادة: هي إخبار عن عيان. والشهود: هو معرفة الحق بالحق. أما المعرفة: فهي إدراك الشيء على ما هو عليه، وهي مسبوقة بجهل بخلاف العلم. (عن التعريفات للجرجاني).

[٢] الإذعان: عزم القلب، والعزم جزم الإرادة (عن التعريفات للجرجاني).

فاضطر الخيالُ إلى الاستسلام وأُرغم الوهم والعقل على الرضوخ، بل النفس والهوى. كما اضطر الشيطان إلى إلقاء السلاح.

حاصل الكلام: إنه مهما يظهر من قوة التأثير، وبهاء الجمال في أسلوب كتاباتي، فإنها ليست مني، ولا مما مضَغَه فكري، بل هي من لمعات "ضرب الأمثال" التي تتلألأ في سماء القرآن العظيم، وليس حظي فيه إلّا الطلب والسؤال منه تعالى، مع شدة الحاجة والفاقة، وليس لي إلّا التضرع والتوسل إليه سبحانه مع منتهى العجز والضعف.

"فالداء مني والدواء من القرآن الكريم"..[1]

* * *

[1] المكتوبات، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، سوزلر، إسطنبول ١٩٩٢. ص ٤٧٦.

جوانب من حياة بديع الزمان سعيد النورسي[1]

إن حياة بديع الزمان سعيد النورسي حافلة بالأحداث الجسام إلاّ أننا نوجزها بالآتي فنقول:

إنه عاصر عهد السلطان عبد الحميد الثاني وفترة الاتحاد والترقي وأحداث الحرب العالمية الأولى وسقوط الدولة العثمانية ثم العهد الجمهوري والحزب الواحد الحاكم ثم فترة تعدد الأحزاب وحياة ديمقراطية في البلاد.

فقد ولد سعيد النورسي سنة ١٢٩٣هـ (١٨٧٦م) في قرية (نورس) التابعة لولاية بتليس شرقي الأناضول. وتتلمذ على أخيه الكبير (الملا عبد الله) واقتصرت دراسته في هذه الفترة على الصرف والنحو، ثم بدأ يتنقل في القرى والمدن بين الأساتذة والمدارس، ويتلقى العلوم الإسلامية من كتبها المعتبرة بشغف عظيم، يرفده ذكاؤه المشرق، الذي اعترف به أساتذته جميعهم بعد امتحانات صعبة، كان يجريها له كل منهم، واجتمع له مع الذكاء قوة الحافظة، حتى إنه درس وحفظ كتاب (جمع الجوامع) في أصول الفقه في أسبوع واحد.

ولم تلبث شهرة هذا الشاب أن انتشرت بعد أن فاق في مناقشاته علماء منطقته جميعاً، فسمّوه (سعيد المشهور). ثم ذهب إلى مدينة (تللو) حيث اعتكف مدة في إحدى الزوايا، وحفظ هناك القاموس المحيط للفيروزابادي إلى باب السين.

---

[1] ألقي في مؤتمر بديع الزمان النورسي ودعوته، أقامه معهد الفكر الإسلامي، عمان-الأردن في ١٢/٦/ ١٩٩٧.

وفي سنة ١٨٩٢م ذهب إلى (ماردين)؛ حيث بدأ يلقي دروسه في جامع المدينة ويجيب عن أسئلة الناس، فَوُشي به إلى الوالي فأصدر أمراً بإخراجه، وسيق إلى (بتليس). فلما عرف واليها حقيقة هذا الشاب العالم ألحَّ عليه أن يقيم معه، وهناك وجد الفرصة سانحة لمطالعة الكتب العلمية، لاسيما علم الكلام والمنطق وكتب التفسير والحديث الشريف والفقه والنحو، حتى بلغ محفوظه من متون هذه العلوم ثمانين متناً.

ثم ذهب إلى مدينة (وان) سنة ١٨٩٤م وانكبّ فيها بعمق على دراسة كتب الرياضيات والفلك والكيمياء والفيزياء والجيولوجيا والفلسفة والتاريخ؛ حتى تعمق فيها إلى درجة التأليف في بعضها وذلك حينما أحس في أثناء مجالسته مع بعض المثقفين أنه بحاجة الى الاغتراف من تلك العلوم. فأُطلق عليه أهل العلم (بديع الزمان) اعترافاً منهم بذكائه الحاد وعلمه الغزير واطلاعه الواسع.

كان الفكر المادي قد بدأ يجتاح العالم كله، و وُجّهت العلوم الحديثة وجهة بعيدة عن الدين بل مناهضة له. وأخذ العالم الإسلامي يئن تحت وطأة هذا الغزو الفكري. والدولة العثمانية لم تعد قادرة بمؤسساتها القديمة على الوقوف أمامه، وحل المشكلات المستعصية التي أفرزه. وبلغ الأمر الى الهجوم على القرآن الكريم نفسه، حتى نُشر في الصحف المحلية أن وزير المستعمرات البريطاني (غلادستون)[1] قد صرّح في مجلس العموم البريطاني مخاطباً النواب قائلاً: (مادام القرآن بيد المسلمين فلن نستطيع أن نحكمهم، لذلك فلا مناص لنا من أن نزيله من الوجود أو نقطع صلة المسلمين به). زلزل هذا الخبر كيان بديع الزمان وأقضّ

---

[1] وليم غلادستون (١٨٠٩-١٨٩٨م) تقلد مناصب وزارية متعددة، تعمق في دراسة الدين فكان مؤلفه الأول (الدولة وعلاقتها بالكنيسة). عيّن رئيساً للوزراء أربع مرات. ألغى الكنيسة الايرلندية. الموسوعة العربية، دمشق، ١٩٨١، المجلد ١٣، ص ٨٩٩.

مضجعه فعلم أن القرآن مستهدَف، فأعلن لمن حوله: (لأبرهنن للعالم بأن القرآن شمس معنوية لا يخبو سناها ولا يمكن إطفاء نورها). فشد الرحال إلى اسطنبول عام ١٩٠٧م، وقدّم مشروعاً إلى السلطان عبد الحميد الثاني لإنشاء جامعة إسلامية في شرقي الأناضول، أطلق عليها اسم (مدرسة الزهراء) - على غرار الأزهر الشريف- تنهض بمهمة نشر حقائق الإسلام وتدمج فيها الدراسة الدينية مع العلوم الكونية الحديثة وفق مقولته:

(ضياء القلب هو العلوم الدينية، ونور العقل هو العلوم الحديثة، فبامتزاجهما تتجلى الحقيقة، وبإفتراقهما تتولد الحيل والشبهات في هذا، والتعصب الذميم في ذاك)[١].

وفي سنة ١٩١١م ذهب إلى بلاد الشام، وألقى خطبة بليغة من على منبر الجامع الأموي دعا فيها المسلمين إلى اليقظة والنهوض، وبيّن فيها أمراض الأمة الإسلامية وسُبل علاجها، ثم رجع إلى اسطنبول وعرض مشروعه بخصوص الجامعة الإسلامية على السلطان رشاد، فوعده السلطان خيراً، وفعلاً خُصّص المبلغ فشرع بوضع الحجر الأساس للجامعة على ضفاف بحيرة (وان)، غير أن الحرب العالمية الأولى حالت دون إكمال المشروع.

وعلى الرغم من معارضة سعيد النورسي لدخول الدولة العثمانية الحرب، فإنه حالما أُعلنت شكل من طلابه والمتطوعين فرق " الأنصار" وخاضوا غمار الحرب ضد روسيا القيصرية المهاجمة من جهة القفقاس، وألّف في خِضَمّ المعارك تفسيره القيّم (إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز) باللغة العربية، وعندما دخل الجيش الروسي مدينة (بتليس) كان بديع الزمان يدافع مع طلابه

---

[١] صيقل الإسلام، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، سوزلر، إسطنبول ١٩٩٥. ص ٤٢٨.

عن المدينة دفاعاً مستميتاً، حتى إنه جُرح جرحاً بليغاً، وأسر من قبل الروس وسيق إلى معتقلات الأسرى في قوصتورما (في سيبيريا). وهناك استمر على إلقاء دروسه الإيمانية على الضباط الذين كانوا معه والبالغ عددهم (٩٠) ضابطاً. وبعد نشوب الثورة البلشفية والاضطرابات التي نجمت منها تمكن من الهروب من الأسر بأعجوبة نادرة وبعناية ربانية واضحة. مارّاً في طريقه بوارشو وألمانيا وفينا. وعندما وصل إلى إسطنبول مُنح وسام الحرب، واستُقبل إستقبالاً رائعاً من قبل الخليفة وشيخ الإسلام والقائد العام وطلبة العلوم الشرعية. وكلفته الدولة بتسنّم بعض الوظائف، رفضها جميعاً إلاّ ما عينته له القيادة العسكرية من عضوية في (دار الحكمة الإسلامية)، التي كانت لا توجّه إلاّ لكبار العلماء، فنشر في هذه الفترة أغلب مؤلفاته .

وبعد دخول الغزاة إلى إسطنبول أحس النورسي أن طعنة كبيرة وجهت إلى العالم الإسلامي، ولذلك شمر عن ساعد الجد، ونشر رسالة (الخطوات الست) سراً هاجم فيها الغزاة بشدة، وأزال دواعي اليأس الذي خيّم على كثير من الناس. حتى حُكم عليه بالإعدام غيابياً من قبل الغزاة الإنكليز.

ولشهرته الواسعة وجهاده المتواصل دُعي إلى أنقرة عدة مرات . ويصف دعوته هذه بالآتي :

"دُعيت لزيارة أنقرة سنة (١٩٢٢م) وشاهدت فرح المؤمنين وابتهاجهم باندحار اليونان أمام الجيش الإسلامي، الاّ أنني أبصرتُ - خلال موجة الفرح هذه - زندقة رهيبة تدب بخبث ومكر، وتتسلل بمفاهيمها الفاسدة إلى عقائد أهل الإيمان الراسخة بغية إفسادها وتسميمها.. فتأسفتُ من أعماق روحي، وصرختُ مستغيثاً بالله العلي القدير...".[١]

---

[١] اللمعات، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، سوزلر، إسطنبول ١٩٩٣. ص٢٦٧.

وهناك وجد أن معظم أركان الدولة لا يؤدون حتى الفرائض الدينية، فوجّه إلى المجلس النيابي (مجلس المبعوثان) خطاباً مؤثراً استهلّه بـ" أيها المبعوثون إنكم لمبعوثون ليوم عظيم". وحصلت بينه وبين مصطفى كمال مشادة قوية. وعرض على المجلس أيضاً مشروع إنشاء الجامعة الإسلامية فلقي القبول، إلاّ أن ظروفاً سياسية حالت دون إكمال المشروع.

تيقن بديع الزمان أن الإصلاح لا يمكن أن يتم في الأروقة السياسية مع فساد الأسس وضعف الإيمان. فتوجّه إلى مدينة (وان) سنة ١٩٢٣م، واعتزل الناس في جبل (أرَك) القريب منها، طوال سنتين متعبداً ومتأملاً. وفي هذه الفترة تشكلت الحكومة الجمهورية[١] بعد إلغاء الخلافة[٢] . ثم قام الشيخ (سعيد بيران النقشبندي) بالثورة ضد السلطة آنذاك[٣]، وأشار إليه بديع الزمان أن يعدِل عن موقفه هذا حيث ستسفك دماء بريئة، ولكنه لم ينتصح بنصيحته، وفعلاً أريقت دماء زكية دون جدوى. وأخمدت الثورة ، وعلى إثرها سُنّت القوانين واتخذت القرارات لقلع الإسلام من جذوره وإخماد جذوة الإيمان في قلب الأمة التي رفعت راية الإسلام طوال ستة قرون من الزمان. فمُنع تدريس الدين في المدارس كافة، وبُدّلت الأرقام والحروف العربية في الكتابة إلى الحروف اللاتينية، وحُرم الأذان الشرعي وإقامة الصلاة باللغة العربية، وجرت محاولات ترجمة القرآن الكريم وسُعي لقراءة الترجمة في الصلوات. كما أُعلنت علمانية الدولة، فمُنع القيام بأي نشاط أو فعالية في صالح الإسلام، إذ حُظر طبع الكتب الإسلامية، وأُرغم الناس على تغيير الزي إلى الزي الأوروبي، فالرجال أُرغموا على لبس القبعة والنساء على السفور والتكشف.. وشكّلت محاكم زرعت

---

(١) في ١٩٢٣/١٠/٢٩.

(٢) في ١٩٢٤/٣/٣بعد أن ألغيت السلطنة في ١٩٢٢/١١/١.

(٣) في ١٩٢٥/٢/١٣.

الخوف والإرهاب في طول البلاد وعرضها، ونصبت المشانق لعلماء أجلاّء، ولكل من تُحدثه نفسه بالإعتراض على السلطة الحاكمة.

ورغم موقف بديع الزمان ذاك من الثورة، إلاّ انه لم ينج من شرارة الفتن والاضطرابات فنُفي مع الكثيرين إلى غربي الأناضول، إلى مدينة (بوردور). ثم نفي وحده إلى ناحية نائية وهي (بارلا) في جنوب غربي الأناضول ووصل إليها سنة ١٩٢٧م.

ظن أعداء الإيمان أن سيقضى عليه في (بارلا) تلك القرية النائية، ويخمد ذكره ويطويه النسيان ويجف هذا النبع الفياض. ولكن الله سبحانه وتعالى لطيف بعباده، فرعاه بفضله وكرمه، حتى غدت (بارلا) مصدر إشعاع عظيم لنور القرآن الكريم، إذ ألّف الأستاذ النورسي هناك معظم (رسائل النور). وتسربت هذه الرسائل عن طريق الاستنساخ اليدوي سراً، وانتشرت من أقصى تركيا إلى أقصاها، ولالتزامه هو وطلابه بالأذان الشرعي والحروف العربية ولانتشار الرسائل الإيمانية الواسع. سيقوا من منفى إلى آخر، وزجّوا في السجون والمعتقلات في عديد من ولايات تركيا طوال ربع قرن من الزمن، فكان المولى القدير يقيّض لهذه الرسائل القرآنية من يستنسخها، وينشر هذا الفيض الإيماني، حتى أيقظت روح الإيمان الراكدة لدى أهل الإيمان، وأرستها على دعائم علمية ومنطقية في غاية البلاغة بحيث يفهمه العوام ويتزود منه الخواص.

وهكذا استمر الأستاذ النورسي على تأليف رسائل النور حتى سنة ١٩٥٠م فأصبحت في (١٣٠) رسالة، جمعت تحت عنوان (كليات رسائل النور). ولم تتيسر لها أن ترى طريقها إلى المطابع إلاّ بعد سنة ١٩٥٤م. وكان يشرف بنفسه على الطبع حتى كمُل طبع الرسائل جميعها.

لبىّ الأستاذ النورسي نداء ربه الكريم في الخامس والعشرين من رمضان المبارك سنة ١٣٧٩هـ الموافق ٢٣ آذار١٩٦٠م في مدينة (أورفة). ولكن السلطات العسكرية الحاكمة آنذاك لم تدعه يرتاح حتى في قبره، إذ قاموا – في أوائل شهر تموز – بنبش قبره ونقل رفات هذا العالم الجليل بالطائرة إلى جهة مجهولة، بعد أن أعلنوا منع التجول في مدينة (أورفة) وملؤوها بالجنود المدججين بالسلاح.

تغمده الله برحمته الواسعة وأسكنه فسيح جناته.

* * *

نظرات حول ترجمة معاني القرآن الكريم في تركيا[1]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين وعلى آله وأصحابه أجمعين؛ وبعد

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نظرة تاريخية:

بدأت ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة التركية عقب ترجمته إلى اللغة الفارسية وكانت على صورة وضع معاني الكلمات في الآية الكريمة بين الأسطر، ثم عُلمت أن هذه الترجمات المقطعة لا تجدي شيئاً، فبدأت ترجمة القرآن الكريم آية آية من دون تفسير أو شرح.

ولعل أقدم هذه الترجمات هي باللغة التركية الشرقية "اوغوز" وهي مترجمة عن الفارسية، ونسخة منها بتاريخ الاستنساخ ٧٣٤هـ/١٣٣٣م محفوظة في متحف الآثار الإسلامية التركية بإسطنبول تحت رقم ٧٣.[2]

---

[1] بحث ألقي في المؤتمر الذي نظمته جامعة عبدالمالك السعدي في تطوان- المغرب، حول ترجمة معاني القرآن الكريم في١٧-١٩/٢/١٩٩٨. وكذلك ألقي في جامعة كيرالا بالهند في ٢٣-٢٥/٤/٢٠١٥م.

[2] Aydar, *Kura'n Kerimin Tercüme Meselesi* 105. Erdoğan, 47-48, Togan, *Kura'n ve Türkler*,

أي يعود إلى القرن الثامن الهجري. بيد أن الدراسات التي أجريت على الترجمات الناقصة المحفوظة في المتحف البريطاني ومكتبة (John Rylands) في مانجستر تقول إن أقدم ترجمة فارسية ثم التركية يعود إلى القرن الخامس أو السادس الهجري "العاشر أو الحادي عشر الميلادي".[١]

وفي بداية الدولة العثمانية ترجم عبدالرحمن بن يوسف كتاب "عمدة الإسلام" من الفارسية إلى التركية سنة ٨٠٠هـ (١٣٩٧م) وسماه "عماد الإسلام" وعدّه المؤلف ترجمة للقرآن الكريم حيث يبين أحكام القرآن.[٢]

أشكال الترجمات:

١- ترجمة كلمات الآيات ووضعها تحت الآية أو بين السطور أو جوانب الصفحات. ثمانية منها موجودة في متحف الآثار الإسلامية التركية. وقد أجريت عليها دراسات شتى.[٣]

٢- الترجمة التفسيرية، وهي ترجمة التفاسير العربية وبخاصة تفسير أبو الليث السمرقندي (ت ٣٨٣هـ/ ٩٩٣م) وغيره من التفاسير.[٤]

الترجمات في العهود العثمانية:

إن الترجمات بنوعيها لم تحظ بالقبول لدى الناس في العهود العثمانية حيث كانت اللغة العربية هي اللغة العلمية والسائدة لدى العلماء والمثقفين

---

19. İnan, bir inceleme 10-11 İhsanoğlu 19. Keskioğlu, *Kur'an'ın Başka Dillere çev*. XX11. Eckman 17-18 Hamidullah; *Kur'an Tarihi* 73

[١] Aydar, 105, Togan, *Kur'an ve Türkler 19-20*. İnan, 9-14

[٢] Aydar, 107

[٣] Erdoğan, 49-51

[٤] Aydar, 110. بالنسبة للتفاسير المترجمة الأخرى انظر:
Barthold, 69-74; Çetiner, 155-158; Cundur, 124; *Hamidullah Kur'an Tarihi*, 91-96.

بينما كانت اللغة التركية لغة أوساط العوام. ومع هذا لم تخل تلك العهود من ترجمات متشابهة بعضها ببعض. بل في الحقيقة مستنسخة الواحدة من الأخرى. فلا أصالة فيها قط. فضلاً عن أنها اقتصرت على قصار السور وسورة الملك ويس بمثل ما قام بها الشيخ إسماعيل بن احمد الأنقروي (ت ١٠٣٨هـ/١٦٢٨م) ومحمد جلبي النيكساري (١٢٢٥هـ/١٨١٠م).

وهناك مئات من الترجمات الجزئية والكاملة خارج مكتبات تركيا فمثلاً في الجزائر ودرسدن وليدن وميونخ وبرلين والفاتيكان وفينا ولندن وغيرها.[١]

ولعل أول كتاب طبع ونشر لترجمة كاملة للقرآن إلى التركية وتفسيره هو "تفسير التبيان" لمحمد أفندي العينتابي الذي طبع في بولاق سنة ١٢٥٧هـ/١٨٤١م وهو ترجمة تفسير "التبيان في تفسير القرآن" لخضر عبدالرحمن الأزدي الذي ألفه سنة ٧٧٣هـ.[٢]

وفي بداية هذا القرن وبعدما تسرب الشعور القومي إلى تركيا، تنامت فكرة الترجمة وبعثت مجدداً، وكانت الفكرة الأساس والغاية منها هي تتريك العبادات أي إقامة الصلوات والأذان وغيرها من الشعائر الإسلامية باللغة التركية، بيد أن شدة المعارضة لهذه الفكرة فَتَّ في عضُدِ المدافعين عنها ومنعهم من الاستمرار في تنفيذ مآربهم. ولما شعر السلطان عبدالحميد الثاني بهذا وأدرك فساد الغاية منها، قاومها بشدة، ولم يسمح بترجمة القرآن الكريم إلى التركية. ومهما حاول احمد آغاييف من الدفاع عن هذه الفكرة في صحيفة "تركيا الفتاة" فإن فتوى شيخ الإسلام آنذاك أبطلت الفكرة من أساسها ولم يحاول أحد من الكتّاب القيام بالترجمة حيث تأسست لجنة المراقبة في وزارة

---

(١) Aydar, 108-110; İnan, bir inceleme, 15

(٢) Aydar, 110, *Miras kur'an Tercümesi Hak Tarihi*! Hatıralar, 194

المعارف ولجنة تدقيق المؤلفات الشرعية التابعة للمشيخة الإسلامية.[١]

في فترة الانعطاف التاريخي:

بعد إعلان الدستور ١٩٠٨م وتولي الاتحاديين السلطة وما أعقب ذلك من خلع السلطان عبدالحميد، ظهرت في الأوساط فكرة إقامة الصلوات بالتركية وقراءة ترجمة القرآن في العبادات وتولّى كبر هذه الفكرة ضياء كوك آلب وعدد من العلماء الذين استصوبوها، وحاول بعضهم محاولات في هذا الميدان[٢] ولكنَّ علماء آخرين قاوموا الفكرة بشدة. إلا أن المناقشات امتدت من تركيا إلى مصر، فكتب محمد فريد وجدي "الأدلة العلمية على جواز ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الفارسية" أثنى فيها على الذين يحاولون ترجمة القرآن إلى التركية، مبيناً إمكان العبادات بها، بل نفى القداسة عن نظم القرآن العربي وأنكر إعجازه من ناحية البلاغة وادّعى استطاعة الكتّاب ولا سيما الغربيين أن يأتوا بتراجم تساوي أصله من كل وجه[٣] إلاّ أن أدلته لم تكن علمية ولا دقيقة، وأعقب ذلك بحث شيخ الأزهر مصطفى المراغي الذي "اعترف بأن التراجم تحط عن قيمة القرآن وتفقد الإعجاز والمعاني الثانوية التي تتبع الإعجاز".[٤]

وردّ عليهما وعلى الفكرة بأجوبة قاطعة الشيخ مصطفى صبري – الذي اضطر إلى ترك تركيا بعد سقوط الخلافة- وذلك في مؤلفه "مسألة ترجمة القرآن".[٥] وسار على نهجه العلمي في الرد على الفكرة الشيخ رشيد رضا[٦] وعلماء أجلاء

---

[١] المستشرقون وترجمة القرآن الكريم. البنداق، ص٦٩.

[٢] Aydar, *kur'an Tercümesi*, 112

[٣] مسألة ترجمة القرآن، مصطفى صبري ص٧.

[٤] نفسه.

[٥] المطبعة السلفية ومكتبتها ١٣٥١،١٩٣٢.

[٦] تفسير المنار ٩/ ٣٠٠-٣٠٥

من أمثال الشيخ محمد شاكر[١]. والشيخ محمد حسنين مخلوف[٢] والشيخ محمود شلتوت[٣] والشيخ الخضر الحسين[٤] وإبراهيم الجبالي[٥] والشيخ محمد سليمان نائب المحكمة الشرعية العليا بمصر[٦] والشيخ محمد مصطفى الشاطر قاضي محكمة شبين الكوم[٧] وأمثالهم من العلماء.

وخلاصة ما انتهوا إليه هو أن الترجمة الحرفية النصية لا تفي قطعاً بأغراض القرآن الكريم، ولكن لا بأس من ترجمة تفسيرية له، وربما هذه ضرورية.

فهؤلاء لا يعارضون ترجمة معاني القرآن لأجل التعليم والتربية ولكنهم يعارضون بشدة إقامتها مقام القرآن نفسه في العبادات. ولعل قول الشيخ الجبالي يوجز ويوضح إذ يقول:

"إن الإتيان بما يسد مسدّ القرآن في كل ما قصد منه لا أحسب مسلماً يدّعيه. والإتيان بما يفيد كثيراً مما أفاده القرآن لا أحسب عاقلاً ينكره. ففيم الخلاف إذاً.[٨]

ونتيجة المساجلات العلمية ساق العالم الجليل السيد محمد ابن الحسن الحجوي وزير المعارف في المغرب الأقصى شروطاً عامة لا بد من توفرها في المترجم تتلخص بالآتي:

---

[١] كتيب بعنوان "القول الفصل في ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية".
[٢] رسالة في حكم ترجمة القرآن الكريم وقراءته وكتابته لغير اللغة العربية.
[٣] ترجمة القرآن ونصوص العلماء فيها، الجزء الثاني من المجلد السابع مجلة الأزهر (صفر ١٣٥٥هـ).
[٤] العدد الثاني من المجلد الثاني لمجلد نور الإسلام ١٣٥٠-١٩٣١ (وهي مجلة الأزهر قبل تغيير اسمها).
[٥] الجزء الأول من المجلد الثالث لمجلة نور الإسلام ١٣٥١-١٩٣١.
[٦] حدث الأحداث في الإسلام الإقدام على ترجمة القرآن ١٣٥٥/١٩٣٦.
[٧] القول السديد في حكم القرآن المجيد ١٣٥٥/١٩٣٦.
[٨] دراسة حول ترجمة القرآن الكريم. مهنا. عن ص ٦٣ من بحث الشيخ الجبالي.

١- أن يكون عارفاً بالعربية ماهراً فيها. وفي اللغة التي يريد الترجمة إليها.

٢- أن يكون عارفاً بالنحو والصرف والبيان بفنونه وبعلم الأصول وبأسباب النزول وبكل الآلة التي توصله إلى ذلك. ويدخل في أنواع الآلة معرفة علوم القرآن الكريم من حيث الرسم والتلاوة وغيرها ومعرفة السنة النبوية الشريفة وعلومها أيضاً.

٣- أن تكون معرفته باللغة التي يترجم القرآن إليها بحيث لا يفوته منها ما يناسب كل جزئية من جزئيات الشرطين الأولين.[١]

في العهد الجمهوري:

رغم المناقشات العلمية الجادة بين العلماء ووضعهم الشروط التي يجب توفرها في المترجم فقد انتشرت في بداية العهد الجمهوري في تركيا ترجمات كثيرة جداً وفي فترة قصيرة من الزمن دون مراعاة للشروط، بل كان كثير من المترجمين لا يتقنون اللغة العربية بل لا يعرفونها أصلاً وليس لهم ضلع في العلوم الإسلامية حيث ترجموا القرآن الكريم من مترجماته الفرنسية والإنكليزية دون الرجوع إلى القرآن نفسه. والذين قاموا بهذا العمل لم يكونوا جميعاً من المسلمين بل كان منهم من النصارى أيضاً.[٢]

فكانت النتيجة الحتمية لهذه الفوضى التي ضربت أطنابها في ترجمة القرآن أن تزايد سخط الناس لكثرة ما وجدوه من أخطاء مقصودة وغير مقصودة في كل سطر بل في كل جملة بل حتى في كل كلمة. ونتيجة تزايد السخط والشكاوى اضطر مجلس الأمة التركي إلى وضع حدّ لهذا الأمر.

---

[١] الههياوي، ترجمة القرآن الكريم غرض للسياسة وفتنة في الدين، ص:٥٦-٥٧.

[٢] Aydar, *Kur'an Tercümesi Meselesi*, 115; Ergin v/1927-1931; Hamidullah, *Kur'an Tarihi*, 88.

فأوقف الترجمات وشكّل لجنة تشرف عليها، وأقرّ تهيئة ترجمة مقبولة من قبل لجنة من العلماء بإشراف رئاسة الشؤون الدينية.[١]

واختير لأداء هذه المهمة شاعر تركيا الأكبر محمد عاكف[٢] وذلك لطول باعه في اللغتين معاً، ولاستقامة سلوكه ولصفات نبيلة يتحلى بها. وفعلاً باشر محمد عاكف بالترجمة في تركيا ثم في منفاه مصر، وأنهاها ولكن لم يبيّضها لحين عرضها على لجنة من العلماء في تركيا. ولكن في هذه الآونة انتشرت فكرة إقامة الصلاة بالقرآن المترجَم وأصبحت حديث الساعة في الصحف. لذا لم يجلب محمد عاكف ترجمته إلى تركيا خشية أن تُقرأ بدلاً من القرآن الكريم إذ كان يقول: لو تحقق هذا فماذا سأجيب رب العالمين وكيف أنظر إلى وجه الرسول الكريم ﷺ. فأوصى بحرق ترجمته كاملة لاستشعاره بالمسؤولية أمام الله سبحانه وتعالى، وأُحرقت فعلاً [٣] وعلى إثر هذا أُودع أمر الترجمة إلى العالم محمد حمدي يازر فأتم ترجمته وتفسيره سنة ١٩٣٨م.[٤]

---

[١] Ergin v/1930-1931.

[٢] شاعر الإسلام في تركيا. درس الطب البيطري، ولكن شغفه بالأدب ونبوغه في الشعر جعله يسلك طريق الأدب. رأس تحرير مجلة (الصراط المستقيم) ومجلة (سبيل الرشاد). التحق بحركة الاستقلال. وانتخب نائباً في البرلمان في أنقرة. أصبحت إحدى قصائده النشيد الوطني التركي. وعندما سنّ قانون القيافة وفرض بموجبه القبعة سنة ١٩٢٥، رفض لبسها وهاجر إلى مصر حيث عاش في (حلوان)، ودرس اللغة التركية وآدابها بجامعة القاهرة، عاد إلى تركيا في أوائل ١٩٣٦ عندما أحس باشتداد وطأة المرض عليه حيث استقبل استقبالاً حافلاً. توفي في أواخر سنة ١٩٣٦. اشتهر بديوانه الشعري "صفحات". سعيد النورسي رجل القدرفي حياة امة، اورخان محمد علي. ص: ٤٩.

[٣] Düzdağ, *M. Akif'in Hayatı LXXIV*

[٤] *Miras Kur'an Tercümesi*, 195; Yazır (Mukaddime)

نظرة إلى الأخطاء الواردة في الترجمات التركية:

لقد بقي القرآن الكريم أكثر من ألف وأربعمائة سنة وهو نص واحد ونسخة واحدة حتى لا يختلف على ذلك عربي ولا أعجمي ولا يماري فيه مسلم ولا غير مسلم وسيظل هكذا بإذن الله تعالى.

لا شك أن ترجمة القرآن سواء كانت ترجمة كاملة أو جزئية أو ترجمة معانيه كلها أو بعضها من شأنها أن تقبل وقوع الخطأ فيها. وهذا ما كان يحذر ويحذّر منه مانعو الترجمة أصلاً، حيث إن هذا الخطأ في الترجمة ينطوي على التبديل والإخلال وينتهي بالقرآن إلى أن يصبح غير نفسه، وبهذا تصبح الترجمة مفسدة في الدين ووبالاً على الإسلام والمسلمين.

ولقد كان الكاتب الباحث "عمر رضا طوغرول" أول من انتقد المترجمات انتقاداً علمياً في كتابه بالتركية (ما القرآن؟) وخلص إلى القول:

"إن الترجمات التي تنشرها مكتبات كثيرة في الوقت الحاضر لا يُعتمد عليها ولا يُحتج بواحدة منها قطعاً. إذ تحتاج كل جملة منها إلى تصحيح وتشذيب"[١] وألّف هو الآخر تفسيراً وترجمة للقرآن الكريم إلا أنه لم يسلم من الانتقاد أيضاً، إذ كتب بحقه المفسر الشهير "حسن بصري جانتاي":

"إن شكل التفسير وتنظيمه وترتيبه جيد، ولكن سواء في معاني الآيات أو في إيضاحاتها هناك أخطاء لا تعد ولا تحصى بل هناك تحريفات أيضاً. ولدينا رسالة من السيد "احمد آقسكي" يبين فيها أن الترجمة المذكورة هي ترجمة من الإنكليزية لرئيس القاديانية في لاهور وهو مولانا محمد علي".[٢]

وهناك أكثر من أربعين ترجمة إلى التركية من القرآن الكريم، ولكن ما قدم

---

[١] Akdemir, *Cumhuriyet Dönemi Kur'an Tercümeleri*, 34, Doğrul, Kur'an Nedir

[٢] Akdemir, 47-48

منها لحد الآن عاجز عن أن يحقق ما يطلب من الترجمة. حيث إنها مليئة بالأخطاء مع الأسف، إذ وجد من ليسوا أهلاً بالترجمة هذا الميدان فارغاً فدخلوا فيه وعاثوا فساداً. ونقول بكل أسف وألم: حتى الصحف التي لا علاقة لها بالدين – بل المعادية له – قد نشرت ترجمات القرآن حسب أهوائها....[١]

ومما يلفت النظر أن ما قامت به رئاسة الشؤون الدينية في تركيا من ترجمة معاني القرآن الكريم يعدّها "الأستاذ آق دمير" أسوأ ترجمة من بين الترجمات السيئة إلى التركية.[٢]

وهكذا كلما نشرت ترجمة جديدة إذا بالعلماء الغيارى يجدون فيها من الأخطاء والتحريفات ما لا يحصى ولا يعد...

والترجمة مهما كانت جيدة محكوم عليها بالنقص والقصور لتحمّل الكلمات لأكثر من معنى واحد واضطرار المترجم إلى اختيار الأنسب من تلك المعاني والذي يقصر عن استيعاب المعاني جميعها. ومن هنا ظهرت الاختلافات بين المترجمات. وعلى الرغم من هذا فإن المترجمات لمعاني القرآن الكريم إلى التركية مقبولة بصورتها العامة مع الأخذ بنظر الاعتبار الأخطاء في الفرعيات التي لا تخلو ترجمة منها.

موقف بديع الزمان سعيد النورسي:

بعد إلغاء الخلافة في الدولة العثمانية أخذت السلطات التركية آنذاك تحارب العقيدة الإسلامية، فمنعت تدريس الدين في المدارس والأذان والإقامة باللغة العربية، وبدّلت الحروف العربية إلى اللاتينية، حتى العطل الأسبوعية والأعياد والملابس والعادات كلها أصبحت غربية.... كل ذلك لأجل قطع حاضر الأمة

---

[١] Akdemir, 34

[٢] Akdemir, 35

التركية عن ماضيها، وإحلال فكرة القومية التركية مكان الرابطة الإسلامية...[١]

ففي مثل هذا الجو العاصف حدثت ثورات كثيرة في أنحاء شتى من البلاد وأُخمدت كلها بالقوة وأريقت دماء زكية. ولم يستصوب الأستاذ النورسي هذه الأعمال التي تؤدي إلى إراقة الدماء وقرر أن يحصر جهوده في شيء واحد وعاجل وهو "إنقاذ الإيمان". حيث إن الأمور الأخرى ناشئة من هذا الداء العضال. فالعلاج هو في تقوية الإيمان... فسلك طريق الإرشاد والتبليغ أو الجهاد المعنوي حسب اصطلاحه. ولأجل أن يكون عمله خالصاً لوجه الله وموافقاً لسنته الجارية في الكون، ابتعد كلياً عن كل ما يمكن أن يلقى ظلاً على إخلاصه لله، مهما كان نوعه أو اسمه.

وحيث إن وسائل النشر كانت محظورة أمامه كلياً باشر بعمله بالاستنساخ اليدوي، فكان محبوه يكتبون ما يملي عليهم من مباحث الإيمان وينشرون تلك الرسائل الصغيرة سراً من قرية إلى أخرى. وسمّى رسائله بـ "رسائل النور"[٢] ورغم أنه قضى ربع قرن من الزمان في السجون والمعتقلات والمنافي والإقامة الجبرية لم يتوان عن كتابة تلك الرسائل الإيمانية وحث على نشرها بين الناس. حتى أينعت بإذن الله –في الوقت الحاضر- مراكز ثقافية ومدارس في طول البلاد وعرضها بل في خارج تركيا في أنحاء العالم مع صحافة وتلفزيون وعدد من الإذاعات وغيرها من النشاطات الاجتماعية ذات الأثر في حياة المجتمع.

ترى ماذا يقول بديع الزمان الذي نذر حياته في سبيل إنقاذ الإيمان والقرآن حول ترجمة القرآن؟

---

[١] سعيد النورسي رجل القدر في حياة أمة، أورخان محمد علي؛ ص:١٠٩.

[٢] نظرة عامة عن حياة سعيدالنورسي، إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر، الفصل الثاني. ص: ٤٩.

نقتطف هنا ما سجله من رأيه الهادئ السديد في ثنايا "رسائل النور" الفقرات الآتية:

"إنه لا يمكن أن يقوم مقام الألفاظ القرآنية التي هي محافظ ومنابع للضروريات الدينية أي لفظ آخر، ولا يمكن لأي لفظ آخر أن يحل محلها قطعاً، ولا أن يؤدي عنها لقدسيتها، وسموها، ودوامها، وإن أدّى مؤقتاً جزءاً ضئيلاً منها...

والنتيجة: أن شمولية اللغة العربية الفصحى وسعتها، والبيان المعجز في الألفاظ القرآنية، تحولان دون ترجمة تلك الألفاظ، ولذلك لا يمكن ترجمتها قطعاً، بل إنه محال".[١]

" لقد أثبتت رسالة المعجزات القرآنية، أنه لا يمكن ترجمة القرآن الكريم ترجمة حقيقية، ولا يمكن قطعاً ترجمة أسلوبه الرفيع في إعجازه المعنوي. وأنه من الصعوبة جداً إشباع الذوق، وبيان الحقيقة النابعين من ذلك الأسلوب الرائع في إعجازه المعنوي".[٢]

ثم يورد الأدلة المنطقية على ذلك، وينتهي إلى القول:

"وهكذا، فلكم أن تقيسوا على هذه الآية ما في الآيات الأخرى من درجة البلاغة. فهل يمكن –يا ترى- ترجمة أمثال هذه الآيات الكريمة ترجمة حقيقية؟. لاشك أنها غير ممكنة.

فإن كان ولابد، فإما أن تعطى معاني إجمالية مختصرة للآية الكريمة أو يلزم تفسير كل جملة منها في حوالي ستة أسطر".[٣]

---

[١] المكتوبات، ص٤٣٩.
[٢] المكتوبات ص٥٠٣.
[٣] المكتوبات ص٥٠٥.

ثم يقول : "لنأخذ مثلاً، جملة قرآنية واحدة، وهي: "الحمد لله"، فإن أقصر معنى من معانيها كما تقتضيه قواعد علم النحو والبيان، هو:

"كل فرد من أفراد الحمد من أي حامد صدر وعلى أي محمود وقع من الأزل إلى الأبد خاصٌ ومستحق للذات الواجب الوجود المسمى (الله)".[١] ويبدأ بشرح كل جملة من جملها ويخلص إلى القول:

"فلئن كان أقصر المعاني الظاهرية لجملة "الحمد لله" على هذه الصورة، كما اتفق عليها علماء اللغة العربية، فكيف بترجمة القرآن الكريم إلى لغة أخرى بنفس الإعجاز والقوة نفسها؟... إن كلمات القرآن التي جاءت بتلك اللغة العربية الفصحى الجامعة الخارقة، وفي صورة معجزة، وصادرة من علم محيط بكل شيء يدير الجهات كلها كيف توفي حقها كلمات ألسنة أخرى تركيبية وتصريفية في ترجمة من هو جزئي الذهن قاصر الشعور مشوش الفكر، مظلم القلب؟ أم كيف تملأ كلمات ترجمة محل تلك الكلمات المقدسة؟ حتى أستطيع القول، وأثبت أيضاً: أن كل حرف من حروف القرآن الكريم بمثابة خزينة من خزائن الحقائق، بل قد يحوي حرف واحد فقط من الحقائق ما يملأ صحيفة كاملة".[٢]

ويردّ معاتباً بشدة أولئك الذين أفتوا بتبديل الآذان الشرعي قائلاً:

"... وأنا أتلو: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ. صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ﴾، نظرت إلى قوافل البشرية الراحلة إلى الماضي، فرأيت أن ركب الأنبياء المكرمين والصديقين والشهداء والأولياء والصالحين أنور تلك القوافل وأسطعها، حتى إن نورهم يبدد ظلمات المستقبل، إذ إنهم ماضون في جادة مستقيمة كبرى تمتد إلى الأبد... وأن هذه الجملة تبصّرني طريق اللحاق بذلك الركب الميمون، بل تلحقني به..

---

[١] نفسه.

[٢] نفسه ص٥٠٦.

فقلت: يا سبحان الله، ما أفدح خسارة، وما أعظم هلاك من ترك الالتحاق بهذه القافلة النورانية العظمى، والتي مضت بسلام وأمان وأزالت حجب الظلمات، ونورت المستقبل.. إن من يملك ذرة من شعور لا بد أن يدرك هذا.

وإن من ينحرف عن طريق تلك القافلة العظمى بإحداث البدع، أين سيلتمس النور ليستضيء، وإلى أين سيسلك؟. فلقد قال قدوتنا الرسول الأكرم ﷺ: (كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار).[1]

فالذين استحقوا أن يطلق عليهم اسم "علماء السوء" أولئك الشقاة، أية مصلحة يجدونها إزاء هذا الحديث في فتوى يفتونها، يعارضون بها بديهيات الشعائر الإسلامية، بما فيه ضرر ومن غير ضرورة، ويرون أن تلك الشعائر قابلة للتبديل! فإن كان ثمة شيء، فلربما انتباهٌ موقتٌ ناشئٌ من سطوع المعنى المؤقت هو الذي خدعهم.

مثلاً: لو سلخ جلد حيوان، أو نزع غلاف ثمرة، فإن ظرافة مؤقتة تبدو من اللحم والثمرة، ولكن بعد مدة قليلة يسودّ ذلك اللحم الظريف، والثمرة اللطيفة، وذلك بتأثير ما يغلفهما من غلاف عرضي غريب كثيف ملوث، فيتعفنان...

كذلك التعابير الإلهية والنبوية التي هي في الشعائر الإسلامية، فهي بمثابة جلد حي مثاب عليه. ولدى انتزاعه يظهر شيء من نور المعاني مؤقتاً، وتطير أرواح تلك المعاني المباركة –بمثل ذهاب لطافة الثمرة المنزوع عنها الغلاف– تاركة ألفاظها البشرية في القلوب والعقول المظلمة. ثم تغادر، ويذهب النور

---

[1] جزء من حديث أخرجه احمد (٣/٣١٠، ٣١١/٣٣٧، ٣٣٨، ٣٧١)، ومسلم (٨٦٧) والنسائي (٣/١٨٨) وأبن ماجة (٤٥) والبيهقي في السنن (٣/٢١٣/٢١٤) وغيرهم من عدة طرق كلهم من حديث جابر رضي الله عنه. وزيادة "وكل ضلالة في النار" هي عند النسائي فقط من بين هؤلاء وسندها صحيح.

ولا يبقى غير الدخان...".[١]

ثم يبين دستوراً من دساتير الحقيقة الذي يخصّ هذا الأمر فيقول:

"إن في الشريعة الإسلامية نوعين من الحقوق:" حقوق شخصية" و "حقوق عامة" والتي هي من نوع "حقوق الله". وإن من المسائل الشرعية ما يتعلق بالأشخاص ومنها ما يتعلق بالناس عامة، أي يتعلق بهم من حيث العموم، فيطلق على هذا القسم اسم "الشعائر الإسلامية" فالناس كلهم لهم حصة من هذا القسم، حيث يتعلق بالعموم، وإن أي تدخل في هذا القسم من الشعائر وأي مسّ بها، يعتبر تعدياً على حقوق أولئك الناس عامة، إن لم يكونوا راضين عنه. وإن أصغر مسألة من تلك الشعائر (ولتكن من قبيل السنة) على جانب عظيم من الأهمية، كأية مسألة جليلة، لأنها تتعلق مباشرة بالعالم الإسلامي كافة.

ألا فليدرك أولئك الذين يسعون لقطع تلك السلاسل النورانية التي ارتبط بها جميع أعاظم الإسلام منذ خير القرون إلى يومنا هذا، ويعاونون على تحريفها وهدمها. فلينظر أيّ خطأ عظيم يرتكبون. وليرتعدوا إن كانت لهم ذرة من شعور!...

هذا ويطلق على قسم من المسائل الشرعية اسم "المسائل التعبدية" هذا القسم لا يرتبط بمحاكمات عقلية، ويُفعل كما أُمر، إذ إن علّته هو الأمر الإلهي.

ويعبّر عن القسم الآخر بـ "معقول المعنى" أي أن له حكمة ومصلحة، صارت مرجّحة لتشريع ذلك الحكم. ولكن ليست سبباً ولا علة. لأن العلّة الحقيقية هي الأمر والنهي الإلهي.

---

[١] المكتوبات ص٥١٠.

فالقسم التعبدي من الشعائر لا تغيّره الحكمة والمصلحة قطعاً، لأن جهة التعّبد فيه هي التي تترجح، لذا لا يمكن أن يتدخل فيه أو يُمَسَّ بشيء، حتى لو وجدت مائة ألف مصلحة وحكمة، فلا يمكن أن تغيّر منها شيء. وكذلك لا يمكن أن يقال: إن فوائد الشعائر هي المصالح المعلومة وحدها. فهذا مفهوم خطأ، بل إن تلك المصالح المعلومة، ربما هي فائدة واحدة من بين حكمها الكثيرة.

فمثلاً: لو قال أحدهم: إن الحكمة من الأذان هي دعوة المسلمين إلى الصلاة، فإذاً يكفي –بهذه الحالة- إطلاق طلقة من بندقية! ولا يعرف ذلك الأبله أن دعوة المسلمين هي مصلحة واحدة من بين ألوف المصالح في الأذان. حتى لو أعطى ذلك الصوت تلك المصلحة فإنه لا يسدّ مسدّ الأذان الذي هو وسيلة لإعلان التوحيد الذي هو النتيجة العظمى لخلق العالم، وخلق نوع البشر. وواسطة لإظهار العبودية إزاء الربوبية الإلهية باسم الناس في تلك البلدة أو باسم البشرية قاطبة.

حاصل الكلام: إن جهنم ليست زائدة عن الحاجة، فإن كثيراً من الأمور تدعو بكل قوة: لتعش جهنم. وكذا الجنة ليست رخيصة بل تطلب ثمناً غالياً.

﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (الحشر: ٢٠).[١]

والخلاصة: إن الأستاذ النورسي يرى من المحال ترجمة القرآن ترجمة حقيقية محتفظة بإعجازه البلاغي، ولا يرى بأساً في ترجمة معاني الآيات الكريمة مستوفية المعنى في عدة أسطر. ويردّ بشدة إقامة الترجمة مقام القرآن الكريم في العبادات والشعائر الإسلامية.

---

[١] المكتوبات ص٥١١.

والله نسأل أن يوفقنا إلى حسن القصد وصحة الفهم وصواب القول وسداد العمل.

وصل اللّهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

* * *

تعقيب:

نوقشت ترجمة لفظ الجلالة (الله) في جلسة طويلة استغرقت إلى العصر حتى توصل الباحثون الى الآتي:

إن لفظ الجلالة (الله) لا يمكن ترجمتها إلا إذا وضعت لفظ الجلالة بين قوسين مع اللغة المترجمة: مثلا (الله) God.

ورُفض كلياً ترجمة الهولندي للقرآن الكريم التي صاغها بأسلوب الصحفي.

وزرنا ما يشبه المتحف -في بيت أحد الأساتذة الكبار- الترجمات القديمة جداً للقرآن الكريم. ولفت نظرنا أن فيها صوراً قلمية لأعرابي حافي القدمين وثياب رث متهرئ وخيم الصحراء وغيرها. وذكر لنا الأستاذ أنه ما كان يُسمح بطبع الترجمة إلا وفي مقدمتها كلام قبيح حول القرآن الكريم والرسول ﷺ.

من جوانب التجديد عند النورسي[1]

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مقدمة:

قبل الخوض بالبحث عن بعض الجوانب التجديدية لرسائل النور لا بد من معرفة الظروف التي عاش فيها مؤلفها وتعامل معها.

فقد ولد بديع الزمان سعيد النورسي في مطلع القرن الهجري الماضي ١٢٩٣هـ (١٨٧٦م) في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، وجاهد على رأس فرقة الأنصار الروس في جبهة القفقاس.. وقاوم عقبها الإنكليز والحلفاء لاحتلالهم مناطق مختلفة من تركيا.. وعاصر حرب الاستقلال التي دامت سنوات لطرد الغزاة من البلاد.. وعاصر المنعطف الخطير الذي بدأ منذ سنة ١٩٢٢م حيث وُضعت قوانين وأُتخذت قرارات لحظر الإسلام في البلاد.

ولم ينج من شرارة الفتن والاضطرابات فقضى طوال ربع قرن من حياته بين

---

[1] بحث ألقي في ندوة الفكر الإسلامي المعاصر في الجزائر وتركيا، نظمها مخبر أصول الدين، المعهد العالي لأصول الدين، بجامعة الجزائر العاصمة في ٢٢-٢٣ /١١/ ٢٠٠١.

المنافي والسجون والمحاكمات والإقامات الإجبارية حتى توفاه الله سنة ١٩٦٠.

وفي خضم هذه الأحداث الجسام كلها كان معتصما بالقرآن الكريم بفضل الله سبحانه وتعالى.. إذ يقول عن نفسه:

"... صرفتُ كل همي ووقتي إلى تدبّر معاني القرآن الكريم. وبدأت أعيش حياة سعيد الجديد.. أخذتني الأقدار نفياً من مدينة إلى أخرى.. وفي هذه الأثناء تولدت من صميم قلبي معاني جليلة نابعة من فيوضات القرآن الكريم.. أمليتُها على مَن حولي من الأشخاص، تلك الرسائل التي أطلقت عليه "رسائل النور". إنها انبعثت حقاً من نور القرآن الكريم. لذا نبع هذا الاسم من صميم وجداني، فأنا على إقتناع تام ويقين جازم بأن هذه الرسائل ليست مما مضغته أفكاري وإنما إلهام إلهي أفاضه الله سبحانه على قلبي من نور القرآن الكريم، فباركت كل مَن استنسخها[١]، لأنني على يقين أن لا سبيل إلى حفظ إيمان الآخرين غير هذه السبيل... وهكذا تلقفتها الأيدي الأمينة بالاستنساخ والنشر..."[٢]

منطلقات التجديد:

في هذا العصر الذي طغت فيه قوى المادية، فأسدلت غشاوة على الأبصار والبصائر، فلم تعد ترى العقبى، وبدت الغيبيات شاحبة باهتة خافتة تنتظر من يجلوها ببريق الإيمان، أفاض الله على قلب بديع الزمان سعيد النورسي من نور القرآن الكريم ما جعله يدخل عالم الإيمان والغيبيات بثبات وإقدام، فما فتئ يجول ويصول في هذه الساحة متزوداً بنور الهداية الربانية، وما حباه الله من قدرات فائقة في استيعاب ما وصل إليه عصره وما وصلت إلى عصره من علوم، وما تفتحت أمامه من آفاق الحاجة الإنسانية في عصره، حتى نجده في

---

[١] أي الاستنساخ اليدوي حيث كان الطبع بالحروف العربية محظوراً.

[٢] الشعاعات، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، سوزلر، إسطنبول ١٩٩٣، ص٥٤١-٥٤٢.

"رسائل النور" مثالاً للمجدد المُقتدي بالرسول الكريم ﷺ، والمُقتفي خطوات الهداية في نور القرآن المبين.

ولعل العناية الإلهية شاءت أن تغرس فيه بصيرة نفاذة، وقدرة عجيبة في دمج العلوم العقلية الحديثة والعلوم النقلية الشرعية، فكأنه ينهل من جذور المعرفة لا من فروعها؛ إذ يقدم حلولاً وإرشادات في أعقد الأمور الحياتية والإيمانية والغيبية في بلاغة رائقة وأسلوب رشيق، تأنس به العقول وتطمئن به القلوب، فتجد فيه ضالتها، ومنفذ خلاصها من دون أن يكدّر شيئاً على صفو الأفهام أو يغرقها في الفروع دون الأصول.

ولكي يكون أسلوبه جامعاً لجماح العقول وشرود القلوب، فقد أودع الله فيه قدرة على الاستشهاد بـ"الأمثلة" المقنعة القريبة من العقل والقلب معاً، ومنحه قوة المنطق الفطري والبرهان العقلي والأدلة الدامغة وإقامة الحجج القوية في معالجته الأمور الغيبية الإيمانية.

ولمعرفة أبعاد منهج رسائل النور ودورها في التجديد لابد من بسط الكلام في منطلقات التجديد النوري، نكتفي هنا ذكر ثلاثة فقط من بين العديدة منها:

١- قراءة شهودية لحجج الله الثلاث:

إن رسائل النور من خلال تفسيرها الشهودي لبعض الآيات القرآنية[١]، تدفع قارءها إلى قلب القرآن الكريم، وتأخذ بيده في الوقت نفسه في تجوال في آفاق الكون وأرجائه، وتدلّه في ذات الوقت على العيش في جنان السيرة الطاهرة عليه أفضل السلام وأتم التسليم، وذلك بعرضها أمامه كتباً ثلاثة:

---

[١] يقول الأستاذ النورسي: "إن هذه الرسالة نوعُ تفسيرٍ شهودي لبعض الآيات القرآنية. وما فيها من المسائل، ازاهيرٌ اقتطفت من جنّات الفرقان الحكيم" المثنوي العربي النوري، ص: ٣٤.

الأول: القرآن الكريم المقروء حجة الله على الأنام، ذلك الكتاب المبين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ثانياً: هذا الكون الذي هو بمثابة قرآن مشهود وكتاب كبير مجسم، إذ ليس في الموجودات من شيء إلا هو لفظ مجسم حكيم يُفصح عن معاني جليلة، بل يستقرئ أغلب أسماء صانعه البديع[١]. فكما أن صفة "الكلام الإلهي" تعرّف الذات الإلهية سبحانه وتعالى بالوحي والإلهام، فإن صفة "القدرة الإلهية" كذلك تعرّف ذاته جل وعلا بآثارها البديعة في الكون والتي هي بمثابة كلماتها المجسّمة تصف قديراً ذا جلال، وتعرّفه بإظهارها الكون من أقصاه إلى أقصاه بماهية فرقان حكيم مجسم. حتى يغدو الكون بأسره عبارة عن مكاتيب ربانية بليغة وقرآن منظور مجسّم ومعرض إلهي مهيب.

ثالثاً: الآية الكبرى من كتاب الكون والقرآن الناطق وهو الرسول الكريم ﷺ ، الذي وصفته أمنا عائشة رضي الله عنها " كان خُلُقه القرآن" [٢]. أي أن محمداً ﷺ هو المثال الأنموذج لما بيّنه القرآن الكريم من محاسن الأخلاق.

وهكذا تضع الرسائل القارئ أمام قرآن مقروء وقرآن مشهود وقرآن ناطق، تلك الحجج الكلية الثلاث، فيكتشف نظائرَ الحقائق القرآنية ومعاني تجليات الأسماء الحسنى التي يتلوها في القرآن الكريم، يكتشفها في كتاب الكون القرآني المنظور، مثلما يجد مصداقها في السيرة المطهرة للرسول الحبيب ﷺ. فيتناغم الوجود في روحه وقلبه وعقله.

---

[١] الكلمات، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، سوزلر، إسطنبول ١٩٩٢، ص٢٣٧.

[٢] جزء من حديث عائشة رضي الله عنها. أخرجه مسلم ٧٤٦ واحمد ٥٤/٦، ٩١، ١٦٣ وأبو داود ١٣٤٢ والنسائي ١٩٩/٣. ٢٠٠ والدارمي.

لذا فإن رسائل النور تلميذة أمينة من تلامذة القرآن الكريم، فهي " لا تسير على وفق خطى العقل وأدلته ونظراته - كما هو لدى الفلاسفة والمتكلمين - ولا تتحرك كما هو الشأن لدى الأولياء المتصوفين بمجرد أذواق القلب وكشوفاته.. وإنما تتحرك بخطى اتحاد العقل والقلب معا و امتزاجهما، وتعاون الروح واللطائف الأخرى"[١].

علماً أن منهجها القرآني هذا لا يصطدم مع أي منهج من تلك المناهج مباشرة، ولا يلغيه، "ولا يفرض بالضرورة البداية الصفرية في المعرفة التربوية والنظرية، فضلا عن المعركة الحضارية، بل يقضي استثمار كل ما من شأنه أن يفيد في بيان الحقائق الإيمانية المستقاة من القرآن الكريم"[٢].

٢- التعامل مع تجليات الأسماء الحسنى:

يصح لنا أن نقول: إن التعامل مع معاني تجليات الأسماء الحسنى في الأنفس والآفاق هو لحمة رسائل النور وسداها. ذلك لأن "حقيقة كل شئ تستند إلى اسم من الأسماء أو إلى كثير من الأسماء. وان الإتقان الموجود في الأشياء يستند إلى اسم من الأسماء، حتى إن علم الحكمة الحقيقي يستند إلى اسم الله "الحكيم" وعلم الطب يستند إلى اسم الله "الشافي" وعلم الهندسة يستند إلى اسم الله "المقدّر".. وهكذا كل علم من العلوم يستند إلى اسم من الأسماء الحسنى وينتهي إليه..". [٣]

---

[١] الملاحق، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي. سوزلر، إسطنبول ١٩٩٥.ص ١٠٥.

[٢] بديع الزمان النورسي وإثبات الحقائق الإيمانية (المنهج والتطبيق) الدكتور عمار جيدل، مطبعة النسل – اسطنبول ٢٠٠١. ص٧٢.

[٣] الكلمات. ص٧٤٩.

ومن هنا نجد أن الرسائل تعالج قضايا العقيدة والشريعة والأخلاق والتاريخ وتفاصيل النظام الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والتربوي وغيرها، في ظل مقدار التمثل لتجليات تلك الأسماء الحسنى، لأن الكون في فطرته، ومن خلال كل جزء من أجزائه في النظر القرآني، يسير في ضوء تلك التجليات. فالموجودات كلها إنما هي مظاهر لتلك التجليات..[١]

أسوق هذا المقطع من الرسائل نموذجاً لقراءة شهودية للبراهين الثلاثة المذكورة – القرآن الكريم والكون العظيم والرسول الأكرم ﷺ – ومدى التعامل مع تجليات الأسماء الحسنى.. ولبيان قوة ارتباط الحقائق القرآنية والدساتيرالنبوية بحقائق الكون.. وكذلك للدلالة على أن خطاب رسائل النور موجه إلى العقل والقلب معاً.

جاء في شرح إسم الله " القدوس" ما يأتي :

"كما تتوجه تسبيحات المخلوقات جميعها إلى اسم "القدوس" وترنو إليه، كذلك يستدعي اسم "القدوس" نظافة تلك المخلوقات وطهارتها حتى عدّ الحديث الشريف "النظافة من الإيمان" الطهور نوراً من أنواره[٢] لارتباطه القدسي هذا، وأظهرت الآية الكريمة أن الطُهر مدعاة إلى المحبة الإلهية ومدار لها، في قوله تعالى: ﴿إنَّ الله يحبّ التوابينَ ويحبّ المتطهرين﴾ (البقرة: ٢٢٢).

أيها الإنسان المسرف الظالم الوسخ.!

اعلم، أن الاقتصاد والطهر والعدالة سنن إلهية جارية في الكون، ودساتير

---

[١] الكلمات ص ٢٩٠، ص ٧٤٩.

[٢] وردت في هذا المعنى أحاديث كثيرة منها: (الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان) رواه مسلم (٢٢٣)، وأحمد (٢٢٩٠٩)، والترمذي (٣٥١٧)، والنسائي (٢٤٣٧) عن أبي مالك الأشعري.

إلهية شاملة تدور رحى الموجودات عليها لا يفلت منها شيء إلاّ أنت أيها الشقي، وأنت بمخالفتك الموجودات كلها في سيرها وفق هذه السنن الشاملة تلقى النفرة منها والغضب عليك وأنت تستحقها..

فعلامَ تستند وتثير غضبَ الموجودات كلها عليك فتقترف الظلم والإسراف ولا تكترث للموازنة والنظافة؟

نعم، إن الحكمة العامة المهيمنة في الكون والتي هي تجلٍ أعظم لاسم "الحكيم" إنما تدور حول محور الاقتصاد وعدم الإسراف، بل تأمر بالاقتصاد.

وإن العدالة العامة الجارية في الكون النابعة من التجلي الأعظم لاسم "العدل" إنما تدير موازنة عموم الأشياء، وتأمر البشرية بإقامة العدل.

وإن ذكر الميزان أربع مرات في "سورة الرحمن" إشارة إلى أربعة أنواع من الموازين في أربع مراتب وبيان لأهمية الميزان البالغة ولقيمته العظمى في الكون. وذلك في قوله تعالى: ﴿والسماء رفَعها وَوَضَع الميزان * ألاَّ تَطْغَوا في الميزان * وَأَقِيمُوا الوزْنَ بالقِسْطِ ولا تُخْسِروا الميزانَ﴾. (الرحمن: ٧- ٩)

نعم، فكما لا إسراف في شيء، فلا ظلم كذلك ظلماً حقيقياً في شيء، ولا بخسَ في الميزان قط، بل إن التطهير والطهر الصادر من التجلي الأعظم لاسم "القدوس" يعرض الموجودات بأبهى صورتها وأبدع زينتها، فلا ترى ثمة قذارة في موجود، ولا تجد قبحاً أصيلاً في شيء ما لم تمسّه يد البشر الوسخة.

فاعلم من هذا أن "العدالة والاقتصاد والطهر" التي هي من حقائق القرآن ودساتير الإسلام، ما أشدها إيغالاً في أعماق الحياة الاجتماعية، وما أشدها عراقة وأصالة. وأدرك من هذا مدى قوة ارتباط أحكام القرآن بالكون، وكيف أنها مدّت جذوراً عميقة في أغوار الكون فأحاطته بعرىً وثيقة لا انفصام لها.

ثم افهم منها أن إفساد تلك الحقائق ممتنعٌ كامتناع إفساد نظام الكون والإخلال به وتشويه صورته.

ومثلما تستلزم هذه الحقائق المحيطة بالكون، وهذه الأنوار العظيمة الثلاثة (العدالة والاقتصاد والطهر) الحشرَ والآخرة فهناك حقائق محيطة معها: كالرحمة والعناية والرقابة، وأمثالها مئات من الحقائق المحيطة والأنوار العظيمة تستلزم الحشر وتقتضي الحياة الآخرة، إذ هل يمكن أن تنقلب مثل هذه الحقائق المهيمنة على الموجودات والمحيطة بالكون إلى أضدادها بعدم مجيء الحشر وبعدم إقامة الآخرة، أي أن تنقلب الرحمةُ إلى ضدها وهو الظلم، وتنقلب الحكمةُ أو الاقتصاد إلى ضدهما وهو العبث والإسراف، وينقلب الطُهر إلى ضده وهو العبث والفساد؟. حاشَ لله.."[1].

وهكذا تدمج الرسائل حقائق القرآن والكون والسنة النبوية في آن واحد، وبأسلوب علمي عقلي وقلبي معاً.

٣- الخطاب موجه إلى النفس الإنسانية:

" قد يفيد أي إنسان آخر يعاني ما كان يعانيه "النورسي" من نفسه، وهو يقول لنفسه بهذا الصدد: إن أول ما يجابه قارئ الرسائل مخاطبة المؤلف نفسه أولاً في كل الرسائل، وذلك: "إن رسائل النور تحاول أولاً إقناع نفس مؤلفها ثم تخاطب الآخرين؛ لذا فالدرس الذي أقنع نفس المؤلف الأمارة بالسوء إقناعاً كافياً وتمكّن من إزالة وساوسها وشبهاتها إزالة تامة لهو درس قوي بلا شك، وخالص أيضا بحيث يتمكن وحده من أن يصد تيار الضلالة الحاضرة التي اتخذت شخصية معنوية رهيبة – بتشكيلاتها الجماعية المنظمة – بل أن يجابهها

---

[1] اللمعات، ص ٥٢٢-٥٢٦.

ويتغلب عليها"[١]. ويقول مثلاً:

"أيها الأخ! لقد سألتني بعض النصائح، فها أنذا أسدي إليك بضع حقائق ضمن ثماني حكايات قصيرة، فاستمع إليها مع نفسي التي أراها أحوج ما تكون إلى النصيحة.. "[٢]. ويقول:

"ما دامت نفسي التي بين جنبيّ أمارةٌ بالسوء فلابد أن ابدأ بها أولاً لأن من عجز عن إصلاح نفسه فهو عن غيرها أعجز.." [٣].

وهكذا في جميع الرسائل، ذلك لأن "النفس الإنسانية" هي واحدة في جوهرها، وواحدة في أسباب صحتها ومرضها، كالجسد تماماً، فإذا كانت الأمراض التي يمكن أن تصيب جسد "زيد" هي نفسها التي يمكن أن تصيب جسد "عمرو" وان ما يفيد "زيداً" من دواء يفيد "عمرواً" أيضاً، فكذلك فإن أمراض "النفس" هي واحدة لدى جميع البشر مع بعض الفروقات بين نفس ونفس. فالعلاج الذي استعمله النورسي:

"ولا تخف من تمرد النفس، لأن نفسي الأمارة المتمردة المتجبرة انقادت، وذللت تحت سطوة ما في هذه الرسالة من الحقائق، بل شيطاني الرجيم أفحم وانخنس.. كن مَنْ شئت، فلا نفسُك أطغى وأعصى من نفسي، ولا شيطانُك أغوى وأشقى من شيطاني".[٤]

---

[١] الملاحق ص ١٠٥.

[٢] الكلمات ص ٥.

[٣] الكلمات ص ٢٩٧.

[٤] المثنوي العربي النوري، بديع الزمان سعيد النورسي، تحقيق إحسان قاسم الصالحي. سوزلر، إسطنبول ١٩٩٤. ص ٣٤.

وما من أحد من المؤمنين إلاّ وله مع نفسه العصية مواقف أو بعض مواقف - كالتي كانت للنورسي مع نفسه - مع اختلاف درجات التوتر والقلق والصراع ضعفاً وقوةً، وقلة وكثرةً، في الأشخاص، تبعاً لدرجات إيمانهم ويقينهم؛ لذا فما من أحد إلاّ وله في تجربة "النورسي" ما يفيده بدرجة أو بأخرى..[1]

ومن هنا نجد أن خطاب رسائل النور ليس موجهاً إلى المسلمين وحدهم بل إلى كل إنسان كائناً من كان، أي إلى الإنسانية عامة، فمثلما يستفيد منه المسلم يستفيد منه غير المسلم كذلك.

جوانب الدور التجديدي:

سأتطرق إلى الدور التجديدي لرسائل النور في ثلاثة جوانب فقط من بين جوانبها الكثيرة :

١- الدور التجديدي في الجانب العلمي
٢- الدور التجديدي في الجانب التربوي
٣- الدور التجديدي في جانب العمل الجماعي

أما **الدور التجديدي في الجانب العلمي:**

فلقد أُشبع بحثا وتنقيبا ودراسة ومناقشة من قبل علماء أفاضل وأساتذة متخصصين وباحثين مفكرين من العالم العربي والإسلامي والإنساني بمختلف الجنسيات وبمختلف الأديان وذلك في عشرات المؤتمرات التي نظمتها جامعات أو مؤسسات علمية في شتى أقطار العالم: الأردن ومصر والمغرب واليمن وماليزيا وإندونيسيا واستراليا وانكلترا والمانيا فضلا عن تركيا.

---

[1] المثنوي العربي النوري، تقديم الأستاذ أديب الدباغ. ص ١٢-١٣.

فمجموع البحوث التي ألقيت ونوقشت في جميع هذه المؤتمرات والندوات والملتقيات، يدور حول "الدور التجديدي في الجانب العلمي لبديع الزمان سعيد النورسي ". حيث إن كل عالم فاضل قد أدلى بدلوه من جانب اختصاصه العلمي وأجاد، و نشرت تلك البحوث في مجلدات باللغات العربية والتركية والإنكليزية. لذا لم يبق لي مزيد كلام في هذا الموضوع، فأترك الكلام لأهله فهم أحق بالكلام فيه . إلاّ أنني أقتبس ما خلص إليه الدكتور كولن تورنر من جامعة دورهام – انكلترة في مؤتمرين متعاقبين، وهو هذه العبارة الموجزة المعبرة:

"إنني اعتقد بأن رسائل النور هو المؤلَّف الإسلامي الوحيد الذي يقدم الكون كما هو، ويفسر القرآن كما أراده رسول الله ﷺ، ويقدم العلاج الشافي للإنسان الحديث الذي سيطرت عليه الأمراض الخطيرة. لذا فإنني أرى أن بديع الزمان يستحق لقب المجدد"[١].

وأما **الدور التجديدي في الجانب التربوي**:

فقد أفردناه ببحث مستقل تحت عنوان "دور رسائل النور في استعادة صياغة القرآن للإنسان" [٢].

وأما **الدور التجديدي في العمل الجماعي**:

فإن رسائل النور خزينة ملآى بالقواعد والأصول التي تسدد مسيرة الجماعة وتوجه المجتمع إلى سواء السبيل، ومهما بالغنا في الإيجاز، يصعب علينا درجها جميعا هنا. لذا نكتفي بذكر ستة أصول منها فقط:

---

[١] المؤتمر العالمي الثاني "بديع الزمان سعيد النورسي وإعادة بناء العالم الإسلامي في القرن العشرين" في٢٧ – ٢٩ أيلول ١٩٩٢ اسطنبول – تركيا.

[٢] نشر في مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية، العدد ١٣في١/ ٢٠١٦م.

أولا: العمل الإيجابي الخالص:

يوضح الأستاذ النورسي العمل الإيجابي في درسه الأخير الذي ألقاه على طلابه بالآتي:

"إن وظيفتنا هي العمل الإيجابي البنّاء وليس السعي للعمل السلبي الهدام.

والقيام بالخدمة الإيمانية ضمن نطاق الرضى الإلهي دون التدخل بما هو موكول أمره إلى الله.

إننا مكلفون بالتجمل بالصبر والتقلد بالشكر تجاه كل ضيق ومشقة تواجهنا وذلك بالقيام بالخدمة الإيمانية البناءة التي تثمر الحفاظ على الأمن والاستقرار الداخلي في البلاد".[١]

نعم، العمل بمقتضى مرضاة الله هو العمل الإيجابي، والعمل لغير وجهه الكريم للنفع والرياء أو ما شابه فهو العمل السلبي.. والتوكل على الله وترقب النتيجة منه وحده هو الإيجابي، والمداخلة لتدبير الله وشؤونه هو السلبي.. والمحافظة على أمن المجتمع ووحدته هو الإيجابي، وإثارة الخلاف والإخلال بالأمن والنظام الداخلي واستعمال وسائل في سبيل زعزعة أركانه، تحت أي إسم كان هو السلبي. إذ السلاح لا يوجّه إلى المسلمين داخل العالم الإسلامي حقناً للدماء، وإنما يوجه إلى العالم الخارجي المعتدي. أما في داخل العالم الإسلامي فإن الجهاد يكون جهاد دعوة بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وجهاد علم وبذل ونصيحة إعلاءً لكلمة الله.[٢]

---

[١] سيرة ذاتية، بديع الزمان سعيد النورسي، إعداد وترجمة إحسان قاسم الصالحي، سوزلر، إسطنبول ١٩٩٥. ص.٤٦٩.

[٢] سيرة ذاتية ص ١١٩، ٢٠٧.

ثانياً: الانقياد لشريعتَي الله:

يقول الأستاذ النورسي :

"الشريعة اثنتان:

إحداها: هي الشريعة المعروفة لنا، التي تنظم أفعال وأحوال الإنسان، ذلك العالم الأصغر، والتي تأتي من صفة الكلام الإلهي.

الثانية: هي الشريعة الكبرى الفطرية، التي تنظم حركات وسكنات العالم، ذلك الإنسان الأكبر، والتي تأتي من صفة الإرادة الإلهية." [١]

ويعلل تخلف المسلمين في الوقت الحاضر بعدم مراعاتهم عامة القوانين الكونية أي الشريعة الإلهية الفطرية في أمورهم، ويعد ذلك سبباً من أسباب ظهور الكفار عليهم. لذا ينالون جزاء عصيانهم لهذه القوانين الكونية عقوبة في الدنيا لأنه: "كما أن هناك طاعةً وعصياناً تجاه الأوامر الشرعية المعروفة، كذلك هناك طاعةٌ وعصيانٌ تجاه الأوامر التكوينية. وغالباً ما يرى الأول - مطيعُ الشريعة والعاصي لها - جزاءه وثوابه في الدار الآخرة. والثاني - مطيعُ السنن الكونية والعاصي لها - غالباً ما ينال عقابه وثوابه في الدار الدنيا. فكما أن ثواب الصبر النصر، وجزاء البطالة والتقاعس الذلُّ والتسفّل. كذلك ثواب السعي الغنى، وثواب الثبات التغلب. مثلما أن نتيجة السمِّ المرضُ، وعاقبةَ الترياقِ والدواء الشفاء والعافية..."[٢].

يُفهم من هذا أن السنن الكونية الإلهية، شريعةُ الله الفطرية وقوانينُه النافذة ساريةٌ في الكون كله جاريةٌ على المؤمن وغير المؤمن، فلابد إذن من مراعاتها

---

[١] المكتوبات، ص ٦١٣.

[٢] الكلمات، ص ٨٧٢.

والالتزام بها لأنها أوامر إلهية كونية كالأوامر الشرعية المعروفة، أي: أنّ مَن التزم بها يبلغ مراده مؤمناً كان أم غير مؤمن، ومن خالفها يعاقب عليها في الدنيا قبل الآخرة مؤمناً كان أم غير مؤمن.

وبناء على هذا يقول الأستاذ النُوْرْسي:

"إن من يشق طريقا في الحياة الاجتماعية ويؤسس حركة، لا يستثمر مساعيه ولن يكون النجاح حليفه، ما لم تكن الحركة منسجمة مع القوانين الفطرية التي تحكم الكون، بل تكون جميع أعماله لأجل التخريب والشر"[١].

ثالثاً: التدرج الفطري وترك الاستعجال:

وهو أساس من الأسس المهمة التي تحث عليه رسائل النور. وجزء من قوانين الفطرة التي فُطر الخلق عليه، ذلك لأن هذه الدنيا "دار حكمة" أي كل ما فيها مقرون بحكمة، وقد "وضع الله سبحانه وتعالى في وجود الأشياء تدريجاً وترتيباً أشبه ما يكون بدرجات السلم، وذلك بمقتضى اسمه" الحكيم"، فالذي لا يتأنى في حركاته، إما انه يطفر الدرجات فيسقط، أو يتركها ناقصة فلا يرقى إلى المقصود."[٢] بمعنى: من استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه.

ومن هنا يعد الأستاذ النُوْرْسي أن "الامتثال والطاعة لقانون التكامل والرقي للصانع الجليل – الجاري في الكون على وفق تقسيم الأعمال – فرض وواجب، إلاّ أن هذه الطاعة لإشارته ورضاه سبحانه الكامنين في ذلك القانون لم يوفَ حقها ".[٣]

---

[١] اللمعات، ص١٦٠.

[٢] المكتوبات، ص ٣٦٢ .

[٣] صيقل الإسلام، ص٤٣.

رابعاً: عدم حصر الحق في المسلك بذاته:

إن حصر الحق في المسلك بذاته يعني أن يرى المرء نفسه في صواب دائما ويجعل المسالك الأخرى خاطئة أو باطلة. فيصفه الأستاذ النورسي بأنه " مصاب بمرض ضيق الفكر وانحصار الذهن الناشئين من حب النفس. ولاشك أنه مسؤول أمام رب العالمين عن تغافله عن شمول خطاب القرآن إلى البشرية كافة.

ثم إن فكر التخطئة هذا، منبع ثر لسوء الظن بالآخرين، والانحياز، والتحزب في الوقت الذي يطالبنا الإسلام بحسن الظن والمحبة والوحدة! ويكفيه بعداً عن روح الإسلام ما شقّ من جروح غائرة في أرواح المسلمين المتساندة، وما بثه من فرقة بين صفوفهم، فأبعدهم عن أوامر القرآن الكريم."[1]

ولأجل تلافي هذا الفكر لابد من مراعاة الأسس الآتية بلوغا إلى الإخلاص:

"١ – أن يعمل المرء بمقتضى محبته لمسلكه فحسب، من دون أن يرد إلى تفكيره، أو يتدخل في علمه عداءُ الآخرين أو التهوين من شأنهم، أي لا ينشغل بهم أصلاً.

٢ - بل عليه أن يتحرى روابط الوحدة الكثيرة التي تربط المشارب المعروضة في ساحة الإسلام - مهما كان نوعها - والتي ستكون منابع محبة ووسائل أخوة واتفاق فيما بينها فيتفق معها.

٣- واتخاذ دستور الإنصاف دليلاً ومرشداً، وهو: أن صاحب كل مسلك حق يستطيع القول: "إن مسلكي حق وهو أفضل وأجمل" من دون أن يتدخل في أمر مسالك الآخرين، ولكن لا يجوز له أن يقول: "الحق هو مسلكي فحسب" أو "أن الحسن والجمال في مسلكي وحده" (بمعنى أنه حصر الحق

---

[1] صيقل الإسلام، ص ٣٥٠.

في مسلكه) والذي يقضي على بطلان المسالك الأخرى وفسادها.

٤-العلم بأن الاتفاق مع أهل الحق هو أحد وسائل التوفيق الإلهي وأحد منابع العزة الإسلامية.."[١].

خامساً: الإستغناء عن الآخرين مادياً ومعنوياً:

يقول الأستاذ النورسي: "نحن مكلّفون باتباع الأنبياء - عليهم السلام - في نشر الحق وتبليغه، وان القرآن الكريم يذكر الذين نشروا الحق انهم أظهروا الاستغناء عن الناس بقولهم: (إن أجريَ إلاّ على الله) ".[٢] ولهذا يتحرز قارئ رسائل النور عن ترقب أي أجر مادي أو معنوي من أي أحد كان وبأي شكل من الأشكال.

ولعل السؤال والجواب الآتي يغني عن أي إيضاح آخر. فقد سئل الأستاذ النورسي السؤال الآتي:

"لِمَ تقوم بما لم يقم به أحد من الناس، لمَ لا تلتفت إلى قوى على جانب عظيم من الأهمية، تستطيع ان تعينك في أمورك، فتخالف جميع الناس. بل تظهر استغناءً عنهم؟.

ثم لِمَ ترفض بشدة مقامات معنوية رفيعة يجدك طلاب النور الخواص أهلاً لها، فتتجنبها بقوة في حين يتمناها الناس ويطلبونها، فضلاً عن أنها ستقدم خدمات جليلة في سبيل نشر رسائل النور وتمهد السبيل لفتوحاتها؟

الجواب: إن أهل الإيمان - في الوقت الحاضر - محتاجون أشد الحاجة إلى حقيقة جليلة نزيهة بحيث لا يمكن أن تكون وسيلة للوصول إلى شئ، ولا

---

[١] اللمعات، ص٢٢٩،

[٢] المكتوبات، ص ١٦.

تابعة لأي شئ كان، ولا سلماً للوصول إلى مآرب أخرى، ولا يتمكن أي غرض أو أي قصد كان من أن يلوثها، ولا تتمكن الفلسفة أو الشبهات أن تنال منها. فالمؤمنون محتاجون إلى مثل هذه الحقيقة النزيهة لترشدهم إلى حقائق الإيمان، حفاظاً على إيمان المؤمنين في هذا العصر الذي اشتدت فيه صولة الضلالة التي تراكمت شبهاتها منذ ألف سنة.

فانطلاقاً من هذه النقطة فإن رسائل النور لا تعبأ بالذين يمدّون لها يد المعاونة سواءً من داخل البلاد أو خارجها ولا تهتم بما يملكونه من قوى ذات أهمية بل ولا تبحث عنهم ولا تتبعهم. وذلك لكي لا تكون في نظر المسلمين عامة وسيلة للوصول إلى غايات دنيوية ولن تكون إلا وسيلة خالصة للحياة الخالدة الباقية. لذا فهي بحقيقتها الخارقة وبقوتها الفائقة تتمكن من إزالة الشبهات والريب المهاجمة على الإيمان.

* أما المقامات النورانية والمراتب الأخروية التي هي درجات معنوية مقبولة لدى أهل الحقيقة قاطبة بل يرغبون فيها، ولا ضرر منها..

فكما أن شخصاً غيوراً يضحّي بنفسه إنقاذاً لحياة أصدقائه، كذلك لأجل الحفاظ على الحياة الأبدية للمؤمنين من صولة أعداء خطرين، أضحي إذا لزم الأمر وهو يلزم لا بتلك المقامات التي لا استحقها، بل أيضاً بمقامات حقيقية لحياة أبدية. ذلك ما تعلمته من رسائل النور، ألا وهو الشفقة على الخلق.

نعم! إن الأمر يقتضي هكذا في كل وقت، ولا سيما في هذا الوقت، وبخاصة عند استيلاء الغفلة التي أنشأتها الضلالة، في خضم هيمنة التيارات السياسية والآراء الفلسفية، وفي عصر كعصرنا هذا الذي هاج فيه الغرور والإعجاب بالنفس، تحاول المقامات الكبيرة دائماً أن تجعل كل شئ أداة طيعة لها، وتستغل كل وسيلة في سبيل غاياتها، حتى تجعل مقدساتها وسيلة لبلوغ مناصب دنيوية. ولئن كانت هناك

مقامات معنوية فهي تُستغل استغلالاً أكثر، وتُتخذ وسيلة أكثر طواعية من غيرها؛ لذا يظل دوماً تحت ظل الإتهام، إذ يقول العوام: إنه يجعل خدمات مقدسة وحقائق سامية وسائل وسلالم لبلوغ مآربه، حفاظاً على نفسه أمام نظر الناس، ولكي يبدو أنه أهل لتلك المقامات.

وهكذا فلئن كان قبول المقامات المعنوية يفيد الشخص والمقام فائدة واحدة فانه يلحق ألف ضرر وضرر بالناس عامة وبالحقائق نفسها بما يصيبها من كساد بسبب الشبهات الواردة.

حاصل الكلام:

إن حقيقة الإخلاص تمنعني عن كل ما يمكن أن يكون وسيلة إلى كسب شهرة لبلوغ مراتب مادية ومعنوية.

نعم، انه على الرغم من أن هذا يؤثر تأثيراً سيئاً في خدمة النور، إلاّ أنني أرى أن إرشاد عشرة من الناس إرشاد خادم لحقائق الإيمان إرشاداً خالصاً حقيقياً وتعليمهم أن حقائق الإيمان تفوق كل شئ، أهم من إرشاد ألف من الناس بقطبية عظيمة، لأن النوعية تفضل على الكمية، ولأن أولئك الرجال العشرة يرون تلك الحقائق أسمى من أي شئ آخر. فيثبتون، ويمكن أن تتنامى قلوبهم التي هي في حكم البذرة إلى شجرة باسقة. أما أولئك الألوف، فإنهم بسبب ورود الشبهات المقبلة من أهل الدنيا والفلسفة وهجومها عليهم، ربما يتفرقون من حول ذلك القطب العظيم، إذ ينظرون إليه أنه يتكلم من زاوية نظره الخاصة، ومن مقامه الخاص ومن مشاعره الخاصة!

لذا أرجح الإتصاف بالخدمة، على نيل المقامات ...."[1]

---

[1] الملاحق، ص٢٦٥-٢٦٧.

سادساً: الحفاظ على قداسة الدين وعدم استغلاله لأي نفع دنيوي كان:

يقول الأستاذ النورسي:

" دخلت إلى مجلس دنيوي فسألوني: ألا ترى الإلحاد يتفشى؟ انه من الضرورة الاندفاع إلى الميدان باسم الدين.

قلت: نعم، ضروري، ولكن بشرط قاطع هو أن يكون الدافع المحرك عشق الإسلام والحمية الدينية. إذ الخطورة إن كان الدافع أو الموجّه هو السياسة أو التحيز. فالأول قد يعفى عنه حتى لو أخطأ بينما الثاني مسؤول عن عمله حتى لو أصاب.

قيل: كيف نفهم ذلك؟

قلت: مَن فضّل رفيقه السياسي الفاسق على متدين يخالف رأيه السياسي، بإساءة الظن به، فالدافع إذن هو السياسة.

ثم إن إظهار الدين الذي هو ملك مقدس للناس كافة - بالتحيز والتحزب - أنه أخصّ بمَن في مسلكه دون غيره، يثير الأكثرية الغالبة ضد الدين. فيكون سبباً في التهوين من شأن الدين.. فالدافع إذن هو التحيز.." [١].

نعم، الدين شيء طاهر ومقدس. لابد أن يبقى صافيا طاهرا بعيدا عن التحيز والتحزب والحقد والمذهبية والطائفية والسياسات الآنية، كي ينهل منه الجميع. وكيلا يتوهموا: " أن حقائق القرآن المقدسة - التي لا ينبغي أن تستغل لأي شيء كان - قد أُستغلت في ساحة الدعاية السياسية. علماً أن أفراد الأمة بجميع طبقاتها.. المعارضين منهم أو المؤيدين، الموظفين منهم أو العامة.. جميعهم لهم حصة في تلك الحقائق القرآنية وهم بحاجة إليها.."[٢] "ولأجل

---

[١] صيقل الإسلام، ص ٣٦١.

[٢] الشعاعات، ص٤٢٤.

اطمئنان عوام المؤمنين وتقبلهم حقائق الإيمان دون أن يساورهم أي تردد، يلزم في الوقت الحاضر، وجود معلّمين، يحملون من الإيثار ما يجعلهم يضحون لا بمنافعهم الدنيوية وحدها، بل بمنافعهم الأخروية أيضاً في سبيل منافع أهل الإيمان الأخروية. فيكون ذلك الدرس الإيماني خالصاً نقياً بحيث لا يفكرون فيه بالمنافع الشخصية مهما كانت. بل يسعون في الخدمة الإيمانية، بالحقائق، نيلاً لرضا الله، وعشقاً للحقيقة، وشوقاً إلى الحق، والسداد الذي في الخدمة، وذلك ليطمئن كل من يحتاج إلى الإيمان اطمئناناً تاماً دون حاجة إلى إيراد الأدلة له، ولكي لا يقول: "انه يخدعنا ويستميلنا" وليعلم أن الحقيقة قوية بذاتها إلى حد لا يمكن أن تتزعزع بأي حال من الأحوال، ولا تكون أداةً طيعة لأي شئ كان.. فيقوى إيمانُه عندئذٍ ويقول: "حقاً إن ذلك الدرس الإيماني هو عين الحقيقة" وتُمحى شبهاته ووساوسه" [1].

والله نسأل أن يوفقنا إلى حسن القصد وصحة الفهم وصواب القول وسداد العمل.

وصل اللّهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

* * *

[1] الملاحق، ص ٢٢٥.

النازع العلمي بين التنظير والتطبيق
عند النورسي[1]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين وعلى آله وأصحابه أجمعين؛ وبعد

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

نظرة إلى التاريخ القريب:

لقد تعرضت روح إعلاء كلمة الله في أواخر الدولة العثمانية إلى الضعف، وبدأ النظام القانوني بالتفسخ رويدا رويدا، وتخلّف أهلُ العلم عن ركب العلم، فضلا عن أن بعضهم توهموا أن جوانب من العلم تناقض بعض نصوص من الإسلام، علاوة على أن الدولة قد غرقت في الديون حتى وصلت حد الإفلاس. وتسرب الإسراف والبذخ من القصور إلى الطبقة الحاكمة، وانتشرت الرشوة والتزلف والتشفع في دوائر الدولة، وتدخل نساء السلطنة في شؤون الدولة.

حاول السلطان عبد الحميد (١٨٤٢- ١٩١٨م) الذي دام حكمه ثلاثاً وثلاثين سنة (١٨٧٦-١٩٠٩م) إرجاع الدولة إلى سابق عهدها المجيد، فقام بإصلاحات في السلك التعليمي والعسكري وفي مرافق الدولة كلها وفي الصعيد الخارجي.

---

[1] بحث ألقي في ندوة الأصالة والتجديد التي نظمتها كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة العقيد الحاج لخضر- باتنة – الجزائر في ٢٨-٣٠ /١١/ ٢٠٠١.

ولكن ذلك كله جاء بعد فوات الأوان. لأن الدوائر الأجنبية كانت قد استطاعت أن توجد في قلب الدولة نفسها ركائز استخدمتهم في اللحظة المناسبة لهزّ شجرة الدولة من الجذور، والإجهاز بعد ذلك على جذعها وأغصانها .. وقد ساهم في مشاريع الإجهاز على الدولة نخبة المجتمع الأوربي بكفاءات علمية وسياسية وعسكرية عالية المستوى.

هذا فضلا عن المؤسسات والإرساليات التبشيرية بمختلف المذاهب التي عملت داخل تركيا وخارجها على بث الأفكار المناهضة للإسلام منذ سنة ١٨٤٢م.

وتشكلت لهذا الغرض "دار الحكمة الإسلامية" في ١٩١٨/٨/٢٥ وهي أعلى مؤسسة علمية أكاديمية تسعى لإيجاد الحلول المنسجمة مع روح الإسلام للمشاكل التي ظهرت في العالم الإسلامي بصورة عامة وردّ الشبهات التي تثيرها أوساط أجنبية مختلفة. وانتخب لها أفضل العلماء في تلك الفترة، منهم: مصطفى صبري شيخ الإسلام، زاهد الكوثري، بديع الزمان سعيد النورسي، محمد عاكف، أحمد نعيم بابان، محمد حمدي يازير، إسماعيل حقي إزميرلي وغيرهم. ولكن اتسع الخرق على الراتق.

وبعد سقوط الدولة العثمانية، وفي الفترة التاريخية الحاسمة (أي منذ سنة ١٩٢٢م) سنّت قوانين وقرارات لقلع الإسلام من جذوره وإخماد جذوة الإيمان في قلب الأمة. فأُلغيت السلطنة العثمانية في (١٩٢٢/١١/١) وأعقبها إلغاء الخلافة في (١٩٢٤/٣/٣) فمُنع تدريس الدين في المدارس كافة، وبُدّلت الأرقام والحروف العربية في الكتابة إلى الحروف اللاتينية، وحُرم الأذان الشرعي وإقامة الصلاة باللغة العربية. ومُنع القيام بأي نشاط أو فعالية في صالح الإسلام، إذ حُظر طبع الكتب الإسلامية، وأُرغم الناس على تغيير زيهم إلى الزي الأوروبي، فالرجال

أُرغموا على لبس القبعة والنساء على السفور والتكشف.

وشُكّلت محاكم زرعت الخوف والرعب في طول البلاد وعرضها، ونصبت المشانق لعلماء أجلاّء، ولكل من تُحدثه نفسه بالاعتراض على السلطة الحاكمة. فساد جو من الذعر والهلع في أرجاء البلاد، حتى أصبح الناس يخفون القرآن الكريم عن أنظار موظفي الدولة. ونشطت الصحافة في نشر الابتذال في الأخلاق والاستهزاء بالدين، فانتشرت كتب الإلحاد.

وفي هذا المنعطف التاريخي الخطير قيّض الله سبحانه وتعالى بفضله وكرمه بديع الزمان سعيد النورسي المولود في مطلع القرن الهجري الماضي ١٢٩٣هـ (١٨٧٦م) وألقى على كاهله مسؤولية النهوض بتجديد حياة الإيمان الراكد في القلوب وبعبء التصدي للتيار الجارف المكتسح الذي كاد يسلخ الأمة عن تاريخها ودينها. فأخذ يؤلف رسائل إيمانية سماها "رسائل النور"، وبدأ ينشرها بين من يثق فيهم حتى غزت العقول والقلوب والأرواح بجهاد معنوي كبير وشامل.

فكيف غرزت هذه الرسائل هذا الفهم السليم في قلوب هذا الجيل؟ هذا ما سنتناوله في بحثنا.

الصلة بين الدين والعلم

مما لا يختلف فيه اثنان أن القرآن الكريم والسنة الشريفة قد حثا على طلب العلم وأشادا بالعلماء، فأوائل أكثر الآيات القرآنية وخواتمها، تحيل الإنسان إلى العقل فمثلاً: فاعلموا.. فاعلم.. أفلا يعقلون.. أفلم ينظروا.. أفلا ينظرون.. فانظروا.. أفلا يتدبرون.. أفلا تتذكرون.. يعقلون.. لا يعقلون.. يعلمون.. فاعتبروا يا أولي الأبصار.. وأمثالها من الآيات التي تخاطب العقل البشري. وكذا نجد أحاديث شريفة كثيرة في هذا المجال.

"ولكن البلاء النازل في عصرنا هذا هو توهمنا - نحن والأجانب - بخيال باطل؛ وجود تناقض وتصادم بين بعض ظواهر الإسلام وبعض مسائل العلوم". كما يقول النورسي ويعقب:

"إن أعظم سبب سلب منا الراحة في الدنيا، وحرَم الأجانب من سعادة الآخرة، وحجَب شمس الإسلام وكسفَها هو: سوءُ الفهم وتوهمُ مناقضة الإسلام ومخالفته لحقائق العلوم.

فيا للعجب! كيف يكون العبد عدوّ سيده، والخادم خصم رئيسه، وكيف يعارض الابن والده! فالإسلام سيد العلوم ومرشدها ورئيس العلوم الحقة ووالدها".[١]

وحيث إن الدين بالفهم القرآني في رسائل النور يشمل الحياة كلها ويستوعب المكونات جميعها، ولا يقتصر على جزئية منها فحسب، بل لا شيء خارجه. ذلك لأن الموجودات كلَّها والحوادث جميعها تتجلى عليها أنوار الأسماء الإلهية الحسنى لمن يريد أن يبصر، فلا شيء خارج أوامره وعلمه جل وعلا، ولا شيء يفلت من قدرته سبحانه، لذا فليس هناك ما يسمي علم ودين كأن يكون أحدهما يقابل الآخر أو يقارنه أو يتميز عنه أو يناقضه.

يبسط النورسي الموضوع بقوله:

"الشريعة اثنتان

إحداها: هي الشريعة المعروفة لنا، التي تنظم أفعال الإنسان وأحواله، ذلك العالم الأصغر، والتي تأتي من صفة الكلام (الوحي الإلهي).

الثانية: هي الشريعة الكبرى الفطرية، التي تنظم حركات العالم وسكناته،

---

[١] صيقل الإسلام، ص ٢٣.

ذلك الإنسان الأكبر، والتي تأتي من صفة الإرادة الإلهية. وقد يطلق عليها خطأ اسم الطبيعة".[١]

فالله سبحانه وتعالى قد عيّن بإرادته طبيعة الأشياء، وجعلها مرآة عاكسة لتجليات الشريعة الفطرية الكبرى التي فطر الكون عليها، والتي هي قوانين الله وسننه الجارية التي تخص تنظيم شؤون الكون، وقد أوجد بقدرته وجه "الطبيعة" التي يقوم عليها عالم الشهادة الخارجي الوجود، ثم خلق الأشياء وأنشأها على تلك الطبيعة ومازج بينهما بتمام الحكمة".[٢]

ومن هنا نرى أن أوامر الله سبحانه وتعالى قد أحاطت بكل شيء.. فالعلوم الحاضرة إذن بأصنافها وأنواعها كافة إنما هي جزء من شمولية الدين، سواء ما اختص باسم " علوم الدين" من تفسير وفقه وما شابه، أو ما يسمى بـ "علوم الدنيا" من علوم فيزياء أو كيمياء أو علوم حياة أو غيرها. هذه العلوم كلها هي في حقيقتها آفاق لتجليات الأسماء الحسنى، أي جزء من بنية الدين الشامل للوجود أجمع.

حقيقة العلوم تستند إلى الأسماء الحسنى

يقول النورسي: "إن كل ما ناله الإنسان – من حيث جامعية ما أودع الله فيه من استعدادات – من الكمال العلمي والتقدم الفني، ووصوله إلى خوراق الصناعات والاكتشافات، تعبّر عنه الآية الكريمة بتعليم الأسماء: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا﴾. وهذا التعبير ينطوي على رمزٍ رفيع ودقيق، وهو:

أن لكل كمال، ولكل علم، ولكل تقدم، ولكل فن – أياً كان – حقيقة سامية عالية. وتلك الحقيقة تستند إلى اسم من الأسماء الحسنى، وباستنادها إلى ذلك الاسم – الذي له حُجُب مختلفة، وتجليات متنوعة، ودوائر ظهور متباينة – يجد

---

[١] المكتوبات، ص ٦١٣.

[٢] اللمعات، ص٢٨٦.

ذلك العلمَ وذلك الكمال وتلك الصنعة، كلٌ منها كمالَه، ويُصبح حقيقةً فعلاً، وإلاّ فهو ظل ناقص مبتور باهت مشوش.

فالهندسة – مثلاً- علم من العلوم، وحقيقتُها وغاية منتهاها هي الوصول إلى اسم (العدل والمقدِّر) من الأسماء الحسنى، وبلوغ مشاهدة التجليات الحكيمة لذلك الاسم بكل عظمتها وهيبتها في مرآة علم (الهندسة).

والطب – مثلا- علم ومهارة ومهنة في الوقت نفسه، فمنتهاه وحقيقتُه يستند أيضاً إلى اسم من الأسماء الحسنى وهو (الشافي). فيصل الطب إلى كماله ويصبح حقيقة فعلاً بمشاهدة التجليات الرحيمة لاسم (الشافي) في الأدوية المبثوثة على سطح الأرض الذي يمثل صيدلية عظمى.

والعلوم التي تبحث في حقيقة الموجودات - كالفيزياء والكيمياء والنبات والحيوان .. هذه العلوم التي هي (حكمة الأشياء) يمكن أن تكون حكمة حقيقية بمشاهدة التجليات الكبرى لاسم الله (الحكيم) جل جلاله في الأشياء، وهي تجليات تدبير، وتربية، ورعاية. وبرؤية هذه التجليات في منافع الأشياء ومصالحها تصبح تلك الحكمة حكمة حقاً، أي باستنادها إلى ذلك الاسم (الحكيم) وإلى ذلك الظهير تصبح حكمة فعلاً، وإلاّ فإما أنها تنقلب إلى خرافات وتصبح عبثاً لا طائل من ورائه أو تفتح سبيلاً إلى الضلالة، كما هو الحال في الفلسفة الطبيعية المادية".[١]

ولبلوغ رؤية تلك التجليات يقول النورسي: "نوع النظر كالنية يقلب العادات إلى عبادات"، كما تصبح العادات المباحة بالنية عبادات. كذلك تكون العلوم الكونية بنوع النظر معارفَ إلهية.

---

[١] الكلمات، ص٢٩١.

فإذا ما نظرت إلى هذه العلوم نظراً حرفياً (أي مفتقرًا إلى معنىً في غيره)، مع دقة الملاحظة، والتفكر العميق، من حيث الصنعة والإتقان. أي أن تقول: "ما أبدعَ خلقَ هذا! ما أجملَ صنعَ الصانع الجليل!"بدلاً من قولك: "ما أجمَلَه".

نعم، إذا ما نظرت إلى الكون من هذه الزاوية تجد أن نقوش المصوّر الجليل ولمعةَ القصد والإتقان في نظامه وحكمته تنوّر الشبهات وتبدّدها. وعندها تتبدل العلوم الكونية معارف إلهية.

ولكن لو نظرت إلى الكائنات بالمعنى الاسمي، ومن حيث "الطبيعة" أي أنها تولّدت بذاتها، فعندها تتحول دائرة العلوم إلى ميدان جهل".[١] ومن هنا نرى أن:

تطور العلوم يزيد رقعة الدين توسعا

نعم، إن في رسائل النور كثيراً من الأمثلة العلمية المادية من الواقع الملموس كدليل على المسائل الإيمانية، إذ كلما أتى العلم- أيا كان ذلك العلم- بالجديد فتح آفاقا جديدة لإدراك تجليات من أنوار اسم من الأسماء الحسنى. فكلما تقدم العلم وأعلن للأوساط حكماً جديدةً بكشفه عن كيفية نشوء الحوادث أصبح وسيلة لفهم أوضح للمسائل الإيمانية. ولهذا يشيد النورسي بالتقدم العلمي والكشوفات الحديثة بقوله: "فمرحى لجهود المعرفة الفياضة وانتشارها، وبخٍ بخٍ لعناء العلوم الغيورة، اللتين أمدّتا تحري الحقائق وشحنتا الإنسانية، وغرستا ميل الإنصاف في البشرية .."."[٢]

ولاشك أن هذا الأسلوب أجدى بكثير من أسلوب سوق المسائل التي استعصت على العلم الحديث – والتي لم يتمكن من كشف نتائجها وتوضيحها

---

[١] الكلمات، ص ٨٦٨.

[٢] صيقل الإسلام، ص ٢٣.

بعدُ - كشواهد لإثبات عظمة الخالق ودلائل قدرته سبحانه، وما عجزَ عنه إلى الله سبحانه! إذ حينما تتوضح المسألة - بعد الكشف العلمي - وتصبح من الأمور البديهية، فإن تلك الأدلة الاعتقادية التي سيقت سوف تتضعضع، وبدورها يضعف الإيمان.

ولهذا فـ"إن تطور العلوم، على خلاف ما يَظُن غيرُنا، لا يضيّق من رقعة الدين، بل يزيدها توسعا، ولا ينقص من تأثيره، بل يزيده قوة، ذلك أن العلوم، لما كانت جزءا داخلا في بنية الدين نفسها، كانت الأطوار التي تتقلب فيها والتي يفضُل لاحقُها سابقَها، تفتح في الدين آفاقا معرفية غير مسبوقة وترقى بفهمنا له درجات على قدر هذه الأطوار، بل إنها تتعدى ذلك إلى كونها تجدِّد قدرتنا على التدين وتنوّع سبُل تحقُّقه لدينا".[1]

بل يذهب الأستاذ النورسي إلى أبعد من هذا فيستلهم من ذكر القرآن الكريم لمعجزات الأنبياء عليهم السلام، أنهم خطوا بها قمةَ العلوم ونهاية حدودها.

الأنبياء عليهم السلام بمعجزاتهم روّاد العلوم

"يبيّن القرآن الكريم أَنَّ الأنبياء عليهم السلام قد بُعثوا إلى مجتمعات إنسانية ليكونوا لهم أئمةَ الهُدى يُقتدى بهم، في رقيهم المعنوي. ويبين في الوقت نفسِه أنَّ الله قد وضع بيد كلٍ منهم معجزة مادية، ونَصَبهم روّاداً للبشرية وأساتذة لها في تقدمها المادي أيضاً. أي أنَّه يأمر بالإقتداء بهم واتباعهم اتباعاً كاملاً في الأمور المادية والمعنوية؛ إذ كما يحض القرآنُ الكريم الإنسان على الاستزادة من نور الخصال الحميدة التي يتحلَّى بها الأنبياء عليهم السلام، وذلك عند بحثه عن كمالاتهم المعنوية، فإنَّه عند بحثه عن معجزاتهم المادية أيضاً يومئ إلى إثارة شوق

---

[1] د. طه عبد الرحمن، العرض الذي ألقاه في منتدى الحكمة للمفكرين والباحثين في الرباط في ٢٠٠٢/١٠/٢٦.

الإنسان ليقوم بتقليد تلك المعجزات التي في أيديهم، ويشير إلى حضّه على بلوغ نظائرها...

نعم، إن القرآن الكريم بإيراده معجزات الأنبياء إنما يخط الحدودَ النهائية لأقصى ما يمكن أنْ يصل إليه الإنسانُ في مجال العلوم والصناعات، ويشير بها إلى أبعد نهاياتها، وغاية ما يمكن أنْ تحققه البشرية من أهداف. فهو بهذا يعيّن أبعدَ الأهداف النهائية لها ويحددها. ومن بعد ذلك يحث البشرية ويحضّها على بلوغ تلك الغاية، ويسوقها إليها. إذ كما أنَّ الماضي مستودع بذور المستقبل ومرآة تعكس شؤونه، فالمستقبل أيضاً حصيلة بذور الماضي ومرآة آماله".[١] ويخلص النورسي إلى القول:

"أنَّ البشرية في أواخر أيامها على الأرض ستنساب إلى العلوم، وتنصبّ إلى الفنون، وستستمد كل قواها من العلوم والفنون فيتسلم العلمُ زمام الحكم والقوة".[٢]

نعم، لو راجعنا القرآن الكريم المعجزة الخالدة التي لا تتأثر بصروف الزمان ولا تنقضي عجائبه، نرى أن "بابه مفتوح لكل عصر ولكل طبقة من طبقاته، حتى كأن ذلك الكلام الرحماني ينزل في كل مكان في كل حين. فكلما شاب الزمان شبّ القرآنُ وتوضحت رموزُه".[٣]

من التنظير إلى التطبيق

لقد انتهت "رسائل النور" في الوقت الحاضر بفضل الله وكرمه إلى تكوين جيل مؤمن يحمل اليقين في قلبه والإقدام في روحه والعلم في عقله، فانطلق في الآفاق نموذجا إيمانيا فريدا في هذا العصر العصيب، حيث غدا ساعياً إلى

---

[١] الكلمات، ص ٢٧٩.

[٢] الكلمات، ص ٢٩٢.

[٣] الكلمات، ص ٨٨٢.

نيل رضى الله سبحانه في المختبر والمعمل كما يناله في المسجد، وأن يتعبد لله بمدارسة العلوم الحديثة والغوص فيها مثلما يتعبد بكتب الفقه والشريعة. كل ذلك باسترشاده بحقائق القرآن التي ينهلها من رسائل النور.

والله نسأل أن يوفقنا إلى حسن القصد وصحة الفهم وصواب القول وسداد العمل.

وصل اللّهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

* * *

رسائل النور والأدب الإيماني [1]

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد

نحييكم، بأجمل تحية وأفضل سلام وهي تحية الإسلام، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أساتذتي الأفاضل، أيها الأخوة والأخوات الكرام؛

فإن الحمد لله تعالى أولاً وآخراً، إذ جمعنا على الهدى ووفقنا لنتدارس القرآن وعلوم الإيمان مستلهمين ذلك من خادم القرآن والإيمان بديع الزمان سعيد النُّوْرْسي.

وبعد

لاشك أن البلاغة هي الكلام بمقتضى الحال، أي ليس فيه إطناب مملّ ولا إيجاز مخلّ، فإن قارئ رسائل النور لبديع الزمان النورسي، يصل إلى معانيها ومراميها في بلاغة فائقة بمجرد قراءته لها بإمعان، ويشعر أنه يقرأ أبلغ

---

[1] عقدت جامعة الملك فيصل في انجمينا عاصمة تشاد، بالتعاون مع رابطة الأدب الإسلامي العالمية، ندوة دولية "عالمية الأدب الإسلامي" في ٥- ٨ /١٠ /٢٠٠٢م وخصصوا يومًا للأستاذ النورسي، فألقي هذا البحث. كما ألقي في ندوة النورسي أديباً نظمها مختبر تحليل الخطاب بكلية الآداب والعلوم الإنسانية ابن مسيك-الدار البيضاء، المغرب في ٢١- ٢٢/ ١ /٢٠٠٣.

ما كتب باللغة التركية، إذ ليس فيها استطرادات كثيرة، ولا حشو في الكلام. فليس في أدب رسائل النور تقعر وتنطع وتقصٍ للغرائب كما في أدب أواخر الدولة العثمانية، ولا تمشدق بالألفاظ الإفرنجية والمصطنعة التي نراها في الأدب التركي الحديث. وإنما جمع روعة الأداء واختيار الكلمات وعمق المعاني وشفافية الروح.

ويكفي القارئ الكريم أن يقرأ الرسالة بتمعن فيتذوقها، ولا يحس بنفسه إلاّ وكأنه يقرأ شعراً رقيقاً وأدباً رفيعاً؛ لما فيها من الخيال الخصب والوصف البديع ومخاطبة الوجدان، وكذلك يرى نفسه أمام حجج وبراهين منطقية تقوّم فكره وعقله. لذا فلا ينتهي من رسالة إلاّ والعقل قد أخذ حظه الكامل والروح قد ارتوت والقلب والخيال كل قد أخذ نصيبه، بحيث يمكنك أن تطلق على كل رسالة أنها علمية وروحية وقلبية معاً، فهي ليست لواحدة منها فحسب، وإنما مندمجة وممتزجة مزجاً بديعاً متقناً في أسلوب أدبي رفيع.

وهذا هو سر رسائل النور في انتشارها بين العوام والخواص، إذ يتذوقها كل مَن يتعامل معها بقلب سليم. ويكمن هذا السر في أن الرسالة لا تخاطب فئة دون أخرى ولا شخصاً دون آخر، وإنما تخاطب الفطرة الإنسانية وكينونتها. فالعالِم المتخصص، والأديب المتمرس يجد حاجته فيها، والشاب المتعلم يجد بغيته فيها، وكما أنها تناجي وتناغي الطفل كذلك تخاطب المرأة برقة واضحة، وتشفي غليل الرجل كذلك، فالكل يجد فيها نصيبه وحقه بل الكل يرتوي منها.

وذلك كله لأن خطاب النورسي جاء موجها إلى الإنسانية عامة، وليس المسلمين وحدهم، فهو يتكلم مستلهما من القرآن الكريم، يتكلم من خلال حقيقة الفطرة التي تربط بين أجزاء البراهين العظيمة الثلاثة لمعرفة الله وتوحيده وهي: القرآن الكريم المقروء، والقرآن الناطق وهو الرسول الحبيب ﷺ، والقرآن المنظور وهو الكون الفسيح، ويقرب الحقائق بأسلوب فصيح ورائق.

نعم ، إن النورسي لم يكتب لمرحلة معينة، ولا لقوم خاص، ولا كان أسير زمن محدد، بل عاش في قلب القرآن الخالد، ووقف وراء موكب رسول الله ﷺ، وجال بفكره الثاقب في آفاق الكون. ولكنه "وجد أن الخراب الذي أصاب حياة المسلمين، يقف وراءه خراب عالمي آخر، فركّز على الثاني وسعى لهدمه، سواء في حياة المسلمين أو في غيرهم... فخطاب النورسي موجّه إلى الإنسان من حيث هو إنسان، سواء أكان مسلماً أم غير مسلم"[١] .

أما الروح الشاعرية في الرسائل، فيحسن بنا أن ننقل النص الآتي من الأستاذ أديب إبراهيم الدباغ حيث يقول:

"والنورسي نفس شاعرة، وروح لهيف، وقلب مشتاق، ووجدان رقيق مرهف.. يملك كل صفات الشاعر العظيم، إلا انه لم يقل شعراً اعني انه لم ينظم شعرا كما ينظم الشعراء، ولكن ما قاله في المثنوي رغم انه يحمل ميزات النثر ومقوماته شكلا وقالبا، إلا انه شاعري الروح والنفس، وجدانى الانسياب، رشيق في صوره واخيلته، مع عمق أفكاره ودقيق معانيه".[٢]

ولعل أفضل شاهد على أن الرسائل منظومة شعرية في روحها وأحاسيسها هو بحث الأستاذ الدكتور حسن الأمراني "شعرية النص في المثنوي العربي النوري" الذي ألقاه في المؤتمر العالمي الثالث لبديع الزمان سعيد النورسي الذي عقد في اسطنبول حول تجديد الفكر الإسلامي[٣] حيث قال:

---

[١] الدكتور محسن عبد الحميد، بحث مقدم إلى المؤتمر العالمي لحركة التجديد في القرن الحادي والعشرين ودور بديع الزمان سعيد النورسي المنعقد في الجامعة الوطنية في كوالالمبور بماليزيا في ٢١-٢٢ /٨ /١٩٩٩.

[٢] المثنوي العربي النوري ص ٤٤.

[٣] وذلك في ٢٤ - ٢٦ /٩/ ١٩٩٥.

"إنه من المفيد، ونحن نقترب من شعرية النص عند بديع الزمان سعيد النورسي، أن نشير إلى أن "المثنوي العربي النوري" يتضمن كثيرا من النظرات النقدية المتعلقة بالشعر والأدب، بالإضافة إلى النصوص الإبداعية التي يستطيع القارئ، دون عناء كبير، أن يقف عليها، ولاسيما في تلك المناجيات الروحية التي كان يتقدم بها في رسائله، ويرى أن بعضها لا يعدو أن يكون "رقص الجذبة بنوع وزن يشبه الشعر، وليس بشعر بل قافية ذكر في جذبة فكر" وهي في الحقيقة تتضمن كل خصائص الشعر، بل هي بالإضافة إلى إيقاعها المبين تشتمل على أوزان خاضعة لتفعيلات الخليل، ولا سيما الرجز، مثل قوله في هذه الجذبة الفكرية:

سبحانه من يحمده الضياءُ بالأنوار
والماءُ والهواءُ بالأنهار والأعصار
والترابُ والنباتُ بالأحجار والأزهار
والجو والأشجارُ بالأطيار والأثمار
والسحبُ والسماءُ بالأمطار والأقمار
تلؤلؤ الضياءِ من تنويره
تشهيره
تموّج الهواء من تصريفه
توظيفه
تفجّر المياه من تسخيره
تدخيره...

إن النورسي، كما تدل على ذلك مؤلفاته، باحث وعالم ومفكر وأديب عميق الاطلاع واسعه، ما عالج قضية من القضايا إلا بدا لك فيها خبيرا، له

نظراته الخاصة التي تتجافى عن التقليد. وقد عالج عدة قضايا أدبية فجدد فيها النظر وأعطاها مذاقا خاصا، فكان الموسوعي الذي أسس بكثير من العمق والتجديد أعمدة الأدب الإيماني.

وإذا كان من الصعب استقصاء كل القضايا الأدبية التي عرض لها النورسي في المثنوي، فإن ذلك لن يعفينا من الوقوف عند بعض تلك القضايا التي لا بد من فهمها، إذ عليها يتأسس المفهوم الشعري عند الرجل".اهـ

ونقول باختصار شديد فتحاً لآفاق دراسات أدبية إيمانية أمام الباحثين:

إن رسائل النور منبع ثر للأدب الإسلامي. تجد فيها الحكاية القصيرة، والحوار الجميل، والتمثيل المقنع، وتوظيف تعاريف نحوية وبلاغية للمقصود.. وكثير جداً من الأغراض الأدبية وفنونها بل جلّها، فضلا عن وجود ديوان كامل من الشعر المنثور أو النثر المقفى، تعسرت ترجمته شعرا فترجمته نثراً أخذاً بتصريح المؤلف، وهو "اللوامع" الذي في نهاية المجلد الأول " الكلمات".

ولعل من أعظم العوامل التي تفتح آفاق المعرفة الإيمانية أمام قارئ الرسائل وتجعله يعيش في أجوائها الرحبة وهو يكدح في خضم حياته اليومية هو:

١- تمزيق أستار الألفة والعادة:

يقول الأستاذ النورسي بأسلوبه الأدبي:

"لما عجز الإنسان بنظره السطحي أن يتذوق ما في جفان الكائنات وصحونها من غذاء روحي مغطى بغطاء الألفة، سئم من لعق الجفان ولَحْس الغطاء. ولم يفده سوى عدم الإقتناع، والتلهف إلى خوارق العادات والرغبة في الخيالات، مما ولّد لديه الرغبة في المبالغة للتجدد أو الترويج" [١].

---

[١] صيقل الإسلام، ص ٦٤

"إلاّ أن الألفة - التي هي أخت الجهل المركب وأم النظر السطحي - هي التي عصبت عيون المبالغين.

ولا يفتح تلك العيون المعصوبة إلاّ أمر القرآن الكريم بالتدبر والتأمل في الآفاق والأنفس المألوفتين.

نعم! إن نجوم القرآن الثاقبة هي التي تفتح الأبصار وترفع ظلام الجهل وظلمات النظرة العابرة. إذ تمزق الآيات البينات بيدها البيضاء حجاب الألفة والنظر السطحي.." [١].

فـ" القرآن الكريم، ببيناته القوية النافذة، إنما يمزّق غطاء الإلفة وستار العادة الملقى على موجودات الكون قاطبة، والتي لا تُذكر إلاّ أنها عادية مألوفة مع أنها خوارق قدرةٍ بديعة ومعجزاتها العظيمة. فيكشف القرآن بتمزيقه ذلك الغطاء حقائق عجيبة لذوي الشعور، ويُلفت أنظارهم إلى ما فيها من دروس بليغة للاعتبار والعظة، فاتحاً كنزاً لا يفنى للعلوم أمام العقول"[٢].

ورسائل النور تقتفي أثر القرآن العظيم في تمزيقه لغطاء العادة والمألوف، إذ ما أن يطالع المرء رسائل النور ويداوم على قراءتها حتى يشاهد أن الأستار المانعة لرؤية الحقائق وحُجُبَها الملقاة على الموجودات والأحداث تتمزق أمامه وتتلاشى، فيرى معجزات القدرة الإلهية وخوارق العادات في عين العاديات من الأمور والأشياء التي أصبحت شفافة تشف عما تحتها ووراءها، فيرى من خلال حجب الأسباب الظاهرية للأحداث والوقائع، الأسبابَ الحقيقية للقدر الإلهي والحكمة الربانية. فلا يضطرب تجاه الحوادث ولا يقلق أمام المصائب والنوائب.

---

[١] صيقل الإسلام، ص ٦٣.

[٢] الكلمات، ص ١٥٠.

وهكذا بتحرره من النظر السطحي العابر، وبزوال ركام الشبهات والحواجز، ينفتح أمامه باب واسع جداً وهو:

٢- التعامل مع معاني الأسماء الحسنى:

إن من يداوم على قراءة الرسائل ينظر إلى الموجودات نظرة يراها كالحروف التي تفتقر إلى معنى في ذاتها . فتحتاج لمعرفة ماهيتها إلى إسم من الأسماء الحسنى؛ حتى تصبح هذه النظرة القرآنية لديه مَلَكة. فيشعر أنه يزاول تعاملاً ذوقياً وقلبياً وروحياً وفكرياً مع معاني الأسماء الحسنى، لا تعاملا نظريا، بل استكشافياً، فيشاهد أنوار تجليات تلك الأسماء فيما حوله من موجودات، وفي الحوادث اليومية، وذلك لكثرة ما تضع الرسائل بين يديه من ضرب الأمثال الحياتية الواقعية، فيحيا بتلك المعاني الجميلة بعقله وقلبه وروحه بل بجميع لطائفه وأحاسيسه ومشاعره.

وبهذه الروح المتفاعلة مع الموجودات تصبح الموجودات والحوادث لقارئ الرسائل مرايا لتجليات الأسماء الحسنى، ومكاتيب ربانية مفتوحة يفهم منها معانيها الحقيقية وحكمة وجودها، حتى لا يبقى مجال للغفلة عن المولى الكريم، بل يكتسب القارئ بهذه النظرة القرآنية بالتأمل فيها مرتبة من الاطمئنان والانشراح القلبي، وتفتح أمامه عبودية دائمة وواسعة سعة الكون.. وعندها تتحول أنواع العلوم التي يقرؤها من خلال مناهج دراسية وأشكال الثقافة التي يتلقاها عبر قنوات ثقافية وإعلامية المسموعة والمرئية إلى أدوات لمعرفة الله ونوافذ تطل على التوحيد. وكلما عاود القراءة، ظهرت له من معاني الأسماء الحسنى أكثر، وأتته حقائقها تترى في تجاربه اليومية وفي معاملاته الحياتية. وكلما انسكبت أنوار من تلك المعرفة الإلهية بأسلوب أدبي آسر إلى روح القارئ ونفذت إلى قلبه انعكست في سلوكياته وتصرفاته، حتى تطفح على محياه.

فهذا النظر إلى ما في الكائنات وسير الأحداث هو نظر قرآني محض حيث لا يقضي على الكائنات بالعدم كما هو لدى بعض الطرق الصوفية (وحدة الوجود) ولا يسجنها في سجن النسيان المطلق كما هو لدى البعض الآخر من الطرق (وحدة الشهود)، بل ينقذ الكائنات من الإهمال والعبثية ويجعلها مسخرة في سبيل الله سبحانه، جاعلاً من كل شيء مرآة تعكس أنوار المعرفة الإلهية، فاتحاً في كل شيء نافذة تطل إلى المعرفة الربانية.

وحينها يصدق عليه قول الشاعر محمد إقبال رحمه الله تعالى:

إنما الكافرُ حيرانٌ له الآفاقُ تيه
وأرى المؤمنَ كوناً تاهت الآفاقُ فيه

وختاما، رحم الله أستاذنا النورسي رحمة واسعة، وأجزل مثوبته، ورفع مقامه، وألحقه بموكب الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين. وحسن أولئك رفيقاً.

والله نسأل أن يوفقنا إلى حسن القصد وصحة الفهم وصواب القول وسداد العمل.

وصل اللّهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

* * *

تعقيب:

عقب إلقاء بحثي ألقى الأخ عوني عمر لطفي بحثه "قضية الإنسان الكبرى في الخطاب الأدبي للنورسي"، قام أحد الأساتذة وهو (الدكتور محمد خاطر جرمة) وفي يده ورقة صغيرة كتب فيها ملاحظاته ليلقيها على المنصة. فقال: أنا لأول مرة أسمع فقرات من كلام النورسي أوردها الإخوة. ولا أعلم عن

هذا الرجل.. ولكن استشف من هذا الكلام أنه يتكلم من عالم آخر.. من الماوراء.. كلامه ليس كلامًا اعتياديًا.. يتكلم عن الإحسان، والنفس الأمارة لا تقبل بسهولة هذا الكلام، فلا بد من مجاهدة النفس.

وعندما عاد إلى مكانه مرّ من أمامي سحبتُ من يده الورقة -وأحتفظ بها إلى الآن- إذ كيف أدرك هذا الأمر بسماع بضع فقرات من كلام الأستاذ النورسي.

أدناه نص ما كتبه الدكتور محمد خاطر جرمة تعقيبا على ما سمعه حول رسائل النور:

"إن ما سمعناه من أدب رسائل النور بل لبديع الزمان النورسي لهو أدب قد لا يُدرك ببساطة كما يقول سكاتولين [1] في عرضه لابن الفارض؛ لأن العبارة العربية هنا لا تختفي وراء البلاغة العربية، ولكن تشق الرواية لتخاطب الإدراك. وهذا الخطاب لا ينفع فيه البصر ولا السمع لأنه يخاطب البصيرة واللب.

فما لم يستعد الإنسان نفسه استعدادًا خاصاً بحيث يجلي كدر النفس ورعونتها ليجعل منها محطة قابلة لتلقي هذا الخطاب. وما ذاك إلّا الوقوف على أعتاب الشريعة والمحافظة على أوامرها ونواهيها. أو بصورة أخرى: التدرج في مدارات أو مقامات الدين الثلاث؛ الإسلام، الإيمان، الإحسان، ومندرجات كلٍّ منها وهي التوبة والاستقامة والتقوى، ثم الإخلاص والصدق والطمأنينة، ثم

---

[1] المستشرق الإيطالي الأب د. جوزيبي سكاتولين أستاذ الفلسفة والتصوف الإسلامي وأبرز المستشرقين دفاعًا عن الإسلام وحضارته، واهتمامًا بالتصوف الإسلامى؛ وقد كتب كتابات راقية عن ابن الفارض. ويدعو إلى فهم النصوص بحسب مضمونها الحقيقي، لا بحسب أفكار أو تصورات غربية أو أجنبية عنها.

قضية الإنسان الكبرى[1]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد

فإن كليات رسائل النور لبديع الزمان سعيد النورسي والتي أنعم الله علينا القيام بترجمتها إلى اللغة العربية، زاخرة بتناولها لقضايا العصر الحالي، والعصور السالفة. إلاّ أنني في هذا البحث أحببت أن ألفت الأنظار إلى أمر قد غاب عن الكثيرين.

فنتعرف أولاً على علاقات الإنسان ثم طبيعة هذا العصر الذي نعيشه ثم نتناول وظائفه لنصل إلى كبرى قضاياه التي تقض مضجعه ألا وهي الآخرة.

تمهيد:

لا شك أن قضايا العصر تأخذ نصيبها الوافر في فكر المسلم بل في فكر أي إنسان كان. وهذه القضايا تتعاقب دون انقطاع الواحدة تلو الأخرى في كل عصر ولاسيما في هذا العصر. فتجد الأحداث اليومية السياسية تحتل الصدارة في وسائل الإعلام المرئية منها والمسموعة، وبدورها في أذهان الناس عالمهم

---

[1] بحث ألقي في الملتقى الدولي بكلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة العقيد الحاج لخضر – باتنة – الجزائر في ١٩-٢١ /١٠ /٢٠٠٢.

وجاهلهم، وتطرح باستمرار اصطلاحات ومفاهيم في ميادين الأدب والاجتماع والحضارة والعلوم بل في الميادين كافة ، إذ ما إن يفنّد فكر من الأفكار ويُزال من الوجود حتى يحل آخر محله. وهكذا تتراكم القضايا والطروحات وتتكدس في أذهان الناس وعقولهم حتى تلتبس على الكثيرين الأمور. ولا ينبغي أن تخيفنا هذه القضايا مهما عظمت فهي تأتي مع أسبابها وترحل معها بينما الإسلام باق والإنسان باق، ومن حق المسلم في هذا الخضم الجارف من القضايا والأفكار أن يستفسر عما يقوله الإسلام.

علاقات الإنسان

"إن الإنسان يحمل ماهية جامعة ذات علاقة بجميع ما في الكون والحياة، فتجده يتألم من الحمى البسيطة كما يتألم من زلزلة الأرض، ويرتعد من هول زلزال الكون العظيم عند قيام الساعة، ويخاف من جرثومة صغيرة كما يخاف من المذنبات الظاهرة في الأجرام السماوية، ويحب بيته ويأنس به كما يحب الدنيا العظيمة، ويهوى حديقته الصغيرة ويتعلق بها كما يشتاق إلى الجنة الخالدة ويتوق إليها".[1]

وليس له من رأس مال إلاّ هذه الساعات الأربع والعشرون التي يحملها إليه اليوم نعمةً خالصة من نِعَم الخالق الكريم جل جلاله، ليكسب بكل ساعة من هذه الساعات ما هو ضروري له في حياتيه كلتيهما الدنيوية والأخروية.

من خصائص هذا العصر:

"إن خاصية من خصائص هذا العصر هي أنها تجعل المرء يفضّل الحياة الدنيا على الحياة الباقية بعلم، حتى غدا تفضيله هذا كأنه دستور عام وقاعدة

---

[1] اللمعات، ص٩.

عامة. فهذا العصر العجيب الذي أثقل كاهل الإنسان بالحياة الدنيوية بما كثّر عليه من متطلبات الحياة وضيّق عليه مواردَها، وحوّل حاجاته غير الضرورية إلى ضرورية بما ابتلاه من تقليد الناس بعضهم بعضاً ومن التمسك بعادات مستحكمة فيهم.. جعل الحياة والمعاش هي الغاية القصوى والمقصد الأعظم للإنسان في كل وقت. فأسدل بهذه الأمور حجاباً دون الحياة الدينية والأخروية والأبدية، أو في الأقل جعلها أمراً ثانوياً أو ثالثياً بالنسبة له"[1].. حتى صدق عليه قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ﴾ (إبراهيم: ٣)

وأذكر مثالاً: كنت ضيفا عند أستاذ فاضل. سلّمني مسودة كتاب قد ألّفه حديثا في العقيدة، تصفحت الكتاب ووجدته يبحث عن الأركان الإيمانية سوى الركن المهم وهو الآخرة. فقلت: أخي الكريم لِمَ لم تبحث عن الآخرة ؟ فقال: الكتاب يتضمن ذلك. وعندما سلّمت له المسودة وتصفحها هو الآخر وجد أنه قد نسي الركن الإيماني الآخرة. فقال: حقا لقد نسيت الآخرة.

ثم ألقى الأستاذ المحترم محاضرة في إحدى المناسبات الدينية بعنوان (الركن الذي نسيناه) وبعد ذلك نشر المحاضرة في مجلة شهرية تحت العنوان نفسه.

سُلّم اهتمامات الإنسان

إن أحوال العالم الحاضرة ولاسيما الحياة الدنيوية ولاسيما الحياة الاجتماعية والحياة السياسية خاصة وأخبار الحروب الطاحنة في أرجاء العالم.. كلها تستميل أذهان الناس إلى جانبها وتهيّج أعصابهم وتنفخ في عروقهم حتى تدخل إلى باطن قلوبهم.. لذا نرى علماء أجلاء، قد جعلوا حكم الحقائق الإيمانية في سلم اهتماماتهم وفي موازينهم وتقييمهم للأحداث والوقائع، في الدرجة الثانية والثالثة، ويسقطون من حسابهم البعد الأخروي للقضية، وذلك

---

[1] الملاحق، ص ١٤٥.

بسبب ارتباطهم الوثيق بتلك الحياة السياسية والاجتماعية.

وعندما سئل الأستاذ النورسي:

"- لقد أخذت الحرب العالمية الثانية باهتمام الناس وشغلت الكرة الأرضية وأوقعتها في اضطراب وقلق، وهي ذات علاقة بمقدرات العالم الإسلامي، إلاّ أننا نراك لا تسأل عنها رغم مرور خمسين يوما على نشوبها... فهل هناك قضية أعظم منها تشغل بالك؟ أم أن الانشغال بها فيه خسارة وضرر؟"

كان جوابه:

"إن رأس مال العمر قليل، ورحلة العمر هنا قصيرة، بينما الواجبات الضرورية والمهمات التي كُلّفنا القيام بها كثيرة، وهذه الواجبات هي كالدوائر المتداخلة المتحدة المركز حول الإنسان:

فابتداء من دائرة القلب والمعدة والجسد والبيت والمحلة والمدينة والبلاد والكرة الأرضية والبشرية، وانتهاء إلى دائرة الأحياء قاطبة والعالم اجمع، كلها دوائر متداخلة بعضها في البعض الآخر. فكل إنسان له نوع من الوظيفة في كل دائرة من تلك الدوائر. ولكن أعظم تلك الواجبات وأهمها، بل أدومها بالنسبة له هي في أصغر تلك الدوائر وأقربها اليه، بينما أصغر الواجبات واقلها شأناً ودواماً هي في أعظم تلك الدوائر وأبعدها عنه. فقياساً على هذا:

تتناسب الوظائف والواجبات تناسباً عكسياً مع سعة الدائرة، أي كلما صغرت الدائرة - وقربت - عَظمت الوظيفة، وكلما كبرت الدائرة - وبَعُدت - قلت أهمية الوظيفة..

ولكن لما كانت الدائرة العظمى فاتنة جذابة، فهي تشغل الإنسان بأمور غير ضرورية له، وتصرف فكره إلى أعمال قد لا تعنيه بشيء، بل قد تجعله يهمل واجباته الضرورية في الدائرة الصغيرة القريبة منه..

نعم، إن أمام كل إنسان - ولاسيما المسلم - مسألة مهمة، وحادثة خطيرة هي اعظم من الصراع الدائر بين الدول الكبرى لأجل السيطرة على الكرة الأرضية. تلك المسألة هي من الأهمية والخطورة ما لو امتلك الإنسان العاقل قوة الدول الكبرى وثروتها، لَما تردد في أن يضعها كلها لأجل كسب تلك القضية المبتغاة.

تلك القضية هي القضية المصيرية للإنسان وهي:

أن يكسب الإنسان بالإيمان، ملكاً عظيماً خالداً ومساكن طيبة في جنات عدن عرضها عرض السموات والأرض، أو يخسر دونه، وذلك هو الخسران المبين."[١]

فهذه هي قضية الإنسان الكبرى، الفوز بالجنة والنجاة من النار. ولكن ينبغي أن نميّز بين منهج الأنبياء في الدعوة إلى الآخرة وبين منهج الإصلاحيين في الدعوة إليها . فقد وفق الله سبحانه الأستاذ الجليل أبو الحسن على الحسني الندوي رحمه الله، في بيان هذا الفرق فقال:

"لم تكن دعوة الأنبياء إلى الإيمان بالآخرة، أو الإشادة بها "كضرورة خلقية، أو كحاجة إصلاحية، لا يقوم بغيرها مجتمع فاضل ومدنية صالحة، فضلا عن المجتمع الإسلامي، وهذا وإن كان يستحق التقدير والإعجاب، ولكنه يختلف عن منهج الأنبياء وسيرتهم، ومنهج خلفائهم اختلافاً واضحاً، والفرق بينهما أن الأول –منهج الأنبياء- إيمانٌ ووجدانٌ، وشعورٌ وعاطفةٌ، وعقيدةٌ تملك على الإنسان مشاعرَه وتفكيَره وتصرفاته، والثاني اعترافٌ وتقريرٌ، وقانونٌ مرسومٌ، وأن الأولين يتكلمون (عن الآخرة) باندفاع والتذاذ، ويدعون إليها بحماسة وقوة، وآخرون يتكلمون عنها بقدر الضرورة الخلقية، والحاجة الاجتماعية، وبدافع من الإصلاح والتنظيم الخلقي، وشتان ما بين

---

[١] الشعاعات، ص ٢٥٢-٢٥٣.

الوجدان والعاطفة، وبين الخضوع للمنطق والمصالح الاجتماعية".[١]

كيف نتناول القضايا إذن؟

إنه غالباً ما توزن القضايا في هذا العصر وتقيّم الأحداث بحسابات دنيوية بحتة من دون أن يوضع في الحسبان الجزاء الأخروي، بينما العدل يقتضي وضع كل شيء في موضعه، ودونه الظلم. فكما لابد أن تؤخذ الأسباب المادية الدنيوية في الحساب يؤخذ الجزاء الأخروي أيضا ولا يُسقط من الحساب.

وكذا الاهتمامات بالأمور توجّه حسب بُعدها وقربها من دوائر وظائف الإنسان الأساسية التي أُستخلف في الأرض لأجلها.

أورد مثالا للتوضيح:

سؤال وجّه إلى الأستاذ النورسي لمناسبة زلزال رهيب حدث:

"لماذا لا ينزل العذاب الرباني والتأديب الإلهي ببلاد الكفر والإلحاد وينزل بالمساكين المسلمين الضعفاء؟."

فأنت تجد في ثنايا السؤال حصر النظر في مقاييس دنيوية وغياب البعد الأخروي. ولكن الأستاذ النورسي يجيب السائل بالآتي:

"الجواب: مثلما تحال الجرائم الكبيرة إلى محاكم جزاء كبرى، وتُعهد إليها عقوبتها بالتأخير، بينما تحسم الجنايات الصغيرة والجَنح في مراكز الأقضية والنواحي، كذلك فإن القسم الأعظم من عقوبات أهل الكفر وجرائم كفرهم وإلحادهم يؤجل إلى المحكمة الكبرى في الحشر الأعظم، بينما يعاقب أهل الإيمان على قسم من خطيئاتهم في هذه الدنيا، وذلك بمقتضى حكمة

---

[١] أبو الحسن علي الحسني الندوي، الصراع بين الإيمان والمادية، تأملات في سورة الكهف ص ١٠١، دار ابن كثير ٢٠٠٢. والنبوة والأنبياء، ص٥٢، مكتبة وهبة مصر ١٩٦٥.

ربانية مهمة. وكذلك الإستهانة بدين حق خالد تغضب الأرض وتزلزلها أكثر من ترك الروس وأمثالهم ديناً محرّفاً منسوخاً واستهانتهم به."

وسؤال مماثل:

"ما دامت المصيبة تصيب كلاً من الظالمين والمظلومين معاً، وفق الحكمة الإلهية، فما نصيب المظلومين من العدالة الإلهية ومن رحمتها الواسعة؟.

الجواب: إن في ثنايا ذلك الغضب والبلاء تجلياً للرحمة، لأن أموال أولئك الأبرياء الفانية ستخلّد لهم في الآخرة، وتدّخر صدقة لهم، أما حياتهم الفانية فتتحول إلى حياة باقية بما تكسب نوعاً من الشهادة، أي أن تلك المصيبة والبلاء بالنسبة لأولئك الأبرياء نوعٌ من رحمة إلهية ضمن عذاب أليم موقت، حيث تُمنح لهم بمشقة وعذاب مؤقتين، وقليلين نسبياً، غنيمة دائمة وعظيمة."[1]

الخلاصة: إذا ما راعى المسلم التوازن بين الأسباب المادية الدنيوية بمقتضى السنن الإلهية الكونية، والبعد الأخروي دون نسيان له، ووضع تسلسل أهمية القضايا حسب دوائر وظائفه المذكورة، يكون حكمه واستنتاجاته أقرب للصواب والعدل الذي أمرنا الله به.

والله نسأل أن يوفقنا إلى حسن القصد وصحة الفهم وصواب القول وسداد العمل.

وصل اللّهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

* * *

[1] الكلمات، ص ١٩٥-١٩٧.

رسائل النور وانقاذ الايمان[1]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين.

حضرات الأساتذة الكرام والأخوة الأعزاء والأخوات الفاضلات

نحييكم بتحية الإسلام من أعماق قلوبنا ومن صميم أفئدتنا فنقول :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛ وبعد

لعل قول الأستاذ أديب إبراهيم الدباغ في كتابه "سعيد النورسي رجل الإيمان في محنة الكفر والطغيان" يغني عن كل كلام للإجابة عن: لماذا إنقاذ الايمان؟ الذي بذل الأستاذ النورسي كل ما في وسعه لأجله، لنستمع إليه ثم نبدأ بالتفاصيل:

يقول: "تُرى أيّ مصير رهيب كان ينتظر تركيا، لو لم يقيّض الله سبحانه وتعالى لها هذا الرجل، في وقت بدأت فيه فؤوس الحقد، ومعاول الهدم تعمل على زلزلة الإيمان وتقويض بنيانه ومسح آثاره من البلاد..

ويتراءى لنا طيف "الأندلس" شاحباً باكياً وقد انحسر عنه الإسلام وغادره إلى غير رجعة.."[2].

---

[1] بحث ألقي في جامعة العلوم الإسلامية العالمية الخاصة،عمان، الأردن في ٢٠١٣/٣/٣١.

[2] رجل الإيمان في محنة الكفر والطغيان، أديب إبراهيم الدباغ، دار نشر الأنوار، اسطنبول ١٩٩٤. ص ١٦.

ولن نستطيع أن ندرك مغزى ومعنى العمل الذي قام به الأستاذ سعيد النورسي وأهميته إلاّ إذا علمنا طبيعة الظروف القاسية المحيطة به من كل جانب، وإلاّ إذا أدركنا شدة الأعاصير التي كانت تضرب البلاد وتقوض كل شيء في طريقها آنذاك.

نظرة على أحوال تركيا في تلك السنوات الحالكة بدأً من سنة ١٩٢٢م:

"كانت هذه السنوات سنوات حافلة بالأحداث المتتابعة العاصفة في تركيا، فكأن زلزلاً رهيباً ضرب البلاد من أقصاها إلى أقصاها.. فالسلطة الحاكمة آنذاك كانت تريد أن تقلب كل شيء وأن تغير كل شيء.. عقيدة الأمة وتراثها.. عادات البلاد وتقاليدها.. ملابسها وأزياءها.. حروف كتابتها.. أعيادها وأفراحها وأيام عطلها.. الخ.. والخلاصة؛ فقد كانت تريد سلخ جلد الأمة التركية ولصق جلد صناعي غريب ومستورد من الخارج بجسدها، وكل ذلك تحت شعار "المنجزات الثورية".[١]

"وشكّلت محاكم زرعت الخوف والإرهاب في طول البلاد وعرضها، ونصبت المشانق لعلماء أجلاّء، ولكل من تُحدثه نفسه بالاعتراض على السلطة الحاكمة.[٢]

---

[١] سعيد النورسي رجل القدر في حياة أمة، أورخان محمد علي؛ دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة ط.٣ ، ١٩٩٩م. ص ١٠٥.

[٢] لقد آثر علماء كثيرون وأدباء أجلاء ترك البلاد على لبس القبعة. وقد حدثت ثورات ضد السلطة الحاكمة آنذاك في أنحاء مختلفة من البلاد ففي سنة ١٩٢٥مثلاً حدثت: في سيواس في ١٩٢٥/١١/١٤، وأرضروم في ١٩٢٥/١١/٢٥، ومرعش في ١٩٢٥/١١/٢٧، وريزة في ١٩٢٥/١١/٢ وأخمدت كلها بالقوة. ص ٥٢٦. Abdülkadir Badıllı, Mufassal Tarihçe-i Hayat

وقد صرح الجلاد "قارا علي" لصحيفة "صون بوسطة" في عددها الصادر في

فساد جو من الذعر والإرهاب في أرجاء البلاد، حتى أصبح الناس يخفون القرآن الكريم عن أنظار موظفي الدولة. ونشطت الصحافة في نشر الابتذال في الأخلاق والاستهزاء بالدين، فانتشرت كتب الإلحاد وحلت محل كلمات "الله، الرب، الخالق، الإسلام" كلمات "الطبيعة، التطور، القومية التركية.. الخ".

وأخذ المعلمون والمدرسون يحاولون مسح كل أثر إيماني من قلوب الطلاب الصغار إذ أصبحوا يلقنونهم الفلسفة المادية وإنكار الخالق والنبوة والحشر. وسعت السلطة الحاكمة آنذاك بتسخير جميع إمكانياتها وأجهزتها وقوتها ومحاكمها إلى قطع كل الوشائج والعلاقات التي تربط هذه الأمة بدينها ونزع القرآن من قلوبهم، حتى إنها قررت جمع المصاحف من الناس وإتلافها، ولكن لما رأوا صعوبة في ذلك خططوا لكي ينشأ الجيل المقبل نشأة بعيدة عن الإيمان والإسلام فيتولى بنفسه إفناء القرآن.

ومن سلسلة محاربة الإسلام وملاحقة العلماء اعتقال الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي، وأخذه من صومعته في جبل "أرك" ونفيه إلى "بارلا"، وهي بلدة صغيرة نائية، لكي يخمد ذكره ويقل تأثيره ويطويه النسيان ويجف هذا النبع الفياض. بيد أن الأستاذ النورسي بخلاف ما وضع له من خطة رهيبة، لم يترك دقيقة من وقته تمضي في فراغ، بل صرف حياته بدقائقها في سبيل أجلّ خدمة في

١٩٣١/٣/٣بالآتي: علّقتُ بيدي على المشانق خمسة آلاف ومائتين وستة عشر شخصاً في اثنتي عشرة سنة الماضية.. ووصفت صحيفة "جمهورية" في عددها الصادر يوم ١٩٣٠/٧/١٦ الأعمال الجارية في شرقي الأناضول كالآتي: لقد التجأ ما يقرب من ألف وخمسمائة شقي إلى مغارات جبل آرارات، وألقت طائراتنا قنابل مكثفة عليهم، فكانت الانفلاقات مستمرة حتى طهرت تلك البقاع من العصاة، حيث أحرقت جميع القرى التي التجأ إليها الأشقياء، وامتلأ وادي زيلان بجثث الذين أُبيدوا والبالغ عددهم "ألفاً وخمسمائة شخص". Bediuzzaman Said Nursi, Yavuz Bahadiroğlu/200. سيرة ذاتية ص ٢٥٤.

الوجود، وهي خدمة القرآن والإيمان. فانكبّ على الاستفاضة من أنوار القرآن الكريم مستعصماً به حتى أفاض الله على قلبه من نور الآيات الحكيمة ما أفاض، فأسال منه سلسبيلاً من الرسائل سماها "رسائل النور" ونشرها سراً -بعيداً عن أنظار السلطة- بين محبيه فشفى بها بإذن الله الحيارى المحتاجين إلى الإيمان".

يقول الأستاذ النورسي:

"أخذتني الأقدار نفياً من مدينة إلى أخرى.. وفي هذه الأثناء تولدت من صميم قلبي معانٍ جليلة نابعة من فيوضات القرآن الكريم.. أمليتها على مَن حولي من الأشخاص، تلك الرسائل التي أطلقت عليها اسم "رسائل النور". إنها انبعثت حقاً من نور القرآن الكريم. لذا نبع هذا الاسم من صميم وجداني، فأنا على إقتناع تام ويقين جازم بأن هذه الرسائل ليست مما مضغته أفكاري وإنما هي إلهام إلهيّ أفاضه الله سبحانه على قلبي من نور القرآن الكريم، فباركت كل من استنسخها، لأنني على يقين أن لا سبيل إلى حفظ إيمان الآخرين غير هذه السبيل فلا تُمنع تلك الفيوضات عن المحتاجين إليها. وهكذا تلقفتْها الأيدي الأمينة بالاستنساخ والنشر، فأيقنت أن هذا تسخير رباني وسَوق إلهي لحفظ إيمان المسلمين. فلا يستطيع أحد أن يمنع ذلك التسخير والسوق الإلهي، فاستشعرت بضرورة تشجيع كل مَن يعمل في هذه السبيل امتثالاً بما يأمرني به ديني".[1]

الاستنساخ اليدوي

كان تأليف رسائل النور ونشرها شيئاً متميزاً وفريداً في تاريخ الدعوة الإسلامية المعاصرة، ذلك لأن الأستاذ سعيد النورسي لم يكن يكتب كثيراً من رسائله بيده لكونه نصف أمّي -من حيث قدرته على الكتابة- وإنما كان يملي

---

[1] الشعاعات، ص: ٥١٥.

أغلب هذه الرسائل على بعض طلابه في حالات من الجيشان الروحي والوجداني، وبعد ذلك تتداول النسخة الأصلية بين الطلاب الذين يقومون بدورهم باستنساخها باليد، ثم ترجع هذه النسخ جميعها إليه،[1] لكي يقوم بتدقيقها واحدة واحدة، وتصحيح أخطاء الاستنساخ إن وجدت، ولم يكن لديه أية كتب أو مصادر يرجع إليها أثناء التأليف سوى القرآن الكريم، وقد ساعده على ذلك ما وهبه الله من ذاكرة خارقة وقدرة عجيبة على الحفظ.

السبيل إلى نشر "رسائل النور"

بقيت رسائل النور عشرين سنة تنتشر بهذه الطريقة، وبعد ذلك طبعت لأول مرة بـ"الرونيو" ولم يقدّر لها أن تطبع في المطابع الاعتيادية إلاّ سنة ١٩٥٦م هذا باستثناء رسالة الحشر، التي طُبعتْ منها خفية في إسطنبول بوساطة أحد طلاب النور.

كانت الحروف العربية قد بدّلت إلى حروف لاتينية، وحظر الطبع والنشر بها، وأغلقت مطابعها، فكانت هذه الطريقة "طريقة الاستنساخ" باليد سراً هي الطريقة الوحيدة والعملية لنشر مؤلفات رجل منفي ومراقب، قد سدت في وجهه جميع سبل التأليف والنشر، وخاصة وأنه كان يريد -بالإصرار على

---

[1] يقول عبد الله جاويش (١٨٩٥-١٩٦٠) وهو من السابقين في هذه الخدمة القرآنية: "كنت أغادر قرية "إسلام" بعد المغيب حاملا في حقيبتي الرسائل التي استنسخها "الحافظ علي" وأسير الليل كله مشياً على الأقدام بين الجبال والوديان حتى أصل مع الفجر إلى "بارلا" وأرى الأستاذ في انتظاري، ويستقبلني بسرور بالغ. نصلي الفجر معاً. ثم أستسلم للنوم.. وهكذا كنت أتسلم في اليوم التالي المسودات من الأستاذ، وأغادر "بارلا" ليلاً لأصل "قرية إسلام" فأسلّم المسودات إلى الحافظ علي". (ذكريات عن سعيد النورسي، أسيد إحسان قاسم، مطبعة الحوادث، بغداد ١٩٨٦ ص٣٣.)

الكتابة بالحروف العربية- المحافظة عليها من الاندثار والنسيان.[١]

وعندما بدأت حلقات الطلاب تتسع، بدأت الرسائل تصل إلى القرى والنواحي القريبة من "بارلا" فتتلقفها الأيدي سراً وتتدارسها، ويوصلونها حتى إلى المدن البعيدة، حيث بدأت تكتسب قلوباً جديدة وأرواحاً عطشى إلى الهداية والنورِ في تلك الظروف المحرقة والأحوال المظلمة الحالكة.

بدأت عشرات، ثم مئات، ثم آلاف من طلبة النور رجالاً ونساءً في الانكباب على استنساخ رسائل النور ساعات عديدة من الليل والنهار حتى إن بعضاً منهم قضى سبع سنين لم يغادر منزله وهو مكبّ على هذه المهمة. حتى كان في قرية "ساو" القريبة من إسبارطة ألف من مستنسخي الرسائل.

النساء في طريق النور

وقد ساهمت النساء في هذه الحملة مساهمة فعّالة جديّة، فالفتيات اللآئي كنَّ يعرفن الكتابة ساهمن فيها بالاستنساخ، واللآئي يجهلنها كُنَّ يُقلّدنَ الكتابة تقليداً، أي يقمن بالكتابة على طريقة النقش والتصوير.

وقد أتت بعض النسوة إلى الأستاذ سعيد النورسي قائلات له:

---

[١] يذكر عبد الله جاويش ايضاً: "ذات يوم جئت إلى الأستاذ، وإذا بالحافظ علي وعدد من الطلاب عنده، بدأ الأستاذ يوزع أجزاء من القرآن الكريم عليهم ليستنسخوه مع تعليمات بكيفية الاستنساخ، وحيث أنا أمّي لا أعرف الكتابة والقراءة، قمت لأهيء الشاي لهم كي أشاركهم في الأجر ولكن ما إن أتيت بالشاي لأوزعه عليهم حتى نهض الأستاذ وأخذ الشاي مني وبدأ هو بالتوزيع فخجلت، إذ كيف يوزع الأستاذ الشاي على طلابه! ولكني سكتّ أمام إلحاحه الشديد... ثم قال: إن استنساخكم أجزاء من القرآن الكريم، وسعيكم في سبيل القرآن مقبول عند الله الذي يراكم في وضعكم هذا. وملائكته الكرام يلتقطون صوركم في أوضاعكم هذه، وأنا لكوني خادماً للقرآن الكريم ينبغي أن أقوم بخدمتكم.. فوزع عليهم الشاي وهم منهمكون بالاستنساخ". (ذكريات عن سعيد النورسي، اسيد احسان قاسم، ص٣٣)

"يا أستاذنا.. إننا قررنا القيام بالأعمال اليومية لأزواجنا لعلهم يتفرغون كلياً لكتابة رسائل النور لنغنم ثواب المشاركة في الخدمة".

"فعندما كنت في بارلا، بداية تأليف رسائل النور، كانت السيدة زهراء رحمها الله زوجة الكاتب الأول الحافظ توفيق الشامي، تأتي بالحطب على ظهرها بدلاً عن زوجها، فكانت تقوم بأعمال زوجها كي يكتب الرسائل ويستنسخها. ونحن عرفانا بجميلها هذا نضمّها في دعواتنا بين المتوفين من طلاب النور الخواص وسنستمر على الدعاء لها".[1]

الأنوار مُلك القرآن

"إنني لا أقول هذا الكلام الذي يخص "الكلمات" تواضعاً، بل بياناً للحقيقة، وهي: أنَّ الحقائق والمزايا الموجودة في "الكلمات" ليست من بنات أفكاري ولا تعود إليّ أبداً وإنما هي للقرآن وحدَه، فلقد ترشحتْ من زلال القرآن، حتى إن "الكلمة العاشرة" ما هي إلاّ قطرات ترشحتْ من مئات الآيات القرآنية الجليلة. وكذا الأمر في سائر الرسائل بصورة عامة.

فما دمتُ أعلم الأمر هكذا وأنا ماضٍ راحل عن هذه الحياة، وفانٍ زائل، فلا ينبغي أن يُربَطَ بي ما يدوم ويبقى من أثر. ومادام عادة أهل الضلالة والطغيان هي الحط من قيمة المؤلف للتهوين من شأن كتاب لا يفي بغرضهم. فلا بد إذن ألاّ ترتبطَ "الرسائل" المرتبطة بنجوم سماء القرآن الكريم بسند متهرئ قابل للسقوط، مثلي الذي يمكن أن يكون موضعَ اعتراضاتٍ كثيرة، ونقدٍ كثير.

ومادام عُرفُ الناس دائراً حول البحث عن مزايا الأثر في أطوار مؤلِّفه وأحوالِه الذي يحسبونه منبعَ ذلك الخير ومحوَره الأساس، فإنه إجحاف إذن

---

[1] سيرة ذاتية، ص: ٢٩٠.

بحق الحقيقة وظلم لها -بناء على هذا العُرف -أن تكون تلك الحقائق العالية والجواهر الغالية بضاعةَ مَن هو مفلس مثلي وملكاً لشخصيتي التي لا تستطيع أن تظهر واحداً من ألف من تلك المزايا.

لهذا كله أقول: إن "الرسائل" ليست مُلكي ولا مني، بل هي مُلك القرآن. لذا أراني مضطراً إلى بيان أنها قد نالت رشحات من مزايا القرآن العظيم.

نعم، لا تُبحث ما في عناقيد العنب اللذيذة من خصائص في سيقانها اليابسة؛ فأنا كتلك الساق اليابسة لتلك الأعناب اللذيذة..[١]

ولو بلغ صوتي أرجاءَ العالم كافة لكنت أقول بكل ما أوتيتُ من قوة: إن "الكلمات" جميلة رائعة، وإنها حقائق، وإنها ليست مني، وإنما هي شعاعات التمعت من حقائق القرآن الكريم. فلمْ أُجمّل أنا حقائق القرآن، بل لم أتمكن من إظهار جمالها وإنما الحقائقُ الجميلة للقرآن هي التي جمّلت عباراتي ورفعت من شأنها.."[٢]

علاقة الطلاب بالأستاذ

"سأبين لكم وجهة نظري -بما يفيدكم- حول العلاقات القائمة بين الأستاذ والطلاب وزملاء الدرس، وهي: أنتم يا إخوتي! طلابي -بما هو فوق حدّي- من جهة، وزملائي في الدرس من جهة أخرى، ومساعديّ وأصحاب الشورى من جهة أخرى.

إخوتي الأعزاء!

إن أستاذكم ليس معصوماً من الخطأ، بل من الخطأ الاعتقاد أنه لا يخطئ.

---

[١] المكتوبات، ص١٠١-١٠٥ .

[٢] نفسه.

ولكن وجود تفاح فاسد في بستان لا يضر بالبستان، ووجود نقد مزوّر في خزينة لا يسقط قيمة الخزينة.

ولما كانت السيئة تعدّ واحدة بينما الحسنة بعشر أمثالها، فالإنصاف يقتضي: عدمَ الاعتراض وتعكير صفو القلب تجاه الحسنات، إذا ما شوهدت سيئة واحدة وخطأ واحد.

وحيث إن المسائل التي تخص الحقائق، والمسائل الكلية والتفصيلات هي من قبيل السانحات الإلهامية بصورة عامة، فلا غبار عليها قطعاً وهي يقينية.

أما مراجعتي لكم فيما يخص تلك المسائل واستشارتي لكم حولها، فهي في نمط تلقيكم لها، وليست لكونها حقيقة وحقاً أم لا؟ فلا تردد لي قطعاً من كونها حقيقة. إلا أن الإشارات التي تعود إلى المناسبات التوافقية ترد بصورة مطلقة ومجملة وكلية إذ هي سانحات إلهامية. ولكن أحياناً يختلط ذهني القاصر، فيخطئ فتظل التفاصيل والتفرعات ناقصة. فخطأي في هذه التفرعات لا يورث ضرراً للأصل وما هو بحكم المطلق.

وحيث إني لا أجيد الكتابة، ولا يتيسر وجود الكاتب لدي دائماً، تظل التعابير مجملة وعلى صورة ملاحظات ليس إلاّ، فتستشكل على الفهم.

اعلموا يا إخوتي ويا رفقائي في الدرس!

إنني أُسرّ إن نبهتموني بكل صراحة لأي خطأ ترونه عندي، بل أقول: ليرضَ الله عنكم إذا قلتموه لي بشدة. إذ لا يُنظر إلى أمور أخرى بجانب الحق. إنني مستعد لقبول أية حقيقة كانت يفرضها الحق، وإن كنت أجهلها ولا أعرفها فأقبلها وأضعها على العين والرأس ولا أناقشها وإن كانت مخالفة لأنانية النفس الأمارة.

اعلموا! أن هذه الوظيفة الإيمانية وفي هذا الوقت جليلة ومهمة. فلا ينبغي لكم أن تضعوا هذا الحمل الثقيل على كاهل شخص ضعيف مثلي، وقد تشتت فكره. بل عليكم معاونته قدر المستطاع».[١]

تأليف رسائل النور (رسالة الحشر نموذجا)

بينما كان الأستاذ النورسي يسير يوماً على الساحل الهادئ الجميل لبحيرة "أغريدر" ويتأمل مياهها الزرقاء، والسفوح الخضراء للجبال المحيطة بها، ويتذكر مسألة البعث بعد الموت ويوم القيامة والآخرة التي غدت تُصور من قبل الدوائر الملحدة وكأنها خرافة وأسطورة لا سند لها من دليل عقلي أو علمي، فبدأ يردد في جيشان روحي كبير قوله تعالى: ﴿فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الروم: ٥٠) زهاء أربعين مرة هو يذرع الساحل جيئة وذهاباً في نشوة روحية عميقة ملأت نفسه بمعاني هذه الآية الكريمة وفاضت بها فأخذ يُملي على أحد طلابه هذه المعاني فكانت رسالة "الحشر" وهي الرسالة الأولى من رسائل النور.

"إن كل حقيقة من الحقائق -الاثنتي عشرة لهذه الرسالة- تثبت أموراً ثلاثة في آن واحد: وجود واجب الوجود، وأسمائه وصفاته، ثم تبني الحشر على تلك الأمور وتثبته. فيستطيع كل شخص من أعتى المنكرين إلى أخلص المؤمنين أن يأخذ حظه من كل حقيقة، لأنها تلفت الأنظار إلى الموجودات والآثار، وتقول: "في هذه الموجودات أفعال منتظمة، والفعل المنتظم لا يكون بلا فاعل، لذا فلها فاعل. ولما كان الفاعل يفعل فعله بالانتظام والنظام يلزم أن يكون حكيماً عادلاً، وحيث إنه حكيم، فلا يفعل عبثاً، وحيث إنه يفعل بالعدالة فلا يضيّع الحقوق، فلا بد إذن من محشر أكبر ومحكمة كبرى".

---

[١] الملاحق، ص: ٥٨.

وعلى هذا المنوال تسير الحقائق، وتلبس هذا الطراز من التسلسل، وتثبت الدعاوى الثلاث دفعة واحدة. ولأنها مجملة فالنظر السطحي يعجز عن التمييز. علماً أن كل حقيقة منها قد فصلت بإيضاح تام في رسائل أُخر وفي "الكلمات"».[١]

"ولقد دفعت هذه الرسالة بلاءً كبيراً، فبسبب من فوضى الأفكار التي سادت وبسبب من الهزات التي سببتها الحرب العالمية فقد وجد المنافقون الذين ينكرون الحشر الفرصة سانحة لهم، وبدأوا بإظهار أفكارهم المسمومة في كثير من الأماكن، وعندها ظهرت "الكلمة العاشرة" (رسالة الحشر) وطُبع منها ألف نسخة ووزعت في مختلف الأنحاء، وكل من أطلع عليها قرأها بلهفة، فقصمت بإذن الله أفكار الزندقة الكفرية، وأخرستهم[٢] [ومع هذا] فإن هذه الكلمة "الكلمة العاشرة" لم تُقدّر حق قدرها. فقد طالعتُها بنفسي ما يقرب من خمسين مرة، وفى كل مرة أجد لذة جديدة وأشعر بحاجة إلى قراءة أخرى. فمثل هذه الرسالة يقرؤها بعضهم مرة واحدة ويكتفي بها وكأنها رسالة كسائر الرسائل العلمية. والحال أن هذه الرسالة من العلوم الإيمانية التي تتجدد الحاجة إليها في كل وقت كحاجتنا إلى الخبز كل يوم.."[٣]

والله نسأل أن يوفقنا إلى حسن القصد وصحة الفهم وصواب القول وسداد العمل.

وصل اللّهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

* * *

---

[١] الملاحق، ص: ١٩.

[٢] سيرة ذاتية، ص: ٢٧٦.

[٣] الملاحق،. ص: ٧٣.

رحلة النورسي الى عالم القرآن
من خلال سيرته الذاتية[1]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين.

حضرات الأساتذة الكرام والأخوة الأعزاء والأخوات الفاضلات

نحييكم بتحية الإسلام من أعماق قلوبنا ومن صميم أفئدتنا فنقول :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛ وبعد

زبدة الموضوع

إننا لو استرجعنا سيرة الأستاذ النورسي من بدايتها لشاهدنا أن القدر الإلهي قد ساق سعيداً الطفل منذ نعومة أظفاره وهيأه لحمل هذه الأمانة؛ فنرى:

اللقمة الحلال.. ومخايل النبوغ منذ صباه.. وانكشاف مواهبه عن ذكاء حاد.. وقوة ذاكرة مذهلة.. مع الإباء والشمم.. وتشرّفه ببشارة الرسول ﷺ.. واغترافه العلوم بشتى أنواعها.. وسلوكه مسلك الزهد والورع.. وانقلابه الفكري لدى سماعه بمؤامرة خبيثة تحاك حول القرآن الكريم وتوجهه الكلي نحوه.. ثم جهاده الفعلي لإنقاذ دولة الخلافة آنذاك وما أعقبه من مكابداته النفسية في

---

[1] بحث ألقي في جمعية المحافظة على القران الكريم: عمان، الأردن في ٣/٤/٢٠١٣.

الأسر.. وصحوته الروحية هناك وعودتها بعد فكاكه من الأسر.. ثم ما حدث في وجدانه من تحول عظيم بنذير الشيخوخة والتفكر بالموت وتوحيد قبلة توجّهه إلى القرآن الكريم بعد قراءته لكتاب الشيخ الكيلاني والإمام الرباني.. وظهور بوادر تحول هائل في حياته حتى رغب في الانزواء عن الناس فانسحب إلى تل يوشع ودخل مسلك التفكر والتأمل نافضاً ما علق في فكره من لوثات الفلسفة فكتب معاناته النفسية وانقلابه الروحي وانكشافه القلبي في "مثنويّه".. حتى اكتمل سعيداً جديداً في طريق قرآني هو: العجز والفقر والشفقة والتفكر.. علماً أنه لم ينس واجبه في التبليغ في هذه الفترة إذ تصدى لدسائس الإنكليز وسعى سعياً حثيثاً في أنقرة لتوجيه دفة الانقلاب لصالح الإسلام إلاّ أنه شاهد علامات الدجال والسفياني على مَن بيده السلطة فتيقن أنه لا يمكن المواجهة إلاّ بإعجاز القرآن فاعتزل أمور السياسة كلياً متوجها إلى "وان" ليستعد لحمل الأمانة الثقيلة..

وهكذا نشاهد كيف أمرّته العناية الإلهية من مرحلة إلى أخرى لينصرف "سعيد الجديد" كلياً إلى مهمة إنقاذ الإيمان.

فيقول عن نفسه:

"عندما رجعت من الأسر (سنة ١٩١٩م/١٣٣٦هـ) ، كنت أسكن مع ابن أخي "عبد الرحمن" في قصر على قمة "جاملجة" في إسطنبول. ويمكن أن تعتبر هذه الحياة التي كنت أحياها حياة مثالية من الناحية الدنيوية بالنسبة لأمثالنا؛ ذلك لأنني قد نجوت من الأسر، وكانت وسائل النشر مفتوحة أمامي في "دار الحكمة الإسلامية" وبما يناسب مهنتي العلمية، وأن الشهرة والصيت والإقبال عليّ تحفّ بي بدرجة لا استحقها، وأنا ساكن في أجمل بقعة من إسطنبول "جاملجة"، وكل شيء بالنسبة لي على ما يرام، حيث إن ابن أخي "عبد الرحمن" -رحمه الله- معي، وهو في منتهى الذكاء والفطنة، فهو تلميذ ومضحّ وخادم وكاتب معاً، حتى كنت أعدّه ابناً معنوياً لي.

وبينما كنت أحس بأني أسعد إنسان في العالم، نظرت إلى المرآة، ورأيت شعيرات بيضاء في رأسي وفي لحيتي، وإذا بتلك الصحوة الروحية التي أحسست بها في الأسر في جامع "قوصتورما" تبدأ بالظهور. فأخذتُ أنعم النظر وأفكر مدققاً في تلك الحالات التي كنت ارتبط بها قلبياً، وكنت أظنها أنها هي مدار السعادة الدنيوية. فما من حالة أو سبب دققت النظر فيه، إلاّ رأيت أنه سبب تافه وخادع، لا يستحق التعلق به، ولا الارتباط معه. فضلاً عن ذلك وجدت في تلك الأثناء عدم الوفاء وفقدان الصداقة من صديق حميم، يُعدّ من أوفى الأصدقاء لي، وبشكل غير متوقع وبصورة لا تخطر لي على بال.. كل ذلك أدى إلى النفرة والامتعاض من الحياة الدنيا، فقلت لقلبي: ياتُرى هل أنا منخدع كلياً؛ فأرى الكثيرين ينظرون إلى حياتنا التي يُرثى لها من زاوية الحقيقة نظر الغبطة؟ فهل جُنَّ جنون جميع هؤلاء الناس؟ أم أنا في طريقي إلى الجنون، لرؤيتي هؤلاء المفتونين بالدنيا مجانين بلهاء؟! وعلى كل حال.. فالصحوة الشديدة التي صحوتها برؤية الشيب جعلتني أرى أولاً فناءَ ما أرتبط به من الأشياء المعرّضة للفناء والزوال!

فبدأت أبحث وأستقصي.. راجعت أول ما راجعت، تلك العلوم التي اكتسبتها سابقاً، أبحث فيها عن السلوة والرجاء. ولكن كنت -ويا للأسف- إلى ذلك الوقت مغترفاً من العلوم الإسلامية مع العلوم الفلسفية ظناً مني -ظناً خطأ جداً- أن تلك العلوم الفلسفية هي مصدر الرقي والتكامل ومحور الثقافة وتنوّر الفكر، بينما تلك المسائل الفلسفية هي التي لوثت روحي كثيراً، بل أصبحت عائقة أمام سموي المعنوي".[1]

---

[1] اللمعات، ص ٣٣٦. لا بد أن نذكّر "أن الفلسفة التي تهاجمها رسائل النور وتصفعها بصفعاتها القوية، هي الفلسفة المضرة وحدها، وليست الفلسفة على إطلاقها، ذلك لأن قسم الحكمة من الفلسفة التي تخدم الحياة الاجتماعية البشرية، وتعين الأخلاق والمثل

إزالة العوائق عن طريق القلب

"قد شاهدتُ ازدياد العلم الفلسفي في ازدياد المرض، كما رأيت ازدياد المرض في ازدياد العلم العقلي. فالأمراض المعنوية توصِلُ إلى علوم عقلية، كما أن العلوم العقلية تولّد أمراضاً قلبية.[١] إذ حينما سار "سعيد الجديد" في طريق التأمل والتفكر، انقلبت تلك العلوم الأوروبية الفلسفية وفنونها التي كانت مستقرة إلى حدٍّ ما في أفكار "سعيد القديم" إلى أمراض قلبية، نشأت منها مصاعب ومعضلاتٌ كثيرة في تلك السياحة القلبية. فما كان من "سعيد الجديد" إلاّ القيام بتمخيض فكره والعمل على نفضه من أدران الفلسفة المزخرفة ولوثات الحضارة السفيهة.[٢] حيث إن سعيداً القديم والمفكرين، قد ارتضوا بقسم من دساتير الفلسفة البشرية، أي يقبلون شيئاً منها، ويبارزونها بأسلحتها، ويعدّون قسماً من دساتيرها كأنها العلوم الحديثة فيسلّمون بها. ولهذا لا يتمكنون من إعطاء الصورة الحقيقية للإسلام على تلك الصورة من العمل، إذ يطعّمون شجرة الإسلام بأغصان الحكمة التي يظنونها عميقة الجذور. وكأنهم

الإنسانية، وتمهّد السبل للرقي الصناعي، هي في وفاق ومصالحة مع القرآن الكريم، بل هي خادمة لحكمة القرآن، ولا تعارضها، ولا يسعها ذلك؛ لذا لا تتصدى رسائل النور لهذا القسم من الفلسفة.

أما القسم الثاني من الفلسفة، فكما أصبح وسيلة للتردي في الضلالة والإلحاد والسقوط في هاوية المستنقع الآسن للفلسفة الطبيعية، فإنه يسوق الإنسان إلى الغفلة والضلالة بالسفاهة واللهو. وحيث إنه يعارض بخوارقه التي هي كالسحر الحقائق المعجزة للقرآن الكريم، فإن رسائل النور تتصدى لهذا القسم الضال من الفلسفة في أغلب أجزائها وذلك بنصبها موازين دقيقة، ودساتير رصينة، وبعقدها موازنات ومقايسات معززة ببراهين دامغة. فتصفعها بصفعاتها الشديدة، في حين أنها لا تمس القسم السديد النافع من الفلسفة". الملاحق، ص: ٢٧٠.

[١] المثنوي العربي النوري، ص: ١٦٥.

[٢] اللمعات، ص: ١٦٢.

بهذا يقوّون الإسلام. ولكن لما كان الظهور على الأعداء بهذا النمط من العمل قليلاً، ولأن فيه شيئاً من التهوين لشأن الإسلام، فقد تركتُ ذلك المسلك. وأظهرت فعلاً أن أسس الإسلام عريقة وغائرة إلى درجة لا تبلغها أبداً أعمق أسس الفلسفة، بل تظل سطحية تجاهها..

ففي المسلك السابق؛ تُظن الفلسفة عميقة، بينما الأحكام الإسلامية ظاهرية سطحية، لذا يُتشبث بأغصان الفلسفة للحفاظ على الإسلام. ولكن هيهات! أنّى لدساتير الفلسفة من بلوغ تلك الأحكام". [١]

انتصار القلب

"وبينما كنت في هذه الحالة، إذا بحكمة القرآن المقدسة تسعفني، رحمةً من العلي القدير، وفضلاً وكرماً من عنده سبحانه، فغسلتْ أدران تلك المسائل الفلسفية، وطهرت روحي منها -كما هو مبين في كثير من الرسائل- إذ كان الظلام الروحي المنبثق من العلوم الفلسفية، يغرق روحي ويطمسها في الكائنات، فأينما كنت أتوجه بنظري في تلك المسائل فلا أرى نوراً ولا أجد قبساً، ولم أتمكن من التنفس والانشراح، حتى جاء نور التوحيد الساطع النابع من القرآن الكريم الذي يلقن "لا إله إلا هو" فمزّق ذلك الظلام وبدده. فانشرح صدري وتنفس بكل راحة واطمئنان.. ولكن النفس والشيطان، شنّا هجوماً عنيفاً على العقل والقلب وذلك بما أخذاه من تعليمات وتلقياه من دروس من أهل الضلالة والفلسفة. فبدأت المناظرة النفسية في هذا الهجوم حتى اختتمت ولله الحمد والمنّة بانتصار القلب وفوزه". [٢]

---

[١] المكتوبات، ص: ٥٦٢.

[٢] اللمعات، ص: ٣٣٧.

نذير الشيخوخة وتذكّر الموت

"حينما أفقت على صبح المشيب، من نوم ليل الشباب، نظرت إلى نفسي متأملاً فيها، فوجدتها كأنها تنحدر سعياً من علٍ إلى سواء القبر، مثلما وصفها نيازي المصري:

بناء العمر يذوي حجراً إثر حجر
غافلاً يغط الروح وبناؤه قد اندثر

فجسمي الذي هو مأوى روحي بدأ يتداعى ويتساقط حجراً إثر حجر على مرّ الأيام.. وآمالي التي كانت تشدّني بقوة إلى الدنيا بدأت أوثاقها تنفصم وتنقطع. فدبّ فيّ شعور بدنو وقت مفارقة من لا يحصى من الأحبة والأصدقاء، فأخذت أبحث عن ضماد لهذا الجرح المعنوي الغائر، الذي لا يرجى له دواء ناجع كما يبدو!. لم أستطع أن أعثر له على علاج، فقلت أيضاً كما قال نيازي المصري:

حكمة الإله تقضي فناء الجسد والقلب تـوّاق إلى الأبـــد
لهف نفسي مـن بـــلاء وكمد حار لقمان في إيجاد الضمد

وبينما كنت في هذه الحالة إذا بنور الرسول الكريم ﷺ الذي هو رحمة الله على العالمين، ومثالها الذي يعبّر عنها، والداعي إليها، والناطق بها، وإذا بشفاعته، وبما أتاه من هدية الهداية إلى البشرية، يصبح بلسماً شافياً، ودواءً ناجعاً لذلك الداء الوخيم الذي ظننته بلا دواء، ويبدل ذلك اليأس القاتم الذي أحاطني إلى نور الرجاء الساطع.[١]

وحينما وطأتْ قدماي عتبة الشيخوخة، كانت صحتي الجسدية التي ترخي

---

[١] اللمعات، ص: ٣١٥.

عنان الغفلة وتمدّها قد اعتلّت أيضاً فاتفقت الشيخوخة والمرض معاً على شن الهجوم عليّ، وما زالا يكيلان على رأسي الضربات تلو الضربات حتى أذهبا نوم الغفلة عنّي. ولم يكن لي ثمة ما يربطني بالدنيا من مال وبنين وما شابههما، فوجدت أن عصارة عمري الذي أضعته بغفلة الشباب، إنما هي آثام وذنوب، فاستغثتُ صائحاً مثلما صاح نيازي المصري:

ذهب العُمر هباءً، لم أفز فيه بشيء
ولقد جئتُ أسير الدرب، لكنْ
رحل الرّكبُ بعيداً
وبقيتْ
ذلك النائي الغريب
وبكيتْ
همتُ وحدي تائهاً أطوي الطريق
وبعينيّ ينابيع الدموع
وبصدري حرقة الشوق
حار عقلي..!

كنت حينها في غربة مضنية، فشعرت بحزن يائس، وأسف نادم، وحسرة ملتاعة على ما فات من العمر. صرخت من أعماقي أطلب إمداد العون، وضياء الرجاء.. وإذا بالقرآن الحكيم المعجز البيان يمدّني، ويسعفني، ويفتح أمامي باب رجاء عظيم، ويمنحني نوراً ساطعاً من الأمل والرجاء يستطيع أن يزيل أضعاف أضعاف يأسي، ويمكنه ان يبدد تلك الظلمات القاتمة من حولي.[١]

نعم، إنني مصداق لما قيل:

---

[١] اللمعات، ص: ٣١٧.

وعينيَ قد نامت بليلِ شبيبتي ولم تنتبه إلاّ بصبح مَشيب

إذ أشد أوقات انتباهي في شبيبتي رأيته الآن أعمقَ طبقات نومي!...[١]

فحينما خالط بعض شعرات رأسي البياض الذي هو علامة الشيخوخة، وكانت أهوال الحرب العالمية الأولى وما خلفه الأسر لدى الروس من آثار عميقة في حياتي عمّقت فيّ نوم غفلة الشباب. وتلا ذلك استقبال رائع عند عودتي من الأسر إلى إسطنبول، سواء من قبل الخليفة أو شيخ الإسلام، أو القائد العام، أو من قبل طلبة العلوم الشرعية، وما قوبلت به من تكريم وحفاوة أكثر مما أستحق بكثير.. كل ذلك ولّد عندي حالة روحية فضلاً عن سكرة الشباب وغفلته، وعمّقتْ فيّ ذلك النوم أكثر، حتى تصورت معها أن الدنيا دائمة باقية، ورأيت نفسي في حالة عجيبة من الالتصاق بالدنيا كأنني لا أموت.

ففي هذا الوقت، ذهبت إلى جامع بايزيد في إسطنبول، وذلك في شهر رمضان المبارك لأستمع للقرآن الكريم من الحفاظ المخلصين[٢] فاستمعت من لسان أولئك الحفاظ ما أعلنه القرآن المعجز بقوة وشدة، خطابه السماوي الرفيع في موت الإنسان وزواله، ووفاة ذوي الحياة وموتهم، وذلك بنص الآية الكريمة: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ (آل عمران: ١٨٥).

نفذ هذا الإعلان الداوي إلى صماخ أذني مخترقاً وممزقاً طبقات النوم والغفلة والسكرة الكثيفة الغليظة حتى استقر في أعماق أعماق قلبي.

خرجت من الجامع، فرأيت نفسي لبضعة أيام، كأن إعصاراً هائلاً يضطرم

---

[١] المثنوي العربي النوري، ص: ٢٣٢.

[٢] وللأستاذ النورسي خواطر قيمة في جامع بايزيد جديرة بالتذكير، لم ندرجها هنا خشية الإطالة، نذكر منها: بيانه الإعجاز في "ن" نعبد، لدى إثباته أنه لا يمكن ترجمة القرآن ترجمة حقيقية. المكتوبات، ص: ٤٩٣.

في رأسي بما بقي من آثار ذلك النوم العميق المستقر فيّ منذ أمد طويل، ورأيتني كالسفينة التائهة بين أمواج البحر المضطربة البوصلة. كانت نفسي تتأجج بنار ذات دخان كثيف.. وكلما كنت أنظر إلى المرآة، كانت تلك الشعرات البيضاء تخاطبني قائلة: انتبه!.

نعم، إن الأمور توضحت عندي بظهور تلك الشعرات البيضاء وتذكيرها إياي، حيث شاهدت أن الشباب الذي كنت أغتر به كثيراً، بل كنت مفتوناً بأذواقه يقول لي: الوداع! وأن الحياة الدنيا التي كنت أرتبط بحبها بدأت بالانطفاء رويداً رويداً، وبدت لي الدنيا التي كنت أتشبث بها، بل كنت مشتاقاً إليها وعاشقاً لها، رأيتها تقول لي: الوداع! الوداع! مشعرة إياي، بأنني سأرحل من دار الضيافة هذه، وسأغادرها عما قريب. ورأيتها - أي الدنيا - هي الأخرى تقول: الوداع، وتتهيأ للرحيل.

وانفتح إلى القلب من كلية هذه الآية الكريمة ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ ومن شموليتها ذلك المعنى الذي يتضمنها، وهو أن البشرية قاطبة إنما هي كالنفس الواحدة، فلا بد أنها ستموت كي تبعث من جديد، وأن الكرة الأرضية كذلك نفسٌ فلا بد أنها سوف تموت ويصيبها البوار كي تتخذ هيأة البقاء وصورة الخلود، وأن الدنيا هي الأخرى نفسٌ وسوف تموت وتنقضي كي تتشكل بصورة "آخرة".

فكرت فيما أنا فيه؛ فرأيت أن الشباب الذي هو مدار الأذواق واللذائذ ذاهب نحو الزوال، تارك مكانه للشيخوخة التي هي منشأ الأحزان، وأن الحياة الساطعة الباهرة لفي ارتحال، ويتهيأ الموت المظلم المخيف -ظاهراً- ليحل محلها.

ورأيت الدنيا التي هي محبوبة وحلوة ومعشوقة الغفاة ويُظن أنها دائمة، رأيتها تجري مسرعة إلى الفناء. ولكي أنغمس في الغفلة وأخادع نفسي ولّيت

نظري شطر أذواق المنزلة الاجتماعية ومقامها الرفيع الذي حظيت به في إسطنبول والذي خُدعت به نفسي وهو فوق حدي وطوقي من حفاوة وإكرام وسلوان وإقبال وإعجاب.. فرأيت أن جميعها لا تصاحبني إلاّ إلى حد باب القبر القريب منى، وعنده تنطفئ.

ورأيت أن رياءً ثقيلاً، وأثرة باردة وغفلة مؤقتة، تكمن تحت الستار المزركش للسمعة والصيت، التي هي المثل الأعلى لأرباب الشهرة وعشاقها، ففهمت أن هذه الأمور التي خدعتني حتى الآن لن تمنحني أي سلوان، ولا يمكن أن أتلمس فيها أي قبس من نور.

ولكي أستيقظ من غفلتي مرة أخرى وأنتبه منها نهائياً، بدأت بالاستماع كذلك لأولئك الحفاظ الكرام في "جامع بايزيد" لأتلقى الدرس السماوي للقرآن الكريم.. وعندها سمعت بشارات ذلك الإرشاد السماوي من خلال الأوامر الربانية المقدسة في قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُوا﴾ (البقرة: ٢٥).

وبالفيض الذي أخذتُه من القرآن الكريم تحريت عن السلوة والرجاء والنور في تلك الأمور التي أدهشتني وحيّرتني وأوقعتني في يأس ووحشة، دون البحث عنها في غيرها من الأمور. فألف شكر وشكر للخالق الكريم على ما وفقني لأن أجد الدواء في الداء نفسه، وأن أرى النور في الظلمة نفسها، وأن أشعر بالسلوان في الألم والرعب ذاتهما.

إرشاد القرآن الكريم

"بعدما رجعت من الأسر سنة ١٩٢١م/١٣٣٩هـ، سيطرت الغفلةُ عليّ مرة أخرى طوال سنتين من حياتي في إسطنبول، حيث الأجواء السياسية وتياراتها صرفَت نظري عن التأمل في نفسي، وأحدثت تشتتاً في ذهني وفكري.

فحينما كنت جالساً ذات يوم في مقبرة أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه وعلى مرتفع مطلّ على وادٍ سحيق، مستغرقاً في تأمل الآفاق المحيطة بإسطنبول، إذا بي أرى كأن دنياي الخاصة أوشكت على الوفاة، حتى شعرت -خيالاً- كأن الروح تنسل منها انسلالاً من بعض نواحيّ. فقلت: تُرى هل الكتابات الموجودة على شواهد هذه القبور هي التي دعتني إلى هذا الخيال؟

أشحتُ نظري عن الخارج وأنعمت النظر في المقبرة دون الآفاق البعيدة فألقى في روعي: أن هذه المقبرة المحيطة بك تضم مائة إسطنبول! حيث إن إسطنبول قد أفرغت فيها مائة مرة، فلن تُستثنى أنت وحدك من حكم الحاكم القدير الذي أفرغ جميع أهالي إسطنبول هنا، فأنت راحل مثلهم لا محالة..!

غادرت المقبرة وأنا أحمل هذا الخيال المخيف، ودخلت الغرفة الصغيرة في محفل جامع أبى أيوب الأنصاري رضي الله عنه والتي كنت أدخلها مراراً في السابق فاستغرقت في التفكير في نفسي: "إنما أنا ضيف! وضيف من ثلاثة أوجه؛ إذ كما أنني ضيف في هذه الغرفة الصغيرة، فأنا ضيفٌ كذلك في إسطنبول، بل أنا ضيف في الدنيا وراحل عنها كذلك، وعلى المسافر أن يفكر في سبيله ودربه.

نعم، كما أنني سوف أخرج من هذه الغرفة وأغادرها، فسوف أترك إسطنبول ذات يوم وأغادرها، وسوف أخرج من الدنيا كذلك".

وهكذا جثمت على قلبي وفكري وأنا في هذه الحالة، حالةٌ أليمة محزنة مكدّرة. فلا غرو إنني لا أترك أحباباً قليلين وحدهم، بل سأفارق أيضاً آلاف الأحبة في إسطنبول، بل سأغادر إسطنبول الحبيبة نفسها وسأفترق عن مئات الآلاف من الأحبة كما أفترق عن الدنيا الجميلة التي ابتلينا بها.

ذهبتُ إلى المكان المرتفع نفسه في المقبرة مرة أخرى، فبدا لي أهالي إسطنبول جنائز يمشون قائمين مثلما يظهر الذين ماتوا شخوصاً متحركة في الأفلام السينمائية، فقد كنت أتردد إليها أحياناً للعبرة! فقال لي خيالي: ما دام قسم من الراقدين في هذه المقبرة يمكن أن يظهروا متحركين كالشخوص السينمائية، ففكّر في هؤلاء الناس كذلك، إنهم سيدخلون هذه المقبرة حتماً، واعتبرهم داخلين فيها من الآن.

وبينما كنت أتقلب في تلك الحالة المحزنة المؤلمة إذا بنور من القرآن الحكيم وبإرشاد من الشيخ الكيلاني قدس سرّه يقلب تلك الحالة المحزنة ويحولها إلى حالة مفرحة مبهجة، ذات نشوة ولذة، حيث ذكّرني النور القادم من القرآن الكريم ونبهني إلى ما يأتي:

"كان لك صديق أو صديقان من الضباط الأسرى عند أسرك في "قوصترما" في شمال شرقي روسيا، وكنتَ تعلم حتماً أنهما سيرجعان إلى إسطنبول. ولو خَيّرك أحدهما قائلاً: أتذهب إلى إسطنبول أم تريد أن تبقى هنا؟ فلا جرم أنك كنت تختار الذهاب إلى إسطنبول لو كان لك مسكة من عقل، بفرح وسرور حيث إن تسعمائة وتسعة وتسعين من ألف حبيب وحبيب لك هم الآن في إسطنبول، وليس لك هنا إلاّ واحد أو اثنان، وهم بدورهم سيرحلون إلى هناك. فالذهاب إلى إسطنبول بالنسبة لك إذن ليس بفراق حزين، ولا بافتراق أليم.. وها أنتذا قد أتيت إليها، ألم تصبح راضياً شاكراً؟ فلقد نجوتَ من بلد الأعداء، من لياليها الطوال السوداء، ومن شتائها القارس العاصف، وقدمت إسطنبول الزاهية الجميلة، كأنها جنة الدنيا! وهكذا الأمر حيث إن تسعاً وتسعين من مائة شخص ممن تحبهم منذ صغرك حتى الآن، قد ارتحلوا إلى المقبرة. تلك التي تبدو لك موحشة مدهشة، ولم يظل منهم في هذه الدنيا إلاّ واحد أو اثنان، وهم

في طريقهم إليها كذلك. فوفاتك في الدنيا إذن ليست بفراق، ولا بافتراق، وإنما هي وصال ولقاء مع أولئك الأحبة الأعزاء.

نعم، إن أولئك -أي الأرواح الباقية- قد تركوا مأواهم وعشهم المندرس تحت الأرض، فيسرح قسم منهم بين النجوم، وقسم آخر بين طبقات عالم البرزخ".

وهكذا ذكّرني ذلك النور القرآني.. ولقد أثبت هذه الحقيقة إثباتاً قاطعاً كلٌ من القرآن الكريم، والإيمان، بحيث مَن لم يفقد قلبه وروحه، أو لم تغرقه الضلالة لا بد أن يصدق بها كأنه يراها؛ ذلك لأن الذي زيّن هذه الدنيا بأنواع ألطافه التي لاتحد وبأشكال آلائه التي لا تُعد مُظهراً بها ربوبيته الكريمة الرؤوف، حفيظاً حتى على الأشياء الصغيرة الجزئية جداً -كالبذور مثلاً- ذلك الصانع الكريم الرحيم، لابد -بل بالبداهة- لا يُفني هذا الإنسان الذي هو أكمل مخلوقاته وأكرمها وأجمعها وأهمّها وأحبها إليه، ولا يمحوه بالفناء والإعدام النهائي، بلا رحمة وبلا عاقبة -كما يبدو ظاهراً- ولا يضيّعه أبداً.. بل يضع الخالق الرحيم ذلك المخلوق المحبوب تحت التراب الذي هو باب الرحمة موقتاً، كي يعطي ثماره في حياة أخرى، كما يبذر الفلاح البذور على الأرض.

وبعد أن تلقيت هذا التنبيه القرآني، باتت تلك المقبرة عندي مؤنسة أكثر من إسطنبول نفسها، وأصبحت الخلوة والعزلة عندي أكثر لطافة من المعاشرة والمؤانسة، مما حدا بي أن أجد مكاناً للعزلة في "صَاري يَرْ" على البسفور. وأصبح الشيخ الكيلاني رضي الله عنه أستاذاً لي وطبيباً ومرشداً بكتابه "فتوح الغيب"، وصار الإمام الرباني رضي الله عنه كذلك بمثابة أستاذ أنيس ورؤوف شفيق بكتابه "مكتوبات" فأصبحت راضياً كلياً وممتنّاً من دخولي المشيب، ومن عزوفي عن مظاهر الحضارة البراقة ومتعها الزائفة، ومن انسلالي من الحياة

الاجتماعية وانسحابي منها، فشكرت الله على ذلك كثيراً".[١]

أزمة روحية حادة

"ففي سنة ١٣٣٩هـ مررت بأزمة روحية حادة، واعتراني قلق قلبيّ رهيب وانتابنى اضطراب فكرى مخيف. فاستمددت حينها من الشيخ الكيلاني مدداً قوياً جداً، فأمدني بهمته وبكتابه "فتوح الغيب" حتى جاوزت ذلك القلق والاضطراب".[٢]

توحيد القبلة في القرآن

"هوت صفعات عنيفة قبل ثلاثين سنة على رأس "سعيد القديم" الغافل، ففكّر في قضية أن "الموت حق". ووجد نفسه غارقاً في الأوحال.. استنجد، وبحث عن طريق، وتحرى عن منقذ يأخذ بيده.. رأى السبل أمامه مختلفة.. حار في الأمر وأخذ كتاب "فتوح الغيب" للشيخ عبد القادر الكيلاني رضي الله عنه وفتحه متفائلاً، فوجد أمامه العبارة الآتية:

"أنت في دار الحكمة فاطلب طبيباً يداوي قلبك"[٣].. يا للعجب!. لقد كنت يومئذ عضواً في "دار الحكمة الإسلامية" وكأنما جئت إليها لأداوي جروح الأمة الإسلامية، والحال أنني كنت أشد مرضاً وأحوج إلى العلاج من أي شخص آخر.. فالأولى للمريض أن يداوي نفسه قبل أن يداوي الآخرين.

نعم، هكذا خاطبني الشيخ: "أنت مريض.. ابحث عن طبيب يداويك!"

---

[١] اللمعات، ص:٣٣٥.

[٢] سيرة ذاتية، ص: ١٩٢.

[٣] أصل العبارة: "يا عباد الله أنتم في دار الحكمة، لا بد من الواسطة، اطلبوا من معبودكم طبيباً يطبّ أمراض قلوبكم مداوياً يداويكم..." وذلك في المجلس الثاني والستين من كتاب الفتح الرباني الذي كان مطبوعا في طبعاته الأولى مع كتاب فتوح الغيب في مجلد واحد موسوم بـ"فتوح الغيب".

قلت: "كن أنت طبيبي أيها الشيخ!"

وبدأت أقرأ ذلك الكتاب كأنه يخاطبني أنا بالذات.. كان شديد اللّهجة يحطم غروري، فأجرى عمليات جراحية عميقة في نفسي.. فلم أتحمل.. لأني كنت اعتبر كلامه موجهاً إليّ.

نعم، هكذا قرأته إلى ما يقارب نصفه.. لم أستطع إتمامه.. وضعت الكتاب في مكانه، ثم أحسست بعد ذلك بفترة بأن آلام الجراح قد ولّت وخلفت مكانها لذائذ روحية عجيبة.. عدت إليه، وأتممت قراءة كتاب "أستاذي الأول". واستفدت منه فوائد جليلة، وأمضيت معه ساعات طويلة أصغى إلى أوراده الطيبة ومناجاته الرقيقة.

ثم وجدت كتاب "مكتوبات" للإمام الفاروقي السرهندي، مجدد الألف الثاني فتفاءلت بالخير تفاؤلاً خالصاً، وفتحته، فوجدت فيه عجباً.. حيث ورد في رسالتين منه لفظة "ميرزا بديع الزمان"، فأحسست كأنه يخاطبني باسمي، إذ كان اسم أبي "ميرزا" وكلتا الرسالتين كانتا موجهتين إلى ميرزا بديع الزمان. فقلت: يا سبحان الله. إن هذا ليخاطبني أنا بالذات، لأن لقب سعيد القديم كان بديع الزمان، ومع أنني ما كنت أعلم أحداً قد اشتهر بهذا اللقب غير "الهمذاني" الذي عاش في القرن الرابع الهجري. فلا بد أن يكون هناك أحد غيره قد عاصر الإمام الرباني السرهندي وخوطب بهذا اللقب، ولا بد أن حالته شبيهة بحالتي حتى وجدت دوائي بتلكما الرسالتين.. والإمام الرباني يوصي مؤكداً في هاتين الرسالتين وفي رسائل أخرى أن: "وَحِّد القبلةَ" أي أتبع إماماً ومرشداً واحداً ولا تنشغل بغيره![1]

---

[1] نص العبارة: "وحيث قد طلبت الهمة من كمال الالتفات فبشرى لك ترجع سالماً

لم توافق هذه الوصية -آنذاك- استعدادي وأحوالي الروحية.. وأخذت أفكر ملياً: أيهما أتبع!. أأسير وراء هذا، أم أسير وراء ذاك؟ احترت كثيراً وكانت حيرتي شديدة جداً، إذ في كل منهما خواص وجاذبية، لذا لم أستطع أن أكتفي بواحد منهما.

وحينما كنت أتقلب في هذه الحيرة الشديدة.. إذا بخاطر رحمانيّ من الله سبحانه وتعالى يخطر على قلبي ويهتف بي:

"إن بداية هذه الطرق جميعها.. ومنبع هذه الجداول كلها.. وشمس هذه الكواكب السيارة.. إنما هو القرآن الكريم فتوحيد القبلة الحقيقي إذن لا يكون إلاّ في القرآن الكريم.. فالقرآن هو أسمى مرشد.. وأقدس أستاذ على الإطلاق.. ومنذ ذلك اليوم أقبلت على القرآن واعتصمت به واستمددت منه.. فاستعدادي الناقص قاصر من أن يرتشف حق الارتشاف فيضَ ذلك المرشد الحقيقي الذي هو كالنبع السلسبيل الباعث على الحياة، ولكن بفضل ذلك الفيض نفسه يمكننا أن نبين ذلك الفيض، وذلك السلسبيل لأهل القلوب وأصحاب الأحوال، كلٌ حسب درجته. فـ"الكلمات" والأنوار المستقاة من القرآن الكريم (أي رسائل النور) إذن ليست مسائل علمية عقلية وحدها بل أيضاً مسائل قلبية، وروحية، وأحوال إيمانية.. فهي بمثابة علوم إلهية نفيسة ومعارف ربانية سامية".[١]

السنة النبوية مصابيح الهدى

"إنّي شاهدت في سيري في الظلمات، السُّنَن السَّنية نجوماً ومصابيح، كلُّ

وغانماً، لكن لا بد من أن تراعي شرطاً واحداً وهو: توحيد قبلة التوجه. فإن جعل قبلة التوجهِ متعددة إلقاءُ السالك نفسه إلى التفرقة. ومن الأمثال المشهورة: إن المقيم في محل في كل محل والمتردد بين المحال ليس في محل أصلاً". (المكتوب الخامس والسبعون من مكتوبات الإمام الرباني. ترجمة: محمد مراد). ١ /٨٧.

[١] المكتوبات، ص: ٤٤٦.

سنَّةٍ، وكلُّ حَدٍّ شرعي يتلمع بين ما لا يُحصر من الطرق المظلمة المضلّة. وبالانحراف عن السنة يصير المرء لعبة الشياطين، ومركَب الأوهام، ومعرض الأهوال، ومطية الأثقال -أمثال الجبال- التي تحملها السنةُ عنه لو اتّبعها.

وشاهدتُ السننَ كالحبالِ المتدلّية من السماء، من استمسك ولو بجزئي استَصعد واستسعد، ورأيتُ مَن خالَفَها واعتمدَ على العقل الدائر بين الناس، كمَن يريد أن يبلُغَ أسباب السماوات بالوسائل الأرضية فيتحمّق كما تَحمّقَ فرعون بـ﴿يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً﴾ (غافر: ٣٦). [١]

وكل ما في رسائلي من المحاسن ما هو إلاّ من فيض القرآن..ولله الحمد كان القرآن هو مرشدي وأستاذي في هذا الطريق.

نعم، مَن استمسكَ به استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها. [٢]

لا تحسبن أن ما أكتبه شيء مضغته الأفكار والعقول. كلا! بل فيض أفيض على روحٍ مجروح وقلب مقروح، بالاستمداد من القرآن الكريم، ولا تظنه أيضاً شيئاً سيالاً تذوقه القلوب وهو يزول. كلا! بل أنوارٌ من حقائق ثابتة انعكست على عقلٍ عليلٍ وقلبٍ مريضٍ ونفسٍ عمي.

إني ما أدري كيف صار عقلي ممزوجاً بقلبي، فصرت خارجاً عن طريق أهل العقل من علماء السلف وعن سبيل أهل القلب من الصالحين، فإن وافقتُهما فبها ونعمت وإن خالفتُ في كلامي أي السبيلين منهما فهو مردود عليّ.

إنّ ما يصادفك في المسائل من صورة البرهان والاستدلال ليس برهاناً حتى يقال: فيه نظر! بل مبادئ حدسية قيدت وعقدت واستحفظت بأنوار اليقين

---

[١] المثنوي العربي النوري، ص: ١٧١.

[٢] المثنوي العربي النوري، ص: ٢١٠.

المفاضة من القرآن الكريم.[١]

إنه يمكن أن يذهب الموفَّق من الظاهر إلى الحقيقة بلا مرور على برزخ الطريقة؛ وقد رأيتُ من القرآن طريقا إلى الحقيقة بدون الطريقة، أي المشهورة. وكذا رأيت طريقاً موصلاً إلى العلوم المقصودة بدون المرور على برزخ العلوم الآلية". [٢]

ما كتبتُ إلاّ ما شاهدت

"إني قد ساقني القدر الإلهي إلى طريق عجيب، صادفتُ في سيري فيه مهالك ومصائب وأعداء هائلةً، فاضطربتُ، فالتجأت بعجزي إلى ربي.. فأخذت العنايةُ الأزلية بيدي، وعلّمني القرآنُ رشدي، وأغاثتني الرحمة فخلصتني من تلك المهالك. فبحمد الله صرتُ مظفراً في تلك المحاربات مع النفس والشيطان اللذين صارا وكيلين فضوليين لأنواع أهل الضلالات..وإنني أعترف وأنادي بأعلى صوتي: بأني عاجز، قاصر في الإفهام، لكن أقول تحديثاً بالنعمة وأداء للأمانة بأني لا أخدعكم، إنما أكتب ما أشاهد أو أتيقن عين اليقين أو علم اليقين". [٣]

والله نسأل أن يوفقنا إلى حسن القصد وصحة الفهم وصواب القول وسداد العمل.

وصل اللّهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

* * *

---

[١] المثنوي العربي النوري، ص: ٣١٥.
[٢] المثنوي العربي النوري، ص: ٣٤٢.
[٣] المثنوي العربي النوري، ص: ٣١٤.

دور العلماء
في العهد العثماني والأمة التركية
النورسي أنموذجاً[1]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين

حضرات الأساتذة الكرام والأخوة الأعزاء والأخوات الفاضلات

نحييكم بتحية الإسلام من أعماق قلوبنا ومن صميم أفئدتنا فنقول:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛ وبعد

فإن الحمد لله وحده أولاً وآخراً بدءاً وختاماً. إذ هو الذي جمعنا على الهدى والتقوى و الإيمان والمحبة الخالصة لوجهه الكريم.

وقبل أن نخوض في المداولات الفكرية أرى من الواجب تقديم أجمل شكرنا وأجزله وأفضل امتناننا وأزكاه لجميع الأساتذة الكرام والعلماء الأفاضل والأخوة النجباء الأكارم الذين حضروا وساهموا وساعدوا وسعوا لتحقيق

---

[1] بحث ألقي هذا البحث في الملتقى الدولي الذي انعقد في كوجي عاصمة سراواك – بماليزيا وقد نظمته ندوة العلماء في ساراواك مع الجامعة الوطنية الماليزية في ١٣-١٥/٧/٢٠٠٣.

جمع هذا الشمل الميمون وهيأوا المناخ العلمي الملائم والجو الهادئ المناسب. فاللهم أجزل ثوابهم واجعل كل خطوة من خطواتهم التي قدموها في سبيل تحقيق الإيمان في القلوب وترسيخه في النفوس في ميزان حسناتهم ﴿يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ. إِلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الشعراء:٨٩-٨٨).

وبعد، فسنتناول في هذا البحث الموجز: الدولة العثمانية والتركية الحديثة أولاً ثم نقدم سعيد النورسي أنموذجا في التجديد .

نبذة مختصرة عن الدولة العثمانية والأمة التركية:

كانت النواة الأولى للدولة العثمانية عشيرة من الترك تسكن في أنحاء الأناضول، فبدأت صغيرة على يد عثمان بن أرطغرل (٦٩٩هـ/١٢٩٩م) الذي كان يتسم بصفاء العقيدة ورسوخها وبمشاورة الفقهاء في أموره كلها.

واتسعت الدولة بالفتوحات التي ساقتها من نصر إلى نصر حتى امتد سلطانُها إلى القارات الثلاث. وبلغت ذروتها في عهد السلطان سليمان القانوني (١٥١٢-١٥٢٠م). بيد أن في أواخر عصره بدأ همود الدولة وتوقفها عن النمو ومن ثم ضعفها ثم اضمحلالها بعد أربعة قرون؛ حيث تعرضت روح إعلاء كلمة الله إلى الضعف، وبدأ النظام القانوني بالتفسخ رويدا رويدا، وتخلّف أهل العلم عن ركب العلم وتقلَّد المناصب العلمية من لا يستحقونها ، فضلا عن أن بعضهم توهموا أن جوانب من العلم تتناقض مع نصوص في الإسلام، علاوة على أن الدولة قد غرقت في الديون حتى وصلت حد الإفلاس. وتسرب الإسراف والبذخ من القصور إلى الطبقة الحاكمة، وتفسخت المؤسسة العسكرية لتدخل الجيش في السياسة، وانتشرت الرشوة والتزلف والتشفع في دوائر الدولة، وتدخل نساء السلطنة في شؤون الدولة.

بيد أن السلطان عبد الحميد (١٨٤٢- ١٩١٨م) الذي دام حكمه ثلاثاً وثلاثين سنة (١٨٧٦-١٩٠٩م) حاول إرجاع الدولة إلى سابق عهدها المجيد، فقام بإصلاحات في السلك التعليمي والعسكري وفي مرافق الدولة كلها وفي الصعيد الخارجي. ولكن ذلك كله جاء بعد فوات الأوان. لأن الدوائر الأجنبية كانت قد استطاعت أن توجد في قلب الدولة نفسها ركائز استخدمتهم في اللحظة المناسبة لهزّ شجرة الدولة من الجذور، والإجهاز بعد ذلك على جذعها وأغصانها .. وقد ساهم في مشاريع الإجهاز على الدولة نخبة المجتمع الأوربي كما تؤكده شهادة دجوفارا وزير خارجية رومانيا في كتابه "مائة مشروع لتقسيم الدولة العثمانية" الذي أكّد فيه مساهمة أغلب الدول الأوربية (فرنسا، وإنجلترا، و روسيا، وبلجيكا، وهولندا، وإسبانيا،...) بكفاءات علمية وسياسية وعسكرية عالية المستوى (رجال الدين، والساسة، والأدباء، والأطباء، والعسكر...) في مشاريع الإطاحة...[1]

وهكذا توالت أحداث جسام على المجتمع العثماني، الذي كان محط أنظار جميع المسلمين، فبدأت مؤسسات الدولة تتهاوى الواحدة تلو الأخرى تحت هيمنة الأجانب، لذا لم يكن بإمكان الدولة النهوض والدفاع عن العالم الإسلامي، لما كانت تعانيه من أزمات خانقة، أهمها كثرة الحروب المدمّرة وهزائمها المتكررة، إضافة إلى التدخلات الأجنبية في شؤونها.

هذا فضلا عن المؤسسات والإرساليات التبشيرية بمختلف المذاهب التي عملت داخل تركيا وخارجها على بث الأفكار المناهضة للإسلام منذ سنة ١٨٤٢م.

---

[1] انظر حاضر العالم الإسلامي، لاثروب، تعليق شكيب ارسلان، ترجمة عادل نويهض ٢٠٨/٣.

وفي الفترة التاريخية الحاسمة (أي منذ سنة ١٩٢٢م) وُضعت قوانين وأُتخذت قرارات لقلع الإسلام من جذوره وإخماد جذوة الإيمان في قلب الأمة التي رفعت راية الإسلام طوال ستة قرون من الزمان. فأُلغيت السلطنة العثمانية في (١٩٢٢/١١/١) وأعقبها إلغاء الخلافة في (١٩٢٤/٣/٣) فمُنع تدريس الدين في المدارس كافة، وبُدّلت الأرقام والحروف العربية في الكتابة إلى الحروف اللاتينية، وحُرم الأذان الشرعي وإقامة الصلاة باللغة العربية، وجرت محاولات لإحلال ترجمة القرآن الكريم في العبادات. ومُنع القيام بأي نشاط أو فعالية في صالح الإسلام، إذ حُظر طبع الكتب الإسلامية، وأُرغم الناس على تغيير الزي إلى الزي الأوروبي، فالرجال أُرغموا على لبس القبعة والنساء على السفور والتكشف..

وشكّلت محاكم زرعت الخوف والرعب في طول البلاد وعرضها، ونصبت المشانق لعلماء أجلاّء، ولكل من تُحدثه نفسه بالاعتراض على السلطة الحاكمة. فساد جو من الذعر والهلع في أرجاء البلاد، حتى أصبح الناس يخفون القرآن الكريم عن أنظار موظفي الدولة. ونشطت الصحافة في نشر الابتذال في الأخلاق والاستهزاء بالدين، فانتشرت كتب الإلحاد.

وفي هذا المنعطف التاريخي الخطير قيّض الله سبحانه وتعالى بفضله وكرمه بديع الزمان سعيد النورسي المولود في مطلع القرن الهجري الماضي ١٢٩٣هـ (١٨٧٦م) وألقى القدر على كاهله مسؤولية النهوض بتجديد حياة الإيمان الراكد في القلوب وبعبء التصدي للتيار الجارف المكتسح الذي كاد يسلخ الأمة عن تاريخها ودينها وإسلامها. فنقدمه هنا أنموذجاً للعالِم العامل بعلمه.

النورسي أنموذجا للتجديد

لقد وقع اختيارنا على الأستاذ النورسي لأسباب كثيرة نذكر منها باختصار:

أولاً: أنه عاصر عهوداً مختلفة مرت على الأمة التركية والإسلامية؛ فمن عهد السلطان عبد الحميد الثاني إلى فترة حكم الاتحاد والترقي وإلى الحرب العالمية الأولى ثم العهد الجمهوري وفترة الحزب الواحد الحاكم، ثم فترة تعدد الأحزاب والعهد الديمقراطي. وكان له دور فعال صائب منسجم مع كل فترة من هذه الفترات الحاسمة والانعطافات التاريخية في حياة الأمة.

يقول الأديب الشاعر عثمان يوكسل:

"سعيد النور شيخ عاصر ثلاثة عهود وخَبَر حوادث الزمان، هي نظام المشروطية، وحكومة الاتحاد والترقي، والجمهورية. عهود زاخرة بالتغيير والانقلاب والانهدام. ما من شيء إلاّ وأصابه الهدم، غير رجل واحد ظل منتصباً. رجل قدِم إلى اسطنبول من شواهق الشرق، من حيث تشرق الشمس، يحمل إيماناً راسخاً كالطود. جعل هذا الرجل صدره المفعم بالإيمان سداً منيعاً أمام أشرار العهود الثلاثة، ولم يفتأ يدعو إلى الله، ويدعو إلى الرسول ﷺ، ولا إلى شيء إلاّ الله والرسول. رأسه شامخ كقمة جبل ارارات، لم يطأطئه لظالم، ولم يغلبه عالم. صلب كالصخور، إرادة قوية عجيبة، ذكاء كالبرق. هذا هو سعيد النور".[1]

ثانياً: لقد كان بحق رائداً من رواد الفكر والدعوة والحركة في المجتمع العثماني والتركي الحديث. وعالماً جليلاً يسّر الله تعالى بيده إنشاء جيل قرآني أو أمة قرآنية داخل الأمة التركية تتبنى رسالته وتحمل دعوته في حياتها المعيشة وتسعى لنقلها إلى الآخرين. فهي دعوة كريمة جامعة، لا تعرف التعصب، ولا تؤمن بالفرقة. تمد الأيدي الحانية إلى الناس جميعا، تحرص على ترسيخ الإيمان في قلوبهم، وبذر بذور المحبة في نفوسهم. ولا تتعرض لأحد، ولا

---

[1] سيرة ذاتية، ص ٤٥٨.

تقول إلاّ الخير، ولا تؤمن بتجريح الهيئات والأشخاص، ولا تثير الخصومات، تعتز بالماضي وتحتضن الحاضر وتنشد للمستقبل، وتحفر الخندق الواحد للأمة المؤمنة الواحدة، وتوجّه هجومها الكاسح إلى الكفر المطلق الواحد، تؤمن بالعمل الدؤوب، وتتنكر للثرثرة الفارغة، تعشق التواضع والفصاحة، وتكره الكبرياء والحذلقة، والاستعلاء على الآخرين.

ثالثاً: ترك موسوعة إيمانية نفيسة في تسعة مجلدات وسماها "رسائل النور" وهي تفسير لمعاني القرآن الحكيم، تعالج القضايا الأساسية في حياة الفرد، إذ تنشئ عنده تصورات إيمانية جديدة وتهدم التصورات الفاسدة والسلوك الضعيف. ذلك أنها تدور حول معاني (التوحيد) بدلائل متنوعة و(حقيقة الآخرة) و(صدق النبوة) و(عدالة الشريعة) من مقاصد القرآن الكريم. علاوة على ما تبحثه من أمور الدعوة إلى الله ومحبة الرسول ﷺ ، والشوق إلى الآخرة وأمور اجتماعية وسياسية مختلفة. وهي تعطي قارئيها سمات إيمانية وميزات قرآنية ، نذكر هنا بعضاً منها:

١- مصدرية القرآن الكريم:

إن أول ما تمتاز به كتابات النورسي وأهمها، أن العلم الذي ينشره بين الناس، والعقيدة التي يدعو إليها، والدعوة التي يقوم بنشرها، لا تنبع من ذكائه أو حميّته، أو من تألمه للوضع المزري الذي كان يعيش فيه... وإنما مصدره القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

فيقول في مواضع كثيرة من رسائل النور:

"لا تحسبن أن ما أكتبه شيء مضغته الأفكار والعقول. كلا! بل فيضٌ أفيض على روحٍ مجروح وقلب مقروح، بالاستمداد من القرآن الكريم، ولا تظنه أيضاً شيئاً سيالاً تذوقه القلوب وهو يزول. كلا ! بل أنوارٌ من حقائق ثابتة انعكست

على عقلٍ عليلٍ وقلبٍ مريضٍ ونفسٍ عمي".[١]

ويقول أيضاً: " إن الآثار المؤلفة والرسائل - بأكثريتها المطلقة - قد أُنعمت عليّ لحاجة تولدت في روحي فجأة، ونشأت آنياً. دون أن يكون هناك سبب خارجي. وحينما كنت أظهرها لبعض أصدقائي، كانوا يقولون: "إنها دواء لجراحات هذا الزمان". وبعد انتشارها عرفت من معظم إخواني أنها تفي بحاجة هذا العصر وتضمد جراحاته".[٢]

ويقول أيضاً: "إنني لا أقول هذا الكلام الذي يخص (الكلمات) تواضعاً، بل بياناً للحقيقة، وهي:

أن الحقائق والمزايا الموجودة في (الكلمات) ليست من بنات أفكاري ولا تعود إليّ أبداً وإنما للقرآن وحده، فلقد ترشحتْ من زلال القرآن، حتى إن (الكلمة العاشرة رسالة الحشر) ما هي إلاّ قطرات ترشحت من مئات الآيات القرآنية الجليلة. وكذا الأمر في سائر الرسائل بصورة عامة.

فمادمتُ أعلم الأمر هكذا وأنا ماضٍ راحل عن هذه الحياة، وفانٍ زائل، فما ينبغي أن يربط بي ما يدوم ويبقى من أثر..".[٣]

وهكذا فقد أصبحت رسائل النور مرآة صافية لحقائق القرآن، إذ قامت بإظهار قدسيته وسموه بشكل شفاف، وجعلت قرّاءها يواجهون حقائق القرآن وجهاً لوجه بعد أن عزلت شخصيتها تماماً. ومن هنا قال الأستاذ النورسي عن نفسه بأنه "دلّال القرآن" و"خادم القرآن".

---

[١] المثنوي العربي النوري، ص ٣١٨.

[٢] المكتوبات، ص ٤٨٥.

[٣] المكتوبات، ص٤٧٦.

ولهذا السبب فإن قارئ رسائل النور لا ينظر إلى شخص المؤلف، بل ينظر مباشرة إلى الحقائق القرآنية التي فيها ويحصر نظره في الأدلة والبراهين التي فيها.

٢. تصحيح العقيدة وتحويل الإيمان التقليدي إلى التحقيقي:

إن أول دعوته وأكبر هدفه هو تصحيح العقيدة في الله، وتصحيح الصلة بين العبد وربه.

ولعل وصف الأديب التركي الشهير أشرف أديب وصفٌ صادق للنورسي ودعوته للتوحيد الخالص، حيث يقول:

"هو مؤمن أحيا عصر الرسالة السعيدة بين جوانحه في القرن العشرين، وجعل الإيمان والقرآن غاية له. إن غاية غايات الإسلام، أعني أساس التوحيد والإيمان بالله، هي أعظم أعمدته وأعمدة رسائل النور. وأظنه لو كان في خير القرون وبدء ظهور الإسلام، فلعل الرسول ﷺ كان يكلفه بمهمة تحطيم الأصنام في الكعبة. فقد كان عدواً للشرك وعبادة الأصنام أقصى درجات العداء".[١]

ويقول الأستاذ النورسي:

"إن التوحيد الحقيقي أسمى بكثير من معرفة تصورية مجردة، فهو حكمٌ وتصديقٌ وإذعانٌ وقبولٌ، بحيث يمكّن المرء من أن يهتدي إلى ربه من خلال كل شيء. ويرى في كل شيء السبيل المنورة التي توصله إلى خالقه الكريم، فلا يمنعه شيء قط عن سكينة قلبه واطمئنانه، واستحضاره لمراقبة ربّه".[٢]

---

[١] سيرة ذاتية، ص ٤٥٥.

[٢] الشعاعات، ص ١٩٧.

أي أن في كل شيء ابتداء من الذرات وانتهاء إلى المجرات، نافذةً تطل على التوحيد، وفي كل منها دلائل وإشارات تدل مباشرة على الواحد الأحد بصفاته الجليلة.

لذا لا يجد طالب النور المدقق ضرورة إلى قول: "لا موجود إلا هو" ليحصل على الحضور القلبي الدائم وتذكّر المعرفة الإلهية دائما. كما أنه لا يحتاج أيضا إلى قول: "لا مشهود إلاّ هو" كما هو الحال لدى قسم من أهل الحقيقة، لينعم بالحضور القلبي الدائم.. بل تكفيه إطلالة من نافذة الحقيقة السامية:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

والأستاذ النورسي لا ينقل إلى قراء الرسائل هذه الأركان الإيمانية علوماً نظرية مجردة، أو تصورات ذهنية باردة، وإنما ينقل لهم كيانه القرآني في تجربة كونية معرفية خصبة جداً، ذائبة في القرآن الكريم، إذ يقول: "ما كتبتُ إلاّ ما شاهدت، بحيث لم يبق لنقيضه عندي إمكانٌ وهمي..".[١]

يقول في بيان أهمية الإيمان الحي: "اعلم يقيناً أن أسمى غاية للخلق، وأعظم نتيجة للفطرة الإنسانية.. هو "الإيمان بالله".. واعلم أن أعلى مرتبة للإنسانية، وأفضل مقام للبشرية.. هو "معرفة الله" التي في ذلك الإيمان.. واعلم أن أزهى سعادة للإنس والجن، وأحلى نعمة.. هو "محبة الله" النابعة من تلك المعرفة.. واعلم أن أصفى سرور لروح الإنسان، وأنقى بهجة لقلبه.. هو "اللذة الروحية" المترشحة من تلك المحبة.

أجل! إن جميع أنواع السعادة الحقة، والسرور الخالص، والنعمة التي ما بعدها نعمة، واللذة التي لا تفوقها لذة، إنما هي في معرفة الله.. في محبة الله.

---

[١] المثنوي العربي النوري، ص١٠٤.

فلا سعادة، ولا مسرّة، ولا نعمة حقاً بدونها".[١]

لقد استطاعت هذه الرسائل بروحها القرآنية أن تأخذ بأيدي طلابها من الإيمان التقليدي إلى الإيمان التحقيقي والعروج بهم إلى معرفة الله سبحانه وتعالى، معرفة مَن يصدُق عليه حديث جبريل عليه السلام الذي سأل رسول الله ﷺ عن الإيمان والإسلام، ثم قال: "ما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك".[٢]

هذا الإيمان "التحقيقي الشهودي" هو الذي جعل طالب النور وكأنه في معية الله جلّ وعلا " فيفكر دائماً في حضور الخالق الرحيم سبحانه ورؤيته له، أي أنه حاضر وناظر إليه دائماً. فلا يلتفت عندئذٍ إلى غيره، ولا يستمد من سواه. حيث النظر والالتفات إلى ما سواه يخل بأدب الحضور وسكينة القلب".[٣]

٣-التركيز على الجانب الأخروي:

يقول الأستاذ النورسي:

"إن هذا العصر العجيب الذي أثقل كاهل الإنسان بالحياة الدنيوية بما كثّر عليه من متطلبات الحياة وضيّق عليه مواردَها، وحوّل حاجاته غير الضرورية إلى ضرورية بما ابتلاه من تقليد الناس بعضهم بعضاً ومن التمسك بعادات مستحكمة فيهم، حتى جعل الحياة والمعاش هي الغاية القصوى والمقصد الأعظم للإنسان في كل وقت. هذا العصر العجيب أسدل بهذه الأمور حجاباً دون الحياة الدينية والأخروية والأبدية، أو في الأقل جعلها أمراً ثانوياً أو ثالثياً بالنسبة له..".[٤]

---

[١] المكتوبات، ص٢٨٩.

[٢] حديث متفق عليه.

[٣] اللمعات، ص ٢٤٧.

[٤] الملاحق، ص ١٤٥.

ولما كانت رسائل النور تستقي من فيض القرآن وتستمد من بحره وترجع إليه، وأن رُبع القرآن الكريم آيات حول الآخرة، فما يفتح القارئ رسالة إلاّ ويجد فيها ما يذكّره بالآخرة تصريحاً أو تلميحاً أو إشارة، بأمثلة واقعية من حياته اليومية، فيغدو "الكون بسر التوحيد، بمثابة مزرعة تهيئ محاصيل وفيرة جداً لعالم الآخرة ومنازلها.. وبمثابة مصنع عظيم يهيئ لوازم لطبقات دار السعادة من أعمال بشرية غنية بمحاصيلها.. و بمثابة جهاز تصوير سينمائي دائب عظيم يضم مئات الألوف من أجهزة الالتقاط لالتقاط صور من الدنيا وعرضها مناظر سرمدية لأهل عالم البقاء ولأهل الشهود في الجنة".[١]

فضلا عن أنه تعلّم من الرسائل أن الآخرة ليست منتهى الدنيا، بل هي موجودة الآن فتُرسَل إليها أعماله وأقواله في كل آن، وبهذا يتكامل حسّه الأخروي، فتكون الآخرة قريبة إليه كأنه يشاهدها مشاهدة عين وبصيرة ويعايشها معايشة حياتية.

٤- الاهتمام البالغ بالانقياد لشريعتَي الله:

يقول الأستاذ النورسي: "الشريعة اثنتان:

إحداهما: هي الشريعة المعروفة لنا، التي تنظم أفعال وأحوال الإنسان، ذلك العالم الأصغر، والتي تأتي من صفة الكلام الإلهي.

الثانية: هي الشريعة الكبرى الفطرية، التي تنظم حركات وسكنات العالم، ذلك الإنسان الأكبر، والتي تأتي من صفة الإرادة الإلهية." [٢]

---

[١] الشعاعات، ص١٥.

[٢] المكتوبات، ص ٦١٣.

ويعلل تخلف المسلمين في الوقت الحاضر بعدم مراعاتهم عامة القوانين الكونية أي الشريعة الإلهية الفطرية في أمورهم، ويعدّ ذلك سبباً من أسباب ظهور الكفار عليهم. لذا ينالون جزاء عصيانهم لهذه القوانين الكونية عقوبة في الدنيا لأنه: "كما أن هناك طاعةً وعصياناً تجاه الأوامر الشرعية المعروفة، كذلك هناك طاعةٌ وعصيانٌ تجاه الأوامر التكوينية. وغالباً ما يرى الأول - مطيعُ الشريعة والعاصي لها - جزاءه وثوابه في الدار الآخرة. والثاني - مطيعُ السنن الكونية والعاصي لها - غالباً ما ينال عقابه وثوابه في الدار الدنيا. فكما أن ثواب الصبر النصر، وجزاء البطالة والتقاعس الذلُّ والتسفّل. كذلك ثواب السعي الغنى، وثواب الثبات التغلب. مثلما أن نتيجة السمِّ المرضُ، وعاقبةَ الترياقِ والدواء الشفاء والعافية...".[١]

يُفهم من هذا أن السنن الكونية الإلهية، شريعةَ الله الفطرية وقوانينَه النافذة، ساريةٌ في الكون كله جاريةٌ على المؤمن وغير المؤمن، فلابد إذن من مراعاتها والالتزام بها لأنها أوامر إلهية كونية كالأوامر الشرعية المعروفة، أي: أنّ مَن التزم بها بلغ مراده مؤمناً كان أم غير مؤمن، ومن خالفها عوقب عليها في الدنيا قبل الآخرة مؤمناً كان أم غير مؤمن.

وبناء على هذا يقول الأستاذ النورسي:

"إن من يشق طريقا في الحياة الاجتماعية ويؤسس حركة، لا يستثمر مساعيه ولن يكون النجاح حليفه، ما لم تكن الحركة منسجمة مع القوانين الفطرية التي تحكّم الكون، بل تكون جميع أعماله لأجل التخريب والشر".[٢]

---

[١] الكلمات، ص ٨٧٢.

[٢] اللمعات، ص١٦٠.

٥- التدرج الفطري وترك الاستعجال:

وهو أساس من الأسس المهمة التي تحث عليه رسائل النور. وجزء من قوانين الفطرة التي فُطر الخلق عليه ، ذلك لأن هذه الدنيا "دار حكمة" أي كل ما فيها مقرون بحكمة، وقد "وضع الله سبحانه وتعالى في وجود الأشياء تدريجاً وترتيباً أشبه ما يكون بدرجات السلم، وذلك بمقتضى اسمه" الحكيم"، فالذي لا يتأنّى في حركاته، إما أنه يطفر الدرجات فيسقط، أو يتركها ناقصة فلا يرقى إلى المقصود."[١] بمعنى: من استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه.

٦- عدم حصر الحق في المسلك بذاته:

إن حصر الحق في المسلك بذاته يعني أن يرى المرء نفسه في صواب دائما ويجعل المسالك الأخرى خاطئة أو باطلة. فيصفه الأستاذ النورسي بأنه "مصاب بمرض ضيق الفكر وانحصار الذهن الناشئين من حب النفس. ولاشك أنه مسؤول أمام رب العالمين عن تغافله عن شمول خطاب القرآن إلى البشرية كافة.

ثم إن فكر التخطئة هذا، منبع ثر لسوء الظن بالآخرين، والانحياز، والتحزب في الوقت الذي يطالبنا الإسلام بحسن الظن والمحبة والوحدة! ويكفيه بعداً عن روح الإسلام ما شقّ من جروح غائرة في أرواح المسلمين المتساندة، وما بثه من فرقة بين صفوفهم، فأبعدهم عن أوامر القرآن الكريم".[٢]

ولأجل تلافي هذا الفكر لابد من مراعاة الأسس الآتية بلوغا إلى الإخلاص:

---

[١] المكتوبات، ص ٣٦٢ .

[٢] صيقل الإسلام، ص٣٥٠.

"١ – أن يعمل المرء بمقتضى محبته لمسلكه فحسب، من دون أن يرد إلى تفكيره، أو يتدخل في علمه عداءُ الآخرين أو التهوين من شأنهم، أي لا ينشغل بهم أصلاً.

٢ - بل عليه أن يتحرى روابط الوحدة الكثيرة التي تربط المشارب المعروضة في ساحة الإسلام - مهما كان نوعها - والتي ستكون منابع محبة ووسائل أخوة واتفاق فيما بينها فيتفق معها.

٣- واتخاذ دستور الإنصاف دليلاً ومرشداً، وهو: أن صاحب كل مسلك حق يستطيع القول: "إن مسلكي حق وهو أفضل وأجمل" من دون أن يتدخل في أمر مسالك الآخرين، ولكن لا يجوز له أن يقول: "الحق هو مسلكي فحسب" أو "أن الحسن والجمال في مسلكي وحده" (بمعنى أنه حصر الحق في مسلكه) والذي يقضي على بطلان المسالك الأخرى وفسادها.

٤-العلم بأن الاتفاق مع أهل الحق هو أحد وسائل التوفيق الإلهي وأحد منابع العزة الإسلامية.."."[١]

٧- الاستغناء عن الآخرين مادياً ومعنوياً:

يقول الأستاذ النورسي: "نحن مكلّفون باتباع الأنبياء - عليهم السلام - في نشر الحق وتبليغه، وأن القرآن الكريم يذكر الذين نشروا الحق أنهم أظهروا الاستغناء عن الناس بقولهم: ﴿إن أجريَ إلاّ على الله﴾".[٢] ولهذا يتحرز قارئ رسائل النور عن ترقب أي أجر مادي أو معنوي من أي أحد كان وبأي شكل من الأشكال.

---

[١] اللمعات، ص٢٢٩.

[٢] المكتوبات، ص ١٦.

ولعل السؤال والجواب الآتي يغني عن أي إيضاح آخر. فقد سئل الأستاذ النورسي السؤال الآتي:

"لِمَ تقوم بما لم يقم به أحد من الناس، لمَ لا تلتفت إلى قوى على جانب عظيم من الأهمية، تستطيع أن تعينك في أمورك، فتخالف جميع الناس. بل تظهر استغناءً عنهم؟...

الجواب: إن أهل الإيمان - في الوقت الحاضر - محتاجون أشد الحاجة إلى حقيقة جليلة نزيهة بحيث لا يمكن أن تكون وسيلة للوصول إلى شئ، ولا تابعة لأي شئ كان، ولا سلماً للوصول إلى مآرب أخرى، ولا يتمكن أي غرض أو أي قصد كان من أن يلوثها، ولا تتمكن الفلسفة أو الشبهات أن تنال منها. فالمؤمنون محتاجون إلى مثل هذه الحقيقة النزيهة لترشدهم إلى حقائق الإيمان، حفاظاً على إيمان المؤمنين في هذا العصر الذي اشتدت فيه صولة الضلالة التي تراكمت شبهاتها منذ ألف سنة.

فانطلاقاً من هذه النقطة فإن رسائل النور لا تعبأ بالذين يمدّون لها يد المعاونة سواءً من داخل البلاد أو خارجها ولا تهتم بما يملكونه من قوى ذات أهمية بل ولا تبحث عنهم ولا تتبعهم. وذلك لكي لا تكون في نظر المسلمين عامة وسيلة للوصول إلى غايات دنيوية ولن تكون إلا وسيلة خالصة للحياة الخالدة الباقية. لذا فهي بحقيقتها الخارقة وبقوتها الفائقة تتمكن من إزالة الشبهات والريب الهاجمة على الإيمان...

حاصل الكلام: إن حقيقة الإخلاص تمنعني عن كل ما يمكن أن يكون وسيلة إلى كسب شهرة لبلوغ مراتب مادية ومعنوية...".[1]

---

[1] الملاحق، ص٢٦٥-٢٦٧.

٨- الحفاظ على قداسة الدين وعدم استغلاله لأي نفع دنيوي كان:

يقول الأستاذ النورسي:

" إن إظهار الدين الذي هو ملك مقدس للناس كافة - بالتحيز والتحزب - على أنه لا يخص إلاّ بمَن في مسلكه دون غيره، يثير الأكثرية الغالبة ضد الدين. فيكون سبباً في التهوين من شأن الدين.. فالدافع إذن هو التحيز.." [١].

نعم، الدين شيء طاهر ومقدس. لابد أن يبقى صافياً طاهراً بعيداً عن التحيز والتحزب والحقد والمذهبية والطائفية والسياسات الآنية، كي ينهل منه الجميع. وكيلا يتوهموا: "أن حقائق القرآن المقدسة - التي لا ينبغي أن تستغل لأي شيء كان - قد أستُغلت في ساحة الدعاية السياسية. علماً أن أفراد الأمة بجميع طبقاتها.. المعارضين منهم أو المؤيدين، الموظفين منهم أو العامة.. جميعهم لهم حصة في تلك الحقائق القرآنية وهم بحاجة إليها.."[٢] "ولأجل اطمئنان عوام المؤمنين وتقبلهم حقائق الإيمان دون أن يساورهم أي تردد، يلزم في الوقت الحاضر، وجود معلّمين، يحملون من الإيثار ما يجعلهم يضحون لا بمنافعهم الدنيوية وحدها، بل بمنافعهم الأخروية أيضاً في سبيل منافع أهل الإيمان الأخروية. فيكون ذلك الدرس الإيماني خالصاً نقياً بحيث لا يفكرون فيه بالمنافع الشخصية مهما كانت. بل يسعون في الخدمة الإيمانية، بالحقائق، نيلاً لرضا الله، وعشقاً للحقيقة، وشوقاً إلى الحق، والسداد الذي في الخدمة، وذلك ليطمئن كل من يحتاج إلى الإيمان اطمئناناً تاماً دون حاجة إلى إيراد الأدلة له، ولكي لا يقول: "انه يخدعنا ويستميلنا" وليعلم أن الحقيقة قوية بذاتها إلى حد لا يمكن أن تتزعزع بأي حال من الأحوال، ولا تكون أداةً طيعة

---

[١] صيقل الإسلام، ص٣٦١ .

[٢] الشعاعات، ص٤٢٤ .

لأي شئ كان.. فيقوى إيمانه عندئذٍ ويقول: "حقاً إن ذلك الدرس الإيماني هو عين الحقيقة" وتمحى شبهاتُه ووساوسه" [١].

رحم الله تعالى أستاذنا النورسي رحمة واسعة وأجزل مثوبته، وجزاه عن الأمة الإسلامية خير الجزاء وحشره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

والله نسأل أن يوفقنا إلى حسن القصد وصحة الفهم وصواب القول وسداد العمل.

وصل اللّهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

* * *

[١] الملاحق، ص ٢٢.

وحدة الأمة الإسلامية
وجهود النورسي العملية في سبيل إقامتها[1]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين

حضرات الأساتذة الكرام والأخوة الأعزاء والأخوات الفاضلات

نحييكم بتحية الإسلام من أعماق قلوبنا ومن صميم أفئدتنا فنقول :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛ وبعد

فإن الحمد لله وحده أولاً وآخراً بدءاً وختاماً . إذ هو الذي جمعنا على الهدى والتقوى و الإيمان والمحبة الخالصة لوجهه الكريم.

مقدمة:

قبل الخوض بالبحث لابد أن نلقي ضوءاً على حياة بديع الزمان سعيد النورسي..

ولد في مطلع القرن الهجري الماضي سنة ١٢٩٣هـ (١٨٧٦م) في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، وجاهد الروس في الحرب العالمية الأولى وقائداً

---

[1] بحث أُلقي في ندوة وحدة الأمة الإسلامية في القرن الحادي والعشرين- نظمها المعهد العالمي لوحدة المسلمين، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا في ١-٢ /١١/ ٢٠٠٣م. وألقي كذلك في جامعة كوشتيا ببنغلاديش في ٢٨/١٢/ ٢٠١٩.

شعبياً لفرقة الأنصار.. وعاصر حرب الاستقلال.. وشاهد المنعطف الخطير الذي بدأ منذ سنة ١٩٢٣م حيث وُضعت قوانين لإبعاد الإسلام عن الحياة الاجتماعية وممارسات الدولة.. انصرف كلياً إلى تدبّر معاني القرآن الكريم... أخذته الأقدار نفياً من مدينة إلى أخرى طوال ربع قرن.. وفي هذه الأثناء تولدت من صميم قلبه معانٍ جليلة نابعة من فيوضات القرآن الكريم.. تلك هي المائة والثلاثون رسالة في بيان حقائق القرآن والتي أطلق عليها إسم "رسائل النور".. تلقفتها الأيدي الأمينة بالاستنساخ والنشر والقراءة والدراسة والالتزام بها.

توفاه الله سنة ١٩٦٠م ودفن في مدينة أورفة. ثم نبشت السلطات العسكرية آنذاك قبره وأُخذ جثمانه إلى مكان مجهول ، ومازال قبره مجهولاً. رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جنانه.

ما أشبه الليلة بالبارحة:

بعد أن سقطت الدولة العثمانية، وتداعى الأكلة على قصعتها، اقتسمت دول الحلفاء أوصال الرجل المريض فيما بينها بعد أن هيأت الأجواء الملائمة باستعداء المسلمين ضد الدولة العثمانية. يصف الأستاذ النورسي هذا الوضع المأساوي بالآتي:

"ها هو الهندي جالس يبكي على رأس أبيه الذي قتله ، ظناً منه أنه عدوّه.. وها هما التتار والقفقاس، واقفان عند قدمي جثة ساعدا على قتلها.. وبعد فوات الأوان يدركان أنها والداهما.. وها هم العرب قتلوا شقيقهم البطل خطأً، ومن حيرتهم لا يعرفون كيف يبكون وينتحبون.. وهاهي أفريقيا قتلت أخاها دون علم به، والآن تصرخ وتولول.. وها هو العالم الإسلامي ساعد على قتل ولده المقدام غافلاً دون علم به. فهو يلطم وينفّش شعره كالوالدة الحنون.

فالملايين من المسلمين دُفعوا إلى سياحات طويلة في العالم، تحت لواء العدو الذي هو الشر المحض".[١] وأصبحت الدول التي تنعم اليوم بالاستقلال، ترزح تحت نير الاستعمار. إذ كانت كل من مصر، وباكستان، وماليزيا، وبنغلادش، وافغانستان، والصومال، والسودان، وبرونى، ومولديف، ونيجيريا تحت الاحتلال الإنكليزي؛ والجزائر، وجيبوتي، وتشاد، والمغرب، والغابون، وغينا، وجزر القمر، ومالي، وموريتانيا، والنيجر، وتونس تحت الاحتلال الفرنسي؛ وإندونيسيا تحت الاحتلال الإنكليزي والهولندي، ودخلت ليبيا تحت الاحتلال الإيطالي. والجمهوريات التركية اليوم كانت أمارات صغيرة عندما دخلت تحت الاحتلال الروسي وألحقت به، وابتلعت الصين مسلمي أتراك الشرق الأقصى.

ولكن الثقة بالله أعظم

يقول النورسي: "ذهبتُ إلى "تفليس" وصعدت تل الشيخ صنعان، كنت أتأمل تلك الأرجاء وأراقبها. اقترب مني أحد رجال البوليس (الروسي) فقال:

- بمَ تنعم النظر؟

قلت: أخطط لمدرستي!

قال: من أين أنت؟

قلت: من بتليس

قال: وهنا تفليس!

قلت: بتليس وتفليس شقيقتان

قال: ماذا تعني؟

---

[١] صيقل الإسلام، ص ٣٦٥.

قلت: لقد بدأ ظهور ثلاثة أنوار متتابعة في آسيا، في العالم الإسلامي، وستظهر عندكم ثلاث ظلمات بعضها فوق بعض. سيُمزّق هذا الستار المستبد ويتقلص، وعندها آتي إلى هنا وأنشئ مدرستي.

قال: هيهات ! إنني أحار من فرط أملك؟

قلت: وأنا أحار من عقلك! أيمكن أن تتوقع دوام هذا الشتاء؟ إن لكل شتاء ربيعاً ولكل ليل نهاراً.

قال: لقد تفرق المسلمون شذر مذر.

قلت: ذهبوا لكسب العلم، فها هو الهندي الذي هو ابن الإسلام الكفوء يدرس في إعدادية الإنكليز.

وها هو المصري الذي هو ابن الإسلام الذكي يتلقى الدرس في المدرسة الإدارية السياسية للإنكليز..

وها هو القفقاس والتركستاني اللذان هما ابنا الإسلام الشجاعان يتدربان في المدرسة الحربية للروس.. الخ.

فيا هذا! إن هؤلاء الأبناء البررة النبلاء، بعد ما ينالون شهاداتهم، سيتولى كل منهم قارة من القارات، ويرفعون لواء أبيهم العادل، الإسلام العظيم، خفاقاً ليرفرف في آفاق الكمالات، معلنين سر الحكمة الأزلية المقدرة في بني البشر رغم كل شيء".[1]

تشخيص العدو

نعم، "إن الذي أردانا إلى هذا الوضع وحال بيننا وبين إعلاء كلمة الله هو

---

[1] صيقل الإسلام، ص ٣٧٢،

مخالفتنا للشريعة الغراء نتيجة "جهلنا" بها.. و"البؤس أو الفقر الشديد" الذي أثمر سوء الأخلاق وسوء المعاملات.. و"الاختلاف" الذي أنتج الأغراض الشخصية والنفاق.."[١] "وسنجاهد هؤلاء الأعداء الثلاثة بسلاح الصناعة، والمعرفة، والاتفاق".[٢]

ويستطرد الأستاذ النورسي في مواطن كثيرة من رسائل النور وبأساليب متنوعة، في كيفية دفع الأعداء الثلاثة، شارحاً: "بأن العداء والمحبة كالضياء والظلام لا يجتمعان أبداً، فإذا تغلب العداء، انقلبت المحبة إلى مداراة وتصنّع، أما إذا تغلبت المحبة فالعداء ينقلب إلى ترحّم وإشفاق ورقّة قلب".[٣]

وقد خص مباحث الأخوة وكذا الإخلاص برسائل مستقلة. وبيّن في الوقت نفسه كيفية التعامل مع غير المسلمين.. وهكذا تناول مواضيع الوحدة والاتحاد والتوفيق والوفاق بأسلوب شيق في كثير جداُ من الأماكن في الرسائل.

ولعل بيان فكر النورسي في دحر هذه الأعداء والوصول إلى مراقي التقدم والسعادة الدنيوية والأخروية معا يستحق أن يكون موضع كتاب أو دراسة أكاديمية مستفيضة. إلاّ أننا هنا نقتصر البحث على الخطوات العملية التي نفّذها الأستاذ النورسي في حياته لإزالة الأعداء أو التخفيف من حدّتهم.

بعض القواعد الأساسية:

- "أوجب الفرائض في هذا الوقت هو اتحاد الإسلام (الوحدة الإسلامية)".[٤]

---

[١] صيقل الإسلام، ص ٥٣٥.
[٢] صيقل الإسلام، ص ٤٤٣.
[٣] صيقل الإسلام، ص ٤٢٣.
[٤] صيقل الإسلام، ص ٥٢٩.

- "الاتفاق مع أهل الحق هو أحد وسائل التوفيق الإلهي وأحد منابع العزة الإسلامية".[١]

- "لا يعتذرنّ أحدكم بالقول: "إننا لا نضرّ أحداً ولكننا لا نستطيع أن ننفع أحداً أيضاً. فنحن معذورون إذن". فعذركم هذا مرفوض، إذ إن تكاسلكم وعدم مبالاتكم وتقاعسكم عن العمل لتحقيق الاتحاد الإسلامي والوحدة الحقيقية للأمة الإسلامية، إنما هو ضرر بالغ وظلم فاضح".[٢]

- "لا تثر الاختلاف لأجل الأحق بعد وجدانك الحق"[٣] إذ "أحيانا يضيع الحق لدى التنقيب عن الأحق فإن كان الاتفاق في الحق اختلافاً في الأحق يكون الحقُ أحقَ من الأحق.."[٤] إذ يحق:"لكل مسلم أن يقول في مسلكه ومذهبه: أن هذا "حق" ولا أتعرض لما عداه. فإن يك جميلاً فمذهبي أجمل. بينما لا يحق له القول في مذهبه: إن هذا هو الحق وما عداه باطل. وما عندي هو الحسن فحسب وغيره قبيح وخطأ! إن ضيق الذهن وانحصاره على شيء، ينشأ من حب النفس ثم يكون داءً. ومنه ينجم النزاع".[٥]

أمل المستقبل

والمقصود من الأمل شدة الاعتماد على الرحمة الإلهية والثقة بها، فالأستاذ النورسي كان شديد الإيمان بأن العالم الإسلامي سوف يستطيع التغلب على جميع المصاعب، وسوف يكون رائداً للإنسانية حتى في الناحية المادية وسيؤسس سلاماً يعم العالم كله، فيقول:" إن المستقبل سيكون للإسلام، وللإسلام وحده. وإن

---

[١] اللمعات، ص ٢٢٩.
[٢] صيقل الإسلام، ص ٥١١.
[٣] الكلمات، ص ٨٦٣ .
[٤] سيرة ذاتية، ص ١٣٦.
[٥] الكلمات، ص ٨٦٣.

الحكم لن يكون إلاّ لحقائق القرآن والإيمان".[١] "وعلى هذا فإن المستقبل الذي لا حكمَ فيه إلاّ للعقل والعلم، سوف يسوده حكم القرآن الذي تستند أحكامُه إلى العقل والمنطق والبرهان".[٢]

موقفه من الاختلافات

يقول: "إن من أهم أسباب تأخرنا في مضمار المدنية، هو تباين الأفكار واختلاف المشارب لدى منتسبي المدارس الحديثة، وأهل المدارس الدينية، وأصحاب الزوايا والتكايا.. وهؤلاء يعدّون مرشدين عموميين للناس جميعاً".[٣] فوقف أمام هذه الاختلافات كلها موقف القاضي العادل والطبيب الحاذق متجاوزاً الجزئيات التي أفرزها الجهل والتعصب المقيت، ووازن بين الآراء والاتجاهات كلها بميزان الحق الذي لا يميل إلى جانب دون آخر. حتى إنه عندما سئل:

- "ما رأيك في الاختلافات الرهيبة بين علماء العالم الإسلامي؟ وماذا تقول فيها؟ كان جوابه:

- إن العالم الإسلامي في نظري كمجلس النواب (البرلمان) غير المنتظم أو كمجلس الشورى اختل نظامه..".[٤]

انتشار الفكر القومي

ولا يخفى أن الفكر القومي قد انتشر في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي في أنحاء من الدولة العثمانية كالبلقان وبلاد الشام والعراق بتشجيع من الدول الأوروبية والتي ساندت أيضاً الأقليات الدينية مستغلة قانون الامتيازات الأجنبية.

---

[١] صيقل الإسلام، ص ٤٩٢.
[٢] صيقل الإسلام، ص ٤٩٥.
[٣] صيقل الإسلام، ص ٤٧٣.
[٤] صيقل الإسلام، ص ٣٩٨.

وازداد هذا التيار قوة بعد تسلم الاتحاد والترقي السلطة ودعوتهم إلى القومية الطورانية.

يذكر الأستاذ النورسي أضرار هذه النعرة القومية والعنصرية ويخلص إلى نتيجة مشروعه الذي استهدفه طوال حياته. فيقول:

"فرّقت (القومية) الناس شرّ فرقة في بداية عهد الحرية وإعلان الدستور، حيث تأسست النوادي والتكتلات، كما استغلت إثارة النعرة القومية مجدداً للتفريق بين الاخوة العرب النجباء وبين الأتراك المجاهدين، فعمّ الاضطراب وسُلبت راحة الناس.. ."[١]

وقد تناول هذا الفكر القومي بموضوعية تامة وواقعية معتدلة لدى شرحه للآية الكريمة: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (الحجرات: ١٣).

فيقول: " أي: خلقناكم طوائف وقبائل وأمماً وشعوباً كي يعرف بعضكم بعضاً وتتعرفوا على علاقاتكم الاجتماعية، لتتعارفوا فيما بينكم، ولم نجعلكم قبائل وطوائف لتتناكروا فتتخاصموا ".[٢] وبيّن أن القومية إذا خرجت عن حدّ الاعتدال إلى التطرف والعنصرية فإنها تفرّق الأمة وتشتتها، لأن "شأن العنصرية الاعتداء إذ تكبر بابتلاع غيرها وتتوسع على حساب العناصر الأخرى".[٣]

وفي الوقت نفسه ميّز بين الإيجابي والسلبي من القومية فقال: "إن نمو الشعور القومي في الشخص إما أن يكون إيجابيا أو سلبياً:

---

[١] الملاحق، ص ٤١٧-٤١٩.
[٢] المكتوبات ص ٤١٣ ، .
[٣] الملاحق ص ٤١٧.

فالإيجابي ينتعش بنمو الشفقة على بني الجنس التي تدفع إلى التعاون والتعارف.

أما السلبي فهو الذي ينشأ من الحرص على العرق والجنس الذي يسبب التناكر والتعاند. والإسلام يرفض هذا الأخير".[١] وبيّن أن " إقامة القومية بديلا عن الإسلام جناية".[٢]

العلاج

يضع الأستاذ النورسي وصفته العلاجية للأمراض التي ألمّت بالأمة الإسلامية في رسالة "الخطبة الشامية" بوضوح تام. ولخص مشروعه في رسالته التي أرسلها إلى كل من رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء في سنة ١٩٥٠م. نقتطف منها الآتي:

"قبل خمسة وستين عاماً (المقصود سنة ١٨٩٧م) أخبرني وال من الولاة أنه قرأ في الصحف بأن وزير المستعمرات البريطاني خطب في مجلس العموم البريطاني وبيده نسخة من المصحف الشريف قائلاً: إننا لا نستطيع أن نحكم المسلمين ما دام هذا الكتاب بيدهم، فلا مناص لنا من أن نزيله من الوجود أو نقطع صلة المسلمين به.

وهكذا دأبت المنظمات المفسدة الرهيبة على تحقيق هاتين الخطتين: إسقاط شأن القرآن الكريم من أعين الناس، وفصلهم عنه. فسعوا في هذا المضمار سعياً حثيثاً للإضرار بهذه الأمة المنكوبة البريئة المضحية.

وقد قررتُ أن أُجابه هذه المؤامرات الخطرة مستمداً القوة من القرآن العظيم، فألهمني قلبي طريقاً قصيراً إلى الحقيقة (وهي رسائل النور)، وإنشاء جامعة ضخمة

---

[١] صيقل الإسلام، ص ٣٣٥.

[٢] المكتوبات، ص ٤١٦.

(وهي مدرسة الزهراء).. ولأجل إنماء علاقات الأخوة بين الأقوام الإسلامية، وجدنا وسيلتين في هذه السبيل:

الوسيلة الأولى:

رسائل النور التي تقوي وشائج الأخوة الإيمانية بتقوية الإيمان. والدليل على ذلك تأليفها في وقت الظلم والقسوة الشديدة، وتأثيرها البالغ في أنحاء العالم الإسلامي وفي أوروبا وأمريكا - في الوقت الحاضر - وغلبتها على المخلّين بالنظام والفلسفة الملحدة، وظهورها على المفاهيم الإلحادية السارية كالفلسفة الطبيعية والمادية.

الوسيلة الثانية:

إنشاء جامعة، إذ من الضروري إنشاء جامعة في آسيا على غرار الجامع الأزهر الذي هو مدرسة عامة في قارة أفريقيا، بل يجب أن تكون أوسع منه بنسبة سعة آسيا على إفريقيا. وذلك:

١- لئلا تفسد العنصرية الأقوام في البلدان العربية والهند وإيران والقفقاس وتركستان وكردستان وذلك لأجل إنماء الروح الإسلامية التي هي القومية الحقيقية الصائبة السامية الشاملة فتنال شرف الامتثال بالدستور القرآني ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات: ١٠).[١]

٢- ولتتصافح العلوم النابعة من الفلسفة مع الدين"[٢]. إذ تفتح هذه المدرسة مجرى " العلوم الكونية الحديثة إلى المدارس الدينية، فاتحة نبعاً صافياً لتلك العلوم، بحيث لا ينفر منها أهل المدارس الدينية".[٣] حيث تدرّس فيها العلوم الكونية

---

[١] صيقل الإسلام، ص ٤٣٠.

[٢] الملاحق، ص ٤١٦.

[٣] صيقل الإسلام، ص ٤٣٠.

الحديثة ممتزجة بالعلوم الإسلامية. وذلك لأن: "ضياء القلب هو العلوم الدينية، ونور العقل هو العلوم الحديثة، فبامتزاجهما تتجلّى الحقيقة، فتتربّى همة الطالب وتعلو بكلا الجناحين، وبافتراقهما يتولد التعصب في الأولى والحيل والشبهات في الثانية".[١] وهكذا تتفق المدارس الحديثة وتتعاون مع المدارس الشرعية.

وهكذا "تصالح هذه المدرسة بين أهل المدرسة الدينية والمدرسة الحديثة وأهل الزوايا التكايا وتجعلهم يتحدون - في الأقل- في المقصد، لما تحدث فيما بينهم من ميول للتقارب والتواصل وتبادل الأفكار والخبرات.

نعم، إننا نشاهد بأسى وأسف أن تباين أفكارهم كما فرّق الاتحاد فيما بينهم فإن تخالف مشاربهم قد أوقف التقدم والرقي أيضاً، وذلك لأن كلاً منهم بحكم التعصب لمسلكه ونظره السطحي لمسلك الآخر، انساق إلى الإفراط والتفريط، ففرّط هذا بتضليل ذاك، وأفرط ذاك بتجهيل هذا.

والخلاصة: إن الإسلام لو تجسّم لكان قصراً مشيداً نورانياً ينور الأرض ويبهجها. فأحد منازله مدرسة حديثة، وإحدى حجراته مدرسة دينية، وإحدى زواياه تكية، ورواقه مجمع الكل، ومجلس الشورى، يكمل البعض نقص الآخر..".[٢]

لذا بذلتُ جهدي كله لتأسيس هذه الجامعة في مركز الولايات الشرقية التي هي وسط بين الهند والبلاد العربية وإيران والقفقاس وتركستان، وسميتها (مدرسة الزهراء). فهي مدرسة حديثة ومدرسة شرعية في الوقت نفسه. فمثلما بذلت جهدي في سبيل إنشاء هذه الجامعة بذلته في سبيل نشر رسائل النور...".[٣]

---

[١] صيقل الإسلام، ص ٤٢٨.

[٢] صيقل الإسلام، ص ٤٣٠.

[٣] الملاحق، ص ٤١٦.

ومن فوائدها وثمراتها أيضاً:

- توحيد المدارس الدينية وإصلاحها...
- إنقاذ الإسلام من الأساطير والإسرائيليات والتعصب الممقوت..

نعم إن شأن الإسلام الصلابة في الدين وهي المتانة والثبات والتمسك بالحق، وليس التعصب الناشئ عن الجهل وعدم المحاكمة العقلية، وفي نظري إن أخطر أنواع التعصب هو ذلك الذي يحمله قسم من مقلدي أوربا وملحديها، حين يصرّون بعناد على شبهاتهم السطحية، وليس هذا من شأن العلماء المتمسكين بالبرهان.. إذ إن أهم الموانع، والبلاء النازل هو توهمنا - نحن والأجانب - بخيال باطل؛ وجود تناقض وتصادم بين بعض ظواهر الإسلام وبعض مسائل العلوم. فمرحى لجهود المعرفة الفياضة وانتشارها، وبخٍ بخٍ لعناء العلوم الغيورة، اللتين أمدّتا تحري الحقائق وشحنتا الإنسانية، وغرستا ميل الإنصاف في البشرية فجهزتا تلك الحقائق بالأعتدة لدفع الموانع، فقضت وستقضي عليها قضاءً تاماً.

نعم! إن أعظم سبب سلب منا الراحة في الدنيا، وحرم الأجانب من سعادة الآخرة، وحجب شمس الإسلام وكسفها هو: سوء الفهم وتوهم مناقضة الإسلام ومخالفته لحقائق العلوم.

فيا للعجب! كيف يكون العبد عدوّ سيده، والخادم خصم رئيسه، وكيف يعارض الابن والده!! فالإسلام سيد العلوم ومرشدها ورئيس العلوم الحقة ووالدها".[١]

ومن الجدير بالذكر أن الأستاذ النورسي بذل قصارى جهده لتحقيق هذا المشروع ويراه بصورته المادية كجامعة إسلامية إلا أن الله تبارك وتعالى قد

---

[١] سيرة ذاتية، ص ٥٠٦.

عوّض عن جامعة محصورة في مكان محدود إلى جامعة مفتوحة وواسعة سعة العالم. تلك هي (رسائل النور).. فاجتمعت بفضل الله تعالى الوسيلتان معا وتحققتا فعلاً.

نداء

"فيا أهل الحق! ويا أهل الشريعة والحقيقة والطريقة! ويا من تنشدون الحق لأجل الحق! اسعوا في دفع هذا المرض الرهيب، مرض الاختلاف، بتأدبكم بالأدب الفرقاني العظيم، ألا وهو: ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغوِ مَرُّواْ كِرَاما﴾ (الفرقان: ٧٢)، فاعفوا عن هفوات إخوانكم واصفحوا عن تقصيراتهم، وغضوا أبصاركم عن عيوب بعضكم البعض الآخر، ودعوا المناقشات الداخلية جانباً. فالأعداء الخارجيون يغيرون عليكم من كل صوب، واجعلوا إنقاذ أهل الحق من السقوط والذلة من أهم واجباتكم الأخروية وأولاها بالاهتمام، وامتثلوا بما تأمركم به مئات الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة من التآخي والتحابب والتعاون، واستمسكوا بكل مشاعركم بعرى الاتفاق والوفاق مع إخوانكم في الدين ونهج الحق المبين بأشد مما يستمسك به الدنيويون الغافلون، واحذروا دائماً من الوقوع في شباك الاختلاف".[١]

"نحن على أمل عظيم برحمة الله أنه بعد مرور أربعين أو خمسين عاماً تتحدون فيما بينكم - كما اتحدت الجماهير الأمريكية - وتتبوأون مكانتكم السامية وتوفّقون بإذن الله إلى إنقاذ السيادة الإسلامية المأسورة وتقيمونها كالسابق في نصف الكرة الأرضية بل في معظمها. فإن لم تقم القيامة فجأة فسيرى الجيل المقبل هذا الأمل".[٢]

---

[١] اللمعات، ص ٢٣٥.

[٢] صيقل الإسلام، ص ٥١٢.

والله نسأل أن يوفقنا إلى حسن القصد وصحة الفهم وصواب القول وسداد العمل.

وصل اللّهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

* * *

تعقيب:

ذكر أحد الأساتذة في ثنايا المناقشات كلامًا جميلًا عن الأستاذ النورسي، أودّ تسجيله هنا:

"أثنى الأستاذ النورسي في يوم من الأيام على طلاب سعيد القديم قائلا: إنهم كانوا يضحون بأرواحهم في سوح القتال، ولقد أبلوا بلاء حسنًا في الحرب العالمية الأولى.. ولكنه عقّب مباشرة: إن طلاب سعيد الجديد أكثر تضحية منهم حيث إنهم يضحون بحياتهم كلها، فالشهادة تنتهي بطلقة واحدة وتنتهي في دقائق، ولكن الذي يضحي بحياته يستشهد في كل دقيقة بل في كل لحظة وهي مستمرة طوال الحياة".

أبعاد جمالية
في دعوة الإيمان والقرآن [1]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد

فقد منّ المولى الكريم علينا وفتح لنا وساقنا إلى ترجمة الأعمال الكاملة للأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي وهي رسائل النور من اللغة التركية إلى اللغة العربية. وأود أن أعرض طرفًا مما لمسناه لمس اليد من الأبعاد الجمالية لدعوة رسائل النور، دعوة الإيمان والقرآن، وذلك عملاً بقوله تعالى ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ فأقول:

لقد وجدنا بفضل الله وكرمه سلواناً لآلامنا ورجاء أرواحنا في أثناء قيامنا بأعمال الترجمة على الرغم من الأيام العصيبة والسنين العجاف التي امتحننا بها القدر الإلهي تلك الحرب العراقية الإيرانية التي دامت ثماني سنوات.

نعم، هذا ما لمسناه لمس اليد من جمالية الروح القرآنية في رسائل النور التي كانت تسيل كالسلسبيل إلى عقولنا وتسري سريانا إلى أرواحنا وقلوبنا

---

[1] بحث ألقي في كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة ابن زهر، أكادير – المغرب، ١/٤/ ٢٠٠٥م.

فتستقر فيها بإذن الله. فللّه الحمد في الأولى والآخرة.

فلقد علّمتنا رسائل النور: أن الحُسن والخير والحق والكمال، هو المقصود بالذات والغالب المطلق في خلق العالم. أما الشر والقبح والباطل، فهي أمور تبعية ومغلوبة ومغمورة، وحتى لو كانت لها الصولة فهي صولة موقتة...[١]

وعلّمتنا القاعدة الجليلة: مَنْ أحسنَ رؤيتَه حَسُنتْ رَويّتُه وجَمُل فكرُه ومَن جمُل فكرُه تمتع بالحياة والتذّ بها.[٢] بما وضعت أمامنا من أمثلة غزيرة من واقع الحياة.

فالنظر إلى الأحسن من كل شيء هي القاعدة التي ينطلق منها الأستاذ النورسي في رؤيته إلى جمال كل ما يقع عليه بصرُه وإن كان يبدو في ظاهر الأمر كريها. ويستخلص لنا مما يورده من الأمثلة الكثيرة أن:

العاقل هو مَن يعمل على قاعدة: (خذ ما صفا.. دع ما كدر) فيسير مع سلامة القلب واطمئنان الوجدان.[٣]

وهكذا بأمثال هذه القواعد والأمثلة الواقعية من الحياة وضعت الرسائل فينا زاوية النظر إلى الوجود والحوادث. فعلّمتنا كيف تتفجر ينابيع الجمالية في أعماق الإنسان بأخذه بتلك القواعد، وكيف نتعامل مع تجليات الأسماء الإلهية الحسنى المتجلية في الوجود كله. منبّهة إيانا أن الإنسان ابتداءً من أسرار نفسه وأعماق حياته إلى جزئيات الكون الواسع، إن لم يتلق معاني تلك الأسماء الجليلة في حياته لتنوّرها، لا يرى الجمال في الوجود ولا يتعظ بالعبر والحكم في الحوادث.

---

[١] صيقل الإسلام، ص ٥٣.

[٢] المكتوبات، ص ٦٠٦.

[٣] نفسه ص ٣٦.

حيث لفتت أنظارنا إلى أن الموجودات كلها تفتقر إلى معنىً في ذاتها، وتحتاج لمعرفة ماهيتها إلى اسم من الأسماء الحسنى؛ فشعرنا أننا نزاول تفاعلاً ذوقياً وقلبياً وروحياً وفكرياً مع معاني الأسماء الحسنى، لا تعاملا نظريًا، بل استكشافياً، حتى أصبحت هذه النظرة لدينا مَلَكة وجزءاً من فطرتنا؛ فشاهدنا أنوار تجليات تلك الأسماء الحسنى فيما حولنا من موجودات، وفيما تجري من حوادث يومية حولنا، بل في كل شيء من جزئيات الحياة، وذلك لكثرة ما وضعت الرسائلُ بين أيدينا من أمثلة من واقع الحياة، فبتنا نستنشق تلك المعاني الجمالية بعقولنا ونتنفسها بقلوبنا وأرواحنا بل بجميع لطائفنا وأحاسيسنا ومشاعرنا.

وبهذا أصبحت الموجودات والحوادث في رؤيتنا مظاهرَ لتجليات الأسماء الحسنى ومكاتيب ربانية مفتوحة أمامنا نفهم منها معانيها الحقيقية، حتى لم يبق مجال للغفلة عن المولى الكريم، بل كسبنا بهذا التأمل والتدبر مرتبة من الاطمئنان القلبي واسعة سعة الكون، وانفتحت أمامنا عبودية دائمة وواسعة سعة الكون.. وعندها تحولت أنواع العلوم والمعارف التي قرأناها من خلال مناهج دراسية وأشكال الثقافة التي تلقيناها من مطالعاتنا للكتب وعَبر قنوات ثقافية وإعلامية المسموعة منها والمرئية إلى أدوات لمعرفة الله ونوافذ تطل على وحدانيته ومسارب للعيش في أجواء تجليات الأسماء الحسنى. وكلما عاودنا قراءة الرسائل، ظهرت لنا من معاني الأسماء الحسنى أكثر، وأتتنا حقائقُها ترى في تجاربنا اليومية وفي معاملاتنا الحياتية. وكلما انسكبت أنوارٌ من تلك المعرفة الإلهية إلى أرواحنا ونفذت إلى قلوبنا انعكست في سلوكياتنا وتصرفاتنا.

علاوة على ذلك أنعشت الرسائل أرواحَنا وغرزت في قلوبنا ورسّخت في عقولنا أصولاً إيمانية وموازين قرآنية، مما أعاننا على اجتياز العقبات التي جابهتنا وحلِّ المشكلات التي قابلتنا.

فغنِمنا بفضل الله تعالى فراسة صادقة وبصيرة نافذة وأنواعاً من السعادة

الحقة، والسرور الخالص، والنعمة التي ما بعدها نعمة، واللذة التي لا تفوقها لذة.. في معرفة الله.. في محبة الله.

انقل إلى أسماعكم مثالا واحدا فقط يبين به الأستاذ النورسي كيف يتحول الموت الذي هو أخوف ما يخافه الناس إلى سلوان. يقول:

"نظرت أول ما نظرت إلى ذلك الوجه الذي يُرعب الجميع ويُتوهم أنه مخيف جداً.. وهو وجه الموت فوجدت بنور القرآن الكريم، أن الوجه الحقيقي للموت بالنسبة للمؤمن صبوحٌ منوّر، على الرغم من أن حجابه مظلم والستر الذي يخفيه يكتنفه السواد القبيح المرعب. فالموت: ليس إعداماً نهائياً، ولا هو فراقاً أبدياً، وإنما مقدمة وتمهيد للحياة الأبدية وبداية لها. وهو إنهاءٌ لأعباء مهمة الحياة ووظائفها ورخصةٌ منها وراحة وإعفاء، وهو تبديل مكان بمكان، وهو وصالٌ ولقاءٌ مع قافلة الأحباب الذين ارتحلوا إلى عالم البرزخ..

وهكذا، بمثل هذه الحقائق شاهدتُ وجه الموت المليح الصبوح. فلا غرو لم أنظر إليه خائفاً وجلاً، وإنما نظرت إليه بشيء من الاشتياق."[١] ويقول مخاطبا نفسه:

"إن أحبَّتك كلَّهم، وعلى رأسهم وفي مقدمتهم حبيب الله ﷺ ، هم الآن في الطرف الآخر من القبر. فلم يبق هنا إلاّ واحدٌ أو اثنان وهم أيضاً متأهبون للرحيل."[٢] ويقول:

"اعلم! أيها السعيد الشقي! إن القبر باب باطنه الرحمة، وظاهره من قِبَله العذاب.. وأودّاؤك ومَن تحبُّه أكثرُهم - حتى كلُّهم - ساكنون خلف هذا الباب. ألَمْ يأنِ لك أن تشتاق إليهم وإلى عالَمِهم.. فَتنظَّفْ، وإلاّ استقذروك!.

---

[١] اللمعات، ص٣٥٧.

[٢] الكلمات، ص١٩٣.

لو قيل لك مثلاً: أن الإمام الرباني أحمد الفاروقي قُدّس سرُّه[١]، ساكن الآن في الهند، لاقتحمتَ المهالك وتركتَ الأوطان لزيارته. مع أن تحت اسم أحمد فقط ألوفُ نجومٍ حول شمسِ مَن في الإنجيل اسمُه (أحمد) وفي التوراة (أُحيد) وفي القرآن (محمد).. وتحت اسم محمّد ملايين.. وهكذا كلُّهم خلف باب القبر في رحمة الله ساكنون. فلابد أن يكون نصبَ عينك دائماً هذه الأساسات وهي:

إنْ كنتَ له تعالى كان لك كلُّ شيء، وإنْ لم تكن له كان عليك كلُّ شيء.

وكلُّ شيء بِقَدَرٍ، فارضَ بما آتاك تزد يُسْراً على يُسْرٍ، وإلاّ زدْتَ مرضاً على مرض.

المُلكُ له، ويشتريه منك ليُبقيَه لكَ.. ويزول مجاناً لو بقيَ عندك.

وأنت فقيرٌ إليه من كُلِّ وجهٍ.

وأنت مقيّدٌ بجهات أربع مسدودة. تُساق إلى باب القبر المفتوح لك.

لا لذة للقلب حقيقةً فيما لا دوام فيه؛ تزول أنت، وتزول دنياك، وتزول دنيا الناس.

---

[١] الإمام الرباني: هو احمد بن عبد الأحد السرهندي الفاروقي (٩٧١-١٠٣٤هـ) الملقب بحق "مجدد الألف الثاني برع في علوم عصره، وجمع معها تربية الروح وتهذيب النفس والإخلاص لله وحضور القلب، رفض المناصب التي عرضت عليه، قاوم فتنة "الملك اكبر" التي كادت أن تمحق الإسلام. وفّقه المولى العزيز إلى صرف الدولة المغولية القوية من الإلحاد والبرهمية إلى احتضان الإسلام بما بث من نظام البيعة والاخوة والإرشاد بين الناس، طهر معين التصوف من الأكدار، تنامت دعوته في القارة الهندية حتى ظهر من ثمارها الملك الصالح "اورنك زيب» فانتصر المسلمون في زمانه وهان الكفار. انتشرت طريقته "النقشبندية" في أرجاء العالم الإسلامي بوساطة العلامة خالد الشهرزوري المشهور بمولانا خالد (١١٩٢-١٢٤٣هـ). له مؤلفات عديدة اشهرها "مكتوبات" ترجمها إلى العربية محمد مراد في مجلدين.

وستُنْزَع من الكائنات هذه الصورة. وسيُخلَع عليها أخرى. كالثانية، والدقيقة، والساعة، واليوم.. كأن الكائنات ساعة كبرى

فلا تهتم بما يبقى لك أثراً في الفاني ويفنى عنك في الباقي."[١]

نعم، لئن كان الموت الذي يفر منه الناس يتحول برسائل النور إلى اشتياق وإلى جمال وسلوان فقس عليه المرض والشيخوخة والسجن وغير ذلك من المصائب والابتلاءات التي لا تخلو منها الحياة.

وقد أجاد الأستاذ الدكتور سليمان عشراتي بأسلوبه الأدبي الرفيع في شرح تحول الآلام في ضمير النورسي إلى قيم سلوى بديلة بالعلاج القرآني الذي يتحول معه الضيق سعةً والإهانة عزاً والآلام عافيةً، وذلك في كتابه: "جمالية التشكيل الفني في رسائل النور" ننقل منه بضع فقرات:

"ظل تفعيل الجمال نشاطَه وملجأه وملاذه في المحَن، وظلت الرسائل وسيطه إلى عالم السمو والسماحة.. فبالاستناد على فاعلية الجمال استطاع أن يغيّر في موازين القوى، وأن يبني استراتيجية النصر المؤكد.

إن الضربات التي ما انفكت تصيبه في الحياة كثيراً ما نجدها تأخذ في ضميره ومداركه قيَما عزائية بديلة، فهو يتحول بالأحداث الجسام وما يلمّ به من هموم إلى نوازل قَدَرية لا يرفضها ولا يثور ضدها لأنه وطَّن النفس على أن يكبت الأوجاع ويحتمل الطعنات بصبر ينسجم مع إرادة الكفاح المتأصلة في أعماقه، إنه يرتفع بالوقائع إلى صعيد احتسابي يزيل عنها الحدة المؤذية ليغدو – من ثمة– مفهوم الحياة بالنسبة إليه امتحاناً للإنسان (الإنسان المؤمن بالخصوص)، وسبيلا شاقا تتجاذبه فيه منازع الخير والشر، وفق تدبير إلهي لا يخرج عن نطاقه شيء...

---

[١] المثنوي العربي النوري، ص ٢٣٢.

بل إنه يتسامى بالخَطب المؤلم ويضفي عليه من علامات الألفة والمعقولية ما ييسر على النفس أن تعايشه بإيجابية ورضى وتجَمُّل، الأمر الذي يبيّنُ السر الذي كان يجعل النورسي يحيا بتلك السماحة وذلك البِشر اليقيني الذي يملأ جوانحه وتترجمه نصوص الرسائل.

فلقد ظلت قدرتُه الإعلائية تسعفه على أن يتخطى المآزق والمضايقات بفضل ما سلّحه به القرآن من معنويات بات يتلقى بها الملمّات والابتلاءات، ويوجهها صوب الأمل والوثوق بعدالة الخالق، لأن النورسي يستند إلى عقيدة تؤمن بوجود ربٍّ لم يخلق العباد عبثا، وإنما أوجدهم ليعملوا وليُبْتَلوا وينالوا حظوظهم بنَصفة.

حين وجد نفسه يعيش الاعتقال والحبس مع فئة من طلابه- ولم يكن على حال صحية مهيأة للمعاناة- جعل يعمل- روحيا- على تغيير شروط ذلك الواقع البئيس إلى حال من الرجاء والاطمئنان المعضدة للإيمان.

ولقد ظل يستلهم لتجاوز تلك الأوضاع الصعبة في المعتقل ما كانت تنطوي عليه جوانحه من إيمان، فانبرى يتأسى بتجربة الأبرار من أهل الله، ولا بدع أن يرى نفسه هو ومن معه من نزلاء السجن، تلاميذ ينتمون إلى المدرسة اليوسفية، يحيون ذات الواقع الذي عاشه نبي الله يوسف عليه السلام في غيابات السجن قضاء لأمر الله، وبذلك التكييف الروحي التجاوزي استهدى النورسي وصحبه إلى العلاج الذي يتحول معه الضيق سعة والإهانة عزاً والآلام عافية.

إن العبرة التي ينبغي أن نستخلصها من مثل هذه الأحوال هي أن النورسي امتلك طاقة معنوية عجيبة مهيأة للتحول بالشروط القاسية والوقائع الضاغطة على الفرد، إلى رحابة من البِشْرِ والانشراح ما يتساوى ومخزونات قلبه من الإيمان واليقين.

لقد وسعه أن يبتدع بقريحته الكلمة المسلية، المداوية، المعضدة له في أطوار محنته. فآهات التألم تحولت إلى نصوص نورية لا تضمد الجروح الشخصية فحسب، ولكنها تحمل نسائم الأمل إلى سائر المغبونين، وإلى كل من طوّحت به الحيرة وأخمدت النور في عينيه.

إن هذه الروح التي ظلت تلازمه وتتيح له أن يقلب الأوضاع السيئة والأحوال الدامية كانت تستمد من طبيعته المنشرحة، الفياضة بالبِشر، المؤمنة بأن الشر ما هو إلاّ وضع طارئ لا ينسجم مع ما أبدع الخالق من خير وجمال، وأن مآل الإنسان الصابر المحتسب هو النصر في الدارين..

بل لقد كان النورسي على مستوى رفيع من الدينامية في مجال رد الفعل وتحويل الأذى إلى مادة من الرضى والتسليم تنبض بالجمال وتشع بالعبرة..."[١]

وصدق الشاعر المهجري في الإبانة عن تذوق الجمال في قصيدته (فلسفة الحياة) حين قال:

والذي نفسُه بغير جمال لا يرى في الوجود شيئا جميلا
أيهذا الشاكي وما بك داء كن جميلا تر الوجود جميلا

والله نسأل أن يوفقنا إلى حسن القصد وصحة الفهم وصواب القول وسداد العمل.

وصل اللّهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

* * *

[١] جمالية التشكيل الفني في رسائل النور، عشراتي سليمان، دار النيل، القاهرة، ط. الأولى ٢٠٠٥، ص٦١.

هوامش على ترجمة رسائل النور[1]

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه، وبعد

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد

أرجو ألا تعدوا هذه الملاحظات بحثاً علمياً أكاديمياً في الترجمة، وإنما هوامش على ما منّ الله عليّ من القيام بترجمة رسائل النور لبديع الزمان سعيد النورسي من التركية إلى اللغة العربية. فهي تذكير لمعان دقيقة أقدّمها بين أيدي أولئك الذين يحظون بشرف ترجمة معاني القرآن العظيم أو الحديث الشريف، لعلي أغنم مما يغدق عليهم من فضل.

ما رسائل النور؟

رسائل النور تفسير قيّم للقرآن الكريم يلائم أفهام هذا العصر، أملاها وكتبها بديع الزمان سعيد النورسي طوال ربع قرن من الزمان في منافيه وسجونه. ثم جمعت في ١٣٠ رسالة. "فهي تنقذ أسس الإيمان وأركانه، لا بالاستفادة من الإيمان الراسخ الموجود، وإنما بإثبات الإيمان وتحقيقه وحفظه في القلوب وإنقاذه من الشبهات والأوهام بدلائل كثيرة وبراهين ساطعة. حتى

---

[1] بحث ألقي في أعمال مؤتمر" اللغة العربية إلى أين؟" الذي نظمه مركز الأبحاث والتنمية في جامعة الجنان- لبنان يومي ٢٤-٢٠٠٦/٤/٢٥. ونشر كذلك في مجلة المشكاة المغربية في عددها ٥٨-٥٩ سنة ٢٠٢٢.

حكم كل من ينعم النظر فيها: بأنها أصبحت ضرورية في هذا العصر كضرورة الخبز والدواء"[١].

ولقد قيض الله سبحانه الأستاذ النورسي ليؤلف هذا السفر النفيس، رسائل النور، لتقوم بإنقاذ إيمان شعب كاد الكفر والضلال يجردانه عن القرآن والإيمان. حيث بدأت فيه فؤوس الحقد، ومعاول الهدم تعمل على زلزلة الإيمان وتقويض بنيانه ومسح آثاره من القلوب.

التعرف على رسائل النور

أحمد الله سبحانه كثيراً على تيسيره لي قراءة كثير من الكتب الإسلامية الفكرية منها أو التراثية، بيد أني أول ما قرأت رسائل النور انبهرت أمام هذا الأسلوب الشائق الذي يتناول به الآيات الجليلة، أسلوب يقرب الآيات الكريمة المتلوة إلى الأذهان والقلوب بإبراز نظائرها في آفاق الكائنات، فكأنه يفسر القرآن بالقرآن، أي القرآن الموحى بالقرآن المنظور في الآفاق. لذا يستفيد من الرسائل الخواص والعوام كل حسب استعداده وطاقته. بل تجعل قارءها يتعامل مع تجليات الأسماء الحسنى في الأنفس والآفاق، ولا جرم فإن لحمة رسائل النور وسداها تجليات الأسماء الحسنى ومقاصد القرآن الكريم.

ما الداعي إلى الترجمة؟

عقب المحاضرة التي ألقيتها حول ترجمة رسائل النور في قاعة كلية الآداب في الدار البيضاء بالمغرب –وذلك في فبراير سنة ١٩٩٩ –سألني أحد الطلبة:

"ما الذي دفعك للقيام بهذا المجهود الضخم بترجمة كليات رسائل النور في تسع مجلدات اللغة التركية إلى العربية، فإن جميع المصادر الإسلامية هي باللغة

---

[١] الملاحق ، ص١٠٥.

العربية ومنها تترجم إلى اللغات الأخرى، فما الذي دفعك بالسير المخالف هذا؟

وكان جوابي جملة قصيرة:

أخلاق طلاب النور وسلوكهم الإسلامي. وكل من قرأ رسائل النور هو طالب نور ولا أزكي على الله أحداً.

نعم، عند لقائي طلاب النور في سنوات السبعينات لمست الإسلام حياً نابضاً ومعيشاً في حلهم وترحالهم، بل كشفت فيهم صفاء الإيمان ونقاء الوفاء وصدق الإخلاص ودوام العطاء، واستشعرت بالاطمئنان والسكينة تغمران قلوبهم.

فكيف نالوا هذا القدر الوافر من السلوك القويم والإيمان العميق الذي ينعكس نوره حتى على ملامحهم ناهيك عن أعمالهم وحركاتهم، على الرغم من حرمانهم اللغة العربية بل حتى من الحروف العربية، بعد ما فعل بهم الهدم والتخريب ما فعل؟ لا شك أن السر يكمن في رسائل النور التي يقرأونها ويتدارسونها، ولا شيء غيرها.. فلقد حيل بينهم وبين مصادر الإسلام كافة بتغيير الحروف إلى اللاتينية، بل حيل بينهم وبين القرآن الكريم. وغدت لهم هذه الرسائل المصدر والمرجع لاستلهام حقائق الإيمان. وبفضل الله سبحانه وتعالى استطاعت هذه الرسائل بروحها القرآنية أن تأخذ بأيدي طلابها من الإيمان التقليدي إلى الإيمان التحقيقي والعروج بهم إلى معرفة الله سبحانه وتعالى.

مصدر جمالية رسائل النور

يقول الأستاذ النورسي:

"لا تحسبن أن ما أكتبه شيء مضغته الأفكار والعقول. كلا! بل فيض أُفيض على روح مجروح وقلب مقروح، بالاستمداد من القرآن الكريم، ولا تظنه أيضاً شيئاً سيالاً تذوقه القلوب وهو يزول. كلا! بل أنوار من حقائق ثابتة انعكست

على عقل عليل وقلب مريض ونفس عمي"[١]

و"لو بلغ صوتي أرجاء العالم كافة لكنت أقول بكل ما أوتيت من قوة: أن "الكلمات" جميلة رائعة وأنها حقائق وإنها ليست مني وإنما هي شعاعات التمعت من حقائق القرآن الكريم. فلم أجمّل أنا حقائق القرآن، بل لم أتمكن من إظهار جمالها وإنما الحقائق الجميلة للقرآن هي التي جمّلت عباراتي ورفعت من شأنها"[٢].

شعرية النص في رسائل النور

"إن النورسي نفس شاعرة، وروح لهيف، وقلب مشتاق، ووجدان رقيق مرهف، وبصيرة نفاذة مذواق، وبصر لمّاح رصّاد لا تفوته بارقة من بوارق الجمال الكوني، ولا تفلت منه سانحة من سوانحه. وطائر عجيب يلقط لآلئ الحسن من فوق جيد الوجود. وظامئ عطش يترشف زلال الجمال من رضاب ثغور الأكوان.... إنه شاعري الروح والنفس وجداني الانسياب، رشيق في صوره وأخيلته، مع عمق أفكاره ودقيق معانيه!"[٣].

وانطلاقا من شعرية النص في رسائل النور فقد ألف الأستاذ الدكتور الشاعر حسن الأمراني كتابا سماه: "النورسي أديب الإنسانية" أفرد فيه بحثاً كاملاً للمقارنة بين شاعرية النورسي وشاعرية إقبال، مشيراً إلى الكثير من نقاط الالتقاء بين الشاعرين، وإن أبرز ما يختلفان أن "إقبال" شاعر قبل أن يكون مفكراً، أما "النورسي" فهو مفكر قبل أن يكون شاعراً. ثم يعقد في فصل آخر مقارنة بين النورسي وجلال الدين الرومي"[٤]

---

[١] المثنوي العربي النوري، ص٣١٨.
[٢] المكتوبات ص ٤٧٧.
[٣] المثنوي العربي النوري-المدخل، أديب إبراهيم الدباغ، ص ٢١.
[٤] النورسي أديب الإنسانية. المقدمة. دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة ٢٠٠٥.

ترجمة الرسائل

ربما لا يعد إطنابا ما ذكرته من شاعرية روح الرسائل ووجدانية انسيابها، ورشاقة صورها وأخيلتها، وعمق أفكارها ودقيق معانيها وسمو مصدرها، وهو القرآن الكريم. ذلك لأنني أريد بهذا التقديم أن أضع أمام القارئ الكريم عظَم الأمر الذي استخدمني فيه المولى فله الحمد وله المنّة. فلولا عنايته الكريمة ورعايته الشاملة لما كنت أجرأ على القيام بترجمة مؤلَّف بهذا العلو في الأسلوب والعمق في المعاني، فأنّى لي القدرة على القيام بها وأنا لم أزاول الترجمة من قبل ولا باع لي في الأدب ولا في اللغة.

ولكن العجز الذي كنت أشعر به في نفسي والضعف الذي كنت أحسه في قابليتي، أصبحا شفيعين لدى الرحمة الإلهية الواسعة التي التجأت إليها، فما أن توجهت بفضل الله إلى خدمة القرآن الكريم برسائل النور، حتى هيأ المولى الكريم من يمد إليّ يدٌ من كل جانب العون، مدّها أخوة أفاضل جزاهم الله عنا خير الجزاء. سواء بالتصحيح والتشذيب والإرشاد والتوجيه. فهذا يقوم بتبييض مسودات الترجمة وآخر يخرج أحاديثها الشريفة، وآخر يأخذها إلى من يشار إليه بالبنان في الأدب أو اللغة لينظر إلى أسلوبها وسلاستها وآخر يصححها لغوياً.

وهكذا، إذا أراد الله شيئاً هيأ له أسبابه، فظهرت الترجمة بفضله وكرمه، ليست ترجمةً حرفية يقصد بها الأمانة وحدها ولا ترجمة حرة يقصد بها الإبانة فحسب، بل ترجمة أصيلة خالية اللكنة الأعجمية وافية للمعني، حتى أثنى عليها الكثيرون ممن يشهد لهم باللغة والأدب قائلين أنها "ترجمة لا يحس معها الإنسان بأن شخصا ثالثا يقوم فعلا بينك وبين النورسي، وهو المترجم"[١]. والفضل لله أولاً وآخراً.

---

[١] المصدر السابق.

التشرب الروحي

إن الذي لمستُه في أثناء الترجمة، أن المترجم مهما كان حاذقاً في فنه، ورصينا في أسلوبه وثريا في مخزونه اللغوي، لا يقدر على إبلاغ المترجم له إلا إذا تشربت روحُه وانشرح صدرُه وقلبه بالمعاني والأفكار التي يقوم بترجمتها، إذ يؤثر هذا التشرب الروحي والانشراح القلبي في القارئ أكثر من تأثير الألفاظ الجميلة والجمل الرنانة.

وهكذا فالالتجاء إلى قدرة الله بالعجز والضعف الإنساني، والتواصل الروحي والقلبي مع المترجَم ضرورة من ضرورات الترجمة. أما صياغة الألفاظ والمعاني فهي تأتي مسرعة بقدر ذلك الالتجاء والتواصل المعنوي.

لغز الترجمة

في صيف سنة ١٩٧٨م سافرنا أنا والأخ عابدين رشيد إلى تركيا وكلانا حديث عهد برسائل النور. وأخذنا الاستاذ "محمد فرنجي"[١] إلى مدينة بورصة الجميلة، واصطحبنا إلى أماكن كثيرة. وكنت ألح عليه كثيرا أن نسافر إلى سورية أو مصر لنجد مترجمين لهذه الحقائق القرآنية العظيمة في رسائل النور، فلا يمكن أن تبقى هذه الحقائق محصورة في تركيا. فكان يتمتم بصوت خافض: وجودُه في عدمها، عدمُه في وجودها. وكلما أصر عليه وأكرر الذهاب لأجل الترجمة كان يردد الجملة نفسها. وأنا لا أفهم معناها. فقلت له: أخي الكبير ماذا تقصد بهذه الجملة؟ قال: الذين تقول عنهم لنذهب إليهم، يجدون في أنفسهم أنهم علماء، فعندما يترجمون الرسائل يمزجون فكرهم بما يقوله الأستاذ النورسي، لأنهم يعتقدون أنهم علماء وسعيد النورسي عالم مثلهم. وعند ذلك لا تكون ترجمة خالصة

---

[١] من مواليد عام ١٩٢٨م شاهد الأستاذ النورسي وساهم في نشر رسائل النور وتعريف العالم الخارجي بها. انتقل إلى رحمة الله تعالى في ٣/ ١٠/ ٢٠٢٠.

للرسائل. أما إذا عدّ العالم نفسه عدما أي أنه طالب والنورسي أستاذه فعندئذ تكون ترجمته ترجمة خالصة للرسائل لا حظ لنفسه فيها.

ندوات عالمية لمترجمي رسائل النور

عقدت ندوات عالمية لمترجمي رسائل النور فالندوة الاولى كانت في مدينة اسطنبول في ٢٧-٢٠١٢/٨/٣١م ودامت أربعة أيام. والندوة الثانية كانت في مدينة بورصة في ١٦-٢٠/ ٢٠١٣/٩م ودامت أربعة أيام. ثم عقدت الندوة الثالثة في ٧-٢٠١٥/١١/٩م في مجمع مركز البحوث العلمية في منطقة أوسكدار، إسطنبول ودامت الندوة ثلاثة أيام متوالية.

واشترك فيها أكثر المترجمين القادمين من أنحاء العالم، وأُلقيت كلمات قيمة حول الترجمة وأهميتها وضرورتها وما ينبغي مراعاته في ترجمة رسائل النور بالذات ....

وقدمتُ ملاحظاتي الآتية على شكل نقاط أساسية ووزعت على المترجمين مع ترجمتها بالإنكليزية.

ما يراعى في ترجمة الرسائل

- إخلاص النية لله، لأن الترجمة ستُعرض عليه يوم يقوم الأشهاد.
- الشعور بالعجز المطلق والاعتماد على قدرة الله المطلقة.
- قراءة المادة قبل الترجمة عدة مرات. والأفضل قراءة الكليات أو في الأقل قراءة السيرة الذاتية، وبلوغ التشرب الروحي للمادة.
- الاعتناء بالآيات الكريمة والأحاديث الشريفة من حيث ضبط الشكل والتخريج.
- عدم التقيد بحرفية النص. واستعمال ما يفهمه القارئ من الأسماء وغيرها مع عدم إطلاق العنان للترجمة بالمعنى.

• الحفاظ على المصطلحات المنطقية والأصولية وتمييزها عن معناها اللغوي وإيضاحها في الهامش إن أمكن.

• الحفاظ قدر الإمكان على صيغة الجملة؛ استفهامية، تعجبية، إنكارية ...الخ

• توضيح ما يمكن أن يعترض عليه.

• التثبت مما قد يجهله المترجم ومحاولة الوصول إلى المصدر.

• وضع تعريف ميسر لكل ما يرد في النص من أعلام أو مواقع وغيرها.

• تمييز حواشي المؤلف عن حواشي المترجم، مع الاهتمام بعلامات الترقيم.

• إشراك أكبر عدد ممكن من المصححين والمنقحين.

رائحة الترجمة

كان الاستاذ سليمان محمد أمين القابلي[١] شيخ دعاة مدينة كركوك/العراق يشجعني كثيراً على الترجمة وكان يعتقد جازما أن رسائل النور ذات أهمية قصوى في هذا العصر. وكان ينبهني إلى الأغلاط التي أقع فيها، وأحيانا يقول لي: يا أخي هذه الفقرة فيها رائحة الترجمة أو فيها ركاكة، وقد قرأ أكثر الترجمات قبل طبعها. وما أسمع الآن من أساتذة كبار في العربية والأدب العربي من مدح وثناء على الترجمة يعود فضله إلى الله سبحانه ثم إلى الأخ سليمان الذي كان عنده حاسة غريبة في معرفة العجمة، وقد نبهني إليها كثيرا وقمت بالتعديل والتصحيح. فكان يقول لي: يا أخي إحسان يجب ألا يشعر القارئ العربي بأنها ترجمة وإلا لن يقرأها.

---

[١] من مواليد ١٩٢٢م مدينة كركوك، التحق بكلية الحقوق ببغداد. تتلمذ على الشيخ أمجد الزهاوي رئيس رابطة علماء العراق. وافاه الأجل في ٧/٧/ ١٩٩٥م. رحمه الله رحمة واسعة

وأوصاني أن آخذ الترجمات إلى الأخ أديب إبراهيم الدباغ[١] في مدينة الموصل، فهو أديب حقا، وجزاه الله خيرا فقد سبك كثيرا من جملي بأسلوبه الأدبي المعروف عنه، وصحح الأخطاء. ثم تناول الأستاذ غانم حمودات[٢] الذي أمضى عمره في تدريس النحو العربي بتصحيح الأمور النحوية. وأخذ الأخ حازم ناظم فاضل بتنظيم الهوامش ووضع الفهارس وخرّج الأحاديث الشريفة الواردة في الرسائل الأخ فلاح عبد الرحمن عبدالله وهكذا تجمع بفضل الله وكرمه -دون قصد منا –حول الترجمات إخوة أبرار وأساتذة حاذقون في تخصصهم.

مَن له قصب السبق؟

لا شك أن قصب السبق في تعريف الأستاذ النورسي إلى العالم العربي هو للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي رحمه الله حيث أصدر كتيبا في أوائل الستينات بعنوان "سعيد النورسي: فكره ودعوته". ثم نشر محتوى الكتيب نفسه تحت عنوان "أعجوبة الثورة الإسلامية تركيا" في مجلة حضارة الإسلام سنة ١٩٦١م التي كانت تصدر في دمشق، ثم نشره في كتابه "من الفكر والقلب".

ومن الجدير بالذكر أنه عندما حضر إسطنبول في التسعينات وألقى محاضرة في كلية الإلهيات في جامعة مرمرة، سأله أحد الطلبة عقب المحاضرة ما رأيكم في الترجمة العربية لرسائل النور فقال: "تُطرب العرب وتُرضي الترك".

وكان رحمه الله يذكّرني دوما بترجمة مرافعات الأستاذ النورسي أي دفاعاته في المحاكم لأن العالم العربي بأشد الحاجة إليها، حتى إنه كرر هذا الكلام في

---

[١] من مواليد ١٩٣١م بالموصل. انتقل الى رحمة الرحمن في ٢٠١٧/٥/٣١. ودفن في اسطنبول.

[٢] تغمده الله برحمته سنة ٢٠١٢م.

عدد من لقاءاته في التلفازات المختلفة، بل حتى عندما ألقى عرضه أمامنا حول النورسي في مؤتمر (الخطبة الشامية) الذي أقيم في مدرج كلية الهندسة، جامعة دمشق في ٢/٣/ ٢٠٠٨ عقّب كلامه أيضا بالمطالبة بترجمة الدفاعات أو المرافعات، فأرسلتُ إليه رسالة خطية باليد وقرأها على الحاضرين واستهلها قائلاً: بشارة من الأخ إحسان ... إن المرافعات جميعها مترجمة في كليات رسائل النور:

فمثلًا: مرافعات سعيد القديم، ومرافعات سعيد الجديد في محكمة أسكي شهر، ومرافعات "مرشد الشباب" بإسطنبول مترجمة كاملة في المجلد التاسع "سيرة ذاتية". ومرافعاته في محكمة دنيزلي، ومحكمة آفيون مترجمة ضمن الشعاع الرابع عشر في المجلد الرابع "الشعاعات". هكذا ارتأى الأستاذ النورسي نفسه أن تكون المرافعات متفرقة بين الرسائل. ولم يجمعها في مجلد مستقل، وكذلك فعلنا.

الترجمة أزالت الحاجز اللغوي

الدكتور الشفيع الماحي أحمد، أستاذ الفلسفة في جامعة النيلين بالخرطوم؛ له النصيب الأوفر في التعريف برسائل النور، حيث كانت مراسلاته معنا مستمرة منذ الثمانينات. وكتب مقالات علمية عميقة حول رسائل النور، ومقدمة رائعة لرسالة "أنا" (الذات الإنسانية) وطبعناها في العراق. وصدر له كتاب "الأمثال في رسائل النور"، و"البعد العقدي في فكر النورسي" وكتب أخرى.

أنقل هنا بضعة أسطر من مشاعره في إحدى رسائله إلي:

"أخي العزيز إحسان. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. ما سعدت بشيء في الآونة الأخيرة قدر سعادتي بمعرفتي أنك لازلت عاكفا على درب المسيرة النورية بالترجمة تارة وبالجمع تارة أخرى، وهي مسيرة مهما قللت من شأنها ستظل بتوفيق الله تعالى من الباقيات الصالحات لأمثالنا، ولك بإذن الله الثواب

الجزيل من الله تعالى، ويكفي فقط أنك بعملك هذا قد أزلت الحاجز اللغوي الذي بيننا وبين النورسي".

وأختم كلامي بأجدى نصيحة قدمها لي أحد الأخوة قائلا:

إنك يا أخي تقوم بعمل جليل وهو تفسير للقرآن العظيم يعرض على الله جل وعلا، فلا تكتب شيئاً من دون وضوء. والتزمت بفضل الله بنصيحته طوال فترة الترجمة التي استغرقت إحدى عشرة سنة من السنين العجاف التي قضيناها في العراق، تلك هي سني الحروب المتتالية.

والله نسأل أن يوفقنا إلى حسن القصد وصحة الفهم وصواب القول وسداد العمل.

وصل اللّهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

* * *

تعقيب:

سافرنا (أنا والأخ علي قاطي اوز من مانيسا) إلى لبنان يوم ٢٠٠٦/٤/٢٠ بدعوة من جامعة الجنان بطرابلس للمشاركة لمؤتمرها الذي تعقده في يومي ٢٤-٢٠٠٦/٤/٢٥ بعنوان" اللغة العربية إلى أين؟". وقد رأينا من الحفاوة والإكرام ما لا يمكن وصفه ابتداءا من الاستقبال في المطار وإلى المطار للتوديع. وخلال الأيام التي سبقت المؤتمر أخذونا بجولات في ضواحي طرابلس والتعارف مع علماء أجلاء أو وزراء سابقين.

وقد اشتركت في المؤتمر جامعات أخرى كالجامعة اللبنانية والجامعة اليسوعية وأساتذة من الهند والجزائر والمغرب وليبيا والأردن وإيران. وكان النظام بارزا في المؤتمر من حيث الالتزام بالوقت وسائر الأمور.

وفي يوم آخر أقامت جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية اجتماعا خاصا للأستاذ النورسي ومنهجه في الإصلاح دام ما يقرب الساعتين مع الأسئلة. ووافق أن كان يوم ٢٦ نيسان مهرجان في المدينة نظمته بلدية طرابلس لمرور ١٣٠ سنة على إهداء السلطان عبد الحميد الثاني ساعة إلى ساحة التل وأمر بوضعها على برج في تلك الساحة، وكانت الإعلانات واللافتات تملأ الساحات بالثناء على السلطان المرحوم.

قراءة كتاب الكون
في منهج الإمام النورسي في تفسير القرآن الكريم[1]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة الله للعالمين وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته وسلك طريقه إلى يوم الدين، وبعد

فإن ما نقدمه من منهج الإمام النورسي في التفسير ليس إلا جانب من جوانبه الكثيرة، وهو جانب التطابق بين آيات الله تعالى في الكون وآياته الكريمة في القرآن، وكيفية قراءتهما معا. أما جوانبه الأخرى من نظرته إلى العلوم الحديثة ومشاهدة تجليات الأسماء الحسنى في الآفاق والأنفس وكيفية تناوله للأحاديث الشريفة وفهمها.. وغيرها من الجوانب الأخرى الكثيرة، فكل منها بحاجة إلى بحث مستقل أو كتاب.

---

[1] بحث ألقي في مؤتمر "مناهج تفسير القرآن الكريم وشرح الحديث الشريف" الذي نظمه قسم دراسات القرآن والسنة، في كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، في ١٧-٢٠٠٦/٧/١٨م. وكذلك ألقي في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، المغرب في٢٦-٢٨ /٢٠٠٧/٤م. وكذلك ألقي في ندوة دولية: "سؤال الاخلاق في مشروع النورسي" أقامتها جمعية النبراس الثقافية بوجدة، المغرب، في ١٨-٢٠٠٧/٥/٢٠م. وكذلك ألقي في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالجديدة، المغرب، في ٨-٢٠١٢/٥/٩م. وكذلك ألقي في كلية الاداب في جامعة عليكرة بالهند في ١١-٢٠١٤/٢/١٣. وكذلك ألقي في جامعة كيرالا بالهند في ٢٣-٢٠١٦/٢/٢٥م.

الحاجة إلى منهج جديد

لنضع الواقع الذي كان يعيشه الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي أمامنا؛ فبعد سقوط الدولة العثمانية ونشوء الجمهورية على انقاضها، بدأت سلسلة من ممارسات معادية للقرآن والإيمان، فاللغة العربية محظورة والأمة باتت أمية بكاملها بين عشية وضحاها. والغزو الفكري على قدم وساق، والكتب الإلحادية في متناول الجميع. والابتذال في الصحف والإعلام غدت من الأمور المألوفة المعتادة.

ففي هذا الجو المظلم القاتم لو كان النورسي يؤلف مجلدات ضخمة في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم ما كان المستفيد منها إلا نخبة من خواص الخواص. ولكن المولى الكريم تفضل على الأمة التركية والإسلامية بعامة فساق القدرُ الإلهي العادل الحكيم النورسي إلى بيان إعجاز المعنى للقرآن أو كما يطلق هو الإعجاز المعنوي للقرآن فألّف "رسائل النور" بمنهج جديد.

من أين استقى هذا المنهج الجديد؟

يقول النورسي: "إن الكائنات في غاية البلاغة قد أنشأها وأنشدها صانعُها فصيحةً بليغة، فكل صورة وكل نوع منها -بالنظام المندمج فيه - معجزةٌ من معجزات القدرة".[١]

بمعنى أنه أدرك أن الإنسان لكي يكون قريبا من روح القرآن الكريم، عليه أَلاَّ يقف عند إعجازه اللغوي والبلاغي فحسب، بل عليه أن يمضي معه إلى حيث يأخذه إلى روحه السارية في الكائنات كلّها بل السارية في كل جزء من جزئياتها. ولهذا؛ فالكون كتاب:

---

[١] إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز ، بديع الزمان سعيد النورسي، تحقيق إحسان قاسم الصالحي، سوزلر، إسطنبول ١٩٩٤. ص ١١٩.

تَأَمَّلْ سُطُورَ الْكَائِنَاتِ فَإِنَّهَا مِنَ الْمَلإِ الأَعْلَى إِلَيْكَ رَسَائِلُ[١]

أي أن كل ما في الكون من موجودات أو حوادث ما هي إلا مكاتيب ورموز دلالية تحمل خطابا إلى الإنسان، ومن هنا كان كتابا. حتى شبهه النورسي بـ"قرآن مجسّم" من حيث إن القرآن المقروء خطاب الله للعباد، المنزل على عبده؛ هداية لهم وإرشادا، فشابهه الكون من هذه الجهة، أي من حيث إنه هو أيضا خطاب الله الرمزي لذوي الألباب؛ هداية لهم وإرشادا.

ولو أردنا أن نلج إلى باطن هذا الكتاب الكوني؛ لوجدنا أنه سجل شامل لتفاصيل الكائنات وسائر مقاديرها الممكنة، ذلك "أن الحاكم الحكيم والعليم الرحيم الذي كتب هذا الكون بشكل كتاب، حتى سجل تاريخ حياة كل شجرة في كل بذرة من بذورها، ودوّن وظائف حياة كل عشب ومهام كل زهر في جميع نواها. وكتب جميع حوادث الحياة لكل ذي شعور في قواه الحافظة الصغيرة كحبة الخردل. واحتفظ بكل عمل في ملكه كافة وبكل حادثة في دوائر سلطنته بالتقاط صورها المتعددة، والذي خلق الجنة والنار والصراط والميزان الأكبر لأجل تجليات وتحقق العدالة والحكمة والرحمة التي هي أهم أساس للربوبية".[٢]

يقول الأستاذ النورسي: "إن كتاب الكون الكبير هذا اذ تعلّمنا آياتُه التكوينية الدالة على وجوده سبحانه وعلى وحدانيته، يشهد كذلك على جميع صفات الكمال والجمال والجلال للذات الجليلة. ويثبت أيضاً كمال ذاته الجليلة المبرأة من كل نقص، والمنزَّهة عن كل قصور. ذلك لأن ظهور الكمال في أثرٍ ما، يدل على كمال الفعل الذي هو مصدرُه، كما هو بديهي، وكمال

---

[١] لرجل نحوى مشهور يُعرف بركن الدين بن القَوْبَع (ت ٧٣٨ هـ) – (قول على قول ١٥٧/١١ للكرمى).

[٢] الشعاعات، ص ٢٩٩.

الفعل هذا يدلّ على كمال الاسم، وكمال الاسم يدل على كمال الصفات، وكمال الصفات يدل على كمال الشأن الذاتي، وكمال الشأن الذاتي يدل على كمال الذات – ذات الشؤون – حَدساً وضرورة وبداهة".[١]

ولا يتركنا النورسي أمام هذا الكتاب الكوني العظيم من دون أن يعلّمنا حروفه ومعاني جمله وكيفية قراءته ولا يدعنا نتأمل فيه كيفما اتفق، بل يضع بـ"رسائل النور" في أيدينا مفتاحا يسهّل لنا معرفة حروفه وحل ألغاز كلماته وجمله وأسلوب قراءته. والمفتاح هو:

المعنى الحرفي والمعنى الاسمي

هذا المفتاح استلهمه النورسي من أبسط مبادئ اللغة العربية. وفتح به كثيرا من مغاليق الأمور في الكون والحياة. يقول النورسي:...."اعلم! أنى أحمد الله على أن فتح لي أعاظم مسائل هذه الكائنات بمسألة من النحو، هي الفرق بين "المعنى الحرفي والاسمي! ".. أي هذه الموجودات كلماتٌ دالات على معانٍ في غيرها، أي مكتوباتٌ ربانية تاليات للأسماء الحسنى، لا إسمية حتى تدل على معنى في نفسها لذاتها".[٢]

"وهكذا ورد في كتب النحو تعريف الاسم أنه: دلّ على معنى في نفسه. أما الحرف فهو الذي: دلّ على معنى في غيره.

فالنظرة القرآنية إلى الموجودات تجعل الموجودات جميعها حروفاً، أي أنها تعبّر عن معنى في غيرها، بمعنى أنها تعبّر عن تجليات الأسماء الحسنى والصفات الجليلة للخالق العظيم المتجلية على الموجودات.

---

[١] الكلمات، ص: ٣٤٣.

[٢] المثنوي العربي النوري، ص٣٤٦.

أما نظرة الفلسفة – المادية – الميتة فهي تنظر على الأغلب بالنظر الاسمي إلى الموجودات، فتزل قدمُها إلى مستنقع الطبيعة".[١]

كيف البلوغ إلى رؤية التجليات؟

يقول النورسي:

"كما تُصبح العادات المباحة بالنية عبادات، كذلك تكون العلوم الكونية بنوع النظر معارفَ إلهية.

فإذا ما نظرت إلى هذه العلوم نظراً حرفياً مع دقة الملاحظة، والتفكر العميق، من حيث الصنعة والإتقان. أي أن تقول: "ما أبدعَ خلقَ هذا! ما أجملَ صنعَ الصانع الجليل!" بدلاً من قولك: "ما أجمَلَه".

نعم، إذا ما نظرت إلى الكون من هذه الزاوية تجد أن نقوشَ المصوّر الجليل ولمعةَ القصد والإتقان في نظامه وحكمته تنوّر الشبهات وتبدّدها. وعندها تتحول العلوم الكونية إلى معارف إلهية.

ولكن لو نظرت إلى الكائنات بالمعنى الإسمي، ومن حيث "الطبيعة" أي أنها تولّدت بذاتها، فعندها تتحول دائرة العلوم إلى ميدان جهل"[٢]...

فاذا ما قمنا باستعمال هذا المفتاح على ما حولنا من الكائنات نرى أننا نتمكن من التدبر فيها أينما كنا وحيثما كنا وندخل عندئذ المدخل الصائب للتفكر في آيات الله المبثوثة في الكون. فالقرآن الكريم ينظر إلى الموجودات –التي كل منها حرف ذو مغزى– بالمعنى الحرفي، أي ينظر إليها من حيث دلالتها على الصانع الجليل ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ (السجدة: ٧) فما إن يقع نظرُنا على زهرة

---

[١] الملاحق، ص ٨٥.

[٢] الكلمات، ص ٨٥٥.

مثلا، وتجذبنا جمالها نقول: ما أحسنَ خلقَها! ما أجملَ خلقَها! ما أعظمَ دلالتها على جمال المبدع الجليل! ولا نقول: ما أجمل هذه الزهرة، وذلك لأن الجمال الذي نراه في الزهرة التي أمامنا ليس هو ملك الزهرة نفسها ولا هي التي جمّلت نفسها، بل الخالق الكريم هو الذي أعطاها هذا الجمال.

وهكذا يتحول كل شيء في الوجود إلى حرف يدل على معنىً في غيره. أي يتحول إلى دليل يذكّرنا بخالقه الكريم، يصدق عليه:

وَفِى كُلِّ شىْءٍ لَهُ اٰيَةٌ تَدُلُّ عَلٰى أَنَّهُ وَاحِدٌ[١]

وما الحائل؟ ولكن هل الأمر بهذه السهولة، أوَ ليس هناك موانع أمام نظر الإنسان يحجبه عن الرؤية السليمة؟ نقول: نعم. الحجاب هو: الأُلفة! التي هي أخت الجهل المركب وأمّ النظر السطحي، إذ "لما عجز الإنسان بنظره السطحي أن يتذوق ما في جفان الكائنات وصحونها من غذاء روحي مغطى بغطاء الألفة، سئِم من لعق الجفان ولَحْس الغطاء".[٢]

وهكذا شخّص النورسي الداء وهو "غطاء الأُلفة". واستلهم علاجه من القرآن الكريم، وهو تمزيقه لهذا الغطاء وإزاحته لستار العادة عن جميع أشياء هذا العالم، وكل دقائقه. وربط كل شيء بتجليات الأسماء الحسنى، ذلك:"أن القرآن الكريم، ببياناته القوية النافذة، إنما يمزّق غطاء الألفة وستار العادة الملقى على موجودات الكون قاطبة، والتي لا تُذْكر إلاّ أنها عادية مألوفة مع أنها خوارق قدرةٍ بديعة ومعجزاتها العظيمة. فيكشف القرآن بتمزيقه ذلك الغطاء حقائقَ عجيبة لذوي الشعور، ويُلفت أنظارهم إلى ما فيها من دروس

---

[١] انظر: الأصفهاني، الأغاني ٣٩/٤؛ القلقشندي، صبح الأعشى ٤١٣/١٢؛ الأبشيهي، المستطرف ١٦/١، ٢٨٠/٢.

[٢] صيقل الإسلام، ص ٦٤.

بليغة للاعتبار والعظة، فاتحاً كنزاً لا يفنى للعلوم أمام العقول".[١]

ومن هنا يأتي النورسي بأمثلة غزيرة من الكائنات ليقرّب إلى الأذهان الحقائق العظيمة للقرآن الكريم، ولذلك سهّل على العامة؛ بل حتى على الأميين؛ قراءة مقاصد القرآن التي هي: "أربعة: التوحيد، والنبوة، والحشر، والعدالة".[٢]من خلال أبعاده الكونية؛ إذ يلفت الانتباه إلى مظاهر الكون التي يبصرها كل ذي عينين؛ ليتفكر فيها. كلّ على حسب طاقته، وسعة إدراكه، فيكون القرآن الكريم بكونيته هذه خطابا لجميع الناس، بجميع مستوياتهم الثقافية، واختلافاتهم اللغوية والعرقية. وهذا ضرب من ضروب الإعجاز الذي استلهمه النورسي من القرآن نفسه.

يقول: "انظر إلى درجة رحمة القرآن الواسعة، وشفقته العظيمة على جمهور العوام، ومراعاته لبساطة أفكارهم، ونظرهم غير الثاقب إلى أمور دقيقة! انظر كيف يكرر ويكثر الآيات الواضحة، المسطورة في جباه السماوات والأرض! فيقرئهم الحروف الكبيرة التي تُقرأ بكمال السهولة، كخلق السماوات والأرض، وأمثالها من الآيات، ولا يوجه الأنظار إلى الحروف الدقيقة المكتوبة في الحروف الكبيرة إلاّ نادرا، كيلا يصعب الأمر عليهم. ثم انظر إلى جزالة بيان القرآن وسلاسة أسلوبه وفطريته، كيف يتلو على الإنسان ما كتبته القدرةُ الإلهية، في صحائف الكائنات؛ من آيات؛ حتى كأن القرآن قراءة لما في كتاب الكائنات وأنظمتها، وتلاوة لشؤون بارئها المصور، وأفعاله الحكيمة". [٣]

---

[١] الكلمات، ص: ١٤٨.

[٢] إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، ص ٢٣.

[٣] اللمعات ١٧، ص٢٨٦

العلاقة بين كتاب الله المتلو وكتاب الله المنظور

لاشك أن تعريف الأستاذ النورسي للقرآن الكريم تعريف جديد، يدل على إدراك عميق لحقيقة القرآن الكريم وجلاله وعظمته، وفهم ثاقب لحقائقه ومقاصده اللطيفة الجليلة. يقول:

أن القرآن: "هو الترجمةُ الأزلية لهذه الكائنات، والترجمانُ الأبدي لألسنتها التاليات للآيات التكوينية، ومفسّرُ كتاب العالَم.. وكذا هو كشافٌ لمخفيات كنوز الأسماء المستترة في صحائف السماوات والأرض.. وكذا هو مفتاحٌ لحقائق الشؤون المضْمَرة في سطور الحادثات.. وكذا هو لسان الغيب في عالم الشهادة.."[١].

إن اعتباره القرآن الكريم أعظم تفسير للكون جعله يدرك العلاقة الرابطة بين كلام الله جلّ وعلا وبين مشيئته في ملكوته. فالعلاقة بين كتاب الله المتلو وكتاب الله المنظور هي علاقة تبادل للتفسير كل واحد منهما يفسر الآخر، دون الاستقلال عنه. ومن هنا نرى النورسي يقول:

"إن القرآن الكريم المقروء هو أعظم تفسير وأسماه، وأبلغ ترجمان وأعلاه لهذا الكون البديع، الذي هو قرآن آخر عظيم منظور"[٢]، و "إن القرآن الكريم يتلو آيات الكائنات في مسجد الكون الكبير هذا، فلننصت إليه! ولنتنّور بنوره، ولنعمل بهديه الحكيم؛ حتى يكون لسانُنا رطباً بذكره وتلاوته!"[٣]

والذي يلفت النظر هنا تشبيهه الكون بالمسجد!.

-أهو كذلك؟

---

[١] إشارات الإعجاز ، ص: ٢١.

[٢] الكلمات. ص:١٤١.

[٣] الكلمات، ص:٣٠.

-نعم، فإن "جميع المخلوقات من السماوات السبع الطباق إلى الأحياء المجهرية، جزئيَّها وكليَّها، صغيرَها وكبيرها، تسبّح بلسان ما يظهر عليها من تجليات الأسماء الحسنى ونقوشها، وتقدّس مسمّى تلك الأسماء ذا الجلال والإكرام، وتنزّهه عن الشريك والنظير.

نعم، إنّ السماء تقدّسه وتشهد على وحدته بكلماتها النيّرة من شموس ونجوم، وبحكمتها وانتظامها.. وإنّ جو الهواء يسبّحه ويقدّسه ويشهد على وحدانيته بصوت السحاب وكلمات الرعد والبرق والقطرات.. والأرض تسبّح خالقها الجليل وتوحده بكلماتها الحية من حيوانات ونباتات وموجودات.. وكذا تسبّحه وتشهد على وحدانيته كلُّ شجرة من أشجارها بكلمات أوراقها وأزاهيرها وثمراتها.. وكلُّ مخلوق صغير ومصنوع جزئي مع صغره وجزئيته يسبّح بإشارات ما يحمله من نقوش وكيفيات وما يظهره من أسماء حسنى كثيرة وتقدّس مسمى تلك الأسماء ذا الجلال وتشهد على وحدانيته تعالى. وهكذا فالكون برمّته معاً وبلسان واحد، يسبّح خالقَه الجليل متفقا ويشهد على وحدانيته، مؤديا بكمال الطاعة ما أنيط به من وظائف العبودية"[١].

وهكذا فـ "إن ذلك الفرقان الحكيم هو الذي يرشد الجن والإنس إلى الآيات الكونية التي سطَّرها قلمُ القدرة الإلهية على صحائف الكون الواسع ودبَجها على أوراق الأزمنة والعصور. وهو الذي ينظر إلى الموجودات - التي كل منها حرف ذو مغزى- بالمعنى الحرفي، أي ينظر إليها من حيث دلالتها على الصانع الجليل. فيقول: ما أحسنَ خلقَه! ما أجملَ خلقَه! ما أعظم دلالتَه على جمال المبدع الجليل. وهكذا يكشف أمام الأنظار الجمالَ الحقيقي للكائنات. [٢]

---

[١] الكلمات، ص: ٤٩٣.

[٢] الكلمات، ص١٤١.

وهكذا ربط بديع الزمان النورسي بين القرآنين، وهنا مكمن السر، وبه كان لرسائله ذوقُها، وكان لدعوته أثرها في المجتمع.

أي أنه استطاع أن يجمع بين القراءتين في نسق عجيب: قراءة كتاب الله المتلو، وقراءة كتاب الله المنظور؛ فكان أن فتح بينهما منافذ للفهم والتفسير قدّمها للناس في "رسائل النور". قدمها لتوافق عصرَه، إدراكا منه لطبيعة حركته، وصراعات أفكاره، وأساليب التغير فيه، بأسلوب مطابق لروح العصر، مستجيب لمعضلاته، يفهمه الخاص والعام.

فضلا عن هذا يذكر النورسي أن هذا النوع من التأمل والتفكر في الموجودات؛ يسوق الإنسان إلى التخلص من الرياء ويظفر بالإخلاص. فيقول:

"والسبب الثاني في إحراز الإخلاص هو: أن يكسب المرء حضوراً وسكينة بالإيمان التحقيقي وباللمعات الواردة عن التفكر الإيماني في المخلوقات.

وهذا التأمل يسوق صاحبه إلى معرفة الخالق سبحانه، فتنسكب الطمأنينة والسكينة في القلب. حقاً إن تلمّع هذا النوع من التأمل في فكر الإنسان يجعله يفكر دائماً في حضور الخالق الرحيم سبحانه ورؤيته له، أي أنه حاضر وناظر إليه دائماً. فلا يلتفت عندئذٍ إلى غيره، ولا يستمد من سواه. حيث إن النظر والالتفات إلى ما سواه يخل بأدب الحضور وسكينة القلب. وبهذا ينجو الإنسان من الرياء ويتخلص منه، فيظفر بالإخلاص بإذن الله.

وعلى كل حال فإن في هذا "التأمل" درجات كثيرة ومراتب عدة. فحظ كل شخص ما يكسبه، وربحه ما يستفيد منه حسب قابلياته وقدراته.[١]

---

[١] اللمعات، ص: ٢٢٧.

جمالية البلاغة، وبلاغية الإعجاز

بمعنى أنه بين الإعجاز القرآني بجماليته البلاغية، وبلاغية الإعجاز في نظام الكائنات، علاقة صميمة بحيث ترقى بالإعجاز الكوني إلى أن يكون مكاتيب إلهية بتمزيق "غطاء الألفة". لذا يربط النورسي بين إعجازيهما فمثلا في تفسيره الآية الكريمة:

﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (البقرة: ٢٧) يقول:

"فاعلم أن توصيف الفاسقين المشكِكين في إعجازه ونظمه بهذه الأوصاف في هذا المقام، إنما هو لمناسبةٍ لطيفةٍ عاليةٍ .كأن القرآن يقول: ليس ببعيد من الفساق -الذين لم يروا إعجاز القدرة في نظام الكائنات التي هي القرآن الأكبر- أن يترددوا ويجهلوا إعجاز نظم القرآن؛ إذ كما يرون نظام الكائنات تصادفياً، والتحولاتِ المثمرةَ عبثاً اتفاقيةً فتستر عنهم-لفساد روحهم- حِكَمُه؛ كذلك بفطرتهم السقيمة وتهوّسهم الفاسد رأوا النظْمَ المعجِز مشوَّشاً ومقدماتِه عقيمةً وثمراتِه مُرّةً." [١]

المنهجية المتميزة

يتبين لنا مما سبق: أن رسائل النور تفسير للقرآن الكريم. وقد سبقتها تفاسير لعلماء أجلاّء لفتوا الأنظار إلى الكون أيضاً في مواضع من تفاسيرهم كما لا يخفى، إلاّ أن الشيء الأصيل الذي جاءت به رسائل النور هو وضعها لمنهجية جديدة في تفسير القرآن مستندة إلى التفكير التأملي في كتاب الكون ومشاهدة تجليات الأسماء الحسنى، بالنظر الحرفي للكائنات، مستخدمة الإدراك القلبي وموازين العقل والمنطق. حتى غدت هذه القراءة المتميزة علامتها الفارقة. مما يسرت لها

---

[١] إشارات الإعجاز. ص: ٢٠٨.

مخاطبة شرائح المجتمع كلها دون أن تقتصر على نخبة من العلماء أو المثقفين، حيث يتمكن من الاغتراف منها الصغير والكبير والعالم والجاهل والرجل والمرأة كل حسب طاقته، فترفع عنه غطاء الألفة وتمزّق له ستار العادة، فيجد ضالته في كتاب الكون الذي يقرأه بالمعنى الحرفي مما يجعله في عبادة فكرية دائمة كلما نظر إلى ما حوله، ويرى في كل شيء دلائل إيمانية وحقائق قرآنية تسكب الطمأنينة في قلبه والانشراح في روحه.

وحقا قال الأستاذ النورسي: "إن رسائل النور برهان باهر للقرآن الكريم، وتفسير قيّم له، وهي لمعة براقة من لمعات إعجازه المعنوي، ورشحة من رشحات ذلك البحر، وشعاع من تلك الشمس، وحقيقة ملهمة من كنز علم الحقيقة، وترجمة معنوية نابعة من فيوضاته".[١]

وختاما نقتطف فقرة من رسالة "التفكر الإيماني الرفيع" التي كتبها الأستاذ النورسي باللغة العربية، مثالا لقراءته كتاب الكون:

"فَسُبْحانَ مَنْ جَعَلَ حَديقَةَ أرضِهِ؛

مَشْهَرَ صَنْعَتِهِ، مَحْشرَ فِطْرَتِهِ، مَظْهَرَ قُدرَتِهِ، مَدَارَ حِكْمَتِهِ، مَزْهَرَ رَحْمَتِهِ، مَزْرَعَ جَنَّتِهِ، مَمَرَّ المَخْلُوقَاتِ، مَسِيلَ المَوجُودَاتِ، مَكيْلَ المَصْنُوعَاتِ.

فَمُزَيَّنُ الحَيْوانَاتِ، مُنَقَّشُ الطُّيورات، مُثَمَّرُ الشَّجَرات، مُزَهَّرُ النَبَاتات؛

مُعْجِزَاتُ عِلمِهِ، خَوَارِقُ صُنْعِهِ، هَدايَا جُودِهِ، بَراهِينُ لُطْفِهِ.

تَبَسُّمُ الأزهَارِ مِنْ زينَةِ الأثْمَارِ، تَسَجُّعُ الأطيَارِ في نَسْمَةِ الأسْحَارِ، تَهَزُّجُ الأمطارِ عَلى خُدُودِ الأزهَارِ، تَرَحُّمُ الوالِدَاتِ عَلى الأَطفَالِ الصِّغَارِ؛

تَعَرُّفُ وَدُودٍ، تَوَدُّدُ رَحمنَ، تَرَحُّمُ حَنَّانٍ، تَحَنُّنُ مَنَّانٍ، لِلجِنِّ وَالإنسَانِ،

---

[١] الملاحق، ص: ٢٠٨.

وَالرُّوحِ وَالحَيوَانِ وَالمَلَكِ وَالجانِّ.

وَالبُذُورُ وَالأَثْمَارُ، والحُبُوبُ وَالأزهَارُ؛

مُعجِزَاتُ الحِكمَةِ.. خَوَارِقُ الصَّنْعَةِ.. هَدَايا الرَّحْمَةِ.. بَرَاهينُ الوَحْدَةِ..

شَوَاهِدُ لُطْفِهِ في دارِ الآخِرَةِ... شَوَاهِدُ صَادِقَةٌ بأنَّ خَلاَّقَهَا عَلى كُلِّ شيءٍ قَديرٌ وَبِكُلِّ شيءٍ عَلِيمٌ.

قَدْ وَسِعَ كُلَّ شيءٍ بِالرَّحْمَةِ وَالعِلْمِ وَالخَلْقِ وَالتَّدْبيرِ وَالصُّنْعِ وَالتَّصْوِيرِ".[1]

والله نسأل أن يوفقنا إلى حسن القصد وصحة الفهم وصواب القول وسداد العمل.

وصل اللّهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

* * *

تعقيب:

"في ماليزيا" لما جاء دوري بإلقاء بحثي حول (منهج النورسي في تفسير القرآن الكريم) قدّمني رئيس الجلسة قائلًا: الأستاذ إحسان قاسم الصالحي مترجم رسائل النور وهو من أتباع النورسي. وباشرتُ بالافتتاح بالبسملة والحمدلة ثم قلت مخاطبًا رئيس الجلسة: يا أستاذ! الأستاذ النورسي يقول: أنا خادم القرآن. فلماذا خصصتني بأني من أتباع النورسي، فهل في هؤلاء الأفاضل من لا يريد أن يكون خادمًا للقرآن أو خادمًا لخادم القرآن. بل كلهم يتوقون أن يكونوا خدامًا للقرآن، فكلهم من أتباع النورسي، فلِمَ تخصني بهذا؟ فربَت على ظهري بلطف قائلًا: أمزح معك أمزح! تفضل وألق بحثك.

---

[1] اللمعات، ص: ٤٣٧.

وأقام قسم اللغة العربية في جامعة جواهر لال نهرو بدلهي" الهند" مؤتمرًا عالميًا لبديع الزمان سعيد النورسي بعنوان (العيش بالإيمان والأخلاق في مجتمع متعدد الثقافات) في ١-٢/٢/٢٠١٢م، فألحّ عليّ الأخوة الأساتذة أن ألقي كلمة الترحيب. فقمت وأحد الأساتذة يترجم الكلام إلى الإنكليزية. وبدأت بعد الحمد لله والصلاة على رسول الله وبعد كلمات الترحيب، قلت: سأبين لكم حصيلة تجربتي لرسائل النور:

أفرض الآن أنني أصابني صداع. فلا شك سأراجع الطبيب، وأوصاني بحبةّ الأسبرين. واستعملتُها وإذا بي أشفى من الصداع بما أودع الله من خواص في مواد الأسبرين.

والآن أسأل هل يمكن أن يقول حبةُ الأسبرين: أنا ألماني وأنت تركي؟ أو أنا أبيض وأنت أسود؟ أو أنا نصراني وأنت مسلم؟ بالطبع لا يمكن أن يميز الأسبرين أحدًا أيًا كان، طالما أنه إنسان.

فإخواني إني وجدت رسائل النور كالأسبرين لكل إنسان، مسلمًا كان أم غير مسلم، تركيًا كان أو عربيًا أو كرديًا أو هنديًا دون تمييز، فخطاب الرسائل إلى الإنسان أيًا كان. فإن كان أحدٌ له صداع مع عائلته فليقرأ رسائل النور، وإن كان له صداع مع الدولة فليقرأ رسائل النور. فرسائل النور ليست للمسلمين أو الأتراك فحسب وإنما لكل إنسان.

أبعاد في دعوة الإيمان والقرآن [1]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين

حضرات الأساتذة الكرام والأخوة الأعزاء والأخوات الفاضلات

نحييكم بتحية الإسلام من أعماق قلوبنا ومن صميم أفئدتنا فنقول:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛ وبعد

فإن الحمد لله وحده أولاً وآخراً بدءاً وختاماً. فهو الذي جمعنا على الهدى والتقوى والإيمان والمحبة الخالصة لوجهه الكريم.

وقبل أن نخوض في المداولات الفكرية حول رسائل النور أرى من الواجب تقديم أجملَ شكرنا وأجزَله وأفضلَ امتناننا وأزكاه لجميع الأساتذة الكرام والعلماء الأفاضل والأخوة النجباء الأكارم الذين حضروا وساهموا وسعوا لتحقيق جمع هذا الشمل الميمون وهيأوا المناخ العلمي الملائم للتداول الفكري. فاللهم أجزل ثوابَهم واجعل كلَّ خطوة من خطواتهم التي قدموها في سبيل تحقيق الإيمان في القلوب وترسيخه في النفوس في ميزان

---

[1] بحث ألقي في ندوة كلية الشريعة- جامعة سراييفو- البوسنة والهرسك في ٣٠ /٨/ ٢٠٠٦.

حسناتهم يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلاّ من أتى الله بقلب سليم.

وبعد

فقد منّ المولى الكريم علينا ورزقنا رزقا حسنا بترجمة الأعمال الكاملة للأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي وهي "رسائل النور" من اللغة التركية إلى اللغة العربية. فلقد ألّف الأستاذ النورسي رسائله النورية هذه وهو يحمل آلام الأمة الإسلامية بل الإنسانية جمعاء، في أحلك فترة من فترات التاريخ الكبرى التي حلت بها، منذ أوائل القرن الرابع عشر الهجري.

فرسائل النور تلميذةٌ أمينةٌ من تلامذة القرآن الكريم، ولا يصطدم منهجها القرآني هذا مع أي منهج من المناهج القرآنية ولا يلغيه، إذ "لا يفرض بالضرورة البداية الصفرية في المعرفة التربوية والنظرية، فضلا عن المعركة الحضارية، بل يقتضي استثمار كل ما من شأنه أن يفيد في بيان الحقائق الإيمانية المستقاة من القرآن الكريم"[١].

والحق أن دعوة الإيمان والقرآن أو دعوة رسائل النور، وحياة الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي، والعقيدة التي تدعو إليها هذه الدعوة، والفكر الذي تحمله، تحتاج إلى جهود الباحثين المكثفة لإماطة اللثام عنها، لضخامتها، وشموليتها وعمقها.

فحياة الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي في حدّ ذاتها سلسلة من المآسي والأحزان، تحمّل ما لا يتحمله الجبال الراسيات، مما يقوم شاهد صدق على تربيته الربانية، وإيمانه العميق. سجّلها في الرسائل بصدق تام ودقة متناهية؛

---

[١] بديع الزمان النورسي وإثبات الحقائق الإيمانية (المنهج والتطبيق) للدكتور عمار جيدل، مطبعة النسل - إسطنبول ٢٠٠١. ص٧٢.

وبيّن كيف تحولت تلك الآلام في ضميره إلى قيم سلوى بديلة بفضل الإيمان والقرآن. وقد خصصتُ بحثي لندوة أغادير الموسوم بـ" الأبعاد الجمالية في دعوة الإيمان والقرآن" حول هذا التحول.

أما البُعد العَقَدي لدعوة الإيمان والقرآن، فقد قامت على عقيدة صافية، يحدد إطارها الوحي الإلهي القاطع في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ. فتغلغلت بفضل الله تعالى هذه العقيدة الصافية في كيان طالب النور وغدت تنبض بالحركة والحياة وتظهر في السلوك والتصرفات، حتى تحولت إلى حياة فاعلة ومتفاعلة، فوصفها الأستاذ فريد الأنصاري بإيجاز بليغ: "إن طلاب النور يشعرونك أنك أمام عمّال الآخرة. إن أنداء الجنة تفوح من قلوبهم وهم يمارسون مهامهم".[١]

وأما بُعدها الفكري فيلمسه قارئ الرسائل بإمعان؛ أنه من السعة والشمول، بحيث يصدق عليه قول الشاعر محمد إقبال:

إنما الكافرُ حيرانٌ له الآفاقُ تيهْ
وأرى المؤمنَ كوناً تاهت الآفاقُ فيه

ففكرُ هذه الدعوة كونٌ قائم بذاته، في توازن عجيب، ومرونة فائقة، وشمولية متناسقة، يؤكد على البناء ويبتعد عن الهدم. يستمد أصولَه من القرآن الكريم الذي اعتصم به واتخذه مرشدا ودليلاً.

فنجده وقد صاغ من أسماء الله الحسنى في الرسائل بناءً كونيا واحدا متناسقا، يشكّل يقينيات الإنسان المؤمن ونظرته إلى الكون والحياة والمجتمع، فينقذ به إنسان العصر الحاضر من غربة قاتلة وفصام نكد.

---

[١] جريدة التجديد المغربية، العدد ١٢١.

وأما بُعدُها الدعَوي، فهي دعوة إيمانية جامعة، لا تعرف التعصب، ولا تستغل الدين لأي مكسب دنيوي مهما كان. تمد الأيدي الحانية إلى الناس كافة، مسلما كان أم غير مسلم، تحرص على ترسيخ الإيمان في قلوبهم، وبذر بذور المحبة في نفوسهم أياً كانوا. ولا تتعرض لأحد، فلا تقول إلا الخير، ولا تنظر إلاّ إلى الجانب الحسن والإيجابي من كل شيء. وتوجّه هجومها الكاسح إلى الكفر المطلق. تؤمن بالعمل الدؤوب، وتتنكر للثرثرة الفارغة، تعشق التواضع والفصاحة، وتكره الكبرياء والحذلقة، والاستعلاء على الآخرين.

وأما بُعدها الحركي، فهي حركة عقل ذكي، تحسن التدبير، وتعي المرحلة، وتدرك طبيعة العصر، وترسم طريقها بدقة في حدود الممكن، تعانق سنن الله أو الشريعة الفطرية في الحياة الاجتماعية. تنبه الأمة إلى أصالتها، وتعيد لها شخصيتها المستقلة، وتوجه عبوديتها إلى خالقها، وتنفخ فيها روح الحياة.

وهي سواء في سعيد القديم وسعيد الجديد، تستعيذ من الشيطان والسياسة، وتأمر بأوامر القرآن الكريم. فتنفتح للجميع، لتصوغهم صياغة قرآنية.

وعلى الرغم من أن المستهدين برسائل النور لا ينتظرون أي شيء مقابل عملهم لله، إلاّ أنه سبحانه وتعالى قد أجرى على أيديهم فضلاً منه وكرماً ، أعمالاً جليلة، لسلوكهم هذا النهج الحركي السليم بالعمل الإيجابي البنّاء الخالص لله والمنسجم مع السنن الكونية الإلهية، والأخذ بالتدرج الفطري وتجنب الوقوع في التيارات المتصارعة.. إذ في ظل هذه الحركة الإيمانية انتشرت رسائل النور، وغزت العقول والقلوب والأرواح بجهاد معنوي كبير وشامل انتهى إلى تكوين جيل مؤمن انطلق في المجتمع ينشر حقائق الإيمان والقرآن بالتلمذة على رسائل النور. والفضل لله وحده أولاً وآخراً، والمنّة والحمد له وحده.

وأخيرا – وليس آخراً– من يدرس رسائل النور بعمق يدرك تماماً أنه يتجدد في كل يوم، فلا يكون فكره ساكنا، بل يكون كالليث في عرينه، ينتظر اللحظة المناسبة ليتقدم خطوة أخرى إلى عبودية أعمق وأخلص لله.

ذلك لأن رسائل النور لم تكتب لمرحلة معينة، ولا لقوم خاص، ولا هي أسيرة زمن محدد، بل تنبع من قلب القرآن الخالد وحده وتقف وراء موكب رسول الله ﷺ وحده.

وختاما، رحم الله أستاذنا النورسي الذي أودع إلينا هذا السفر النفيس رسائل النور رحمة واسعة، وأجزل مثوبته، ورفع مقامه، وألحقه بموكب الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين. وحسن أولئك رفيقاً.

والله نسأل أن يوفقنا إلى حسن القصد وصحة الفهم وصواب القول وسداد العمل.

وصل اللّهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

* * *

تعقيب:

كنت والأستاذ البوطي رحمه الله وإبنه توفيق مدعوين إلى هذا المؤتمر. وذكر الأستاذ البوطي كلاماً جميلا قبل عرض بحثه قارن فيه كلام العاملين للإسلام. ثم قال:

"نحن نتكلم عن ثمار الإسلام فنقول مثلًا: انظروا.. إن الشريعة الإسلامية لها مزايا كذا وكذا وإن القانون الروماني كذا وكذا فنبين جمال الشريعة الإسلامية. فيتأثر السامعون بكلامنا وبلاغتنا أو أي سبب آخر ولكن بمرور الزمن يتلاشى. ذلك لأن الإعجاب الأكاديمي بالشريعة الإسلامية وبفكر

الإسلام لا يشدّكم إلى الله أبدًا ولا يملأ قلوبكم بشيء من تعظيم الله ولا يوقظكم إلى علاقاتكم بينكم وبين الله.

أما منهج بديع الزمان الغريب في عصره فهو منهج ذلك المتحرق على مدّ الجسور التي تصل بين العبد وبين ربه سبحانه وتعالى. فالنورسي يتكلم بما في قلبه من حب الله وما في قلبه من عظمة الله تعالى. فكل إنسان محتاج دوما إلى معرفة هذا الحب وهذه العظمة.."

جهود سعيد النورسي
في التواصل الحواري [1]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين وعلى آله وأصحابه أجمعين؛ وبعد

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مقدمة:

قبل الولوج إلى صلب هذا البحث لابد أن نلقي ضوءاً على حياة بديع الزمان سعيد النورسي..

ولد سعيد النورسي في مطلع القرن الهجري الماضي ١٢٩٣هـ (١٨٧٦ م) في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، وقاد "فرقة الأنصار" لمقاتلة الروس في جبهة القفقاس... وقاوم عقبها الإنكليز والحلفاء الذين احتلوا مناطق مختلفة من تركيا.. وعاصر حرب الاستقلال التي دامت سنوات لطرد الغزاة من البلاد.. وشهد المنعطف الخطير الذي بدأ منذ سنة ١٩٢٣م حيث وُضعت قوانين وأُتخذت قرارات بإلغاء الخلافة وإبعاد الإسلام عن الحياة الاجتماعية وممارسات الدولة.

---

[1] بحث ألقي في المؤتمر الذي نظمته كلية الشريعة والدراسات الإسلامية- جامعة الشارقة في ١٦- ١٨ / ٤ / ٢٠٠٧.

يقول عن نفسه بعد هذه الفترة :

"إلى هنا كانت حياتي طافحة بخدمة البلاد، وفق ما كنت أحمله من فكرة خدمة الدين عن طريق السياسة. ولكن بعد هذه الفترة وليّت وجهي كلياً عن الدنيا، وقبرت " سعيداً القديم" - حسب اصطلاحي - وأصبحت سعيداً جديداً يعيش كلياً للآخرة... صرفتُ كل همي ووقتي إلى تدبّر معاني القرآن الكريم... أخذتني الأقدار نفياً من مدينة إلى أخرى.. وفي هذه الأثناء تولدت من صميم قلبي معانٍ جليلة نابعة من فيوضات القرآن الكريم.. أمليتها على مَن حولي من الأشخاص، تلك الرسائل التي أطلقت عليها اسم " رسائل النور". إنها انبعثت حقاً من نور القرآن الكريم. لذا نبع هذا الاسم من صميم وجداني، فأنا على إقتناع تام ويقين جازم بأن هذه الرسائل ليست مما مضغته أفكاري وإنما هي إلهام إلهي أفاضه الله سبحانه على قلبي من نور القرآن الكريم، فباركت كل مَن استنسخها، لأنني على يقين أن لا سبيل إلى حفظ إيمان الآخرين غير هذه السبيل... وهكذا تلقفتها الأيدي الأمينة بالاستنساخ والنشر...". [١]

توفاه الله سنة ١٩٦٠ ودفن في مدينة أورفة . ثم نبشت السلطات العسكرية آنذاك قبره وأُخذ جثمانه إلى مكان مجهول، ومازال قبره مجهولاً. رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جنانه.

النورسي رجل الحوار

إذا كان النورسي رجلا قرآنيا وكان منهجه بالتالي هو منهج القرآن، والقرآن الكريم قد عني عناية فائقة بالحوار، فكيف لا يكون النورسي رجل حوار، وكيف لا تكون رسائل النور حوارية في منهجها وأسلوبها وهي تفسير قيّم للقرآن الكريم؟

---

[١] الشعاعات، ص ٥٤١.

ليس بإمكان النورسي وهو الذي آمن بأهمية الحوار واتخذه أسلوبا في الحياة للتواصل مع الغير وحل المشاكل إلا أن يحاور ويحاور باستمرار، ولقد حاور كل الفئات والطوائف البشرية، بدءاً بنفسه أولا، فكتابه "المثنوي العربي النوري" زاخر بالحوار مع نفسه. وحاور طلابه الأوائل في مجلد آخر وهو "الملاحق في فقه دعوة النور". وحاور أركان الدولة ورؤساء الأحزاب والجمعيات في مجلد "الشعاعات" و"ملحق اميرداغ"، وحاور أصحاب الديانات التوحيدية المختلفة وهكذا. وأرسل إلى كل من هؤلاء رسائل يبين لهم أهمية الإيمان وعظمة القرآن، وما يترتب على كل واحد منا في الوقت الحاضر من واجبات ومهمات.

نعم، كان النورسي يستلهم جميع أفكاره من القرآن الكريم ويعدّ نفسه خادماً له، والقرآن الكريم كتاب الله الذي يحاور البشرية قاطبة بجميع أصنافها وطبقاتها وأديانها، فمن الأولى أن يكون النورسي هو رجل الحوار، ومنهجه منهج الحوار، سواء بين الأفراد أو الجماعات أو الدول والمؤسسات أو الحضارات أو الأديان.

ونكاد نجزم بأنّ للنورسي سبقاً في هذا المجال، يتمثّل في الزّمن المبكّر الذي أعلن فيه عن هذا الموقف، وفي الوضوح الّذي يطبع آراءه من حيث الجملة، فقد دعا إلى الحوار ونفّذه في حياته واستمر عليه طلابه من بعده، كما سنرى.

الحوار في رسائل النور

لا ينحصر الحوار في رسائل النور في مجرد جلسات كلامية تعقد بين الناس على اختلاف ثقافاتهم وألوانهم وجنسياتهم وأديانهم، أو إيجاد حلول وسطية بين وجهات نظر، بل هو منهج نابع من جوهر الإيمان، ومن روح القرآن الكريم. وهو يعني الدعوة إلى الله، وإلى إعلاء كلمة الله؛ فلا غرو لا دعوة دون حوار.

بمعنى أن ديننا قبل كل شيء يأمرنا بالتواصل والحوار والتبليغ والإرشاد للبشرية كافة. بل إن غاية حياتنا هي التبليغ والإرشاد.

إنّ هذا الموقف لا يعبّر عن رخصة شرعية، بقدر ما يمثّل منهجاً، و ليس هو بفتوى بقدر ما هو مذهب دعوي. حيث إن الكفر المطلق والفساد الأخلاقي عدو الإنسانية قاطبة على اختلاف الأديان والحضارات يدمر حياة الإنسان الدنيوية مثلما يبيد حياته الأخروية، فمن الضرورة قيام كل فرد يشعر بهذا الخطر أياً كان دينه ومذهبه، لمجابهة هذا العدو المشترك الذي لا يميز دينا ولا مذهبا.

الخطاب النوري خطاب إنساني :

لاشك أن الخراب المادي والدمار المعنوي قد أصاب العالم أجمع، والإنسان هو المستهدف بالذات، وليس المسلم وحده. فبات من الضروري على كل من سهر على فلاح مشروعه الإصلاحي أن يخاطب كل أجناس البشر وكل طبقات المجتمع ذكورا وإناثا. فما سجله الأستاذ النورسي في الرسائل ما هو إلاّ أدوية استفاضها من القرآن الكريم وجرّبها أولاً على نفسه حيث إن النفس الإنسانية هي واحدة في جوهرها، وواحدة في أسباب صحتها ومرضها، كالجسد تماماً . فيخاطب القارئ أيا كان قائلا: "كُن مَن شئت، فلا نفسُك أطغى وأعصى من نفسي، ولا شيطانُك أغوى وأشقى من شيطاني". [١]

لذا نجد أن رسائل النور تسدّد خطابها نحو الإنسان وتفسح مجال الحوار إلى مداه الإنساني وتسعى لخلاصه من الكفر والإلحاد والضلال والضياع، وإيجاد الحلول لمشكلاته وهمومه الحقيقية من حيث هو إنسان، سواء أكان مسلماً أم غير مسلم . فتقول له:" كن من شئت وأبصر! وافتح عينيك فحسب

---

[١] المثنوي العربي النوري، ص ٣٤.

وشاهد الحقيقة وانقذ إيمانك الذي هو مفتاح السعادة الأبدية".[١]

فالرسائل بهذا التوجه والنظرة الواسعة إلى الإنسان، إنما تستهدف الكيان الكلي للإنسان، عقله وقلبه وروحه ونفسه.. بل جميع لطائفه، فتغذيها بفيض القرآن حسب حاجة تلك اللطيفة. حيث إنَّ الإيمان لا يحصل بالعلم وحدَه، إذ إن هناك لطائف كثيرة للإنسان لها حظها من الإيمان. فكما أنَّ الأكل إذا ما دخل المعدة ينقسم ويتوزع إلى مختلف العروق حسب كل عضو من الأعضاء، كذلك المسائل الإيمانية الآتية عن طريق العلم إذا ما دخلت معدة العقل والفهم، فإن كلَّ لطيفة من لطائف الجسم -كالروح والقلب والسر والنفس وأمثالها- تأخذ منها وتمصّها حسب حاجاتها. فإن فقدتْ لطيفةٌ من اللطائف غذاءها المناسب، فالمعرفة الإيمانية تظل ناقصة ومبتورة مادامت تلك اللطيفة محرومة من نصيبها.

ولأجل هذا يقول: إن "الأنوار المستقاة من القرآن الكريم (أي رسائل النور) إذن ليست مسائل علمية عقلية وحدها بل أيضاً مسائل قلبية، وروحية، وأحوال إيمانية.. فهي بمثابة علوم إلهية نفيسة ومعارف ربانية سامية".[٢]

فتعالج قضايا الإنسان معالجة تتحلى بالإيجابية والعلمية، فالخطاب يبدأ أولاً بمحاورة نفس المؤلف وإقناعها ثم يعود لمخاطبة الآخرين؛ " لذا فالدرس الذي أقنع نفس المؤلف الأمارة بالسوء إقناعاً كافياً وتمكّن من إزالة وساوسها وشبهاتها إزالة تامة لهو درس قوي بلا شك، وخالص أيضا بحيث يتمكن وحده من أن يصد تيار الضلالة الحاضرة التي اتخذت شخصية معنوية رهيبة - بتشكيلاتها الجماعية المنظمة - بل أن يجابهها و يتغلب عليها".[٣]

---

[١] الملاحق، ص ١٠٥.

[٢] المكتوبات، ص ٤٥٩.

[٣] الملاحق، ص ١٠٥.

وغني عن البيان أن كل ما يُذكر في الرسائل ما هو إلا من فيض القرآن الكريم ومنضبط بحدود حقائق الشرع، وينطلق من أحكام الدين. إذ يقول النورسي: " لا تحسبنّ أن ما أكتبه شيء مضغته الأفكار والعقول. كلا! بل فيضٌ أُفيض على روحٍ مجروح وقلب مقروح، بالاستمداد من القرآن الكريم، ولا تظنه أيضاً شيئاً سيالاً تذوقه القلوب وهو يزول. كلا! بل أنوارٌ من حقائق ثابتة انعكست على عقلٍ عليلٍ وقلبٍ مريضٍ ونفسٍ عمي". [١] ويلمس القارئ أن خطاب الرسائل خطاب علمي يمتزج فيه العقل والقلب معا. فقد كان النورسي "ساعياً بالقلب تحت نظارة العقل، وبالعقل في حماية القلب".[٢]

أخلاقية الحوار في رسائل النور

١. التزام الصدق:

يؤكد النورسي على الصدق تأكيداً قويا ولا يسمح للكذب قط. فيقول: "إما السكوت وإما الصدق".[٣] وذلك لأن : حبة واحدة من صدق تبيد بيدراً من الأكاذيب. وأن حقيقة واحدة تهدم صرحاً من خيال. فالصدق أساس عظيم وجوهر ساطع، وربما يتخلى عن مكانه للسكوت، إن كان فيه ضرر، ولكن لا موضع للكذب قطعاً، مهما يكن فيه من فائدة ونفع. "ليكن كلامك كله صدقاً ولتكن أحكامك كلها حقاً، ولكن عليك أن تدرك هذا: أنه لاحق لك أن تبوح بالصدق كله". [٤]

٢. المحبة:

يولي النورسي المحبة في الرسائل أهمية عظيمة حتى يعدها "سبب وجود

---

[١] المثنوي العربي النوري، ص ٣١٨.
[٢] المثنوي العربي النوري، ص ٣١.
[٣] إشارات الإعجاز، ص ٩٧.
[٤] صيقل الإسلام، ص ٥٠٦.

هذه الكائنات، والرابطة لأجزائها، وأنها نور الأكوان، وحياتها".[١]ويقول أيضاً:

"إن أجدر شيء بالمحبة هو المحبة نفسها. وأجدر صفة بالخصومة هي الخصومة نفسها. أي إن صفة المحبة التي هي ضمان للحياة الاجتماعية البشرية والتي تدفع إلى تحقق السعادة هي أليق بالمحبّة، وإن صفة العدواة والبغضاء التي هي عامل تدمير الحياة الاجتماعية وهدمها هي أقبح صفة وأضرها وأجدر أن تُتجنب ويُنْفَرَ منها. لقد تبين ما في العداوة والخصام من ظلم فظيع ودمار مريع أكدتهما الحربان العالميتان في القرن الماضي. وتبين أن لا فائدة منها البتة.

إن غرور الإنسان وحبّه لنفسه قد يقودانه أحياناً إلى عداء إخوانه المؤمنين ظلماً ومن دون شعور منه فيظن المرء نفسه محقاً. مع أن مثل هذه العداوة تعدّ استخفافاً بالوشائج والأسباب التي تربط المؤمنين بعضهم ببعض - كالإيمان والإسلام والإنسانية - وحطاً من شأنها. وهي أشبه ما يكون بحماقة من يرجّح أسباباً تافهة للعداوة كالحصيات على أسباب بجسامة الجبال الراسيات للودّ والمحبة". [٢]

٣. الموضوعية والتجرد:

يقول النورسي:

"إن من شأن المحقق: سبر غور الموضوع.. والتجرد من المؤثرات الخارجية.. والغوص في أعماق الماضي -أي يرجع إلى الخلفية التاريخية-.. ووزن الأمور بموازين المنطق والعقل.. [٣].

وعليه أن يتجنب كلياً :

---

[١] الكلمات، ص ٤١٠.

[٢] الكلمات، ص ٨٥٤ .

[٣] صيقل الإسلام، ص ٤٠.

ملازمة المخالفة..والتعصب الذميم.. وحب الظهور.. والشعور بالانحياز إلى جهة.. وتسويغ الأوهام والخيالات بإسنادها إلى أصل.. ورؤية الأمور الواهية قوية، لموافقتها رغباته الشخصية.. وإظهار كماله بتنقيص الآخرين والتهوين من شأنهم.. وإبراز كونه صادقاً بتكذيب الآخرين.. وبيان استقامته بإضلالهم.. وغيرها ". [١]

٤. الاستثناء لا التعميم:

تستل رسائل النور الطيبين من مجموع الخبثاء، وتستنقذ الفكر الجيد من بين الجماعات والهيئات التي أثير حولها غبار الشبهات، فعملية التحليل والفرز والاستثناء هي في مقدمة أي كلام حول موضوعات يختلط فيها النافع بالضار، والطيب بالخبيث، مما يجعل القارئ يشعر في هذا الأسلوب، التجرد الكامل والموضوعية الحقة، والأخذ بالحيطة والحذر، والاحتراز من توريط مَنْ هم خارج الموضوع. فلا يلتبس أمر الطيب النافع بالخبيث المضر، ولا يؤخذ البريء بجريرة المتهم أو المجرم.

نورد هنا نموذجا لنظرة رسائل النور إلى أوروبا وكيف أنها تستثني الطيب من الخبيث ولا تعمم:

" لئلا يُساء الفهمُ لابد أن ننبه: إن أوروبا اثنتان.

إحداها: هي أوربا النافعة للبشرية، بما استفاضت من النصرانية الحقة، وأدّت خدماتٍ لحياة الإنسان الاجتماعية، بما توصلت إليه من صناعاتٍ وعلومٍ تخدم العدل والإنصاف، فلا أخاطب – في هذه المحاورة – هذا القسم من أوروبا. وإنما أخاطب أوروبا الثانية تلك التي تعفّنت بظلمات الفلسفة الطبيعية وفسدت بالمادية الجاسية، وحَسِبتْ سيئات الحضارة حسناتٍ لها، وتوهّمت مساوءها فضائل. فساقت البشرية إلى السفاهة وأردتها في الضلالة والتعاسة.

---

[١] صيقل الإسلام، ص ٦٢.

ولقد خاطبتُ في تلك السياحة الروحية الشخصية المعنوية الأوربية بعد أن استثنيت محاسن الحضارة وفوائد العلوم النافعة، فوجّهت خطابي إلى تلك الشخصية التي أخذت بيدها الفلسفة المضرّة التافهة والحضارة الفاسدة السفيهة.."[1].

التواصل الحواري

لنتناول أولا الحوار والنقاش بين المسلمين أنفسهم ثم نعقبه بالحوار مع الآخر.

١- الحوار بين المسلمين

لا شك أن لكل كلام أو خطاب أساليبه الخاصة به وضوابطه التي تقيده. فنجد أن النورسي يلخص تلك الضوابط في أحد مكاتيبه لطلبته، بعد أن أُثير نقاش حول صحة أحد الأحاديث الشريفة وكيفية فهمه. فيقول :

أولاً- أن الشرط الأول في مناقشة هذه المسائل وأمثالها هو:

أن تكون المذاكرة في جو من الإنصاف.. وأن تجري بنيّة الوصول إلى الحق.. وبصورة لا تتسم بالعناد.. وبين مَن هم أهل للمناقشة.. دون أن تكون وسيلة لسوء الفهم وسوء التلقي.

فضمن هذه الشروط قد تكون مناقشة هذه المسألة وما شابهها جائزة.

أما الدليل على أن المناقشة هي في سبيل الوصول إلى الحق فهو: أن لا يحمل المناقش شيئاً في قلبه.. ولا يتألم ولا ينفعل إذا ما ظهر الحق على لسان الطرف المخالف له، بل عليه الرضى والاطمئنان، إذ قد تعلّم ما كان يجهله، فلو ظهر الحق على لسانه لما ازداد علماً وربما أصابه غرور.

---

[1] اللمعات، ص ١٧٦.

ثانياً - إن كان موضوع المناقشة حديثاً شريفاً فينبغي معرفة: مراتب الحديث.. والإحاطة بدرجات الوحي الضمني.. وأقسام الكلام النبوي.

ولا يجوز لأحد مناقشة مشكلات الحديث بين العوام من الناس.. ولا الدفاع عن رأيه إظهاراً للتفوق على الآخرين... ولا البحث عن أدلة ترجّح رأيه وتنمّي غروره..

ولكن لما كانت المسألة قد طُرحت، وأصبحت مدار نقاش، فسيؤذي تأثيرها السيئ أفهامَ العوام الذين يعجزون عن استيعاب أمثال هذه الأحاديث المتشابهة.

إذ لو أنكرها أحدهم فإنه يفتح على نفسه باباً للهلاك والخسران، حيث يسوقه هذا الإنكار إلى إنكار أحاديث صحيحة ثابتة. ولو قَبِل بما يفيد ظاهر الحديث من معنى، وتحدّث به ونشره بين الناس، فسيكون سبباً لفتح باب اعتراضات أهل الضلالة على الحديث الشريف، وإطلاق ألسنتهم بالسوء عليه، ووصمه بـ"الخرافة".[1]

منطلقات الحوار بين المسلمين

نقصر كلامنا على عدد من منطلقات الحوار. فنقول:

١. تعدد أوجه الحق :

يعتقد النورسي أن الحق والصواب غير مقصورين على فئة معينة دون الآخرين، ولا في مذهب دون الآخر. إذ يمكن أن تكون فئات عدة ومذاهب عدة كلها على حق وصواب. ويضع القاعدة الحكيمة الآتية أمام كل صاحب مسلك:

---

[1] المكتوبات، ص ٤٥٢.

"عندما تعلم أنك على حق في سلوكك وأفكارك يجوز لك أن تقول: إن مسلكي حق أو هو أفضل. ولكن لا يجوز لك أن تقول: إن الحق هو مسلكي أنا فحسب". [١] أي تقصر الحق في مسلكك ، فهناك مسالك أخرى أيضاً لهم من الحق نصيب.

٢. عدم الوصاية على الآخرين:

لعل التعثر الذي يحصل في خطاب التعريف بالإسلام حاليا يعود سببه في الأغلب إلى طبيعة المُعرِّفِين أنفسهم، فأغلبهم ينطلق من موقع "الوصاية" على الدين، فينطلق من كونه في مركز الإسلام، ويصوغ خطابه من هذا المنطلق مهما أضفى على خطابه من التواضع.

يقول النورسي: " إن إظهار الدين الذي هو ملك مقدس للناس كافة – بالتحيز والتحزب – أنه أخصّ بمَن هم في مسلكه دون غيره، يثير الأكثرية الغالبة ضد الدين. فيكون سبباً في التهوين من شأن الدين..." [٢] ومن المعلوم أن الدين ملك الجميع وليس تحت وصاية جماعة أو فئة أو ما شابه. ولكن " كل من لديه استعداد وقابلية على الاجتهاد وحائز على شروطه، له أن يجتهد لنفسه في غير ما ورد فيه النص، من دون أن يلزم الآخرين به، إذ لا يستطيع أن يشرّع ويدعو الأمة إلى مفهومه. إذ فهمه يُعدّ من فقه الشريعة ولكن ليس الشريعة نفسها، لذا ربما يكون الإنسان مجتهداً ولكن لا يمكن إن يكون مشرّعاً" [٣]..

٢- الحوار مع الآخر: دفع الخطر المشترك

لما كان الكفر المطلق عدو الإنسانية قاطبة على اختلاف الأديان والحضارات

---

[١] المكتوبات، ص٣٤٣ .

[٢] صيقل الإسلام، ص ٣٦٢.

[٣] الكلمات، ص:٨٤٨.

حيث يدمر حياة الإنسان الدنيوية مثلما يبيد حياته الأخروية، فمن الضرورة قيام الأديان معاً لمجابهة هذا العدو المشترك الذي لا يميز دينا عن دين.

يقول النورسي لبيان أهمية تشخيص الخطر المشترك:" إن أشد القبائل تأخراً يدركون معنى الخطر الداهم عليهم، فتراهم ينبذون الخلافات الداخلية، وينسون العداوات الجانبية عند إغارة العدو الخارجي عليهم".[١]

وينظر إلى مستقبل النصرانية في ضوء الأحاديث الصحيحة الواردة في نزول عيسى عليه السلام بـ"انَّ النصرانية سوف تُلقي السلاح وتستسلم للإسلام سواءً بالانطفاء أو بالاصطفاء، فلقد تمزقت النصرانية عدة مرات حتى انتهت إلى البروتستانية. وتمزقت البروتستانية فاقتربت من التوحيد، وهي تتهيأ للتمزّق مرة أخرى. فإما أنها تنطفئ وينتهي أمرُها، وإما أن تجد تجاهها الحقائقَ الإسلامية الجامعة لأسس النصرانية الحقّة ومبادئها، فتستسلم. وقد أشار الرسول ﷺ إلى هذا السرّ العظيم بأنه: سينزل عيسى عليه السلام وسيكون من أمتي ويعمل بشريعتي".[٢]

من هذا المنطلق نرى النورسي يدعو إلى التعاون والتآزر مع الروحانيين المتدينين الحقيقيين من النصارى. فيقول: " لقد ثبت في الحديث الصحيح[٣] أن المتدينين الحقيقيين من النصارى سيتفقون في آخر الزمان مستندين إلى

---

[١] المكتوبات، ص ٣٤٩ .

[٢] المكتوبات، ص ٦٠٢.

[٣] هناك أحاديث صحيحة كثيرة، نسوق منها: عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، فينزل عيسى، فيقول أميرهم: تعال صل بنا، فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة» رواه مسلم ١٥٦، ورواية ثانية حول الاقتداء في البخاري ٣٤٥/٤ ومسلم ١٥٥.

أهل القرآن للوقوف معاً تجاه عدوهم المشترك الزندقة، لذا فأهل الإيمان والحقيقة في زماننا هذا ليسوا بحاجة إلى الاتفاق الخالص فيما بينهم وحده، بل مدعوون أيضاً إلى الاتفاق حتى مع الروحانيين المتدينين الحقيقيين من النصارى، فيتركوا مؤقتا كل ما يثير الخلافات والمناقشات دفعاً لعدوهم المشترك الملحد المتعدي".[1]

وعندما يقدم النورسي هذا الاقتراح فإنه لا يعني أنه لا يوجد أي خلافات بين المسلمين وبين النصارى، ولا أن هذه الاختلافات غير مهمة. فالحقيقة أن هناك اختلافات مهمة بين الإيمان لدى النصارى والإيمان في الإسلام. ولكن وجهة نظره تقوم على أن التركيز على هذه الاختلافات والفروق قد تؤدي إلى صرف أنظار المسلمين والنصارى عن العدو المشترك، وهو الكفر والضلال اللذان يقوضان حياة البشرية جمعاء الدنيوية والأخروية. بتقديم مناهج حياة بعيدة عن الأوامر الإلهية بل عن روح الإنسانية.

التطبيق العملي للحوار مع الآخر

لاشك أن المرشد يحيا بما يرشد إليه ويرشد بما يحيا به، وما شاهد الأعداء ولا الأصدقاء أن النورسي قال شيئا ولم يعمل به، ذلك لئلا يشمله الزجر الإلهي في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ. كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ (الصف: ٢-٣).

يقول الأستاذ الدكتور توماس ميشيل أمين سر في السكرتارية اليسوعية للحوار بين الأديان في روما بإيطاليا، والسكرتير المسكوني لاتحاد المنظمات في الأسقفية الآسيوية لاتحاد الكنائس:

---

[1] اللمعات، ص ٢٢٩.

" إنه لخطوة نحو مزيد من السلم الذي نحتاجه، ونحو مزيد من المصالحة بين هاتين الجماعتين المؤمنين بالله، أن بذل سعيد النورسي جهوده الشخصية في سنواته الأخيرة في إنشاء المصالحة والصداقة مع النصارى، فأرسل في سنة ١٩٥٠ مجموعة من كتبه إلى البابا بيوس الثاني عشر في روما وتسلم جوابه في ٢٢ شباط سنة ١٩٥١ مع رسالة شكر شخصية وهي المدرجة أدناه:

الفاتيكان

٢٢ شباط ١٩٥١

مقام البابوية الرفيع

السكرتير الخاص

رئاسة القلم الخاص رقم ٢٣٢٢٤٧

سيدي! تلقينا كتابكم المخطوط الجميل "ذوالفقار" بوساطة وكالة مقام البابوية باسطنبول، وتم تقديمه إلى حضرة البابا الذي رجانا أن نبلغكم بالغ سروره من هذه الإلتفاتة الكريمة منكم، ودعواته من الله عز وجل أن يشملكم بلطفه وفضله. ونحن ننتهز هذه الفرصة لنبلغكم احتراماتنا.

التوقيع

رئاسة سكرتارية الفاتيكان[١]

وأن الشخص المراقب يلاحظ بأنه لم يمر إلاّ عشر سنوات على هذه الرسالة حتى أعلنت الكنيسة الكاثوليكية عند انعقاد المجلس الكنسي الثاني للفاتيكان احترامها وتقديرها للمسلمين وأكدت بأن الإسلام كان طريقاً أصيلاً وحقيقياً للخلاص والنجاة".[٢]

---

[١] الملاحق، ص ٣٤٦.

[٢] أ. د. توماس ميشيل – المؤتمر العالمي الرابع لبديع الزمان سعيد النورسي المنعقد في اسطنبول سنة ١٩٩٨.

وبناء على هذا الإقرار والشهادة من مسؤول له مكانته في روما، قلنا: إن النورسي له السبق في هذا المضمار.

وقبل ذلك أي في سنة ١٩١٠ – ١٩١١ عندما ذكر النورسي أسباب رغبته في إقامة علاقات صداقة مع النصارى، قيل له: كيف تشير إلينا بمحبة اليهود والنصارى، مع أن القرآن الكريم ينهى عن ذلك بقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء ﴾ (المائدة: ٥١)

قال: "كما يلزم أن يكون الدليل قطعي المتن، يلزم كذلك أن يكون قطعي الدلالة، مع أن للتأويل والاحتمال مجالاً، لأن النهي القرآني ليس بعام بل مطلق، والمطلق قد يُقيّد، والزمان مفسّر عظيم، فإذا ما أظهر قيدَه فلا اعتراض عليه.

وأيضاً، إن كان الحكم قائماً على المشتق، فإنه يفيد علّية مأخذ الاشتقاق للحكم. فإذن المنهيّ عنه في هذه الآية الكريمة هو محبتهم من حيث ديانتهم اليهودية والنصرانية.

وأيضاً، لا يكون المرء محبوباً لذاته، بل لصفته وصنعته، لذا فكما لا يلزم أن تكون كل صفةٍ من صفات المسلم مسلمة، كذلك لا يلزم أن تكون جميع صفات الكافر وصنعته كافرة أيضاً.

فعلى هذا، لِمَ لا يجوز اقتباس ما استحسنّاه من صفة مسلمة أو صنعة مسلمة فيه؟ فإن كانت لك زوجة كتابية، لاشك أنك تحبها".[1]

إن جوابه هذا يلقى ضوءاً على طريقة فهمه الدقيق لتفسير القرآن. فهو يرى أن هذا التحريم ليس عاماً بل هو مطلق، لذا يمكن تقييده وحصره.

وفي سنة (١٩٥٣م) كانت اسطنبول تتهيأ للاحتفال بمرور خمسمائة عام

---

[1] صيقل الإسلام، ص ٣٩٩-٤٠٠.

على فتحها. وقد أقيم فعلاً احتفال مهيب دعي إليه الأستاذ بديع الزمان مع المدعوين الرسميين، وفي هذا الاحتفال التقى بطريرك الروم (آشنو كراس). وأثناء اللقاء جرى بينهما الحوار الآتي:

سعيد النورسي: يمكن أن تكونوا من أهل النجاة يوم القيامة إذا آمنتم بالدين النصراني الحق بشرط الاعتراف بنبوّة سيدنا محمد ﷺ وبالاعتراف بالقرآن الكريم كتاباً من عند الله.

البطريرك: إنني أعترف بذلك.

سعيد النورسي: حسناً، فهل تعلنون ذلك أمام الرؤساء الروحانيين الآخرين؟

البطريرك: أجل إنني أقول ذلك ولكنهم لا يقبلون.[١]

وبعد وفاته لم يهمل طلابه في تركيا وأوروبا إدامة الجهود نفسها. فنظموا المؤتمرات العلمية العالمية التي تعقد كل سنتين في اسطنبول دعوا إليها كبار العلماء والأساتذة من أهل الكتاب المهتمين بالحوار. وكان ذلك أفضل ميدان للتشاور العلمي الهادئ بعيداً عن المؤثرات الخارجية التي قد تعكر جو التفاهم وتبادل الآراء.

المستقبل للإسلام

إن الأزمة الإيمانية الأخلاقية التي توشك أن تفتك بكيان الإنسانية كله وتدمره نهائيا تدفع بالغيارى إلى اليقظة والحذر، لإعادة الإنسانية في أقرب وقت إلى رشدها. لذا فإن أحوج ما يكون إليه الإنسان في هذا الوقت هو ذلك النور الذي يبدد له الظلمات وينور له الطريق فيجد به سبيلا للخروج من الورطة التي أوقع نفسه فيها. فلا غرو إذن أن عالم الإسلام حينئذ مدعو للمساهمة

---

[١] Bilinmeyen Taraflariyle Bediuzzaman Said Nursi. Necmeddin Şahiner, s. 382

برسالة أخلاقية خالصة لا شبهة فيها ولا غبار عليها أكثر من أي شيء آخر. يقول الأستاذ النورسي:

"ولو أننا أظهرنا بأفعالنا وسلوكنا مكارم أخلاق الإسلام وكمال حقائق الإيمان، لدخل أتباع الأديان الأخرى في الإسلام جماعات وأفواجاً. بل لربما رضخت دول العالم وقاراته للإسلام".[١] ويقول أيضا:

"إن المستقبل الذي لا حُكمَ فيه إلاّ للعقل والعلم، سوف يسوده حكم القرآن الذي تستند أحكامُه إلى العقل والمنطق والبرهان".[٢]

ويقول: "إن الظهور على المدنيين المثقفين إنما هو بالإقناع وليس بالضغط والإجبار. وإن تحرّي الحقيقة لا يكون إلاّ بالمحبة، بينما الخصومة تكون إزاء الوحشية والتعصب.[٣] لأن الغلبة على المدنيين إنما هي بالإقناع وليس بالإكراه كما هو شأن الجهلاء الذين لا يفقهون شيئاً. نحن فدائيو المحبة لا مكان بيننا للخصومة.[٤]

"نعم، كونوا على أمل؛ إن أعظم صوت داوٍ في انقلابات المستقبل هو صوت الإسلام الهادر".[٥]

والله نسأل أن يوفقنا إلى حسن القصد وصحة الفهم وصواب القول وسداد العمل.

وصل اللّهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

* * *

---

[١] صيقل الإسلام، ص ٤٩٤.
[٢] صيقل الإسلام، ص ٤٩٥.
[٣] صيقل الإسلام، ص٤٤٦.
[٤] صيقل الإسلام، ص ٥٢٧.
[٥] صيقل الإسلام، ص ٣٦٠.

نماذج من تطبيقات مقاصدية للنورسي في حياته[1]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين وعلى آله وأصحابه أجمعين؛ وبعد

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مقدمة:

قبل الخوض بالبحث لابد أن نلقي ضوءاً على حياة بديع الزمان سعيد النورسي..

ولد في مطلع القرن الهجري الماضي سنة ١٢٩٣هـ (١٨٧٦م) في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، وجاهد الروس في الحرب العالمية الأولى قائداً شعبياً لفرقة الأنصار.. وعاصر حرب الاستقلال.. وشاهد المنعطف الخطير الذي بدأ منذ سنة ١٩٢٣م حيث وُضعت قوانين لإبعاد الإسلام عن الحياة الاجتماعية وممارسات الدولة.. انصرف كلياً إلى تدبّر معاني القرآن الكريم... أخذته الأقدار من مدينة إلى أخرى نفياً وسجنا وإقامة إجبارية طوال ربع قرن.. وفي هذه الأثناء تولدت من صميم قلبه معانٍ جليلة نابعة من فيوضات القرآن

---

[1] بحث ألقي في مؤتمر فقه المقاصد والحكم في فكر بديع الزمان سعيد النورسي -كلية الشريعة بأكادير التابعة لجامعة القرويين، المغرب في ١٣-١٤/٣/ ٢٠٠٨.

الكريم.. تلك هي المائة والثلاثون رسالة في بيان حقائق القرآن والتي أطلق عليها اسم "رسائل النور".. تلقفتها الأيدي الأمينة بالاستنساخ والنشر والقراءة والدراسة والالتزام بها.

توفاه الله سنة ١٩٦٠م ودفن في مدينة أورفة. ثم نبشت السلطات العسكرية آنذاك قبره وأُخذ جثمانه إلى مكان مجهول، ومازال قبره مجهولاً. رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جنانه.

فنرى أن سيرة النورسي كنز عظيم لكل عامل للإسلام في عصرنا الحاضر، حيث عاصر النورسي واعتصر في أحلك العهود التي مرت على المسلمين. فسيرته تنير لنا الطريق كيف يمكن أن يستهدي المرء بالسيرة النبوية الشريفة في ظروف قد تشبه التي مرت على النورسي.

ونحن في هذا المقام نقتصر على بعض نماذج فقط مما نرى فيها من الحكم والمقاصد ولا نطيل الكلام.

وأرى من الأفضل ألاّ نتأول كلامه أي ألاّ نتكلم بمفهوماتنا أو من مواضعنا الحالية، وإنما ننتقل أولاً إلى الزمن الذي عاصر النورسي، كي نفهم لماذا تصرف هذا التصرف وما الحكمة من ورائه. وهكذا..

ملامح الفترة التي عاشها النورسي بعد سقوط الدولة العثمانية

هذه الفترة (١٩٢٣-١٩٦٠) التي عاشها النورسي حافلة بأحداث جسام عصفت بتركيا فعاشت دوراً حالكاً جداً من الاستبداد المطلق والطغيان الغاشم والعداء الصريح الشرس للدين والسعي المتواصل لمحاولة إطفاء نور الله وإمحاء شريعته، تحت أسماء مزخرفة كالتمدن والتحضر.

واستمر هذا الوضع المظلم مدة ربع قرن من الزمان - أي حتى سنة١٩٥٠م

- إذ دأبت السلطة الحاكمة آنذاك على قلب كل شيء وأن تغيّر كل ما يمت إلى الإسلام بصلة، عقيدةً وتراثاً وعادات وتقاليد.. بل حتى الزي والملابس والأرقام وحروف الكتابة والأعياد وأيام العطل.. الخ.. فسنّت سلسلة من القوانين، نذكر نتفا منها: مُنع تدريس الدين في المدارس كافة، وبُدّلت الأرقام والحروف العربية في الكتابة إلى الحروف اللاتينية، وحُرم الأذان الشرعي وإقامة الصلاة باللغة العربية، وجرت محاولات ترجمة القرآن الكريم وسُعيَ لقراءة الترجمة في الصلوات. كما أُعلنت علمانية الدولة، فمُنع القيام بأي نشاط أو فعالية في صالح الإسلام، إذ حُظر طبع الكتب الإسلامية، وأُرغم الناس على تغيير الزي إلى الزي الأوروبي، فالرجال أُرغموا على لبس القبعة والنساء على السفور والتكشف..

وشكّلت محاكم زرعت الخوف والإرهاب في طول البلاد وعرضها، ونصبت المشانق لعلماء أجلاّء، ولكل من تُحدثه نفسه بالاعتراض على السلطة الحاكمة.[1]

فساد جو من الذعر والإرهاب في أرجاء البلاد، حتى أصبح الناس يخفون القرآن الكريم عن أنظار موظفي الدولة. ونشطت الصحافة في نشر الابتذال في الأخلاق والاستهزاء بالدين، فانتشرت كتب الإلحاد.

وأخذ المعلمون والمدرسون يحاولون مسح كل أثر إيماني من قلوب الطلاب الصغار إذ أصبحوا يلقنونهم الفلسفة المادية وإنكار الخالق والنبوة والحشر. وسعت السلطة الحاكمة آنذاك بتسخير جميع إمكانياتها وأجهزتها

---

[1] لقد آثر علماء كثيرون وأدباء أجلاء ترك البلاد على لبس القبعة. وقد حدثت ثورات ضد السلطة الحاكمة آنذاك في أنحاء مختلفة من البلاد ففي سنة ١٩٢٥مثلاً حدثت: في سيواس في ١١/١٤، وأرضروم في ٢٥/ ١١، ومرعش في ٢٧/ ١١، وريزة في ٢/ ١١ وأخمدت كلها بالقوة .ب/٥٢٦. سيرة ذاتية ص ٢٥٤.

وقوتها ومحاكمها إلى قطع كل الوشائج والعلاقات التي تربط هذه الأمة بدينها ونزع القرآن من قلوبهم.

وما أصدق أخانا أديب إبراهيم الدباغ في كتابه: "سعيد النورسي رجل الإيمان في محنة الكفر والطغيان" إذ يقول:

"تُرى أي مصير رهيب كان ينتظر تركيا، لو لم يقيض الله سبحانه وتعالى لها هذا الرجل، في وقت بدأت فيه فؤوس الحقد، ومعاول الهدم تعمل على زلزلة الإيمان وتقويض بنيانه ومسح آثاره من البلاد.. ويتراءى لنا طيف "الأندلس" شاحباً باكياً وقد انحسر عنه الإسلام وغادره إلى غير رجعة.."

والآن بعد هذا السرد المختصر ننتقل إلى النماذج التطبيقية:

١- لم يشترك ولا عاون حوادث "الشيخ سعيد"

في تلك الفترة نشبت ثورات ضد النظام الحاكم الذي أثار نقمة الشعب باتجاهه المعادي للدين.

ففي الأقاليم الشرقية في تركيا قاد الثورة (الشيخ سعيد بيران) الذي كان شيخا للطريقة النقشبندية وزعيماً بارزاً بين العشائر الكردية.

وقُبيل اندلاع الثورة أرسل الشيخ (سعيد بيران) رسائل إلى الأستاذ سعيد النورسي يطلب منه الاشتراك معه في الثورة ضد حكومة أنقرة، فرفض النورسي الطلب لعدم رغبته في إهراق دم المسلمين الأبرياء في حركة لا أمل فيها.

ونسجل هنا حواراً جرى بينه وبين (حسين باشا) رئيس إحدى العشائر الكردية:

حسين باشا: أريد أن أستشيرك في أمر، إن جنودي حاضرون والخيول موجودة، وكذلك الأسلحة والذخائر، وأنا انتظر أمراً منكم.

سعيد النورسي: ماذا تقول؟ ما الذي تنوي فعله؟ ومَن ستحارب؟

حسين باشا: سنحارب مصطفى كمال.

سعيد النورسي: ومَن هُم جنود مصطفى كمال؟

حسين باشا: ماذا أقول.. انهم جنود!!

سعيد النورسي: إن جنوده هم أبناء هذا الوطن، هم أقرباؤك وأقربائي. فمَن تقتل؟ ومَن سيقتلون؟ فكّر.. وافهم! إنك تريد أن يقتل الأخ أخاه..

حسين باشا: إن الموت لأفضل من مثل هذه الحياة.

سعيد النورسي: وما ذنب الحياة؟ إذا كُنت قد ملَلْتَ حياتك، فما ذنب المسلمين المساكين؟

حسين باشا: (متحيراً) لقد أفسدت عليّ عزيمتي ورغبتي ولا ادري كيف سأقابل عشيرتي التي هي بانتظار عودتي وسيظنون أنني جبنت. لقد أضعت قيمتي بين العشيرة.

سعيد النورسي: وماذا لو كانت قيمتك صفراً بين الناس، وكنت مقبولاً عند الله تعالى؟

وعندما قال له (حسين باشا) بأنه يريد من ثورته تطبيق الشريعة الإسلامية.. قال له سعيد النورسي: أتريد تطبيق الشريعة الإسلامية؟ إن تطبيق الشريعة لا يكون بهذه الطريقة. فلو قلت لك:

يا حسين باشا تعال مع جنودك الثلاثمائة لتطبيق الشريعة، فإن جنودك وهم في طريقهم إلى هنا سيقومون بنهب وسلب وقتل كل من يمرون عليهم في الطريق.. وهذا مخالف للشريعة).[1]

---

[1] سيرة ذاتية ص٢٠٧.

٢- رفضه الهدايا

من المعلوم لدى الجميع أن الرسول الأعظم ﷺ كان يقبل الهدايا ودأب المسلمون على قبولها إلى يومنا الحاضر. ولكن نرى النورسي يحجم عن قبولها.

فلنسأله: لماذا لا تقبل الهدايا من أحد إلاّ بمقابل؟

يقول النورسي:

"لقد كنت أرفض قبول أموال الناس وهداياهم منذ نعومة أظفاري. فما كنت أتنازل لإظهار حاجتي للآخرين رغم أنني كنت فقير الحال وفي حاجة إلى المال، وما كنت زاهداً ولا صوفياً ولا صاحب رياضة روحية، فضلاً عن أنني ما كنت من ذوي الحسب والنسب والشهرة...[١]

"أنني لا أقبل الصدقات والمعونات، كما لا أكون وسيلة لأمثالها من المساعدات، لذا أبيع ملابسي الخاصة وحاجياتي الضرورية، لأبتاع بثمنها - من إخوتي- كتبي التي استنسخوها وذلك لأحول دون دخول منافع دنيوية في إخلاص رسائل النور، لئلا يصيبها ضرر. وليعتبر من ذلك الإخوة الآخرون، فلا يجعلوا الرسائل وسيلة لأي شيء كان".[٢]

إن السبب المهم للاستغناء عن الناس هو ما يقوله ابن حجر الموثوق حسب مذهبنا الشافعي: "ومَنْ أُعطي لوصفٍ يُظنُّ به كفقرٍ أو صلاح أو نسب بأن توفرّت القرائن أنه إنما أُعطي بهذا القصد أو صرّح له المُعطي بذلك وهو باطناً بخلافه، حَرُم عليه الأخذ مطلقاً، ومثله ما لو كان به وصفٌ باطناً لو أطّلع عليه المُعطي، لم يُعْطِهِ. ويجري ذلك في الهدية أيضاً على الأوجه. مثلها سائر

---

[١] الملاحق، ص٢٤٢.

[٢] الملاحق، ص ٣٠٠.

عقود التبرّع فيما يظهر كهِبَةٍ ووصيةٍ ووقفٍ ونذر".[١]

نعم، إن إنسان هذا العصر يبيع هديته البخسة بثمن باهظ، لحرصه وطمعه، فيتصور شخصاً مذنباً عاجزاً مثلي ولياً صالحاً، ثم يعطيني رغيفاً هديةً. فإذا اعتقدتُ أنني صالح - حاش لله - فهذا علامة الغرور، ودليل على عدم الصلاح. وإن لم اعتقد بصلاحي، فقبول ذلك المال غير جائز لي.

وأيضاً إنّ أخذ الصدقة والهدية مقابل الأعمال المتوجهة للآخرة يعني قطف ثمراتٍ خالدة للآخرة، بصورة فانية في الدنيا.[٢]

وسأبين سبباً دقيقاً واحداً من بين الأسباب الكثيرة:

أتي صديق حميم تاجر، بمقدار من الشاي يبلغ ثمنه ثلاثين قرشاً، فلم أقبله. فقال: لا تردّني خائباً يا أستاذي، لقد جلبته لك من إسطنبول! فقبلته ولكن دفعت له ضعف ثمنه. فقال: لِمَ تتعامل هكذا يا أستاذي، ما الحكمة فيه؟ قلت: لئلا أُنزل قيمة الدرس الذي تتلقاه - وهو بقيمة الألماس- إلى قيمة قطع زجاجية تافهة. فإنني أدع نفعي الخاص لأجل نفعك أنت!

نعم، إن درس الحقيقة الذي تأخذه من أستاذ لا يتنازل إلى حطام الدنيا ولا تزل قدمه إلى الطمع والذل، ولا يطلب عوضاً عن أدائه الحق والحقيقة، ولا يضطر إلى التصنع.. هذا الدرس هو بقيمة الألماس.

بينما الدرس الذي يُتلقى من أستاذ اضطر إلى أخذ الصدقات، وإلى التصنع للأغنياء وإلى التضحية حتى بعزته العلمية، في سبيل جلب أنظار الناس إليه، فمال إلى الرياء أمام الذين يتصدّقون عليه. وبهذا جوّز أخذ ثمرات الآخرة في

---

[١] ابن حجر الهيتمي الشافعي، تحفة المحتاج لشرح المنهاج ١٧٨/٧..

[٢] المكتوبات، ص ١٧.

الدنيا. أقول: "إن هذا الدرس نفسه يهون في هذه الحالة إلى مستوى قطع زجاجية".[١]

الحكم والمقاصد في الابتعاد عن السياسة:

أسئلة كثيرة وجهت إلى الأستاذ النورسي حول ابتعاده عن السياسة سنقتطف منها الآتي:

يقول: "وقد مرت عليَّ حادثة جديرة بالملاحظة:

رأيت ذات يوم رجلاً عليه سيماء العلم يقدح بعالم فاضل، بانحياز مغرض حتى بلغ به الأمر إلى حد تكفيره، وذلك لخلاف بينهما حول أمور سياسية، بينما رأيته قد أثنى – في الوقت نفسه – على منافق يوافقه في الرأي السياسي!. فأصابتني من هذه الحادثة رعدة شديدة، واستعذت بالله مما آلت إليه السياسة وقلت: "أعوذ بالله من الشيطان والسياسة".

ومنذئذٍ انسحبت من ميدان الحياة السياسية.[٢]

ويقول: أما إن قلت: كيف تمنعك خدمة القرآن والإيمان عن السياسة؟

فأقول: إن الحقائق الإيمانية والقرآنية ثمينة غالية كغلاء جواهر الألماس، فلو انشغلت بالسياسة، لخطر بفكر العوام: أيريد هذا أن يجعلنا منحازين إلى جهة سياسية؟ أليس الذي يدعو إليه دعاية سياسية لجلب الأتباع؟ بمعنى أنهم ينظرون إلى تلك الجواهر النفيسة أنها قطع زجاجية تافهة، وحينها أكون قد ظلمت تلك الحقائق النفيسة، وبخست قيمتها الثمينة، بتدخلي في السياسة.[٣]

---

[١] الملاحق، ص ٥٤.

[٢] المكتوبات، ص ٣٣١.

[٣] المكتوبات، ص٨١.

وقيل له أيضاً:

"لِمَ انسحبت من ميدان السياسة ولا تتقرب إليها قط؟".

الجواب: لقد خاض سعيد القديم غمار السياسة ما يقارب العشر سنوات علّه يخدم الدين والعلم عن طريقها، فذهبت محاولته أدراج الرياح، ثم يفصل الأسباب: فيقول:

أن تلك الطريق ذات مشاكل، ومشكوك فيها، وأن التدخل فيها فضول – بالنسبة إليّ – فهي تحول بيني وبين القيام بأهم واجب (واجب انقاذ الإيمان). وهي ذات خطورة، وأن أغلبها خداع وأكاذيب.

وهناك احتمال أن يكون الشخص آلة بيد الأجنبي دون أن يشعر.

وكذا فالذي يخوض غمار السياسة إما أن يكون موافقاً لسياسة الدولة أو معارضاً لها، فإن كنت موافقاً فالتدخل فيها بالنسبة إليّ فضول ولا يعنيني بشيء، حيث إنني لست موظفاً في الدولة ولا نائباً في برلمانها، فلا معنى – عندئذٍ– لممارستي الأمور السياسية وهم ليسوا بحاجة إليّ لأتدخل فيها، وإذا دخلت ضمن المعارضة أو السياسة المخالفة للدولة، فلا بد أن أتدخل إما عن طريق الفكر أو عن طريق القوة؛ فإن كان التدخل فكرياً فليس هناك حاجة إليّ أيضاً، لأن الأمور واضحة جداً، والجميع يعرفون المسائل مثلي، فلا داعي إلى الثرثرة. وإن كان التدخل بالقوة، أي بأن أُظهر المعارضة بإحداث المشاكل لأجل الوصول إلى هدف مشكوك فيه، فهناك احتمال الولوج في آلاف من الآثام والأوزار، حيث يُبتَلى الكثيرون بجريرة شخص واحد. فلا يرضى وجداني الولوج في الآثام وإلقاء الأبرياء فيها بناء على احتمال أو احتمالين من بين عشرة احتمالات، لأجل هذا فقد ترك سعيد القديم السياسة ومجالسها

الدنيوية وقراءة الجرائد مع تركه السيجارة". [١]

وسؤال آخر ونكتفي به:

"سؤال: لِمَ لا تهتم إلى هذا الحد بمجريات السياسة العالمية الحاضرة.. نراك لا تغيّر من طورِكَ أصلاً أمام الحوادث الجارية على صفحات العالم. أفترتاح إليها أم أنك تخاف خوفاً يدفعك إلى السكوت؟

الجواب: إن خدمة القرآن الكريم هي التي منعتني بشدة عن عالم السياسة بل أنستني حتى التفكر فيها. وإلاّ فإن تأريخ حياتي كلها تشهد بأن الخوف لم يكبلني ولا يمنعني في مواصلة سيري فيما أراه حقاً. ثم ممَّ يكون خوفي؟ فليس لي مع الدنيا علاقة غير الأجل، إذ ليس لي أهل وأولاد أفكر فيهم، ولا أموال أفكر فيها، ولا أفكر في شرف الأصالة والحسب والنسب. ورحم الله من أعان على القضاء على السمعة الاجتماعية التي هي الرياء والشهرة الكاذبة، فضلاً عن الحفاظ عليها..

فلم يبق إلاّ أجلي، وذلك بيد الخالق الجليل وحده. ومن يجرؤ أن يتعرض له قبل أوانه. فنحن نفضل أصلاً موتاً عزيزاً على حياة ذليلة.

ولقد قال أحدهم مثل سعيد القديم؛

ونحن أُناسٌ لا تَوَسّطَ بَيْننا لنا الصَدْرُ دونَ العالَمينَ أو القبرُ [٢]

إنما هي خدمة القرآن تمنعني عن التفكر في الحياة الاجتماعية السياسية، وذلك أن الحياة البشرية ما هي إلاّ كركب وقافلة تمضي، ولقد رأيت بنور القرآن الكريم في هذا الزمان أن طريق تلك القافلة الماضية أدت بهم إلى مستنقع آسن،

---

[١] المكتوبات، ص٧٠.

[٢] لأبي فراس الحمداني.

فالبشرية تتعثر في سيرها فهي لا تكاد تقوم حتى تقع في أوحال ملوثة منتنة.

ولكن قسماً منها يمضي في طريق آمنة.

وقسم آخر قد وجد بعض الوسائل لتنجيه - قدر المستطاع - من الوحل والمستنقع.

وقسم آخر وهم الأغلبية يمضون وسط ظلام دامس في ذلك المستنقع الموحل المتسخ.

فالعشرون من المائة من هؤلاء يلطخون وجوههم وأعينهم بذلك الوحل القذر ظناً منهم أنه المسك والعنبر، بسبب سُكرهم. فتارة يقومون وأخرى يقعون وهكذا يمضون حتى يغرقوا.

أما الثمانون من المائة، فهم يعلمون حقيقة المستنقع ويتحسسون عفونته وقذارته إلاّ أنهم حائرون، إذ يعجزون عن رؤية الطريق الآمنة.

وهكذا فهناك علاجان اثنان إزاء هؤلاء:

أولهما: إيقاظ العشرين منهم المخمورين بالمطرقة.

وثانيها: إراءة طريق الأمان والخلاص للحائرين بإظهار نور لهم - أي بالإرشاد-.

فالذي أراه أن ثمانين رجلاً يمسكون بالمطرقة بأيديهم تجاه العشرين بينما يظل أولئك الثمانون الحائرون البائسون دون أن يُبصروا النور الحق، وحتى لو أبصروا فإن هؤلاء لكونهم يحملون في أيديهم عصا ونوراً معاً فلا يوثق بهم. فيحاور الحائر نفسه في قلق واضطراب: تُرى أيريد هذا أن يستدرجني بالنور ليضربني بالمطرقة؟. ثم حينما تتحطم المطرقة بالعوارض أحياناً، يذهب ذلك النور أيضاً أدراج الرياح أو ينطفئ.

وهكذا، فذلك المستنقع هو الحياة الاجتماعية البشرية العابثة الملوثة الغافلة الملطخة بالضلالة.

وأولئك المخمورون هم المتمردون الذين يتلذذون بالضلالة.

وأولئك الحائرون هم الذين يشمئزون من الضلالة ولكنهم لا يستطيعون الخروج منها، فهم يريدون الخلاص ولكنهم لا يهتدون سبيلاً.. فهم حائرون.

أما تلك المطارق فهي التيارات السياسية، وأما تلك الأنوار فهي حقائق القرآن فالنور لا تثار حياله الضجة ولا يقابل بالعداء قطعاً، ولا ينفر منه إلاّ الشيطان الرجيم.

ولذلك، قلت: "أعوذ بالله من الشيطان والسياسة" لكي أحافظ على نور القرآن. واعتصمت بكلتا يدي بذلك النور، ملقياً مطرقة السياسة جانباً.

ورأيت أن في جميع التيارات السياسية - سواءً الموافقة منها أو المخالفة - عشاقاً لذلك النور.

فالدرس القرآني الذي يُلقى من موضع طاهر زكي مبرأ من موحيات أفكار التيارات السياسية والانحيازات المغرضة جميعها، ويُرشد إليه من مقام أرفع وأسمى منها جميعاً، لا ينبغي أن تحجم عنه جهة، ولا يكون موضع شبهة فئة، مهما كانت. اللّهم إلاّ أولئك الذين يظنون الكفر والزندقة سياسة فينحازون إليها. وهؤلاء هم شياطين في صورة أناسي أو حيوانات في أجساد بشر.

وحمداً لله فإنني بسبب تجردي عن التيارات السياسية لم أبخس قيمة حقائق القرآن التي هي أثمن من الألماس ولم أجعلها بتفاهة قطع زجاجية بتهمة الدعاية السياسية. بل تزيد قيمة تلك الجواهر القرآنية على مرّ الأيام

وتتألق أكثر أمام أنظار كل طائفة".[١]

الحكمة من بقائه عزباً:

سئل الأستاذ النورسي: "لِمَ بقيت أعزباً خلافاً للسنة النبوية؟"

الجواب: أولا: في الوقت الذي يلزم لصد هجوم زندقة رهيبة تُغير منذ أربعين سنة، فدائيون يضحّون بكل ما لديهم، قررت أن أضحي لحقيقة القرآن الكريم لا بسعادتي الدنيوية وحدها، بل حتى إذا استدعى الأمر بسعادتي الأخروية كذلك، فلأجل أن أتمكن من القيام بخدمة القرآن على وجهها الصحيح بإخلاص حقيقي ما كان لي بد من ترك زواج الدنيا الوقتي - مع علمي بأنه سنة نبوية - بل لو وُهب لي عشر من الحور العين في هذه الدنيا، لوجدت نفسي مضطراً إلى التخلي عنهن جميعاً، من أجل تلك الحقيقة، حقيقة القرآن. لأن هذه المنظمات الملحدة الرهيبة تشن هجمات عنيفة، وتدبر مكايد خبيثة، فلابد لصدها من منتهى التضحية وغاية الفداء، وجعل جميع الأعمال في سبيل نشر الدين خالصة لوجه الله وحده، من دون أن تكون وسيلة لشيء مهما كان.

ولقد أفتى علماء منكوبون، وأناس أتقياء، لصالح البدع، أو ظهروا بمظهر الموالين لها، من جراء هموم عيش أولادهم وأهليهم، لذا يقتضي منتهى التضحية والفداء، ومنتهى الثبات والصلابة وغاية الاستغناء عن الناس،وعن كل شيء، تجاه الهجوم المرعب العنيف على الدين، ولا سيما بعد إلغاء دروس الدين في المدارس وتبديل الأذان الشرعي ومنع الحجاب بقوة القانون؛ لذا تركت عادة الزواج الذي أعلم أنها سنة نبوية لئلا ألج في محرمات كثيرة، ولكي أتمكن من القيام بكثير من الواجبات وأداء الفرائض. إذ لا يمكن أن تقترف محرمات كثيرة لأجل أداء سنة واحدة. فلقد وجد علماء أدوا تلك السنة النبوية

---

[١] المكتوبات، ص٦٣.

أنفسهم مضطرين إلى الدخول في عشر كبائر ومحرمات وترك قسم من السنن والفرائض، في غضون هذه السنوات الأربعين.

ثانيا: إن الآية الكريمة ﴿فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم..﴾ (النساء: ٣) والحديث الشريف (تناكحوا تكثروا..)[١] وأمثالهما من الأوامر، ليست أوامر وجوبية ودائمية، بل استحبابية مسنونة، فضلا عن أنها موقوفة بشروط لابد من توافرها، وقد يتعذر توافرها للجميع وفي كل وقت. ثم إن الحديث الشريف (لا رهبانية في الإسلام)[٢] لا يعني أن الانزواء والعزوبة - كما هو لدى الرهبان - محرمتان مرفوضتان لا أصل لهما. بل هو حث على الانخراط في الحياة الاجتماعية كما هو مضمون الحديث الشريف (خير الناس أنفعهم للناس).[٣] وإلاّ فإن ألوفاً من السلف الصالحين قد اعتزلوا الناس موقتاً، وآثروا الانزواء في المغارات لفترة من الزمن، واستغنوا عن زينة الحياة الدنيا الفانية وجردوا أنفسهم عنها، كي يقوموا ببناء حياتهم الأخروية على الوجه الصحيح. فما دام الكثيرون من السلف الصالحين تركوا الدنيا وزينتها بلوغاً إلى كمال باق وخاص بشخصهم، فلابد أن من يعمل لأجل سعادة باقية، لكثير جداً من المنكوبين، ويحول بينهم

---

[١] رواه عبد الرزاق والبيهقي مرسلا بلفظ: "تناكحوا تكثروا فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة" قال في المقاصد: جاء معناه عن جماعة من الصحابة، فأخرج أبو داود والنسائي والبيهقي وغيرهم مرفوعاً: تزوجوا الولود الودود فإنى مكاثر بكم الأمم يوم القيامة، ولأحمد وسعيد بن منصور والطبراني في الأوسط والبيهقي وآخرين عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ يأمر بالباءة وينهى عن التبتل نهيا شديداً ويقول: تزوجوا الولود الودود فإنى مكاثر بكم الأمم يوم القيامة، وصححه ابن حبان والحاكم.. الخ "باختصار عن كشف الخفاء للعجلوني ١٠٢١"..

[٢] قال ابن حجر لم أره بهذا اللفظ، لكن حديث سعد بن ابي وقاص عند البيهقي: إن الله أبدلنا بالرهبانية الحنيفية السمحة. "كشف الخفاء ٣١٥٤".

[٣] حديث حسن أخرجه القضاعي في مسند الشهاب وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢ ص٤٢٠ ص٢ وانظر الصحيحة ٤٢٦ وصحيح الجامع الصغير وزيادته برقم ٦٥٣٨.

وبين السقوط في هاوية الضلالة، ويسعى لتقوية إيمانهم، خدمةً للقرآن والإيمان خدمة حقيقية، ويثبت تجاه هجمات الإلحاد المغير من الخارج والظاهر في الداخل، أقول لابد أن الذي يقوم بهذا العمل العام الكلي - وليس عملا خاصاً لنفسه - تاركاً دنياه الآفلة، لا يخالف السنة النبوية بل يعمل طبقا لحقيقة السنة النبوية.

ثالثاً: لم نقل لطلاب النور: "تخلوا عن الزواج، دعوه للآخرين" ولا ينبغي أن يقال لهم هذا الكلام. ولكن الطلاب أنفسهم على مراتب وطبقات. فمنهم من يلزم عليه ألاّ يربط نفسه بحاجات الدنيا، قدر المستطاع، في هذا الوقت، وفي فترة من عمره، بلوغاً إلى التضحية العظمى والثبات الأعظم والإخلاص الأتم. وإذا ما وجد الزوجة التي تعينه على خدمة القرآن والإيمان، فبها ونعمت. إذ لا يضر هذا الزواج بخدمته وعمله للقرآن، ولله الحمد والمنة ففي صفوف طلاب النور كثيرون من أمثال هؤلاء. وزوجاتهم لا يقصرن عنهم في خدمة القرآن والإيمان، بل قد يفقن أزواجهن ويسبقنهم لما فطرن عليه من الشفقة التي لا تطلب عوضاً، فيؤدين العمل بهذه البطولة الموهوبة لهن بإخلاص تام.

هذا وان المتقدمين والسابقين من طلاب النور أغلبهم متزوجون، وقد أقاموا هذه السنة الشريفة على وجهها، ورسائل النور تخاطبهم قائلة:

اجعلوا بيوتكم مدرسة نورية مصغرة، وموضع تلقي العلم والعرفان، كي يتربى الأولاد الذين هم ثمار تطبيق هذه السنة، على الإيمان، فيكونون لكم شفعاء يوم القيامة، وأبناء بررة في هذه الدنيا، وعندها تتقرر هذه السنة الشريفة فيكم حقاً. وبخلافه لو تربي الأولاد على التربية الأوروبية وحدها -كما حدث خلال ثلاثين سنة خلت - فإن أولئك الأولاد يكونون غير نافعين لكم في الدنيا - من جهة - ومدّعين عليكم يوم القيامة، إذ يقولون لكم: "لِمَ لم تنقذوا

إيماننا؟" فتندمون وتحزنون من قولهم هذا، يوم لا ينفع الندم، وما هذا إلا مخالفة لحكمة السنة النبوية الشريفة.[١]

والله نسأل أن يوفقنا إلى حسن القصد وصحة الفهم وصواب القول وسداد العمل.

وصل اللّهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

* * *

[١] الملاحق، ص ٤٠١.

النورسي ومكانة رسائل النور
في الفكر الإسلامي الحديث[1]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين

حضرات الأساتذة الكرام والأخوة الأعزاء والأخوات الفاضلات

نحييكم بتحية الإسلام من أعماق قلوبنا ومن صميم أفئدتنا فنقول:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛ وبعد

فيقول الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي واصفا العصر الحاضر:

"إن تحكم الحضارة الأوروبية، وتسلط الفلسفة المادية وأفكارها، وتعقّد متطلبات الحياة اليومية.. كلها تؤدي إلى تشتت الأفكار وحيرة القلوب وتبعثر الهمم وتفتت الاهتمامات، حتى أضحت الأمور المعنوية غريبة عن الأذهان".[2]

لذا ظهر العديد من حركات الوعي وجماعات الدعوة والإرشاد في البلدان الإسلامية. وأول ما يتبادر إلى الأذهان من الشخصيات الممثلة لهذه المواقف

---

[1] بحث ألقي في مؤتمر جامعة الخرطوم في ٢٠١٠/٢/١٧م.

[2] الكلمات، ص ٢٩٥.

هم: جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ومحمد إقبال والأمير عبد القادر والمهدي السوداني وحسن البنا وأبو الأعلى المودودي وأمثالهم من الدعاة والمصلحين.

وتكمن أهمية النورسي من بين هؤلاء الدعاة في كونه استطاع تشخيص البذور السامة التي تحملها الحضارة الغربية، فشخّص هذه البذور وحلّلها جيداً، ثم قام بعد ذلك بتقديم الأدوية القرآنية الناجعة للأمراض الناجمة منها والعلل الروحية والمعنوية لهذا العصر. لذا بدأت أفكاره تجد القبول لدى العوام والخواص واستمرت حركته وتقدمت ولا نبالغ إذا قلنا أنها تُعدُّ بحق من أكثر التجارب الدعوية والنماذج الإرشادية لفتاً للأنظار في العالم الإسلامي.

ففي هذا العصر الذي طغت فيه قوى المادية، وأسدلت غشاوة على الأبصار والبصائر، حتى لم تعد ترى العقبى، وأضحت الغيبيات شاحبة باهتة خافتة تنتظر من يجلوها ببريق الإيمان، أفاض الله على قلب بديع الزمان سعيد النورسي من نور القرآن الكريم ما جعله يدخل عالم الإيمان والغيبيات بثبات وإقدام، فما فتئ يجول ويصول في هذه الساحة متزوداً بنور الهداية الربانية، وما حباه الله من قدرات فائقة في استيعاب ما وصل إليه عصره وما وصلت إلى عصره من علوم، وما تفتحت أمامه من آفاق الحاجة الإنسانية في عصره، حتى نجده في "رسائل النور" مثالاً للمجدد المُقتدي بالرسول الكريم ﷺ، والمُقتفي خطوات الهداية في نور القرآن المبين.

ولعل العناية الإلهية شاءت أن تغرس فيه بصيرة نفاذة، وقدرة عجيبة في دمج العلوم العقلية الحديثة والعلوم النقلية الشرعية، فكأنه ينهل من جذور المعرفة لا من فروعها؛ إذ يقدم حلولاً وإرشادات في أعقد الأمور الحياتية والإيمانية والغيبية في بلاغة رائقة وأسلوب رشيق، تأنس به العقول وتطمئن به

القلوب، فتجد فيه ضالتها، ومنفذ خلاصها من دون أن يكدّر شيئاً على صفو الأفهام أو يغرقها في الفروع دون الأصول. ذلك لأنه استطاع أن يفرض نفسه في المحافل العلمية في اسطنبول التي كانت مركز الدولة العثمانية وقلبها، وانتخب عضواً في دار الحكمة الإسلامية، التي كانت تُعدّ أكبر مرجع في العلوم الإسلامية في أواخر عهد الدولة العثمانية. فضلاً عن أنه شكل ميليشيا مسلحة من طلابه، وأصبح قائداً متطوعا وحارب الروس في الحرب العالمية الأولى، ودافع عن وطنه وجرح في الحرب ووقع في الأسر. وبعد أن قضى سنتين في الأسر استطاع الهرب بعد نشوب ثورة أكتوبر الشيوعية عام ١٩١٧م في روسيا، مستفيداً من حالة الاضطراب والفوضى التي سادت هناك. وبعد رجوعه إلى اسطنبول استمر في جهاده ضد قوات الاحتلال الغربي. فقد أيد حرب الاستقلال التي بدأت في الأناضول، وبعد أن شاهد أن الفكر الغربي هو المسيطر على أذهان رجال الدولة، تأكد أن النضال السياسي غير ممكن مع هؤلاء، لذا انزوى للعبادة. وكان هذا الانزواء بداية مرحلة جديدة.

يصف نفسه قائلاً: "... صرفتُ كل همي ووقتي إلى تدبّر معاني القرآن الكريم. وبدأت أعيش حياة سعيد الجديد.. أخذتني الأقدار نفياً من مدينة إلى أخرى.. وفي هذه الأثناء تولدت من صميم قلبي معاني جليلة نابعة من فيوضات القرآن الكريم.. أمليتُها على مَن حولي من الأشخاص، تلك الرسائل التي أطلقتُ عليه "رسائل النور" . إنها انبعثت حقاً من نور القرآن الكريم. لذا نبع هذا الاسم من صميم وجداني، فأنا على اقتناع تام ويقين جازم بأن هذه الرسائل ليست مما مضغته أفكاري وإنما إلهام إلهي أفاضه الله سبحانه على قلبي من نور القرآن الكريم، لأنني على يقين أن لا سبيل إلى حفظ إيمان

الآخرين غير هذه السبيل... وهكذا تلقفتها الأيدي الأمينة بالاستنساخ والنشر..."[١]

ولكن النظام الحاكم آنذاك كان قلقاً من الجهاد المعنوي الذي كان يخوضه النورسي، فلاحقوه ولم يتركوا له فرصة للراحة، من سجن ونفي ومراقبة وترصد، مع أنه لم يقترف أي شيء يعاقب عليه القانون. بل حتى بعد وفاته سنة ١٩٦٠م عن عمرٍ بلغ ٨٣ سنة. لم تدعه السلطات العسكرية الحاكمة آنذاك يرتاح في قبره؛ إذ قامت بعد أربعة أشهر من وفاته بنبش القبر ونقل رفاته بالطائرة إلى جهة مجهولة، فأصبح قبره مجهولا حتى الآن لا يعرفه الناس.

كانت دعوته تستند إلى الأسس التالية:

١- ضرورة تقوية أسس الإيمان وتحويله من إيمان تقليدي موروث إلى إيمان تحقيقي يستند إلى العقل والمنطق القرآني. لأن أفكار المسلم وحياته العملية وعالمه بأجمعه مبني على هذه الأسس، فإن لم تكن الأسس قوية فالقيام بإصلاح السقف أو الجدران وتزيينها لن ينقذ البناء. ذلك لأن أهم خطر يتعرض له المسلمون اليوم هو فساد قلوبهم بالضلال الوارد إليهم من الفلسفة المادية، التي تقوّض إيمانهم.

٢- كان يرى ضرورة إصلاح المدارس الدينية والمدارس الحديثة معاً. حيث يقول: "ضياء القلب هو العلوم الدينية، ونور العقل هو العلوم الحديثة، فبامتزاجهما تتجلّى الحقيقة، فتتربّى همة الطالب وتعلو بكلا الجناحين، وبافتراقهما يتولد التعصب في الأولى والحيل والشبهات في الثانية".[٢] ذلك لأنه فهم النورسي من القرآن الكريم أن لله كتابين:

---

[١] الشعاعات، ص٥٤١-٥٤٢.

[٢] صيقل الإسلام، ص: ٤٢٨.

"كتاب الكون" المنظور الذي تتجلى فيه صفة الإرادة الإلهية..

و"القرآن الكريم" المتلو الذي تتجلى فيه صفة الكلام الإلهي.

والقرآن الكريم يطلق اسم "الآية" على كل وحدة من وحدات هذين الكتابين؛ لذا لا يمكن أن يكون تناقض بين هذين العلمين قط؛ أي بين العلم الكوني وبين العلم القرآني، كلاهما يبينان حقيقة واحدة.

ويبين أن المقصود من مجيء الإنسان لهذه الدنيا هو" لأجل أن يتكامل بالمعرفة والدعاء؛ لأن كل شيء فيه موجَّه إلى العلم ومتعلقٌ بالمعرفة حسبَ الماهية والاستعداد. فأساسُ كلِّ العلوم الحقيقية ومعدنها ونورُها وروحها هو "معرفة الله تعالى" كما أن أُسَّ هذا الأساس هو "الإيمانُ بالله جل وعلا".[1]

٣- لقد أكد النورسي مفهوم وحدة العلوم، وبيّن أن القرآن هو المصدر الأساس للعلم والمعرفة، وأن العلوم الاجتماعية والإنسانية والطبيعية تنبثق كلها من مشكاة القرآن الكريم، وترتكز على وجه التحديد على أسماء الله الحسنى. وحاول محاولات جادة إنشاء جامعة الزهراء التي أراد لها أن تكون وفق المنظور القرآني للكون والحياة والإنسان.

٤- لقد دخل النورسي في الصراع الحضاري والثقافي مع المدنية الغربية بحصيلة قرآنية واعية، فجعل القرآن يدافع عن نفسه، ووظّف حقائق القرآن ومعارفه الناصعة في تفنيد أسس الحياة التي تقوم عليها المدنية الغربية، فأثبت فشلها، وبيّن عدم قدرتها على قيادة مركب البشرية، بل أثبت أنها قد ضللت البشرية وموّهتها عن رؤية الحق والحقيقة. لقد كان النورسي في هذا يتكلم بلسان حال الواقع المؤسف حين تركت الأمة شرعة الله ومنهاجه، وحذت حذو الغرب شبراً بشبر وذراعاً بذراع. وكان كلامه كله يدور حول دعوة صريحة

---

[1] الكلمات، ص ٣٥٥.

لاستدعاء القرآن الكريم إلى عالم الواقع الحياتي والمعرفي، ليكون المرجع الأعظم للأمة في تصحيح عقيدتها وثقافتها، وإقامة حضارتها ومدنيتها بل في كل شؤونها. وعرض بكل قوة وجرأة القرآن بديلاً حضارياً ومعرفياً، ومنهجاً حياتياً لا تصلح حياة البشر إلا بهدايته.

٥- أوضح النورسي موقف المسلم تجاه المدنية الغربية. فكل شيء في الغرب ليس خيراً خالصا ولا شراً خالصاً، فالمدنية الغربية تحتوي على بعض قيم مشتركة مع المسلمين. فكما استفاد الغرب من المدنية اليونانية والمدنية الرومانية فإنه استفاد أيضا من المدنية الإسلامية. إذن يجب أخذ الحسن منها؛ وترك الضار غير الموافق لروح القرآن، فالحكمة ضالة المؤمن أنّى وجدها فهو أحق الناس بها. ولننظر كيف يقارن بين الفلسفة الغربية وبين الحكمة القرآنية، من ناحية الأهمية التي يعطيها كل طرف للحياة الاجتماعية للإنسان فيقول:

"إن ما تعطيه حكمة الفلسفة وحكمة القرآن من تربية للمجتمع الإنساني هي:

أن حكمة الفلسفة ترى "القوة" نقطة الاستناد في الحياة الاجتماعية.. وتهدف إلى "المنفعة" في كل شيء.. وتتخذ "الصراع" دستوراً للحياة.. وتلتزم "بالعنصرية والقومية السلبية" رابطة للجماعات.

أما ثمراتها فهي إشباع رغبات الأهواء والميول النفسية التي من شأنها تأجيج جموح النفس وإثارة الهوى.

ومن المعلوم أن شأن "القوة" هو "الاعتداء".. وشأن "المنفعة" هو "التزاحم" إذ لا تفي لتغطية حاجات الجميع وتلبية رغباتهم.. وشأن "الصراع" هو "النزاع والجدال".. وشأن "العنصرية" هو "الاعتداء" إذ تكبر بابتلاع غيرها وتتوسع على حساب العناصر الأخرى.

ومن هنا تلمس لِمَ سُلبت سعادةُ البشرية، من جراء اللهاث وراء الفلسفة.

أما حكمة القرآن الكريم، فهي تقبل "الحق" نقطة استناد في الحياة الاجتماعية، بدلاً من "القوة".. وتجعل "رضى الله سبحانه" ونيل الفضائل هو الغاية، بدلاً من "المنفعة".. وتتخذ دستور "التعاون" أساساً في الحياة، بدلاً من دستور "الصراع".. وتلتزم برابطة "الدين" والصنف والوطن لربط فئات الجماعات بدلاً من العنصرية والقومية السلبية.. وتجعل غاياتها الحد من تجاوز النفس الأمارة ودفع الروح إلى معالي الأمور، وإشباع مشاعرها السامية لسوق الإنسان نحو الكمال والمثل الإنسانية.

إن شأن "الحق" هو "الاتفاق".. وشأن "الفضيلة" هو "التساند".. وشأن دستور "التعاون" هو "إغاثة كل للآخر".. وشأن "الدين" هو "الاخوة والتكاتف".. وشأن "إلجام النفس" وكبح جماحها وإطلاق الروح وحثها نحو الكمال هو "سعادة الدارين".[١]

وهكذا نرى النورسي من أجل جعل القرآن أكبر مرجع في تصحيح عقيدة الأمة وثقافتها وفي تأسيس مدنيتها، أشار بشجاعة كبيرة وبثقة تامة إلى أن القرآن الكريم هو البديل الوحيد للمدنية الغربية، وأن الحياة البشرية لن تستطيع الاستغناء عنه. فيقول مخاطباً المسلمين في الجامع الأموي سنة ١٩١١م: "إذا ما أريناهم الإسلام الصادق المستقيم، والصدق والاستقامة اللائقين بالإسلام، فسوف يدخلون في الإسلام أفواجاً".[٢]

٦- وكان من أهم دساتيره التي رآها وسيلة للتوفيق الإلهي هو اتخاذ "الإخلاص" أساساً، والانشغال بنشر الحق والوعي الإيماني، دون النظر إلى أخطاء

---

[١] الكلمات، ص١٤٥ .

[٢] صيقل الإسلام، ص: ٣٨١.

الآخرين وكشف عيوبهم، والتمسك بالأخوة الإسلامية والاتفاق مع أهل الحق.

٧- ولقد علّمته تجاربه في الحياة والشروط والظروف المحيطة بمجتمعه ضرورة بقائه بعيداً عن الفعاليات السياسية، وضرورة توجهه إلى الخدمات العلمية والإيمانية؛ لأنه رأى أن المنتسبين إلى الأحزاب السياسية قد يتصرفون تصرفات خارجة عن الموضوعية والإنصاف، وهذا يؤدي إلى الإخلال بالإخلاص والبعد عن رضا الله تعالى الذي قال ﴿ وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾. (الانعام: ١٦٤).

ثم إن المسؤولين في الدولة لا يتصرفون بإنصاف تجاه المشتغلين بالسياسة؛ لأنهم يرونهم طامعين في المواقع والمناصب التي يحتلونها. وعلى الرغم من كونهم مسلمين إلا أنهم لا يتورعون عن الدخول في صراع مرير ضد الخدمات الدينية والاجتماعية لهؤلاء. والخلاصة أن السياسة تستطيع أن تظهر الملاك شيطاناً والشيطان ملاكاً.

يقول الأستاذ محمد سعيد رمضان البوطي بعد شرح مفصل عن تجربة الدعوة عن طريق العمل السياسي: "...ثم كانت نتيجة هذه النتائج كلها أن استغلقت السبل أمام هؤلاء إلى ما يحلمون به من إقامة المجتمع الإسلامي المنشود، بل ازدادت الشقة بينهم وبينها عمقاً وتضاعفت العوائق التي كانت تحول بينها وبينهم. فلا الجاهلون والتائهون تخلصوا من جهلهم وتيههم لينعطفوا إلى الارتباط بالإسلام، ولا القادة والحكام وثقوا بسلامة قصدهم الإسلامي وصدق ولائهم للإسلام، بل استيقنوا في أنفسهم أنهم ليسوا إلا صنفاً متميزاً من هواة السياسة وعشاق الحكم، وإن اخترعوا لأنفسهم إلى ذلك سبلاً خداعة جديدة... ولا هم -أي هؤلاء الإسلاميين- أبقوا على شيء من صفاء الإخلاص لدين الله".[1]

---

[1] المؤتمر العالمي الثالث "تجديد الفكر الإسلامي في القرن العشرين وبديع الزمان سعيد النورسي". ٢٤ - ٢٦ أيلول اسطنبول – تركيا ١٩٩٥ تجربة الدعوة عن طريق العمل السياسي في حياة بديع الزمان رحمه الله.

وعلى الرغم من عدم خوض النورسي لأمور الدولة والسياسة وبقاء فعالياته ونشاطه في إطار قانون الدولة، توالت عليه ضغوط كثيرة بل فتحت ألفان وخمسمئة دعوى قضائية ضده إلا أنها جميعاً انتهت بالبراءة. ومع هذا لم يترك الساحة لمعارضيه فقام بإرشادهم وتقديم النصح اللازم لهم كلما سنحت له الفرصة، فكتب رسائل إلى المسؤولين والوزراء وحتى إلى رئيس الجمهورية.

إذن معنى هذا أنه يمكن القيام بفعاليات الإرشاد والوعي الإيماني دون الدخول في خضم السياسة، بل باحتضان جميع المسلمين وفتح أبواب الحوار مع الجميع، والقيام بفعاليات إيجابية في ظل مرونة الإسلام وسماحته وشفقته، والالتزام بالإخلاص. وهذا هو الأجدر في أداء خدمة الإيمان والقرآن؛ ذلك لأن مفهوم الجهاد مفهوم واسع. فقد صنفه ابن قيم الجوزية على أربع مراتب أو خطوات في كتابه القيم "زاد المعاد"؛ وهي :"جهاد النفس، وجهاد الشيطان، وجهاد الكفار، وجهاد المنافقين.

فجهاد النفس هو أيضاً على أربع مراتب. أحدها: أن يجاهدها على تعلم الهدى. الثانية على العمل به بعد علمه. الثالثة: على الدعوة إليه. الرابعة: على الصبر على مشاق الدعوة، ويتحمل ذلك كله لله.

أما جهاد الشيطان فله مرتبتان. أحدهما: جهاده على دفع ما يلقي من الشبهات. الثانية: على دفع ما يلقي من الشهوات، فالأول يكون بعدة اليقين، والثاني يكون بعدة الصبر.

والمرتبة الثالثة: جهاد الكفار والمنافقين، وهو أربع مراتب بالقلب واللسان والمال والنفس، وجهاد الكفار أخص باليد، وجهاد المنافقين أخص باللسان.

والمرتبة الرابعة؛ جهاد أرباب الظلم والمنكرات والبدع، وهو ثلاث مراتب: الأولى باليد إذا قدر، فإن عجز انتقل إلى اللسان، فإن عجز جاهد بقلبه".[١]

ومن هنا نرى أن النورسي قد وفقه الله بالقيام بجميع أنواع الجهاد. واستطاع بهذا الفهم الشامل للإسلام والسيرة الساطعة الملتزمة بأوامره، كسب قلوب الملايين.

وفي الوقت الحاضر بفضل الله وكرمه تكوّن جيل مؤمن يحمل اليقين في قلبه والإقدام في روحه والعلم في عقله، فانطلق في الآفاق نموذجا إيمانيا فريدا في هذا العصر العصيب، فأسس المدارس بمستويات مختلفة وأنشأ مؤسسات ثقافية ومراكز علمية، وأمثالها من الثمار اليانعة الكثيرة، التي تجاوزت ربوع البلاد وبلغت أقاصي البلدان في أرجاء العالم، حيث غدا ساعياً إلى نيل رضى الله سبحانه في المختبر والمعمل كما يناله في المسجد، وأن يتعبد لله بمدارسة العلوم الحديثة والغوص فيها مثلما يتعبد بكتب الفقه والشريعة. كل ذلك باسترشاده بحقائق القرآن التي ينهلها من رسائل النور.

والله نسأل أن يوفقنا إلى حسن القصد وصحة الفهم وصواب القول وسداد العمل.

وصل اللّهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

* * *

---

[١] زاد المعاد، ٥-٢٤.

رؤية النورسي لعرفانية ابن عربي
من خلال رسائل النور[1]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين.

حضرات الأساتذة الكرام والأخوة الأعزاء والأخوات الفاضلات

نحييكم بتحية الإسلام من أعماق قلوبنا ومن صميم أفئدتنا فنقول :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛ وبعد

لابد من الإشارة في البدء إلى أن أهمية هذا البحث تكمن في كونه يقابل بين وجاهتين معرفيتين صِبْغتُهما التصوفية والعقلانية لا غبار عليها، رغم تباعد المدى التاريخي والثقافي واختلاف الملابسات التي عاشها وعاصرها كل منهما.

لقد تمكن النورسي -وخلال ما يناهز النصف قرن من الاعتصام بروح القرآن والتخييم في رحابه- أن يخرج للناس موسوعة رسائل النور التي يصعب على القارئ أن يصنفها في اختصاص بعينه أو يرتبها ضمن حقل معرفي محصور.

---

[1] بحث قدم إلى الملتقى الدولي الذي نظمته مدرسة ابن سينا تحت رعاية المجلس الإسلامي الأعلى وموضوعه: أثر ابن عربي على الفكر الإنساني ومتصوفة الغرب الإسلامي وذلك أيام ١١-٢٠١٠/٥/١٢.

لقد اشتملت الرسائل على مساحة واسعة من فقه التصوف، زيادة عن محورها الأساس المتمثل في إحياء روح التوحيد وبعث السنة المحمدية وتجلية قيم الدين الحنيف كما عاشها المرَشَّدون من رجال الإسلام، لاسيما في عصره العذب الأول.

والملاحظ أن النورسي يستخدم نفس الشواهد التوضيحية التي يستخدمها ابن عربي، إذ وظف (ابن عربي) مثال الشمس، في التدليل على حضورية الخالق عز وجل في كل الأشياء وكل العناصر الكونية، إذ بالشمس المسخرة تقوم حياة الكائنات وجوداً وتوالداً واضمحلالاً، وكذلك هي (إرادة) الخالق و(قدرته) سبحانه موجد الوجود ومسير الأكوان.

النورسي يتمسك بالنظر النصي الذي يرتكز على أساس التفريق بين العبد والمعبود، الخالق والمخلوق.. وكذلك يفعل ابن عربي، إذ لبث يرى ويؤكد وجوب التفريق بين الرب والمربوب، الإله والمألوه.

إن الرؤية التوحيدية لدى الرجلين هي ذات أصل واحد، لكن مداها الامتدادي، مدى يختلف من طرح إلى آخر، ففيما يلتزم النورسي بالوقوف عند عتبة التأدب والتماسك العقليين، يجنح ابن عربي تحت وهج المحبة والانجراف الشوقي، مدفوعا بتداعيات الذوق واستنامة الوجدان، فيتخطى العتبة، فيقع في التصريحية التجاوزية المحظورة..

ونرى النورسي في قراءته لفكر ابن عربي يقرّ له رغم الخلاف، بالتفوق الروحاني، لكن تحفظ النورسي على ابن عربي إنما يقوم على اعتقاده أن الرؤية الأكبرية بتعمقها الموغل في مجال التمثل الفكري للماهية الإلهية إنما انتهى بفتح دروب للحيدة لا ضمانة معها لذوي العقول البسيطة (قلوب العامة) والقلوب الهشة الإيمان.

فالنورسي لا يكفّر ابن عربي، -كما سنرى لاحقا- إنما يخطئه لكونه استعرض أفكاراً ذوقية مهماً حاول أن يفاعلها بالتمحيص والعقلنة.

لقد رأينا النورسي يتطرق إلى تجربة ابن عربي من خلال ما كان يرد عليه من أسئلة الطلاب تستعلمه عن فلسفة الإمام الأكبر.

يستهل النورسي جوابه:

"إنك يا أخي بسؤالك هذا تضطرني إلى أن أناقش وأنا الضعيف العاجز، خارقةَ الحقيقة وداهية علم الأسرار محي الدين بن عربي. ولكن لما كنتُ سأخوض في البحث معتمداً على نصوص القرآن الكريم، فسوف أستطيع أن أحلّق أعلى من ذلك الصقر وأسمى منه وإن كنت ذبابة!".[١]

وواضح هنا مدى الإكبار والتعظيم الذي يحظى به ابن عربي لدى النورسي، لقد وصفه بالخارقة والداهية في علم الأسرار، وذلك حكم من شأنه أن يوجه القارئ إلى النباهة والتفوق اللذين تميز بهما ابن عربي، لا سيما في علم الأسرار.

ثم نجد النورسي يشرع في الإجابة قائلا:

"أخي: اعلم إن محي الدين بن عربي لا يَخدع ولكن ينخدع، فهو مُهتدٍ، ولكنه لا يكون هاديا لغيره في كل ما كتبه. فما رآه صدقٌ وصواب، ولكن ليس هو الحقيقة".

"فالشيخ ابن عربي له مقام خاص لذاته، وهو من المقبولين، إلاّ أنه بكشفياته التي لا ضوابط لها خرقَ الحدود وتجاوزها، وخالف جمهور المحققين العلماء في كثير من المسائل".[٢]

---

[١] اللمعات، ص٥٢.

[٢] نفسه.

يقول النورسي:

"ولأجل هذا تكاد تقتصر طريقتُه الخاصة به لفترة قصيرة جداً في "صدر الدين القونوي"[١] ويندر أن يستفاد من آثاره استفادة ذات استقامة، مع كونه شيخاً عظيماً عالي القدر وقطباً خارقاً فريد زمانه. بل لا يحث كثير من العلماء المحققين والأصفياء على قراءة آثاره القيمة، بل قسم منهم يمنعون قراءتها".[٢]

وهنا يؤكد النورسي الحاجة إلى الدرس المعمق الذي يستطيع أن يميط اللثام عن أعماق فكر ابن عربي، ويزيل عنه ما قد يرى فيه بعضهم من شوائب واستغلاقات يخالف ظاهرها الشريعة.

يقول النورسي:

"إن بيان الفرق الأساس بين مشرب الشيخ محي الدين بن عربي وأهل التحقيق من العلماء، وبيان منابعهما ومصادرهما يحتاج إلى دراسة عميقة وبحث دقيق ونظر واسع رفيع.

نعم! إن الفرق دقيق جداً وعميق جداً إلى درجة كبيرة، والمصدر رفيع وسام إلى حدٍ كبير، بحيث لم يؤاخذ الشيخ ابن عربي على خطئه، وإنما ظل مقبولا لدى العلماء. إذ لو كان الفرق والمصدر مشهودين واضحين علماً وفكراً

---

[١] صدر الدين القونوي: هو محمد بن إسحاق بن محمد بن يوسف القونوي الرومي، صدر الدين: من كبار تلاميذ محي الدين بن عربي تزوج ابن عربي أُمه، وربّاه، من كتبه (النصوص في تحقيق الطور المخصوص) في التصوف، وتفسير سورة الفاتحة سمّاه (إعجاز البيان في تفسير أم القرآن). الأعلام للزركلي (٣٠/٦)، طبقات المفسرين للداوودي ١٠٣/٢، تذكرة الحفاظ للذهبي ١٤٩١، هدية العارفين لإسماعيل باشا ١٣٠/٢، طبقات الأولياء لابن الملقن ٤٦٧ كشف الظنون لحاجي خليفة ٤٥٥ الطبقات الكبرى للشعراني ٢٠٢/١ .

[٢] اللمعات ص٥٣.

وكشفاً لكان سقوطاً مريعاً للشيخ وخطأ جسيما له.

ولكن لما كان الفرق عميقاً جداً، فإننا نحاول أن نبين خطأ الشيخ في تلك المسألة فحسب ونوضح ذلك الفرق وتلك المنابع في مثال باختصار شديد.."[١].

ويتناول النورسي المثال التوضيحي الذي ساق به ابن عربي فكرة وحدة الوجود، عندما تمثلها من خلال عنصر الشمس، فيقول:

"فمثلا الشمس تشاهد في مرآة. فهذه المرآة هي مظروف الشمس وموصوفها. بمعنى أن الشمس توجد فيها من جهة، ومن جهة أخرى تزين المرآة حتى تكون صفتها اللامعة وصبغتها الساطعة.

فإن كانت تلك المرآة، مرآة آلة تصوير فإنها ستنقل صورة الشمس على ورقة حساسة بصورة ثابتة. ففي هذه الحالة فالشمس المشهودة في المرآة وماهيتها المرتسمة على الورقة وصفاتها، وتزيينها المرآة -حتى غدت كأنها صفتها- هي غير الشمس الحقيقية. فهي ليست شمساً، بل هي دخول تجلي الشمس في وجود آخر.

أما وجود الشمس المشهودة في المرآة فهو وإن لم يكن عين وجود الشمس الموجودة في الخارج إلاّ أنه قد ظن أنه عين وجودها لارتباطه بها وإشارته إليها".[٢]

ويستطرد النورسي في بسط تحليله لرؤية ابن عربي:

"فبناء على هذا المثال:

---

[١] نفسه.

[٢] نفسه.

فإن القول بأن: "ليس في المرآة غير الشمس الحقيقية" يمكن أن يكون صوابا باعتبار المرآة ظرفا وأن المقصود من الشمس التي فيها وجودها الخارجي. ولكن إذا قيل إن صورة الشمس المنبسطة على المرآة – التي أخذت حكم صفة المرآة – والصورة التي انتقلت إلى الورقة الحساسة أنها الشمس، فهذا خطأ، أي أن عبارة "ليس في المرآة غير الشمس" تكون عبارة خطأ، ذلك لأن هناك صورة الشمس التي تظهر على المرآة، وهناك الصورة المرتسمة خلفها على الورق الحساس، فكل منها لها وجود خاص بها. فمع أن ذينك الوجودين هما من تجلي الشمس إلاّ أنهما ليسا الشمس نفسها.

وكذا فإن ذهن الإنسان وخياله شبيهان بمثال المرآة هذا وذلك:

إن المعلومات الموجودة في مرآة فكر الإنسان لها وجهان أيضا: فهي بوجه علم، وبوجه آخر معلوم.

فإذا اعتبرنا الذهن ظرفاً لذلك المعلوم، أصبح ذلك الموجود المعلوم معلوماً ذهنياً. فوجوده شيء آخر.

وإن اعتبرنا الذهن موصوفاً بذلك الشيء الذي حل فيه أصبح صفة للذهن، وذلك الشيء يكون عندئذ علماً، وله وجود خارجي. وحتى لو كان لذلك المعلوم وجود وجوهر فسيكون وجوداً خارجياً عرضياً.

فبناء على هذين التمثيلين:

الكون مرآة، وماهية كل موجود مرآة أيضا. هذه المرايا معرضة إلى الإيجاد الإلهي بالقدرة الأزلية.

فكل موجود –من جهة– يصبح مرآة لاسم من أسماء الله، يبين نقشاً من نقوشه.

فالذين هم على مشرب الشيخ ابن عربي قد كشفوا العالم من حيث المرآتية والظرفية والموجود المثالي في المرآة -من زاوية النفي- ومن حيث منعكس صورة ذلك الشيء في المرآة هو عينه. وقالوا: لا موجود إلاّ هو، دون أن يفكروا بالمراتب الأخرى، فأخطأوا حتى بلغ بهم الأمر أن ينكروا القاعدة الأساسية المعروفة: (حقائق الأشياء ثابتة)".[1]

ويلتفت النورسي إلى عرض رؤية أهل السنة، أو أهل الحقيقة، فيقول:

"أما أهل الحقيقة فإنهم يرون بسر الوراثة النبوية وبصراحة القرآن الكريم وآياته البينات أن النقوش التي توجد في مرايا الموجودات بقدرة الله وإرادته إنما هي من آثاره سبحانه وتعالى. فكل موجود إنما هو منه تعالى وهو الذي يوجده، وليس كل موجود هو، حتى يقال: لا موجود إلاّ هو. إذ للأشياء وجود، وهو وجود ثابت إلى حد ما، وإن كان هذا الوجود وجوداً ضعيفاً كأنه وهمي وخيالي بالنسبة إلى وجوده تعالى، إلاّ أنه موجود بإيجاد القدير الأزلي وإرادته وقدرته.

إن للشمس المشهودة في المرآة وجوداً مثالياً عدا وجودها الخارجي الحقيقي.

ولها وجود خارجي عرضي آخر يلون المرآة بزينته إذ تنبسط عليها صورتها.

ولها وجود خارجي عرضي أيضا، وهو وجود ثابت إلى حد ما، وهو الصورة المنتقشة على الورقة الحساسة خلف المرآة.

فكما أن للشمس وجودات هكذا في المثال، كذلك الأمر في مرآة الكون ومرايا ماهية الأشياء. فإن نقوش المصنوعات الظاهرة بتجليات الأسماء الإلهية الحسنى الحاصلة بالإرادة الإلهية واختيارها وقدرتها، لها وجود حادث غير وجود الواجب الوجود. وقد منح بالقدرة الإلهية ثباتا لهذا الوجود ولكن لو

---

[1] نفسه ص ٥٥.

انقطع الارتباط فنيت الأشياء وانعدمت مباشرة. فكل شيء محتاج لبقائه في كل آن إلى إبقاء خالقه له، فإن حقائق الأشياء وإن كانت ثابتة ولكن ثابتة بإثباته سبحانه لها وتثبيته إياها".[١]

ثم يربط النورسي بين حقيقة الوجود وعلاقتها بالأسماء الحسنى، إذ إن الخالق عز وجل -كما يقرر النورسي-أناط الأسماء الحسنى بموجوداته، فالأسماء الحسنى هي التي تتعهد كينونة المخلوقات والكائنات، وإن نظم الكون ونواميسه إنما تديرها إرادة الله من خلال أثر وتأثير أسمائه الحسنى في الموجودات:

"فلا يمكن أن تكون مظاهر (الخلاق والرزاق) من الأسماء الإلهية الحسنى مظاهر وهمية خيالية. فما دامت تلك الأسماء ذات حقيقة، فإن مظاهرها أيضاً لها حقائق خارجية".[٢]

وبعد هذا الاستطراد التوضيحي الذي يبين فيه النورسي وجودية الأشياء وتمايز الوجود المخلوقي في ماهيته عن ماهية الموجد عز وجل، يلتفت إلى السنة وما ورد في نصوصها بهذا الشأن فيقول:

"وفي الحديث الشريف إشارة كذلك إلى أن في الإنسان والأحياء من المظاهر الدالة على "الرحمن الرحيم" ما هو بمثابة مرايا عاكسة لتجلياته سبحانه، فدلالة الإنسان عليه سبحانه ظاهرة قاطعة جلية، تشبه في قطعيتها وجلائها دلالة المرآة الساطعة بصورة الشمس وانعكاسها على الشمس نفسها. فكما يمكن أن يقال لتلك المرآة: إنها الشمس، إشارةً إلى مدى سطوعها ووضوح دلالتها عليها، كذلك

---

[١] نفسه.

[٢] نفسه ص٥٦.

يصح أن يقال -وقد قيل في الحديث[١]- إن في الإنسان صورة "الرحمن"، إشارة إلى وضوح دلالته على اسم "الرحمن" وكمال مناسبته معه ووثوق علاقته به. هذا وإن المعتدلين من أهل وحدة الوجود قد قالوا: "لا موجود إلاّ هو" بناء على هذا السر من وضوح الدلالة، وعنواناً على كمال المناسبة".[٢]

ويسترسل النورسي في إجابة السائل، لاسيما وقد كان استفساره يخص إشكالية (وحدة الوجود)، ويلاحظ أن الخوض في هذه القضية مضر بأفكار الناس، ذلك لأن النورسي كان يدرك أن شيوع الفكر المادي والفلسفات الوضعية قد هيأ الأذهان للانحراف، فلذا كان يحرص على أن تتجنب الأمة الخوض في تشعيبات الجدل، لاسيما وأن قضية وحدة الوجود هي من بعض جوانبها قضية ميتافيزيقية، لا يمكن للسجال الفكري إلا أن ينحرف بها إلى مزالق لا يحتملها الوضع الروحي الهش الذي عليه الأمة الإسلامية في العصر الراهن.

يقول النورسي:

"إن تلقين مسألة "وحدة الوجود" في الوقت الحاضر للناس يضرهم ضرراً بالغاً، إذ كما أن التشبيهات والتمثيلات، إذا خرجت من أيدي الخواص ودخلت أيدي العوام وسرت من يد العلم إلى يد الجهل تُتلقى حقائق، كذلك وحدة الوجود وأمثالها من الحقائق العالية، إذا ما دخلت بين العوام الغافلين السارحين في تأثير الأسباب، يتلقونها "طبيعة" وتولد ثلاث مضار مهمة".

---

[١] الحديث (إن الله خلق آدم على صورة الرحمن). انظر: الحافظ في الفتح ١٨٣/٥؛ ابن أبي عاصم، السنة ٢٢٨/١؛ الطبراني ٤٣٠/١٢؛ الدارقطنى، الصفات (ص ٣٦، رقم: ٤٨) عن ابن عمر بلفظ: (لا تقبحوا الوجه فإن الله خلق آدم على صورة الرحمن عز وجل). أما حديث (خلق الله أدم على صورته) ففي البخاري، الاستئذان ١؛ مسلم، البر ١١٥، الجنة ٢٨؛ أحمد بن حنبل، المسند ٢٤٤/٢، ٢٥١، ٣١٥، ٣٢٣، ٥١٩.

[٢] اللمعات، ص١٥٤.

ويبين النورسي هذه الأضرار كالتالي:

"**الضرر الأول**: إن مشرب وحدة الوجود، مع أنه في حكم إنكار وجود الكائنات إزاء وجود الله سبحانه، إلا أنه كلما دخل بين العوام مضى بهم إلى أن يصل في فكر الغافلين منهم ولاسيما الملوثين بالماديات إلى إنكار الألوهية إزاء الكون والماديات.

الضرر الثاني: إن مشرب وحدة الوجود، يردّ رداً شديداً ربوبية ما سوى الله تعالى، حتى إنه ينكر ما سواه تعالى ويرفع الثنائية، فلا يرى وجوداً مستقلاً للنفس الأمارة ولا لأي شيء كان، ولكن في هذا الزمان، الذي استولت فيه مفاهيم الطبيعة وتفرعنت نفوس أمارة وبخاصة من له استعداد ليتخذ نفسه معبوده من دون الله، ونفخ الغرور والأنانية في أوداجه، فضلا عن نسيان الخالق والآخرة إلى حد ما. فتلقين هؤلاء بوحدة الوجود يطغي نفوسهم حتى لا يسعها شيء، والعياذ بالله.

الضرر الثالث: إنه يورث أفكاراً وتصورات لا تليق بوجوب وجود الذات الجليلة، المنزهة المبرأة المتعالية المقدسة عن التغير والتبدل والتجزؤ والتحيز، ولا تلائم تنزهه وتقدسه سبحانه بحال، فيكون بذلك سبباً لتلقينات باطلة".[1]

ويشدد النورسي على الاشتراطات الروحية والإيمانية التي يجب أن تتوفر في من يتأهل للخوض في فكرة الوجود وتوحده، فتعصمه من الزلل، وتقيه من الانحراف، يقول:

"نعم! إن من يتكلم عن وحدة الوجود عليه أن يعرج فكراً من الثرى إلى الثريا تاركاً الكائنات وراءه ظهرياً، محدقاً بنظره إلى العرش الأعلى، عاداً الكائنات معدومة في حالة الاستغراق، فيمكنه أن يرى بقوة الإيمان أن كل شيء من الواحد الأحد سبحانه مباشرة. وإلا فإن من يقف وراء الكائنات وينظر

---

[1] اللمعات، ص٤٤٣.

إليها ويرى الأسباب أمامه وينظر من الأرض، فإنه يحتمل أن يغرق في تأثير الأسباب ويقع في مستنقع الطبيعة، بينما الذي يعرج فكراً إلى العرش كجلال الدين الرومي[١] يستطيع أن يقول: "افتح سمعك فإنك تستطيع أن تسمع من كل أحد -كأنه حاك فطري- ما تسمعه من الحق تعالى". وإلا فمن لا يستطيع العروج مثله إلى هذه المرتبة الرفيعة ولا يرى الموجودات من الفرش إلى العرش على صورة مرايا (لتجلياته) إن قلت له: "اصغ إلى كل أحد تسمع منه كلام الله" فإنه يبتلى بتصورات باطلة مخالفة للحقيقة كمن يهوي معنىً من العرش إلى الفرش.[٢]

إن رؤية النورسي تنزه الذات العلية عن (التوحدية)، فليس العبد إلا طينة أوجدها الله وأحسن تصويرها لأجل التكليفات والتمحيصات، وإلا ما قيمة العبد إزاء سيده، أو "ما للتراب ولرب الأرباب"!.

وفي موطن آخر نجد النورسي يتدخل في سجال وقع بين عالمين جليلين وهما شيخ الإسلام مصطفى صبري[٣] وموسى باكوف[٤] قد تناقشا حول

---

[١] الرومي (مولانا جلال الدين): (٦٠٤ -٦٧٢هـ) (١٢٠٧ - ١٢٧٣م) عالم بفقه الحنفية والخلاف وأنواع العلوم، ثم متصوف صاحب (المثنوي) المشهور بالفارسية المستغني عن التعريف في ستة وعشرين ألف بيت، وصاحب الطريقة المولوية. ولد في بلخ (بفارس) استقر في (قونية) سنة ٦٢٣هـ عرف بالبراعة في الفقه وغيره من العلوم الإسلامية، فتولى التدريس بقونية في أربع مدارس بعد وفاة أبيه سنة ٦٢٨ هـ. من مؤلفاته: ديوان كبير، فيه ما فيه، مكتوبات.

[٢] اللمعات، ص ٤٤٤.

[٣] مصطفى صبري (١٨٦٩ - ١٩٥٤) تولى مشيخة الإسلام في الدولة العثمانية، قاوم الحركة الكمالية، هاجر إلى مصر، ألف كتبا أهمها (موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين).

[٤] موسى جارالله (باكوف) تركستاني، قازاني، شيخ الإسلام في روسيا قبل الثورة البلشفية، ألف ما يقارب (١٢٠) كتاباً في مختلف موضوعات الإسلام آراؤه تنحو منحى التجدد

عرفانية ابن عربي، فيقرر حكمه على ابن عربي السابق، إذ يراه مهتديا مقبول الإيمان، لكنه متجاوز في بعض أقواله بحيث يبدو كلامه جحوديا في ظاهره، والحقيقة أنه ليس بجحودي:

"نعم، إن محي الدين بن عربي مهتد ومقبول، ولكنه ليس بمرشد ولا هاد وقدوة في جميع كتاباته، إذ يمضي غالباً دون ميزان في الحقائق، فيخالف القواعد الثابتة لأهل السنة، ويفيد بعض أقواله -ظاهراً- الضلالة، غير أنه بريء من الضلالة، إذ الكلام قد يبدو كفرا بظاهره، إلا أن قائله لا يكون كافراً"[١].

ويذكر النورسي -إنصافا لابن عربي- بما ظل يكرره هذا الأخير من عدم إساغة قراءة الفكر الأكبري لمن لا يتأهل لاستيعاب عمق وروح هذا الفكر:

"ولقد قال محي الدين: "تُحرم مطالعة كتبنا على من ليس منا" أي على من لا يعرف مقامنا".[٢]

ونرى النورسي يتطرق في كتابه المثنوي العربي النوري، إلى مسألة وحدة الوجود ووحدة الشهود تارة أخرى، فيقرر أن أصحاب كلا المذهبين واقعان في الحيدة عن الصواب، فطائفة تنفي الموجودات كلية، وطائفة أخرى تحجز الموجودات في محتجز التجاهل والتجاوز: يقول النورسي:

"إن مشرب أهل وحدة الوجود يذهب إلى إعدام الكائنات بنفي وجودها. ومشرب أهل وحدة الشهود يذهب إلى حبس الموجودات في سجن النسيان المطلق".[٣]

والتحرر، أيد الثورة مدة من الزمن تخلصاً من القيصرية ثم تبين له الأمر، فسجن عدة مرات. سافر إلى بلدان كثيرة، وأهم مؤلفاته: الوشيعة في نقد عقائد الشيعة ـ توفي في ملجأ العجزة بالقاهرة.

[١] اللمعات، ص ٤٤٥.

[٢] اللمعات، ص٤٤٣.

[٣] المثنوي العربي النوري،. ص ٣٤٠.

والحقيقة أن المذهبين وجهان لعملة واحدة، إذ أن النتيجة التي يتوخاها أتباعهما واحدة وهي إعظام الخالق وعدم إشراك شيء معه، فأهل وحدة الوجود يرومون من خلال نفي الموجودات إثبات الخالق الجليل، وأهل وحدة الشهود يتوخون من خلال إثبات الموجودات إثبات موجد الموجودات.. فالغاية في الحالين واحدة، حيث تتبدى الكثرة في الواحد والواحد في الكثرة.. لكن رؤية أهل النظر النصوصي تتمسك بصريح التسديدات والمخاطبات الشرعية، فلا تعدوها، ولذا رأوا في الاقترابات الذهنية العرفانية تجاوزاً، واستشعروا إزاءه حساسيةً، أصدر في ضوئها بعضهم الأحكام القاسية.

ونراه يرد في نفس الكتاب (المثنوي) على سؤال بعضهم :

" ما ترى في وحدة الوجود"؟

الجواب: إنه استغراق في التوحيد، وتوحيد ذوقي لا ينحصر في نظر العقل والفكر؛ إذ إن شدة الاستغراق في التوحيد -بعد توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية- يُفضي إلى وحدة القدرة، أي: لا مؤثر في الكون إلاّ الله. ثم يؤدي هذا إلى وحدة الإدارة، وهذا يسوق إلى "وحدة الشهود" ثم إلى "وحدة الوجود". ومن بعدها رؤية وجود واحد ثم إلى رؤية موجود واحد... فشطحات علماء الصوفية التي هي من قبيل المتشابهات لا تقام دليلاً على هذا المذهب. فالذي لم تتخلص روحهُ من تأثير الأسباب ولم تتجرد من دائرتها إذا ما تكلم عن وحدة الوجود يتجاوز حدّه. والذين يتكلمون به إنما حصروا نظرهم في "واجب الوجود" حصراً بحيث تجرّدوا عن الممكنات فأصبحوا لا يرون إلاّ وجوداً واحداً بل موجوداً واحداً.. نعم، إن رؤية النتيجة ضمن الدليل، أي رؤية الصانع الجليل ضمن موجودات العالم شيء ذوقي ولا يمكن بلوغها إلاّ باستغراق ذوقي. فإدراك حقيقة جريان التجليات الإلهية في جداول الأكوان، وسريان الفيوضات الإلهية في ملكوتية الأشياء، ورؤية تجلي الأسماء

والصفات في مرايا الموجودات.. أقول: إن إدراك هذه الحقائق أمرٌ ذوقي. إلاّ أن أصحاب مذهب وحدة الوجود لضيق الألفاظ عبّروا عن هذه الحقيقة بالألوهية السارية والحياة السارية في الموجودات، وحينما حصر أهل الفكر والعقل هذه الحقائق الذوقية في مقاييس فكرية وعقلية جعلوها مصدر كثير من الأوهام والأفكار الباطلة.

ثم إن ما لدى الفلاسفة الماديين ومن وهنت عقيدتهم من المفكرين من مذهب "وحدة الوجود" وما لدى الأولياء منه بوناً شاسعاً وفروقاً كثيرة، بل إنهما متضادان ونقيضان. فهناك خمسة فروق بينهما:

الفرق الأول: إن علماء الصوفية قد حصروا نظرهم في "واجب الوجود" واستغرقوا في التأمل فيه بكل قواهم حتى أنكروا وجود الكائنات ولم يعودوا يرون في الوجود إلاّ هو. أما الآخرون (الفلاسفة الماديون وضعفاء الإيمان) فقد صرفوا كل تفكيرهم ونظرهم في المادة حتى ابتعدوا عن إدراك الألوهية بل أوْلَوا المادة أهمية عظيمة حتى جعلتهم لا يرون من الوجود إلاّ المادة بل تمادوا في الضلالة بحيث مزجوا الألوهية في المادة بل استغنوا عنها لشدة حصرهم النظر في الكائنات.

الفرق الثاني: إن ما لدى الصوفية من وحدة الوجود تتضمن وحدة الشهود في حين ما لدى الآخرين يتضمن وحدة الموجود.

الفرق الثالث: إن مسلك الأولياء مسلك ذوقي بينما مسلك الآخرين مسلك عقلي.

الفرق الرابع: يحصر الأولياء نظرهم في الحق تعالى ثم ينظرون نظراً تبعياً ثانوياً إلى المخلوقات بينما الآخرون يحصرون نظرهم أولاً وبالذات في المخلوقات.

الفرق الخامس: إن الأولياء عبّاد الله ومحبوه بينما الفلاسفة يعبدون أنفسهم وهواهم، فأين الثرى من الثريا.. وأين الضياء الساطع من الظلمة الدامسة"[١].

ونجد النورسي يتطرق في معرض سؤال آخر ورد عليه من بعض طلابه إلى الرؤية العرفانية التي ميزت طائفة من المتصوفة، وما ترتب عن ذلك على مستوى صحة المعتقد، فقد جاء في السؤال :

"إن أولياء مشهورين أمثال الشيخ محي الدين بن عربي (قدس سره) صاحب كتاب "الفتوحات المكية" والشيخ عبد الكريم الجيلي[٢] (قدس سره) صاحب كتاب "الإنسان الكامل" يبحثون في طبقات الأرض السبع، وفي الأرض البيضاء خلف جبل قاف، وفي أمور عجيبة كالمشمشية -كما في الفتوحات- ويقولون: لقد رأينا! فهل ما يقولونه صدق وصواب؟ فإن كان هكذا فليس في أرضنا مثل ما يقولون! والجغرافية والعلوم الحاضرة تنكر ما يقولونه! وإن لم تكن أقوالهم صواباً فكيف أصبحوا أولياء صالحين، إذ كيف يكون من ينطق بمثل هذه الأقوال المخالفة للواقع المشاهد والمحسوس والمنافية للحقيقة، من أهل الحق والحقيقة!.

وردّ النورسي على النحو التالي:

الجواب: إنهم من أهل الحق والحقيقة، وهم أيضاً أهل ولاية وشهود، فما شاهدوه فقد رأوه حقاً، ولكن يقع الخطأ في قسم من أحكامهم، في مشاهداتهم

---

[١] المثنوي العربي النوري. ص ٤٣٢.

[٢] هو عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم الجيلي، يتسلسل نسبه إلى الشيخ الكيلاني. ولد عام (٧٦٧ هـ) وتوفي عام (٨٣٢هـ) وهو صوفي فقيه، له جملة مصنفات اشهرها: "الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والاوائل". - المترجم.

في حالة الشهود التي لا ضوابط لها ولا حدود، وفي تعبير رؤيتهم الشبيهة بالرؤى التي لا حق لهم في التعبير عنها.

إذ كما لا يحق لصاحب الرؤيا التعبير عن رؤياه بنفسه، فذلك القسم من أهل الشهود والكشف ليس لهم الحق أن يعبّروا عن مشاهداتهم في تلك الحالة، حالة الشهود. فالذي يحق له التعبير عن تلك المشاهدات إنما هم ورثة الأنبياء من العلماء المحققين المعروفين بالأصفياء. ولا ريب أن أهل الشهود هؤلاء عندما يرقون إلى مقام الأصفياء سيدركون خطأهم بأنفسهم بإرشاد الكتاب والسنة ويصححونها. وقد صححها فعلاً قسم منهم.

فاستمع إلى هذه الحكاية التمثيلية لتوضيح هذه الحقيقة، وهي:

اصطحب راعيان من أهل القلب والصلاح فحلبا من غنمهما اللبن ووضعاه في إناء خشبي ووضعا الناي القصبي فوق حافتي الصحن. ثم شعر أحدهما بالنعاس، وما فتئ أن غلبه النوم، فنام واستغرق في نومه.

أما الثاني فقد ظل مستيقظاً يرقب صاحبه، وإذا به يرى وكأن شيئاً صغيراً -كالذبابة - يخرج من أنف صاحبه النائم، ثم يمرق سريعاً ويقف على حافة الإناء ناظراً في اللبن ثم يدخل من فوهة الناي من أحد طرفيه ويخرج من فوهة الطرف الآخر، ثم يمضي ويدخل في ثقب صغير تحت شجيرة مشوكة كانت بالقرب من المكان.

ثم يعود ذلك الشيء بعد مدة ويمضي في الناي أيضاً ويخرج من الطرف الآخر منه، ثم يأتي إلى ذلك النائم ويدخل في أنفه.. وهنا يستيقظ النائم من نومه، ويصحو قائلاً لصديقه:

- لقد رأيت يا صديقي في غفوتي هذه رؤيا عجيبة!

- اللّهم أرنا خيراً وأسمعنا خيراً.. قل يا صديقي ماذا رأيت؟

- رأيت - وأنا نائم - بحراً من لبن، وقد مد عليه جسر عجيب، وكان الجسر مسقفاً، ولسقفه نوافذ، مررت من ذلك الجسر، ورأيت في نهاية الطرف الثاني منه غابة كثيفة ذات أشجار مدببة. وبينما أنا انظر إليها متعجباً رأيت كهفاً تحت الأشجار فسرعان ما دخلت فيه، ورأيت كنزاً عظيماً من ذهب خالص.

فقل لي يا صديقي، ما ترى في رؤياي هذه، وكيف تعبّرها لي؟

أجابه صديقه الصاحي:

- إن ما رأيته من بحر اللبن هو هذا اللبن في هذا الإناء، وذلك الجسر الذي فوقه هو الناي الموضوع فوق حافتيه، والغابة هي هذه الشجيرة المشوكة، وذلك الكهف الكبير هو هذا الثقب الصغير، تحت هذه النبتة القريبة منا. فهات يا صديقي المعوَل لأريك الكنز بنفسي. فيأتي صديقه بالمعوَل ويبدآن الحفر تحت تلك الشجيرة، ولم يلبثا حتى ينكشف لهما ما يسعدهما في الدنيا من كنز ذهبي.

وهكذا فإن ما رآه النائم في نومه صواب وصحيح، وقد رأى ما رأى حقيقة وصدقاً، ولكن لأنه مستغرق في عالم الرؤيا، وعالم الرؤيا لا ضوابط له ولا حدود، فلا يحق للرائي تعبير رؤياه، فضلاً عن أنه لا يميز بين العالم المادي والمعنوي، لذا يكون قسم من حكمه خطأ. حتى إنه يقول لصاحبه صادقاً: لقد رأيت بنفسي بحراً من لبن. ولكن صديقه الذي ظل صاحياً يستطيع أن يميز بسهولة العالم المثالي ويفرزه عن العالم المادي، فله حق تعبير الرؤيا حيث يخاطب صديقه قائلاً:

- إن ما رأيته يا صديقي حق وصدق، ولكن البحر الذي رأيته ليس بحراً

حقيقياً، بل قد صار إناء اللبن الخشبي هذا في رؤياك كأنه البحر، وصار الناي كالجسر.. وهكذا..

من هنا وبناء على هذا المثال ينبغي التمييز بين العالم المادي والعالم الروحاني، فلو مزجا معاً، تأتي أحكامهما خطأ ولا نصيب لها من الصحة..

يفهم من هذه المسالة: أن درجة الشهود أوطأ بكثير من درجة الإيمان بالغيب. أي أن الكشفيات التي لا ضوابط لها لقسم من الأولياء المستندين إلى شهودهم فقط، لا تبلغ أحكام الأصفياء والمحققين من ورثة الأنبياء الذين لا يستندون إلى الشهود بل إلى القرآن والوحي، فيصدرون أحكامهم حول الحقائق الإيمانية السديدة. فهي حقائق غيبية إلا أنها صافية لا شائبة فيها. وهي محددة بضوابط، وموزونة بموازين.

إذن فميزان جميع الأحوال الروحية والكشفيات والأذواق والمشاهدات إنما هو: دساتير الكتاب والسنة السامية، وقوانين الأصفياء والمحققين الحدسية.[1]

ويتناول النورسي المسألة ذاتها في موطن آخر، من خلال رده عن سؤال جاءه أيضا من أحدهم، حيث تساءل قائلا:

"يعتبر الكثيرون "وحدة الوجود" من أرفع المقامات، بينما لا نشاهد لها أثراً عند الذين لهم الولاية الكبرى، وهم الصحابة الكرام وفي مقدمتهم الخلفاء الراشدون، ولا عند أئمة آل البيت وفي مقدمتهم الخمسة المعروفون بآل العباء، ولا عند المجتهدين وفي مقدمتهم الأئمة الأربعة، ولا عند التابعين، فهل الذين أتوا من بعد هؤلاء اكتشفوا طريقاً أسمى وأرفع من طريقهم؟ وهل سبقوهم في هذا المضمار؟!

---

[1] المكتوبات، ص١٠١-١٠٥.

وكان جواب النورسي على النحو التالي:

" كلا.. وحاش لله أن يكون الأمر كذلك، فليس في مقدور أحد كائناً من كان أن يصل إلى مستوى أولئك الأصفياء الذين كانوا أقرب النجوم اللامعة إلى شمس الرسالة والوارثين السابقين إلى كنوز النبوة فضلاً عن أن يسبقوهم. فالصراط المستقيم إنما هو طريقهم والمنهج القويم إنما هو منهجهم.

أما وحدة الوجود فهي مشرب ونزعة وحال وهي مرتبة ناقصة، ولكن لكونها مشرّبة بلذة وجدانية ونشوة روحية فإن معظم الذين يحملونها أو يدخلون إليها لا يرغبون في مغادرتها فيبقون فيها، ظانين أنها هي المرتبة الأخيرة التي لا تسمو فوقها مرتبة ولا يطالها أفق.

لذلك فإن صاحب هذا المشرب، إن كان ذا روح متجردة من المادة ومن وسائلها ومزقت ستار الأسباب وتحررت من قيودها ونالت شهوداً في لجة الاستغراق الكلي، فإن مثل هذا الشخص قد يصل إلى وحدة وجود حالي لا علمي، ناشئة من وحدة شهود وليس من وحدة الوجود، فتحقق لصاحبها كمالاً ومقاماً خاصاً به، بل قد توصله إلى إنكار وجود الكون عند تركيز انتباهه في وجود الله.

أما إن كان صاحب هذا المشرب من الذين أغرقتهم المادة وأسبابها. فإن ادعاءه لوحدة الوجود قد تؤدي به إلى إنكار وجود الله سبحانه لكون انتباهه منحصراً على وجود الكون.

نعم! إن الصراط المستقيم لهو طريق الصحابة والتابعين والأصفياء الذين يرون أن "حقائق الأشياء ثابتة" وهي القاعدة الكلية لديهم، وهم الذين يعلمون أن الأدب اللائق بحق الله سبحانه وتعالى هو قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (الشورى: ١١) أي أنه منزّه عن الشبيه والتحيز والتجزؤ. وأن علاقته بالموجودات علاقة الخالق بالمخلوقات، فالموجودات ليست أوهاماً كما يدعي أصحاب

وحدة الوجود، بل هذه الأشياء الظاهرة هي من آثار الله سبحانه وتعالى.

إذن فليس صحيحاً قولهم (همه اوست) أي "لا موجود إلا هو" وإنما الصحيح (همه از اوست) أي "لا موجود إلاّ منه" ذلك لأن الحادثات لا يمكن أن تكون القديم نفسه، أي أزلية.[١]

ويتابع النورسي بسط فكرة الوجود من زاوية صلتها بالأسماء الحسنى، فيقول:

يمكن تقريب الموضوع إلى الأذهان بمثالين:

الأول: لنفرض أن هناك سلطاناً، وأن لهذا السلطان دائرة عدل، فهذه الدائرة تكون ممثلة لاسم "السلطان العادل". وأن هذا السلطان في الوقت نفسه هو "خليفة" إذن فإن له دائرة تعكس فيها ذلك الاسم. كما أن هذا السلطان يحمل اسم "القائد العام للجيش" لذا ستكون له دائرة عسكرية تظهر ذلك الاسم. فالجيش مظهر لهذا الاسم. والآن إذا قيل بأن هذا السلطان هو "السلطان العادل" فقط وأنه لا توجد سوى دائرة العدل التي تعكس اسم السلطان الأعظم، ففي هذه الحالة تظهر بالضرورة بين موظفي دائرة العدل صفة اعتبارية -غير حقيقية- لأوصاف علماء دائرة الشؤون الدينية وأحوالهم، أي ينبغي أن يتصور صفة ظلية وتابعة وغير حقيقية لدائرة الشؤون الدينية بين موظفي دائرة العدل. وكذلك الحال بالنسبة للدائرة العسكرية، إذ لابد أن تظهر أحوالها ومعاملاتها بشكل ظلي وفرضي وغير حقيقي بين موظفي دائرة العدل وهكذا.

إذن ففي هذه الحالة فإن اسم السلطان الحقيقي وصفة حاكميته الحقيقية "الحاكم العادل" وحاكميته في دائرة العدل، أما صفاته الأخرى مثل "الخليفة"

---

[١] نفسه.

و"القائد العام للجيش"...الخ، فتبقى نسبية وغير حقيقية، بينما ماهية السلطان وحقيقة السلطنة تقتضيان هذه الأسماء جميعاً بصورة حقيقية، وأن الأسماء الحقيقية تتطلب هي الأخرى دوائر حقيقية وتقتضيها.

وهكذا فإن سلطنة الألوهية تقتضي وجود أسماء حسنى حقيقية متعددة لها، أمثال: الرحمن، الرزاق، الوهاب، الخلاق، الفعال، الكريم، الرحيم، وهذه الأسماء والصفات تقتضي كذلك وجود مرايا حقيقية لها.

والآن ما دام أصحاب وحدة الوجود يقولون "لا موجود إلاّ هو" وينزلون الموجودات منزلة العدم والخيال فإن أسماء الله تعالى أمثال: واجب الوجود، الموجود، الأحد، الواحد، تجد لها تجلياتها الحقيقية ودوائرها الحقيقية، وحتى إن لم تكن دوائر هذه الأسماء ومراياها حقيقية - وأصبحت خيالية وعدمية - فلا تضر تلك الأسماء شيئاً، بل ربما يكون الوجود الحقيقي أصفى وألمع إن لم يكن في مرآته لون الوجود. ولكن في هذه الحالة لا تجد أسماء الله الحسنى الأخرى أمثال: الرحمن، الرزاق، القهار، الجبار، الخلاق، تجلياتها الحقيقية. بل تصبح اعتبارية ونسبية، بينما هذه الأسماء هي أسماء حقيقية كاسم "الموجود" ولا يمكن أن تكون ظلاً، وهي أصلية لا يمكن أن تكون تابعة.

وهكذا فإن الصحابة والمجتهدين والأصفياء وأئمة أهل البيت عندما يشيرون إلى أن "حقائق الأشياء ثابتة" يقرون بأن لأسماء الله تعالى تجليات حقيقية وأن لجميع الأشياء وجوداً عرضياً أسبغه الله عليها بالخلق والإيجاد، ومع أن هذا الوجود يعتبر وجوداً عرضياً وضعيفاً وظلاً غير دائم بالنسبة لوجود "واجب الوجود" إلاّ أنه ليس وهماً وليس خيالاً، فإن الله سبحانه وتعالى قد أسبغ على الأشياء صفة الوجود بتجلي اسمه "الخلاق" وهو يديم هذا الوجود.

ويردف شرح المسألة بإيراد مثال ثاني:

لنفرض أن في هذه الغرفة أربع مرايا جدارية كبيرة موضوعة على جدرانها الأربعة، فصورة الغرفة ترتسم على كل مرآة من هذه المرايا، ولكن كل مرآة تعكس صورة الأشياء بالشكل الذي يناسب صفتها ولونها، أي أن كل مرآة ستعكس منظراً خاصاً للغرفة. فإذا دخل رجلان إلى الغرفة واطلع أحدهما على إحدى هذه المرايا فإنه يعتقد بأنه يرى جميع الأشياء مرتسمة فيها، وعندما يسمع بوجود مرايا أخرى وما فيها من صور فإنه يعتقد بأنها صور المرايا التي تنعكس على مرآته نفسها والتي لا تشغل إلاّ حيزاً صغيراً منها، بعد أن تضاءلت صورتها مرتين وتغيرت حقيقتها فيقول:

إنني أرى الصورة هكذا. إذن فهذه هي الحقيقة.

فيقول له الرجل الثاني: نعم إنك ترى ذلك وما تراه صحيح، ولكن ليس هو في الواقع صورة الحقيقة نفسها، فهناك مرايا أخرى غير المرآة التي تحدق فيها، وتلك المرايا ليست صغيرة وضئيلة ومنعكسة من الظلال كما تراها في مرآتك!

وهكذا فإن كل اسم من أسماء الله الحسنى يتطلب مرآة خاصة به كل على حدة. فمثلاً: إن الأسماء الحسنى أمثال: "الرحمن، الرزاق" لما كانت أسماء حقيقية وأصلية فإنها تقتضي موجودات لائقة بها ومخلوقات محتاجة إلى مثل هذا الرزق ومثل هذه الرحمة.

فكما يقتضي اسم "الرحمن" مخلوقات حية محتاجة إلى الرزق في عالم حقيقي، فإن اسم "الرحيم" يستدعي جنة حقيقية كذلك. لذا فإن اعتبار أسماء معينة من أسماء الله الحسنى أمثال "الموجود، الواحد، الأحد، واجب الوجود" هي الأسماء الحقيقية فقط وتوهم الأسماء الحسنى الأخرى تابعة وظلاً لها حكم غير عادل وتنكّب عن واجب الاحترام لهذه الأسماء الحسنى كما ينبغي.

إذن فالصراط المستقيم، بل صراط الولاية الكبرى إن هو إلاّ طريق الصحابة والأصفياء والتابعين وأئمة أهل البيت والأئمة المجتهدين وهو الطريق الذي سلكه التلاميذ الأول للقرآن الكريم".[١]

ويلخّص النورسي وحدة الوجود ، قائلا:

إن أهم حقيقة يحتويها هذا المشرب هي: إن الموجودات الممكنة "الممكنات والمخلوقات" تصغر وتتضاءل عند أصحابها من كبار الأولياء الذين وصلوا إلى مرتبة حق اليقين بقوة إيمانهم بحيث تنزل عندهم إلى درجة العدم والوهم، أي أنهم ينكرون وجود الكون بجانب وجود الله تعالى الذي هو واجب الوجود.[٢]

ويسجل النورسي المحاذير التي لابد أن يراعيها الموحد وهو يتعاطى مع رؤية الوجود، فيعدد هذه المحاذير قائلا:

"غير أن هناك محاذير ومخاطر عدة لهذا المشرب، أولها وأهمها:

إن أركان الإيمان ستة، فهناك عدا ركن الإيمان بالله، أركان أخرى كالإيمان بالآخرة، فهذه الأركان تستدعي وجود الممكنات أي إن هذه الأركان المحكمة لا يمكن أن تقوم على أساس خيالي.

فعلى صاحب هذا المشرب ألاّ يصحب معه هذا المشرب، وألاّ يعمل بمقتضاه عندما يفيق من عالم الاستغراق والنشوة. ثم إن عليه ألا يقلب هذا المشرب القلبي والوجداني والذوقي إلى أسس عقلية وقولية وعلمية، ذلك لأن الدساتير العقلية والقوانين العلمية، وأصول علم الكلام النابعة من الكتاب والسنة المطهرين لا يمكنها أن تتحمل هذا المشرب، ولا تتسع لإمكانية تطبيقه.

---

[١] نفسه ص١٠٧-١٠٨.

[٢] المكتوبات، ص٥٧٩.

لذا فلا يُرى هذا المشرب في أهل الصحوة الإيمانية من الخلفاء الراشدين، والأئمة المجتهدين، والعلماء العاملين من أجيال السلف الصالح من هذه الأمة، إذن فليس هذا المشرب في أعلى المراتب وأسماها، بل قد يكون ذا علو إلا أنه ناقص في علوه، وقد يكون ذا حلاوة مغرية ولكنه لاذع المذاق. ولظاهر حلاوته، ولجمال إيحائه لا يرغب الداخلون فيه في الخروج منه؛ ويتوهمون - باستشرافات نفوسهم- أنه أعلى المراتب وأسماها".[1]

وبعد أن يذكر بما سبق له من وقفات عالج بها موضوع فلسفة الوجود في متون رسائله، يتطرق إلى الحديث عن مخاطر القول بوحدة الوجود، رابطا بينها وبين معتقدات الفلسفة المادية. فيقول:

"ولكوننا قد تناولنا شيئاً من أسس هذا المشرب وماهيته في رسالة "نقطة من نور معرفة الله جل جلاله" وفي "الكلمات" و"المكتوبات" فإننا نكتفي بذلك، ونقصر الكلام هنا على بيان ورطة خطرة قد يقع فيها قسم من الحائمين حول "وحدة الوجود" وهي:

إن هذا المشرب يصلح لأخص الخواص عند حالات الاستغراق المطلق، وللمتجردين من الأسباب المادية، ومن الذين قد قطعوا علائقهم بما سوى الله من الممكنات والأشياء.

ولكن إذا نزل هذا المشرب من علياء الأذواق والمواجيد، والأشواق القلبية إلى دائرة المذاهب الفكرية والعلمية وعرض بشكله العلمي والعقلاني على أنظار الذين استهوتهم الحياة الدنيا، وغرقوا في الفلسفات المادية والطبيعية، فإنه سيكون إغراقاً في الطبيعة والمادة، وإبعاداً عن حقيقة الإسلام.

---

[1] نفسه.

فالشخص المادي المتعلق بالأسباب، والمغرم بالدنيا، يتشوق إلى إضفاء صفة الخلود على هذه الدنيا الفانية، لأنه يعز عليه أن يرى محبوبته وهي تتبخر بين يديه وتذوب، فيسبغ صفة البقاء والوجود الدائم على دنياه، انطلاقاً من فكرة "وحدة الوجود" فلا يتورع –عندئذٍ– من رفع محبوبته الدنيا إلى درجة المعبود بعد أن أسبغ عليها صفات الدوام والخلود والبقاء الأبدي، فينفتح المجال أمامه إلى إنكار الله سبحانه والعياذ بالله.

ولما كان الفكر المادي قد ترسخت دعائمه في هذا العصر، واستولى على غالبية النشاطات العقلية والعلمية، حتى غدت المادة –عند أصحابه– هي أصل كل شيء ومرجعه، لذا فإن ترويج مذهب "وحدة الوجود" في هذا العصر– الذي يرى فيه أهل الإيمان الخواص الماديات تافهة إلى حد العدم– ربما يعطي للماديين حجة ليكونوا دعاة للمذهب نفسه فيخاطبوا أصحابه من أهل الإيمان: "نحن وأنتم سواء، نحن أيضاً نقول هكذا ونفكر هكذا" علما أنه لا يوجد مشرب في العالم بعيد عن منهج الماديين وعبدة الطبيعة من مشرب "وحدة الوجود". ذلك لأن أصحابه يؤمنون بالله إيماناً عميقاً إلى درجة يعدون الكون وجميع الموجودات معدوماً بجانب حقيقة الوجود الإلهي، بينما الماديون يولون الموجودات من الأهمية إلى حد أنهم ينكرون معها وجود الله سبحانه وتعالى... فأين هؤلاء من أولئك؟![1]

والله نسأل أن يوفقنا إلى حسن القصد وصحة الفهم وصواب القول وسداد العمل.

وصل اللّهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

* * *

---

[1] نفسه ص٥٨٠.

العلوم محاريب إيمان وعرفان [1]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين

حضرات الأساتذة الكرام والأخوة الأعزاء

نحييكم بتحية الإسلام من أعماق قلوبنا ومن صميم أفئدتنا فنقول:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛ وبعد

الصلة بين الدين والعلم الحديث

إن العلم هو المعرفة التي يكسبها الإنسان بحواسه، أو بما يرد من الله تعالى عن طريق الوحي والإلهام. وقد يرد العلم بمعنى الإدراك وكذا بمعنى التفكر والفهم. وكثيراً ما نقصد بكلمة العلم معنى المعرفة أيضا.

ومما لا يختلف فيه اثنان أن القرآن الكريم والسنة الشريفة قد حثا على طلب العلم وأشادا بالعلماء، فأوائل أكثر الآيات القرآنية وخواتيمها، تحيل الإنسان إلى العقل فمثلاً: فاعلموا.. فاعلم.. أفلا يعقلون.. وأمثالها من الآيات

---

[1] بحث ألقي في الملتقى الخامس لسلسلة الدروس المحمدية في الزاوية البلقائدية الهبرية بسيدي معروف - وهران- الجزائر، الذي انعقد في تاريخ من ٢٠١٠/٨/١٩م إلى ٢٠١٠/٩/٢م. وموضوعه "العلم " استمدادا من قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (سُورَةُ فَاطِرٍ : ٢٨).

التي تخاطب العقل البشري.

فمن القرآن الكريم قوله عز وجل: ﴿شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ (آل عمران: ١٨) فانظر كيف بدأ سبحانه وتعالى بنفسه وثنى بالملائكة وثلّث بأهل العلم وناهيك بهذا شرفا وفضلا وجلاء ونبلا.

وقال الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (المجادلة: ١١)

وقال عز وجل: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ (الزُّمَر:٩)

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فَاطِر: ٢٨)

وأمثالها من الآيات الجليلة.

وكذا نجد أحاديث شريفة كثيرة في هذا المجال. نذكر منها الآتي:

قال رسول الله ﷺ: (مَنْ يُرِدِ اللّهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ)[١] وقال ﷺ: (الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ)[٢] ومعلوم أنه لا رتبة فوق النبوة ولا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة.

وقال ﷺ: (يُوْزَنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِدَادُ العُلَمَاءِ بِدَمِ الشُّهَدَاءِ).[٣]

وقال ﷺ لعلي رضي الله عنه: (لِأَنْ يَهْدِيَ اللّه بِكَ رَجُلا وَاحِداً خَيْرٌ لَكَ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا).[٤]

---

[١] متفق عليه (البخاري:٧١ ومسلم: ١٠٧٣-١٧٥) .
[٢] البخاري، العلم ١٠؛ ابن ماجة، المقدمة ١٧.
[٣] أخرجه ابن عبد البر من حديث أبي الدرداء بسند ضعيف.
[٤] متفق عليه (البخاري:٢٩٤٢ ومسلم: ٣٤/٢٤٠٧).

وقال ﷺ: (طَلَبُ العِلْمِ فَرِيْضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ)[١]

ولننظر الآن ما هو العلم الذي هو فرض على كل مسلم؟. فنرى أن كل فريق أنزل الوجوب على العلم الذي هو بصدده:

فقال المتكلمون: هو علم الكلام، إذ به يدرك التوحيد ويعلم به ذات الله سبحانه وصفاته.

وقال الفقهاء: هو علم الفقه، إذ به تعرف العبادات والحلال والحرام وما يحرم من المعاملات وما يحل.

وقال المفسرون والمحدّثون: هو علم الكتاب والسنة، إذ بهما يتوصل إلى العلوم كلها.

وقال المتصوفة: المراد به هذا العلم أي التصوف. فقال بعضهم: هو علم العبد بحاله ومقامه من الله عز وجل، وقال بعضهم: هو العلم بالإخلاص وآفات النفوس وتمييز لمة الملك من لمة الشيطان.. وهكذا..

وقد فصّل حجة الإسلام الإمام الغزالي هذا العلم نوجزه بالآتي:

هو العلم بما يتضمنه الحديث الذي فيه مباني الإسلام وهو قوله ﷺ: (بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله ....)[٢]. وليس المراد بهذا العلم إلا علم المعاملة. والمعاملة التي كُلّف العبد العاقل البالغ العمل بها، هي ثلاثة: اعتقاد، وفعل، وترك.. فإذا بلغ الرجل العاقل، فأول واجب عليه تعلم كلمتي الشهادة وفهم معناهما وهو قول (لا إله إلاّ الله محمد رسول الله) فإذا فعل ذلك

---

[١] أخرجه ابن ماجه (٢٢٤)، والبزار (٦٧٤٦) مختصراً، وابن عبدالبر في «جامع بيان العلم وفضله» (١٧) واللفظ له، انظر صحيح الجامع الصغير برقم ٣٩١٣.

[٢] متفق عليه من حديث ابن عمر.

فقد أدى واجب الوقت وكان العلم الذي هو فرض عين عليه في الوقت: تعلّم الكلمتين وفهمهما... أما الفعل: فبأن يعيش من ضحوة نهاره إلى وقت الظهر فيتجدد عليه بدخول وقت الظهر تعلم الطهارة والصلاة.. وأما التروك فيجب تعلم علم ذلك بحسب ما يتجدد من الحال وذلك يختلف بحال الشخص.[١]

ثم فصّل في وجه التدريج ووقت الوجوب.

ولكي نضع كل علم في موضعه اللائق به، نذكر أقسام العلوم، فنقول باختصار شديد:

أقسام العلوم:

ينقسم العلم إلى عقلي ونقلي:

فالعلوم العقلية يمكن أن نصنفها في هذه الأصناف الثلاثة:

١- العلوم الضرورية للمجتمع كالصحة والتربية. وبمقدار ضرورتها تعدّ واجبة أو فرض كفاية.

٢- العلوم المذمومة في نظر الدين، كالسحر والسيميا والرمل والشعوذة.

٣- العلوم المباحة أو الواجبة إذا اقتضى الأمر، كالهندسة والرياضيات، الكلام، الطب، والفيزياء والكيمياء والتاريخ وأمثالها.

أما العلوم النقلية فقد لُخصت بدورها إلى المكاشفة والمعاملة.

فقسم المعاملة الذي هو فعل أو ترك قد قُسّم أيضاً إلى أربعة أقسام:

١- الأصول: وهي الكتاب والسنة والإجماع والقياس، وتسمى أيضاً الأدلة الشرعية.

---

[١] الغزالي، إحياء علوم الدين، كتاب العلم. ١/ ص ١٤.

٢- الفروع: وهي العبادات والمعاملات والمناكحات والعقوبات. كل منها لها مواضع في الكتب.

٣- المقدمات: وهي اللغة، الصرف، النحو، المعاني، البيان والبديع. وأمثالها مما هي وسائل لتعلم الوجه الصحيح لعلوم الحديث والتفسير والفقه.

٤- المتممات: وهي التي تتعلق بعلوم القرآن الكريم. فالقسم المتعلق بلفظ القرآن هو: المخارج، تصحيح الحروف، التقريب.. والأقسام التي تتعلق بمعاني القرآن هي: التفسير، التأويل.. وما يتعلق بأحكامه، الناسخ والمنسوخ، الخاص والعام، الجلي والخفي، الحقيقة والمجاز، المجمل والمفسَّر، المحكم والمتشابه وغيرها مما هو مفصل في كتب الأصول.

أما قسم المكاشفة فهو علم الصدّيقين والمقرّبين فهو عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة.

ونعني بعلم المكاشفة أن يرتفع الغطاء حتى تتضح له جلية الحق في هذه الأمور اتضاحا يجري مجرى العيان الذي لا يشك فيه. وهذا ممكن في جوهر الإنسان لولا أن مرآة القلب قد تراكم صدؤها وخبثها بقاذورات الدنيا. .حتى قال الإمام سعيد النورسي:

"ولقد شاهدتُ أن مشاهدة جمال القرآن تابعةٌ لدرجةِ سلامة القلب وصحته. فمريضُ القلب لا يشاهد إلاّ ما يشوّه له مرضه. فأسلوب القرآن والقلبُ كلاهما مرآتان ينعكس كلُّ واحدٍ في الآخر" [١].

وقسم المكاشفة هذا من العلوم النقلية فيُبحث ضمن قسمين:

اللدنية والوجدانية.. ويستند أساساً إلى الكتاب والسنة أيضاً رغم أنه يبدو

---

[١] المثنوي العربي النوري، ص: ١٦٤.

مستقلا. فكل الواردات والمواهب التي لا تُستنبط من هذين المرجعين الطاهرين ولم تمر من مصفاتهما، يقابَل بالشبهة والشك. ولا اعتبار للالتزام بذاتيتها ناهيك عن حجيتها.

يقول سيد الطائفة الجنيد البغدادي: (الطرقُ كلُّها مسدودة على الخلق إلاّ مَن اقتفى آثار الرسول ﷺ). و(مَن لم يحفظ القرآن، ولم يكتب الحديث لا يُقتدى به في هذا الأمر لأن علمَنا هذا مقيدٌ بالكتاب والسنة).[١]

ويبين أبو حفص: (من لم يزن أفعالَه وأحواله في كل وقت بالكتاب والسنة، ولم يتهم خواطرَه، فلا يُعَدُّ في ديوان الرجال).[٢]

وينبه أبو سليمان الداراني: (ربما يقع في قلبي النكتة من نكت القوم أياماً، فلا أقبل منه إلاّ بشاهدَين عدلين: الكتاب والسنة).[٣]

ويوقظ أبو يزيد بقوله: (عملت في المجاهدة ثلاثين سنة، فما وجدتُ شيئاً أشدَّ عليّ من العلم ومتابعته)[٤] (لو نظرتم إلى رجل أُعطي من الكرامات حتى يرتقي في الهواء فلا تغتروا به، حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود وأداء الشريعة).[٥]

ويوجز أبو سعيد الخراز الأمر بـ (كلّ باطن يخالفه الظاهرُ فهو باطل).[٦]

---

[١] الرسالة القشيرية، تحقيق: عبد الكريم العطا، توزيع مكتبتا مكتبة الإمام الأعظم، ومكتبة العلم الحديث. دمشق. ص: ٨٧.

[٢] الرسالة القشيرية، ص: ٨١.

[٣] الرسالة القشيرية، ص: ٧٦.

[٤] الرسالة القشيرية ، ص: ٧٢.

[٥] الرسالة القشيرية ص:. ٧٣.

[٦] الرسالة القشيرية ص: ٩٨.

ويرشد أبو القاسم النصرأباذي: (أصل التصوف ملازمة الكتاب والسنة، وترك الأهواء والبدع وتعظيم حرمات المشايخ ورؤية أعذار الخلق والمداومة على الأوراد وترك ارتكاب الرخص والتأويلات).[١]

فهؤلاء السادة الأئمة إنما يعلّمون أمراً جللاً، وكثيرون غيرهم لهم أقوال رائعة حول هذا الموضوع. فـ"العلم" خيرٌ من "الحال" لدى أرباب هذا الميدان. لأن الحال تابع كلياً للعلم، حيث إن العلم تركة الأنبياء وتراثهم، (فالعلماءُ ورثةُ الأنبياء)[٢] حديث نبوي شريف يضع العلماء في أرقى المراتب.

إن علم الحقيقة، أو المعرفة التي توصِل إليها هي: حياةُ القلوب، نورُ البصائر، جلاءُ الصدور وانشراحها، رياضُ العقول وجولانها، منبع لذة الأرواح، دليل المتحيرين ورفيقهم، أُنس المستوحشين وجليسهم. فالعلم مائدة سماوية بألوان أرضية يحوز منزلةً تقف الملائكة أمامها باحترام.

نعم، العلم مرتبة عظيمة لبلوغ الإيمان، ومحكّ جيد لتمييز الهداية من الضلالة، واليقين من الشك. وسرّ إلهي يُظهر الجانب الإنساني للإنسان.

ولما كان التصوف طريقاً للعبادة جلّ اهتمامه الباطن، ويتناول الجانب الروحي للأحكام الشرعية ومدى تأثيرها على القلب، والأعماق التي تشف في الوجدان، فهو بالنسبة للمسالك الأخرى أكثر لدنّية وأوسع مدى وأصعب فهماً، إلاّ أنه من حيث الهدف والمنطلق نابع من الكتاب والسنة لا ينافي أي طريق إسلامي آخر. فهو كالعلوم الشرعية الأخرى، يؤكد على روح العلم والمعرفة واليقين والإخلاص والإحسان وماشابهها من الحقائق، مستنداً إلى الكتاب والسنة والاجتهادات الخالصة للسلف الصالح.

---

[١] الرسالة القشيرية ، ص: ١٢٥.

[٢] البخاري، العلم ١٠؛ ابن ماجة، المقدمة. ص: ١٧.

فالتصوف نور وضياء يجري من الغيوب بطول موجات تجلي العلم الإلهي، ويحيط بالروح كله، ويفتح الأزاهير في أعماق الإنسان على سفوح السرّ وتلول الخفي وذُرى الأخفى، ولا يصدح هذا النور إلاّ بواردات الخالد الأبدي سبحانه.

إن مبدأ نيل هذه التجليات الإلهية، هو توجه السر وما وراءه إلى الله سبحانه..وسمو البدن والجسمانية إلى مرتبة القلب والروح..وتوجّه القلب إلى الحق سبحانه بالإيمان والمحبة والعشق والجذبة..ومنتهاه هو العلم اللدني.

والعلم اللدنّي؛ هو حسب فحوى الآية الكريمة ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَدُنَّا عِلْماً﴾ (الكهف: ٦٥) نزول شآبيب الرحمة الإلهية من حظيرة القدس إلى الأعماق الإنسانية، بلا برزخ ولا حجاب. فالطريق إلى ورود تلك الواردات بل انصبابها غدقا إلى أعماق الإنسان، وشرطها العادي هو: العمقُ في العبودية، والصدقُ والوفاء لله ورسوله ﷺ ، والمشاعرُ الدائرة حول محور الرضا، والسلوكُ الدائر حول فلك الإخلاص، وسعيُ القلب من يقين إلى يقين للواردات اللدنية.

إن علم جميع الأنبياء، من حيث ظهوره وحياً من الله سبحانه وتعليماً منه، هو علم لدنّي بالأصالة، كما أن علوم مَن تبعهم من الأولياء والأصفياء، والذين نالوا الإلهام يعدّ لدنّيا من حيث إنها أشعة ضياء علم أولئك الوجوه النيرة.

نعم، العلم اللدني، لا يُكسب بالتعلم والتعليم، فهو وهبٌ إلهي خاص، وتجلّ لقوة قدسية نورانية، هذا التجلي هو معرفةٌ تسيل من الصانع إلى المصنوع ذي الشعور، ومن المؤثّر إلى الأثر، أكثر مما هو معرفة ترقى من الصنعة إلى الصانع ومن الأثر إلى المؤثر.

وحيث إن الدين بالفهم القرآني يشمل الحياة كلها ويستوعب المكونات جميعها، ولا يقتصر على جزئية منها فحسب، بل لا شيء خارجه. ذلك لأن

الموجودات كلَّها والحوادثَ جميعَها تتجلى عليها أنوارُ الأسماء الإلهية الحسنى لمن يريد أن يبصر، فلا شيء خارج أوامره وعلمه جل وعلا، ولا شيء يفلت من قدرته سبحانه، لذا فليس هناك ما يسمى علم ودين كأن يكون أحدهما يقابل الآخر أو يقارنه أو يتميز عنه أو يناقضه. فالعلوم كلها -ما لم تكن مذمومة- توصلنا إلى الله تعالى. حتى العلوم الحاضرة من كيمياء وفيزياء وأمثالها تدلنا إلى الخالق الكريم ناهيك عن العلوم الإسلامية. ولنوضح ذلك بالآتي:

كيف تعرّفنا العلوم الحاضرة بالله

يقول الأستاذ النورسي:

"إنَّ الصانع القدير باسمه "الحَكَم والحكيم" قد أدرج في هذا العالم ألوفَ العوالم المنتظمة البديعة، وبوّأ الإنسان -الذي هو أكثرُ من يمثل الحِكَم المقصودة في الكون وأفضل مَن يظهرها- موقعَ الصدارة، وجعله بمثابة مركز تلك العوالم ومحورِها؛ إذ يتطلع ما فيها من حِكَم ومصالح إلى الإنسان. وجعل الرزق بمثابة المركز في دائرة حياة الإنسان؛ فتجد أن معظمَ الحِكَم والغايات وأغلبَ المصالح والفوائد -ضمن عالم الإنسان- تتوجه إلى ذلك الرزق وتتضح به؛ لذا فإن تجليات اسم "الحكيم" تبدو واضحةً بأبهر صورها وأسطعها من خلال مشاعر الإنسان، ومن تضاعيف مذاقات الرزق، حتى غدا كل علم -من مئات العلوم التي توصّل الإنسان إلى كشفها بما يملك من شعور- يُعرِّف تجلياً واحداً من تجليات اسم "الحَكَم" في نوع من الأنواع.

فمثلا: لو سُئل علم الطب: ما هذه الكائنات؟. لأجاب: بأنها صيدلية كبرى أُحضرت فيها بإتقان جميعُ الأدوية وادُّخرَت.

وإذا ما سُئل علم الكيمياء: ما هذه الكرة الأرضية؟. لأجاب: بأنها مختبر كيمياء منتظم بديع كامل.

على حين يجيب علم المكائن: بأنها معمل منسَّق كاملٌ لا ترى فيه نقصاً.

كما يجيب علم الزراعة: بأنها حديقة غنَّاء ومزرعة معطاء، تُستنبت فيها أنواعُ المحاصيل، كلٌّ في أوانه.

ولأجاب علم التجارة: بأنها معرض تجاري فخم، وسوق في غاية الروعة والنظام، ومحل تجاري يحوي أنفس البضائع المصنوعة وأجودَها.

ولأجاب علم الإعاشة: بأنها مستودع ضخم يضم الأرزاق كلها بأنواعها وأصنافها.

ولأجاب علم التغذية: إنها مطبخٌ رباني تُطبخ فيه مئاتُ الألوف من الأطعمة الشهيَّة اللذيذة جنباً إلى جنب بنظام في غاية الإتقان والكمال.

ولو سئل علم العسكرية عن الأرض!. لأجاب: بأنها معسكر مهيب يُساق إليه في كل ربيع جنودٌ مسلحون جُدد يؤلّفون أمماً مختلفة من النباتات والحيوانات يبلغ تعدادها أكثرَ من أربعمائة ألف أمة، فتُنصَب خِيَمُهم في أرجاء سطح الأرض. وعلى الرغم من أن أرزاقَ كلِّ أمَّة تختلف عن الأخرى، وملابسَها متغايرةٌ وأسلحتَها متباينةٌ، وتعليماتِها مختلفةٌ، ورُخَصها متفاوتة، إلاّ أن أمورَ الجميع تسير بانتظام رائع، ولوازمَ الجميع تُهيّأ دون نسيان ولا التباس، وذلك بأمر من الله تعالى وبفضل رحمته السابغة صادراً من خزينته الواسعة.

وإذا ما سئل علم الكهرباء! لأجاب: بأن سقف قصر الكون البديع هذا قد زُيِّن بمصابيح متلألئة لا حدَّ لكثرتها ولا منتهى لروعتها وتناسقها، حتى إن النظام البديع والتناسق الرائع الذي فيه يحولان دون انفجار تلك المصابيح السماوية المتوهجة دوماً -وهي تكبر الأرضَ ألف مرة وفي مقدمتها الشمس- ودون انتقاص توازنها أو نشوب حريق فيما بينها..

وهكذا قياساً على هذه الأمثلة، فإن كل علمٍ من مئات العلوم يشهد قطعاً: أن هذا الكون قد زُيِّن بحِكَمٍ ومصالحَ شتى ضمن انتظام كامل لا نقص فيه، وأن تلك الأنظمة البديعة والحِكَم السامية النابعة من تلك الحكمة المعجزة المحيطة بالكون قد أُدرجت بمقياس أصغر، حتى في أصغر كائن حي وفي أصغر بذرة.. [1]

ويستلهم الأستاذ سعيد النورسي من ذكر القرآن الكريم لمعجزات الأنبياء عليهم السلام، أنهم خطوا بها قمةَ العلوم ونهايةَ حدودها. فيقول:

الأنبياء عليهم السلام بمعجزاتهم هم رواد العلوم

"يبيّن القرآن الكريم أنّ الأنبياء عليهم السلام قد بُعثوا إلى مجتمعات إنسانية ليكونوا لهم أئمةَ الهدى يُقتدى بهم، في رقيهم المعنوي. ويبين في الوقت نفسِه أنّ الله قد وضع بيد كلٍّ منهم معجزة مادية، ونَصَبهم روّاداً للبشرية وأساتذة لها في تقدمها المادي أيضا. أي إنّه يأمر بالاقتداء بهم واتباعهم اتباعا كاملا في الأمور المادية والمعنوية؛ إذ كما يحض القرآنُ الكريم الإنسان على الاستزادة من نور الخصال الحميدة التي يتحلَّى بها الأنبياء عليهم السلام، وذلك عند بحثه عن كمالاتهم المعنوية، فإنّه عند بحثه عن معجزاتهم المادية أيضا يومئ إلى إثارة شوق الإنسان ليقوم بتقليد تلك المعجزات التي في أيديهم، ويشير إلى حضّه على بلوغ نظائرها، بل يصح القول: إنّ يدَ المعجزة هي التي أهدت إلى البشرية الكمالَ المادي وخوارقه لأول مرة، مثلما أهدتْ إليها الكمال المعنوي. فدونك سفينة نوح عليه السلام وهي إحدى معجزاته، وساعة يوسف عليه السلام، وهي إحدى معجزاته. فقد قدمتهما يدُ المعجزة لأول مرة هدية ثمينة إلى البشرية..

---

[1] اللمعات، ص: ٤٨٥.

ولما كان العلماء المحققون من أهل البلاغة قد اتفقوا جميعا أنّ لكل آية كريمة وجوهاً عدة للإرشاد، وجهاتٍ كثيرة للهداية. فلا يمكن إذن أن تكون أسطعُ الآيات وهي آيات المعجزات، سرداً تاريخيا، بل لابد أنها تتضمن أيضا معاني بليغة جمة للإرشاد والهداية.

نعم، إن القرآن الكريم بإيراده معجزات الأنبياء إنما يخط الحدودَ النهائية لأقصى ما يمكن أن يصل إليه الإنسان في مجال العلوم والصناعات، ويشير بها إلى أبعدِ نهاياتها، وغايةِ ما يمكن أن تحققه البشرية من أهداف. فهو بهذا يعيّن أبعدَ الأهداف النهائية لها ويحددها. ومن بعد ذلك يحث البشرية ويحضّها على بلوغ تلك الغاية، ويسوقها إليها. إذ كما أنّ الماضي مستودع بذور المستقبل ومرآة تعكس شؤونه، فالمستقبل أيضا حصيلة بذور الماضي ومرآة آماله. وسنبين بضعة نماذج مثالا، من ذلك النبع الفياض الواسع:

فمثلا: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْر وَرَوَاحُهَا شَهْر﴾ (سبأ: ١٢).

هذه الآية الكريمة تبين معجزةً من معجزات سيدنا سليمان عليه السلام. وهي تسخير الريح له، أي إنّه قد قطع في الهواء ما يُقطع في شهرين في يوم واحد. فالآية تشير إلى أن الطريق مفتوح أمام البشر لقطع مثل هذه المسافة في الهواء.

فيا أيها الإنسان! حاول أن تبلغ هذه المرتبة، واسعَ للدنو من هذه المنزلة ما دام الطريق ممهدا أمامك. فكأن الله سبحانه وتعالى يقول في معنى هذه الآية الكريمة: إن عبدا من عبادي ترك هوى نفسه، فحملتُه فوق متون الهواء. وأنت أيها الإنسان! إن نبذتَ كسل النفس وتركته، واستفدت جيدا من قوانين سنتي الجارية في الكون، يمكنك أيضا أن تمتطي صهوة الهواء.

ومثلا: ﴿فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنا..﴾ (البقرة: ٦٠).

هذه الآية الكريمة تبيّن معجزة من معجزات سيدنا موسى عليه السلام، وهي تشير إلى أنه يمكن الاستفادة من خزائن الرحمة المدفونة تحت الأرض بآلات بسيطة، بل يمكن تفجير الماء، وهو ينبوع الحياة، من أرضٍ صلدة ميتة كالحجر بوساطة عصا.

فهذه الآية تخاطب البشرية بهذا المعنى: يمكنكم أن تجدوا الماء الذي هو ألطفُ فيض من فيوضات الرحمة الإلهية، بوساطة عصا، فاسعوا واعملوا بجد لتجدوه وتكشفوه. فالله سبحانه يخاطب الإنسان بالمعنى الرمزي لهذه الآية: ما دمتُ اسلّم بيد عبدٍ يعتمد عليّ ويثق بي عصا، يتمكن بها أن يفجّر الماء أينما شاء. فأنت أيها الإنسان إن اعتمدتَ على قوانين رحمتي، يمكنك أيضا أن تخترع آلةً شبيهة بتلك العصا، أو نظيرة لها. فهيَّا اسعَ لتجد تلك الآلة.

فأنت ترى كيف أنّ هذه الآية سبّاقة لإيجاد الآلة التي بها يتمكن الإنسان من استخراج الماء في أغلب الأماكن، والتي هي إحدى وسائل رقي البشرية. بل إنّ الآية الكريمة قد وضعت الخط النهائي لحدود استخدام تلك الآلة ومنتهى الغاية منها، بمثل ما عيّنت الآية الأولى أبعد النقاط النهائية، وأقصى ما يمكن أن تبلغ إليه الطائرة الحاضرة.

ومثلا: ﴿وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ..﴾ (آل عمران: ٤٩).

فالقرآن الكريم إذ يحث البشرية صراحة على اتباع الأخلاق النبوية السامية التي يتحلّى بها سيدنا عيسى عليه السلام، فهو يرغّب فيها ويحض عليها رمزا إلى النظر إلى ما بين يديه من مهنة مقدسة وطب رباني عظيم.

فهذه الآية الكريمة تشير إلى أنه يمكن أن يُعثر على دواء يشفي أشدَّ الأمراض المزمنة والعلل المستعصية، فلا تيأس أيها الإنسان، ولا تقنط أيها المبتلى المصاب. فكلُّ داء مهما كان، له دواء، وعلاجُه ممكن، فابحث عنه، وجِدْه،

واكتشفه، بل حتى يمكن معالجة الموت نفسِه بلون من ألوان الحياة الموقتة.

فالله سبحانه يقول بالمعنى الإشاري لهذه الآية الكريمة: لقد وهبتُ لعبد من عبادي تَرَكَ الدنيا لأجلي، وعافَها في سبيلي، هديتين: إحداهما دواء للأسقام المعنوية، والأخرى علاج للأمراض المادية. فالقلوب الميتة تُبعَث بنور الهداية، والمرضى الذين هم بحكم الأموات يجدون شفاءهم بنفث منه ونفخ، فيبرؤون به. وأنت أيها الإنسان! بوسعك أن تجد في صيدلية حِكمتي دواء لكل داء يصيبك، فاسعَ في هذه السبيل، واكشف ذلك الدواء فإنك لا محالة واجده وظافر به.

وهكذا ترى كيف ترسم هذه الآيةُ الكريمة أقصى المدى وأبعدَ الأهداف التي يصبو إليها الطب البشري من تقدم. فالآية تشير إلى ذلك الهدف وتحث الإنسانَ على الوصول إليه.

ومثلا: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ (سبأ: ١٠) ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ (ص: ٢٠).

هاتان الآيتان تخصان معجزة سيدنا داود عليه السلام. والآية الكريمة: ﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾ (سبأ: ١٢) تخص معجزة سيدنا سليمان عليه السلام. فهذه الآيات تشير إلى أن تليين الحديد نعمة إلهية عظمى، إذ يبيّن الله به فضلَ نبيٍ عظيم. فتليينُ الحديد وجعلهُ كالعجين، وإذابةُ النحاس وإيجادُ المعادن وكشفها هو أصل جميع الصناعات البشرية، وأساسها. وهو أمُّ التقدم الحضاري من هذا الجانب ومعدنه.

فهذه الآية تشير إلى النعمة الإلهية العظمى في تليين الحديد كالعجين وتحويله أسلاكا رفيعة، وإسالة النحاس، واللذان هما محور معظم الصناعات العامة، حيث وهبها الباري الجليل على صورة معجزة عظمى لرسول عظيم وخليفةٍ للأرض عظيم. فما دام سبحانه قد كرّم مَن هو رسول وخليفة معا،

فوهب للسانه الحكمة وفَصل الخطاب، وسلّم إلى يده الصنعة البارعة، وهو يحض البشرية على الإقتداء بما وهب للسانه حضا صريحا، فلابد أنّ هناك إشارةً ترغّب وتحضّ على ما في يده من صنعة ومهارة.

فسبحانه يقول بالمعنى الإشاري لهذه الآية الكريمة: يا بني آدم! لقد آتيتُ عبدا من عبادي أطاع أوامري وخضع لما كلّفته به، آتيت لسانَه فصل الخطاب، وملأتُ قلبَه حكمةً ليفصل كل شيء على بينة ووضوح. ووضعت في يده من الحقيقة الرائعة ما يكون الحديدُ كالشمع فيها، فيغيّر شكله كيفما يشاء، ويستمد منه قوة عظيمة لإرساء أركان خلافته وإدامة دولته وحُكمه. فما دام هذا الأمر ممكنا وواقعا فعلا، وذا أهمية بالغة في حياتكم الاجتماعية. فأنتم يا بني آدم إن أطعتم أوامري التكوينية تُوهَب لكم أيضا تلك الحكمة والصنعة، فيمكنكم بمرور الزمن أن تقتربوا منهما وتبلغوهما.

وهكذا فإنّ بلوغَ البشرية أقصى أمانيّها في الصناعة، وكسبَها القدرة الفائقة في مجال القوة المادية، إنما هو بتليين الحديد وبإذابة النحاس (القِطر). فهذه الآيات الكريمة تستقطب أنظار البشرية عامة إلى هذه الحقيقة، وتلفت نظر السالفين وكسالى الحاضرين إليها، فتنبّه أولئك الذين لا يقدرونها حق قَدرها.

ومثلا: ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْم مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ ..﴾ (النمل: ٤٠).

فهذه الآية تشير إلى أنّ إحضار الأشياء من مسافات بعيدة -عيناً أو صورة- ممكن، وذلك بدلالتها على تلك الحادثة الخارقة التي وقعت في ديوان سيدنا سليمان عليه السلام، عندما قال أحدُ وزرائه الذي أوتي علما غزيرا في "علم التحضير": أنا آتيك بعرش بلقيس. ولقد آتى الله سبحانه سيدنا سليمان عليه السلام المُلكَ والنبوة معا، وأكرمه بمعجزة يتمكن بها من الاطلاع المباشر

بنفسه وبلا تكلف ولا صعوبة على أحوال رعاياه، ومشاهدة أوضاعهم، وسماع مظالمهم. فكانت هذه المعجزة مناط عصمته وصَونه من الشطط في أمور الرعية. وهي وسيلة قوية لبسط راية العدالة على أرجاء المملكة.

فمن يعتمد على الله سبحانه إذن ويطمئن إليه، ويسأله بلسان استعداداته وقابلياته التي فُطر عليها، وسار في حياته على وفق السنن الإلهية والعناية الربانية، يمكن أن تتحول له الدنيا الواسعةُ كأنها مدينة منتظمة أمامَه كما حدث لسليمان عليه السلام، الذي طلب بلسان النبوة المعصومة إحضارَ عرش بلقيس فأحضر في طَرفة عَينٍ وصار ماثلا أمامه، بعينه أو بصورته، في بلاد الشام بعد أن كان في اليمن. ولاشك أنّ أصوات رجال الحاشية الذين كانوا حول العرش قد سُمعتْ مع مشاهدة صوَرهم..

فالله سبحانه يخاطب بالمعنى الرمزي لهذه الآية الكريمة: يا بني آدم! لقد آتيتُ عبدا من عبادي حُكمَ مملكة واسعة شاسعة الأرجاء، ومنحتُه الإطلاع المباشر على أحوال الأرض وأحداثها ليتمكن من تطبيق العدالة تطبيقا كاملا. ولما كنتُ قد وهبتُ لكل إنسان قابلية فطرية ليكون خليفة في الأرض، فلا ريب أنّي قد زوّدتُه -بمقتضى حكمتي- ما يناسب تلك القابلية الفطرية، من مواهب واستعدادات يتمكن بها من أن يشاهد الأرض بأطرافها ويدرك منها ما يدرك. وعلى الرغم من أنّ الإنسان قد لا يبلغ هذه المرتبة بشخصه إلاّ أنه يتمكن من بلوغها بنوعه. وإن لم يستطع بلوغها ماديا، فإنّه يبلغها معنويا، كما يحصل للأولياء الصالحين، فباستطاعتكم إذن الاستفادة من هذه النعمة الموهوبة لكم. فسارعوا إلى العمل الجاد واسعوا سعيا حثيثا كي تحوّلوا الأرضَ إلى ما يشبهُ حديقةً صغيرة غنّاء، تجولون فيها وترون جهاتها كلّها وتسمعون أحداثها وأخبارها من كل ناحية منها غير ناسين وظيفة عبوديتكم.

تدبَّروا الآية الكريمة: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (الملك: ١٥).

وهكذا نرى كيف تومئ الآية الكريمة المتصدرة لهذا المثال إلى إثارة همّة الإنسان، وبعثِ اهتماماته لاكتشاف وسيلة يستطيع بها إحضار الصور والأصوات من أبعد الأماكن وأقصاها ضمن أدق الصناعات البشرية.

ومثلا: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ (ص: ١٨)، ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ (سبأ: ١٠) ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ..﴾ (النمل: ١٦)

هذه الآيات الكريمة التي تذكر معجزات سيدنا داود عليه السلام، تدل على أنّ الله سبحانه قد منح تسبيحاتِه وأذكارَه من القوة العظيمة والصوت الرخيم والأداء الجميل ما جعل الجبالَ في وجدٍ وشوق، وكأنها حاكٍ عظيم تردّد تسبيحاتٍ وأذكارًا. أو كأنها إنسان ضخم يُسبّحُ في حلقة ذكر حول رئيس الحلقة.

- أتُراك هذه حقيقة؟ وهل يمكن أن يحدث هذا فعلا؟!.

- نعم، إنها لحقيقة قاطعة، أليس كلُّ جبل ذي كهوف يمكن أن يتكلم مع كل إنسان بلسانه، ويردّد كالببغاء ما يذكره؟ فإن قلت: "الحمد لله" أمام جبل، فهو يقول أيضا: "الحمد لله" وذلك برَجع الصدى.. فما دام الله سبحانه وتعالى قد وهب هذه القابلية للجبال، فيمكن إذن أن تنكشف هذه القابلية وتنبسط أكثرُ من هذا. وحيث إنّ الله سبحانه قد خصّ سيدنا داود عليه السلام بخلافة الأرض فضلا عن رسالته، فقد كشف بذرةَ تلك القابلية لديه ونماها وبسطها بسطا معجزا عنده، بما يلائم شؤونَ الرسالة الواسعة والحاكمية العظيمة، حتى غدت الجبال الشمّ الرواسي منقادة إليه كأيٍّ جندي مطيع لأمره، وكأيِّ صانع أمين لديه، وكأيِّ مريد خاشع لذكره. فأصبحت تلك الجبالُ تسبّح بحمد الخالق

العظيم جلّ جلاله بلسانه عليه السلام وبأمره. فما كان سيدنا داود يذكر ويسبّح إلاّ والجبال تردّد ما يذكره.

نعم، إنّ القائد في الجيش يستطيع أن يجعل جنوده المنتشرين على الجبال يرددون: "الله أكبر" بما لديه من وسائل الاتصال والمخابرات، حتى كأنّ تلك الجبال هي التي تتكلم وتهلل وتكبر! فَلئن كان قائدا من الإنس يستطيع أن يستنطق "مجازيا" الجبال بلسان ساكنيها، فكيف بقائد مهيب لله سبحانه وتعالى؟ ألا يستطيع أن يجعل تلك الجبال تنطق نطقا "حقيقيا" وتُسبِّح تسبيحا حقيقيا؟.

وكذلك: ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾ (ص: ١٩) و﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ..﴾ (النمل: ١٦).

هذه الآيات تبين أنّ الله سبحانه قد علّم سيدنا داود وسليمان عليهما السلام منطق أنواع الطيور، ولغة قابلياتها واستعداداتها، أي أيُّ الأعمال تناسبها؟ وكيف يمكن الاستفادة منها؟

نعم، هذه الحقيقة هي الحقيقة الجليلة، إذ ما دام سطح الأرض مائدةً رحمانيةً أقيمتْ تكريما للإنسان، فيمكن إذن أن تكون معظمُ الحيوانات والطيور التي تنتفع من هذه المائدة مسخّرةً للإنسان، ضمن تصرفه وتحت خدمته. فالإنسان الذي استخدم النحل ودودة القز -تلكم الخَدَمة الصَّغار- وانتفع مما لديهم من إلهام إلهي، والذي استعمل الحمامَ الزاجل في بعض شؤونه وأعماله، واستنطق الببغاء وأمثالَه من الطيور، فضمَّ إلى الحضارة الإنسانية محاسنَ جديدة، هذا الإنسان يمكنه أن يستفيد إذن كثيرا إذا ما عَلِم لسان الاستعداد الفطري للطيور، وقابليات الحيوانات الأخرى، حيث هي أنواع وطوائفُ كثيرة جدا، كما استفاد من الحيوانات الأليفة. فمثلا: إذا عَلِم الإنسان لسانَ استعداد العصافير "من نوع الزرازير" التي تتغذى على الجراد ولا تدعها تنمو، وإذا ما نسّق أعمالَها فإنّه يمكن أن يسخّرَها لمكافحة آفة الجراد. فيكون

عندئذٍ قد انتفع منها واستخدمها مجانا في أمور مهمة.

فمثل هذه الأنواع من استغلال قابليات الطيور والانتفاع منها، واستنطاق الجمادات من هاتف وحاكٍ، تخط له الآية الكريمة المذكورة المدى الأقصى والغايةَ القُصوى.

فيقول الله سبحانه بالمعنى الرمزي لهذه الآيات الكريمة: يا بني الإنسان! لقد سخرتُ لعبدٍ من بني جنسكم، عبد خالص مخلص، سخرتُ له مخلوقات عظيمة في مُلكي وأنطقتُها له، وجعلتها خُدَّاما أمناء وجنودا مطيعين له، كي تُعصَمَ نبوّتُه، وتُصان عدالتُه في ملكه ودولته. وقد آتيتُ كلا منكم استعدادا ومواهبَ ليصبح خليفة الأرض، وأودعتُ فيكم أمانةً عُظمى، أبَتِ السماواتُ والأرضُ والجبالُ أن يحملنَها، فعليكم إذن أن تنقادوا وتخضعوا لأوامر مَن بيده مقاليدُ هذه المخلوقات وزمامُها، لتنقاد إليكم مخلوقاتُه المبثوثة في ملكه. فالطريق ممهَّد أمامكم إن استطعتم أن تقبضوا زِمام تلك المخلوقات باسم الخالق العظيم، وإذا سمَوتم إلى مرتبة تليق باستعداداتكم ومواهبكم.

ومثلا: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ (الأنبياء: ٦٩).

هذه الآية الكريمة تبين معجزة سيدنا إبراهيم عليه السلام، وفيها ثلاث إشارات لطيفة:

أولاها: النار -كسائر الأسباب- ليس أمرها بيدها، فلا تعمل كيفما تشاء حسب هواها وبلا بصيرة، بل تقوم بمهمتها وفق أمر يُفرض عليها. فلم تُحرق سيدَنا إبراهيم لأنّها أُمرَت بعدم الحرق.

ثانيتُها: إنّ للنار درجة تحرق ببرودتها، أيْ تؤثر كالاحتراق. فالله سبحانه

يخاطب البرودة بلفظة: "سلاما"[١] بأن لا تحرقي أنتِ كذلك إبراهيم، كما لم تحرقه الحرارة. أي إنّ النار في تلك الدرجة تؤثر ببرودتها كأنّها تحرق، فهي نار وهي برد.

نعم إنّ النار -كما في علم الطبيعيات- لها درجات متفاوتة، منها درجة على صورة نار بيضاء لا تنشر حرارتها بل تكسب مما حولها من الحرارة، فتجمد بهذه البرودة ما حولها من السوائل، وكأنها تحرق ببرودتها. وهكذا الزمهرير لون من ألوان النار تحرق ببرودتها، فوجودُه إذن ضروري في جهنم التي تضم جميع درجات النار وجميع أنواعها.

ثالثُها: مثلما الإيمان الذي هو "مادة معنوية" يمنع مفعول نار جهنم، وينجي المؤمنين منها. وكما أنّ الإسلام درع واقٍ وحصن حصين من النار، كذلك هناك "مادة مادية" تمنع تأثير نار الدنيا، وهي درع أمامها، لأنّ الله سبحانه يجري إجراءاته في هذه الدنيا، التي هي دار الحكمة، تحت ستار الأسباب. وذلك بمقتضى اسمه "الحكيم"، لذا لم تحرق النار جسمَ سيدنا إبراهيم عليه السلام مثلما لم تحرق ثيابَه وملابسه أيضا. فهذه الآية ترمز إلى:

"يا ملة إبراهيم! اقتدوا بإبراهيم، كي يكون لباسُكم لباسَ التقوى وهو لباس إبراهيم، وليكون حصنا مانعا ودرعا واقيا في الدنيا والآخرة تجاه عدوكم الأكبر، النار. فلقد خبَّأ سبحانه لكم مواد في الأرض تحفظكم من شر النار، كما يقيكم لباس التقوى والإيمان الذي ألبستموه أرواحكم، شر نار جهنم.. فهلمّوا واكتشفوا هذه المواد المانعة من الحرارة واستخرجوها من باطن الأرض والبسوها". وهكذا وجد الإنسان حصيلة بحوثه واكتشافاته مادة لا تحرقها النار، بل تقاومها فيمكنه أن يصنع منها لباسا وثيابا.

---

[١] يذكر أحد التفاسير أنه: لو لم يقل "سلاماً" لكانت تحرق ببرودتها. (النورسي).

ومثلا: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ (البقرة: ٣١)

تبيّن هذه الآية أنّ المعجزة الكبرى لآدم عليه السلام، في دعوى خلافته الكبرى، هي تعليم الأسماء.

فمثلما ترمز معجزاتُ سائر الأنبياء إلى خارقة بشرية خاصة لكل منهم، فإن معجزة أبي الأنبياء وفاتحِ ديوان النبوة آدم عليه السلام، تشير إشارة قريبة من الصراحة إلى منتهى الكمال البشري، وذروة رقيّه، وإلى أقصى أهدافه، فكأنّ الله سبحانه يقول بالمعنى الإشاري لهذه الآية الكريمة:

يا بني آدم!.. إنّ تفوّق أبيكم آدم في دعوى الخلافة على الملائكة كان بتعليمي إياه الأسماءَ كلَّها، وأنتم بنوه ووارثو استعداداته، ومواهبه فعليكم أن تتعلموا الأسماء كلها لتُثبتوا جدارتكم أمام المخلوقات لتسنّم الأمانة العظمى، فلقد مُهّد الطريق أمامَكم لبلوغ أسمى المراتب العالية في الكون، وسُخّرت لكم الأرض، هذه المخلوقة الضخمة. فهيَّا انطلقوا وتقدموا، فالطريق مفتوح أمامكم.. واستمسكوا بكل اسم من أسمائي الحسنى، واعتصموا به، لتسموا وترتفعوا. واحذروا! فلقد أغوى الشيطانُ أباكم مرة واحدة، فهبط من الجنة – تلك المنزلة العالية– إلى الأرض موقتا. فإياكم أن تتبعوا الشيطان في رقيكم وتقدمكم، فيكون ذريعة ترديكم من سماوات الحكمة الإلهية إلى ضلالة المادية الطبيعية.. ارفعوا رؤوسكم عاليا، وانعموا النظر والفكر في أسمائي الحسنى، واجعلوا علومَكم ورقيّكم سُلّما ومراقي إلى تلك السماوات، لتبلغوا حقائق علومكم وكمالكم، وتصلوا إلى منابعها الأصلية، تلك هي أسمائي الحسنى. وانظروا بمنظار تلك الأسماء ببصيرة قلوبكم إلى ربكم.

وهكذا يضرب القرآن الكريم بهذه الآية الكريمة ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ (البقرة :٣١) يدَ التشويق على ظهر البشرية مشيرا إلى أسمى النقاط وأبعد

الحدود وأقصى المراتب التي قصُرت كثيرا عن الوصول إليها في تقدمها الحاضر، وكأنّه يقول لها: هيَّا تقدمي.

ومثلا: إنّ خاتم ديوان النبوة، وسيدَ المرسلين، الذي تعدّ جميعُ معجزات الرسل معجزة واحدة لتصديق دعوى رسالته، والذي هو فخرُ العالمين، وهو الآية الواضحة المفصلة لجميع مراتب الأسماء الحسنى كلّها التي علَّمها الله سبحانه آدمَ عليه السلام تعليما مجملا.. ذلكم الرسول الحبيب محمد ﷺ الذي رفع إصبعه عاليا بجلال الله فشقَّ القمرَ،[1] وخَفَضَ الإصبعَ المباركَ نفسَه بجمال الله ففجَّرَ ماءً كالكوثر..[2] وأمثالُها من المعجزات الباهرات التي تزيد على الألف.. هذا الرسول الكريم ﷺ أظهرَ القرآنَ الكريم معجزةً كبرى تتحدى الجنّ والإنس: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (الإسراء:٨٨). فهذه الآية الكريمة وأمثالها من الآيات تجلب أنظار الإنس والجن إلى أبرز وجوه الإعجاز في هذه المعجزة الخالدة وأسطعِها، فتلفتُها إلى ما في بيانه -الحق والحقيقةَ- من جزالةٍ، وإلى ما في تعابيره من بلاغةٍ فائقة، وإلى ما في معانيه من جامعيةٍ وشمول، وإلى ما في أساليبه المتنوعة من سموٍ ورفعة وعذوبة.. فتحدّى القرآنُ المعجز، وما زال كذلك يتحدى الإنس والجن قاطبة، مثيرا الشوق في أوليائه، محركا ساكنَ عناد أعدائه، دافعا الجميع إلى تقليده، بشوق عظيم وترغيب شديد، للإتيان بنظيره، بل إنّه سبحانه يضع هذه المعجزة الكبرى أمام أنظار الأنام في موقع رفيع لكأن الغاية الوحيدة من مجيء الإنسان إلى هذه الدنيا

---

[1] انظر: البخاري، تفسير سورة القمر ١، المناقب ٢٧؛ مسلم، صفة المنافقين ٤٦؛ الترمذي، تفسير سورة القمر ٥؛ أحمد بن حنبل، المسند ٢٠٧/٣، ٢٠، ٨٢/٤.

[2] انظر: البخاري، الوضوء ٣٢، المناقب ٢٥، الأشربة ٣١، المغازي ٣٥؛ مسلم، الزهد ٧٤، الفضائل ٥، ٦؛ الترمذي، المناقب ٦؛ النسائي، الطهارة ٦١.

ليست سوى اتخاذه تلك المعجزةَ العظمى دستورَ حياته، وغايةَ مناه.

نخلص مما تقدم: أنّ كل معجزة من معجزات الأنبياء عليهم السلام تشير إلى خارقة من خوارق الصناعات البشرية. أمّا معجزة سيدنا آدم عليه السلام فهي تشير إلى فهرس خوارق العلوم والفنون والكمالات، وتشوّق إليها جميعا مع إشارتها إلى أسس الصنعة إشارة مجملة مختصرة.

أما المعجزة الكبرى للرسول الأعظم ﷺ وهي القرآن الكريم ذو البيان المعجِر، فلأنّ حقيقةَ تعليم الأسماء تتجلى فيه بوضوح تام، وبتفصيل أتمّ، فإنّه يبين الأهداف الصائبة للعلوم الحقة وللفنون الحقيقية، ويُظهر بوضوح كمالات الدنيا والآخرة وسعادتهما، فيأخذ بيد البشر إليها ويوجّههم نحوَها، مثيرا فيهم رغبة شديدة فيها، حتى إنّه يبين بأسلوب التشويق أنْ أيها الإنسان! إن المقصد الأسمى من خلق هذا الكون هو قيامُك أنت بعبودية كلّية تجاه تظاهر الربوبية، وإنّ الغاية القصوى من خلقك أنت هي بلوغُ تلك العبودية بالعلوم والكمالات. فيعبّر بتعابير متنوعة رائعة معجزة مشيرا بها إلى أنّ البشرية في أواخر أيامها على الأرض ستنساب إلى العلوم، وتنصبّ إلى الفنون، وستستمد كل قواها من العلوم والفنون فيتسلم العلمُ زمام الحكم والقوة.

ولما كان القرآن الكريم يسوق جزالة البيان وبلاغة الكلام مقدّما ويكررهما كثيرا، فكأنّه يرمز إلى أنّ البلاغة والجزالة في الكلام، وهما من أسطع العلوم والفنون، سيلبسان أزهى حُللهما وأروعَ صوَرهما في آخر الزمان، حتى يغدو الناس يستلهمون أمضى سلاحهم من جزالة البيان وسِحره، ويستلمون أرهبَ قوتهم من بلاغة الأداء؛ وذلك عند بيان أفكارهم ومعتقداتهم لإقناع الآخرين بها، أو عند تنفيذ آرائهم وقراراتهم.[1]

---

[1] الكلمات، ص: ٢٩٣.

ومن هنا نرى أن أوامر الله سبحانه وتعالى قد أحاطت بكل شيء.. فالعلوم الحاضرة إذن بأصنافها وأنواعها كافة إنما هي جزء من شمولية الدين، سواء ما اختص باسم " علوم الدين" من تفسير وفقه وما شابه، أو ما يسمى بـ "علوم الدنيا" من علوم فيزياء أو كيمياء أو علوم حياة أو غيرها. هذه العلوم كلها هي في حقيقتها آفاق لتجليات الأسماء الحسنى، أي جزء من بنية الدين الشامل للوجود أجمع.

والله نسأل أن يوفقنا إلى حسن القصد وصحة الفهم وصواب القول وسداد العمل.

وصل اللّهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

* * *

البيئة في مقاربة كونية
عند الإمام بديع الزمان سعيدالنورسي [1]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين وعلى آله وأصحابه أجمعين؛ وبعد

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

قبل أن نخوض في ثنايا البحث لابد أن نلقي ضوءاً على حياة الإمام بديع الزمان سعيد النورسي.

ولد بديع الزمان سعيد النورسي في مطلع القرن الهجري الماضي ١٢٩٣هـ (١٨٧٦م) في قرية (نورس) شرقي تركيا، في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، وجاهد الروس على رأس "فرقة الأنصار" في جبهة القفقاس في الحرب العالمية الأولى. وقاوم عقبها الإنكليز والحلفاء الذين احتلوا مناطق مختلفة من تركيا.. وساهم في حرب الاستقلال التي دامت سنوات لطرد الغزاة من البلاد.. وعاصر المنعطف الخطير الذي بدأ منذ انتهاء الدولة العثمانية ١٩٢٤م، حيث وُضعت قوانين واتُّخذت قرارات بإلغاء الخلافة وإبعاد الإسلام عن

---

[1] بحث ألقي في الملتقى الدولي الذي نظمه المجلس الإسلامي الأعلى بالجزائر العاصمة في موضوع "الحفاظ على البيئة في الإسلام وفي الدراسات العلمية المعاصرة" في ٢٨ - ٣٠ /٣/ ٢٠١١م.

الحياة الاجتماعية وممارسات الدولة.

يقول عن هذه الفترة وما بعدها: "إلى هنا كانت حياتي طافحة بخدمة البلاد، وفق ما كنت أحمله من فكرة خدمة الدين عن طريق السياسة. ولكن بعد هذه الفترة ولّيت وجهي كلياً عن الدنيا، وقبرت " سعيداً القديم" -حسب اصطلاحي- وأصبحتُ سعيداً جديداً يعيش كلياً للآخرة... صرفتُ كل همي ووقتي إلى تدبّر معاني القرآن الكريم... أخذتني الأقدار نفياً من مدينة إلى أخرى (طوال ربع قرن).. وفي هذه الأثناء تولّدت من صميم قلبي معانٍ جليلة نابعة من فيوضات القرآن الكريم.. أمليتُها على مَن حولي من الأشخاص، تلك الرسائل التي أطلقتُ عليها اسم "رسائل النور". إنها انبعثت حقاً من نور القرآن الكريم. لذا نبع هذا الاسم من صميم وجداني، فأنا على إقتناع تام ويقين جازم بأن هذه الرسائل ليست مما مضغته أفكاري وإنما هي إلهام إلهي أفاضه الله سبحانه على قلبي من نور القرآن الكريم، فباركتُ كل مَن استنسخها، لأنني على يقين أن لا سبيل إلى حفظ إيمان الآخرين غير هذه السبيل... وهكذا تلقفتها الأيدي الأمينة بالاستنساخ والنشر...".[1]

توفاه الله سنة ١٩٦٠ ودفن في مدينة أورفة. ثم فتحت السلطاتُ العسكرية آنذاك قبره وأُخذ جثمانه إلى مكان مجهول، ومازال قبره مجهولاً. رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جنانه.

البيئة ومعضلاتها

إن الفهم السليم للبيئة ومشكلاتها، يستدعي تعريفاً سليماً للبيئة نفسها. ونكتفي هنا بتعريف "البيئة" التي هي في أوسع معانيها "الوسط الذي تعيش فيه الأحياء" وإذا تطلعنا إليها من الجانب الجغرافي، نقول أنها: دراسة الفعاليات

---

[1] الشعاعات، ص ٥٤١ -٥٤٢.

الجارية في الوسط الذي يعيش فيه الإنسان وقواعد التأثيرات المتبادلة بين الإنسان ووسطه. وهكذا الجانب الاقتصادي، والجانب الاجتماعي وأما علماء البيئة فيعرّفونها بأنها كل شئ حي أو غير حي في الكائنات يتعلق بالفرد.. وهناك تعاريف عدة كل حسب منهجه.

إن معضلات البيئة هي المشاكل الظاهرة بتأثير البيئة التي كوّنها الإنسان (لاحقاً) في البيئة الطبيعية، والظاهرة أيضاً في البيئة الصناعية. هذه المعضلات في حدودها الضيقة هي تلوث الهواء والأرض والماء والضجيج والتلوث النووي والحراري، والمخاطر التي تتعرض لها الحياة في البيئة بسببها. لكن حدودها تتوسع في الوقت الحاضر لتشمل أموراً أخرى عدا مشاكل التلوث.

وحين نتطلع إلى الموضوع من هذه الزواية، نجد أن الحفاظ على سلامة البيئة ليس جديداً، بل إن الإسلام دعا إلى ذلك ووضع ضوابط يراعيها المجتمع لحماية البيئة ضمن تشريعاته.

ونبادر فنقول: إن مفهوم البيئة والدراسات المستقلة عنها ظهرت في العصور المتأخرة. لكننا -مع ذلك- نجد آيات قرآنية وأحاديث شريفة بشأن المواضع الداخلة في دائرتها. وأن غياب أبواب مستقلة أو عناوين ترادف المصطلحات الحديثة في المصنفات التراثية، لا يعني إهمال هذه المسألة، بل نلاحظ أن الإسلام الذي يعطي لكل ما يخص الإنسان أهمية بقدر ما يقتضيه، يولي عناية كافية لهذا الموضوع في القرآن الكريم. وكذلك نلاحظ ذلك في رسائل النور، وهي تفسير معنوي للقرآن الكريم يلائم مدارك العصر الحاضر. بل لا يذكر الإمام النورسي البيئة بهذا النظر المحدود، والمنحصر في حدود معينة مهما وسعت فهي ضيقة جدا بالنسبة للنظر الكوني لديه، حيث يتعامل مع الوجود كله، مع الكون كله، مادة ومعنى.

فالإمام النورسي وهو يتحدث عن الكون الواسع الجميل الذي هيأه الله وعدّله وجعله مائدة حافلة ورحاباً طهوراً ومصلى قدسياً، إنما كان يقارب عوالم هذا الكون باعتبارها كتاب الله المنظور، وكتابه المنشور، ومجلى نعمه وآياته، ومرايا تجليات أسمائه الحسنى. هكذا يتلقى النورسي البيئة، بل هكذا يريد القرآن الكريم أن نتلقاها.

البيئة في القرآن الكريم من مفهوم رسائل النور

لقد نزل القرآن الكريم شفاء ورحمة وتطهيرا من ظلمات الكفر وأدران الضلال. فكما طهّر الأبدان ونظّم أمور الدنيا، اهتم بروح الإنسان كما اهتم بعالمه المادي. وأرشدهم - فيما أرشد – إلى ضرورة إصلاح البيئة لذلك كونت البيئة في أذهان المؤمنين بالقرآن الكريم حيزاً مهماً منذ ظهور الإسلام.

ويتناول الإمام النورسي في رسائل النور حقائق القرآن الكريم التي تتعلق بالبيئة من زاوية الأسماء الإلهية الحسنى المحيطة بالوجود كله. ونوجزها بالنقاط التالية:

أولاً : كل كائن دليل على وجود الله سبحانه :

نرى الإمام النورسي يفسر آيات كثيرة في هذا الموضوع، ابتداء من أقرب شيء إلى الإنسان إلى الكائنات كلها وما فيها، فيشير إلى انتظامها وتوازنها وتناسقها ويقدمها برهانا على وجود الله سبحانه وعلى وحدانيته. فيقول:

"إن ما يُعرّف لنا ربَّنا هو ثلاثة معرّفين أدلاّء عظام:

أوله: كتاب الكون.

ثانيه: هو الآية الكبرى لهذا الكتاب العظيم، وهو خاتم ديوان النبوة ﷺ.

ثالثه: القرآن الحكيم".[١]

ولهذا يجد النورسي في تلويث البيئة التي نعيش فيها، وهي جزء من الكائنات، وتخريبها وإيقاع الضرر بها هو تخريب لمعرّف كبير وكلي بالله تعالى. حيث إن مشاهدة الكتاب الكوني العظيم هذا وحدَه كافٍ للدلالة على وجود كاتبه، بل يسوقنا إلى معرفة وجوده سبحانه ووحدانيته بما يفوق دلالة الكتاب على نفسه أضعافاً مضاعفة. حيث:"إن كل حرف في أي كتاب كان، يُظهر نفسه بمقدار حرف، ويدل على وجوده بصورة معينة، إلاّ أنه يعرّف كاتبه بعشر كلمات، ويُدل عليه بجوانب عديدة، فيقول مثلاً: "إن كاتبي خطه جميل، وإن قلمه أحمر، وإنه كذا وكذا...

ومثل ذلك كل حرف من كتاب العالم الكبير هذا، يدل على ذاته بقدر جرمه (مادته) ويُظهِر نفسه بمقدار صورته، إلاّ أنه يعرّف أسماء البارئ المصوّر سبحانه بمقدار قصيدة، ويُظهر تلك الأسماء الحسنى ويشير إليها بعدد أنواعه شاهداً على مسمّاه".[٢]

"نعم! إن سطح الأرض "صحيفة" من هذا الكتاب الكبير، هذه الصحيفة تضم كتباً بعدد طوائف النباتات والحيوانات، وهي تُكتب أمام أنظارنا في موسم الربيع في غاية الكمال والإتقان من دون خطأٍ، كتابةً متداخلة، جنباً إلى جنب، في آن واحد.

والبستان "سطر" من هذه الصحيفة، نشاهد فيه قصائد منظومة وهي تُكتب أمام أعيننا بعدد الأزهار والأشجار والنباتات، كتابةً متداخلة، جنباً إلى جنب، من دون خطأ.

---

[١] الكلمات، ص: ٢٥٥.

[٢] الكلمات، ص:٣٣٥.

والشجرة النامية الزاهيةُ أوراقُها، المفتحةُ أزهارُها، وقد أوشكت أن تخرج أثمارُها من أكمامها، هذه الشجرة "كلمةٌ" من ذلك السطر، فهذه الكلمة تمثل فقرةً كاملة ذات مغزى تعبّر تعبيراً بليغاً عن ثنائها وحمدها ودلالتها على اسم الله الحكيم ذي الجمال، بعدد أوراقها المنتظمة وأزهارها المزيّنة وأثمارها الموزونة، حتى لكأن تلك الشجرة المفتحة الأزهار قصيدةٌ عصماء تتغنى بالمدح والثناء على آلاء بارئها المصور الجليل.

وكأن الله "الحكيم" ذا الجلال يريد أن ينظر عباده إلى ما عَرَضه من بدائع آثاره وعجائب مخلوقاته في معرض الأرض البديع بألوف من العيون".[1]

ثانياً: المعنى في الكائنات :

نعلم من دلالة كل موجود في الكائنات على وجود الله سبحانه وعلى وحدانيته، وتسخيرها لخدمة الإنسان، بأن الكائنات محمّلة بشيء معنوي. زد على ذلك، أن الله سبحانه يبين لنا أن الموجودات تسبّح له وتعبده مَثلها مثل الإنسان المؤمن، وأنه سبحانه يكلؤها بعين العناية الإلهية. هذا ما نلمحه في الآيات الآتية وأشباهها كثير: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾ (الروم: ٢٢)

﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لاَ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (الإسْرَاءِ : ٤٤).

ولذلك، يبين الإمام سعيد النورسي أيضاً، أن كل مخلوق في الكائنات حياً كان أو غير حيٍ، ومهما دق أو عظم، مبارك يعبد الله سبحانه، ولا ينبغي أن يُقتل أو يُمحى اعتباطاً وعبثاً. فيوقظ في نفس الإنسان شعوراً مرهفاً إزاء البيئة. يقول في بيان الآية الكريمة :

---

[1] اللمعات، ص: ٤٨١.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ (الحج: ١٨).

"إن القرآن الحكيم يصرح بأن كل شيء من العرش إلى الفرش، ومن المَلَك إلى السمك، ومن المجرات إلى الحشرات، ومن السيارات إلى الذرات.. كلٌّ منها يسجد لله، ويعبده، ويحمده ويقدّسه. إلاّ أن عباداتها مختلفة متباينة متنوعة، كلٌّ حسب قابلياتها، ومدى نيلها لتجليات الأسماء الحسنى." [١]

ثالثا: التوازن البيئي:

يرد التوازن البيئي في القرآن الكريم كثيراً ويذكّر الإنسان بأن الموجودات خلقت بميزان ونظام وعدل وتوازن. قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (القمر: ٤٩) ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ (الحجر: ٢١) يقول الإمام النورسي:

"فإن شئت فأنعم النظر، في الموجودات كلها، ابتداء من حجيرات الجسم إلى الكريات الحمراء والبيضاء في الدم، ومن تحولات الذرات إلى التناسب والانسجام بين أجهزة الجسم، ومن واردات البحار ومصاريفها إلى موارد المياه الجوفية وصرفياتها، ومن تولدات الحيوانات والنباتات ووفياتها إلى تخريبات الخريف وتعميرات الربيع، ومن وظائف العناصر وحركات النجوم إلى تبدل الموت والحياة، ومن تصادم النور والظلام إلى تعارض الحرارة والبرودة.. وما شابهها من أمور، كي ترى أن الكل: يوزَن ويُقدَّر بميزان خارق الحساسية، وأن الجميع يُكتال بمكيال غاية في الدقة، بحيث يعجز عقلُ الإنسان أن يرى إسرافاً حقيقياً في مكان وعبثاً في جزء.. بل يلمس علمُ الإنسان ويشاهد أكملَ نظامٍ

---

[١] الكلمات، ص: ٤٠١.

وأتقنَه في كل شيء فيحاول أن يُريَه، ويرى أروَع توازنٍ وأبدعه في كل موجود فيسعى لإبرازه.

فما العلوم التي توصَّل إليها الإنسان إلاّ ترجمة لذلك النظام البديع وتعبير عن ذلك التوازن الرائع."[١]

رابعاً: الإسراف يلوث البيئة :

إن الإسراف من الأسباب الرئيسة لتلوث البيئة وتخلخل التوازن الطبيعي. لقد تسلل الإسراف إلى اقتصاديات المنزل والاستهلاك والإنتاج والصناعة والتكنولوجيا، وكأنه قد أحاط بالإنسانية من جميع أطرافها. فتولّدت حاجات مصطنعة ، وتُستهلك الطبيعة من أجل أشياء مصطنعة، فيعطب التوازن الطبيعي ويتلوث الماء والهواء. إذن، من الضروري أن توقف الإسراف من أجل بيئة صحية. يلزم أن تتقيد الإنسانية في الإنتاج والاستهلاك بحسب الاحتياجات. وعلى ذلك يحث القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (الأعراف: ٣١) ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ (الإسراء: ٢٧) إن التعاليم الإسلامية خير بديل لإيقاف التخريب الذي نعيشه اليوم بتحريمها الإسراف وأمرها بالقسط في كل شيء، ورفعها للبخل وحثها على إنفاق ما يفيض عن الحاجة، وتحرير الإنسان من عبودية المادة إلى سيادة الكائنات وأشرف المخلوقات، واحترام التوازن في الإنسان والحيوان والنبات وجميع الموجودات .

إن أهمية الاقتصاد والاعتدال في حماية البيئة صار من المعلومات البدهية في يومنا هذا. حتى إن الإمام سعيد النورسي صنف رسالة مستقلة في لزوم الاقتصاد وفوائده وتحريم الإسراف وأضراره. وسماها "رسالة الاقتصاد"

---

[١] اللمعات، ص: ٤٧٦.

وصدّرها بقوله تعالى:" ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (الأعراف: ٣١) هذه الآية الكريمة تعلّمنا درساً حكيماً مهماً بالأمر القاطع بالاقتصاد والنهي الصريح عن الإسراف . فالخالق الرحيم يريد الشكر على الأنعم التي أنعم بها على البشر . بينما الإسراف ضد الشكر، واستخفاف خاسر بالنعم . أما الاقتصاد ، فهو احترام رابح للنعم ".[١]

ويقول عن تجربة من حياته:

"لقد حصلتُ أحياناً وحصل أصدقائي على عشرة أضعاف من البركة بسبب الاقتصاد. حتى إنه قبل تسع سنوات (سنة ١٩٢٦) عندما أصرّ عليّ قسم من رؤساء العشائر المنفيين معي إلى "بوردور" على قبول زكاتهم كي يحولوا بيني وبين وقوعي في الذلة والحاجة لقلة ما كان عندي من النقود، فقلت لأولئك الرؤساء الأثرياء: رغم أن نقودي قليلة جداً إلاّ أنني أملك الاقتصاد، وقد تعودت على القناعة، فأنا أغنى منكم بكثير. فرفضتُ تكليفهم المتكرر الملحّ.. ومن الجدير بالملاحظة أن قسماً من أولئك الذين عرضوا عليّ زكاتهم قد غلبهم الدَّين بعد سنتين، لعدم التزامهم بالاقتصاد، إلاّ أن تلك النقود الضئيلة قد كفتني -ولله الحمد- ببركة الاقتصاد إلى ما بعد سبع سنوات، فلم يُرِق مني ماء الوجه، ولم يدفعني لعرض حاجتي إلى الناس، ولم يفسد عليّ ما اتخذته دستوراً لحياتي وهو الاستغناء عن الناس".[٢]

ولهذا عاش سعيد النورسي مقتصداً في طعامه، مقتصداً في ملبسه. بل في كل ما يخصه، حتى إنه يقول:

"ان هذه السترة (الجاكيت) قد اشتريتها مستعملة قبل سبع سنوات. وكلفت

---

[١] اللمعات، ص ١٩٣.

[٢] اللمعات، ص: ١٩٧.

أربع ليرات ونصف الليرة: لمصاريف خمس سنوات مضت للملابس والحذاء والجوارب، فلقد كفتني البركة والاقتصاد والرحمة الإلهية".[١]

خامساً التطهر المادي والمعنوي بتجلي اسم الله "القدوس":

يعد الإسلام النظافة والطهارة من شروط الإيمان، فيقيم علاقة مباشرة بين الإيمان والنظافة وإن اشتراط طهارة البدن لبعض العبادات، وجعلها مدخلاً ومفتاحاً يفتح باب الصلاة، يدلنا على الأهمية التي يوليها الإسلام للنظافة. ويكفي أن الإسلام وضع قواعد للنظافة مثل آداب الطهارة والوضوء للصلاة والغسل من الجنابة التي تفرض استحماماً دورياً، وتقليم الأظافر، والسواك، وأمور الفطرة وما إلى ذلك من أمور النظافة التي تزخر بها الكتب الفقهية.

ولكن حصر الطهارة بالبدن قصر في النظر. فطهارة القلب والنفس وخلوص النية مقدم على طهارة الأبدان. ومن المطلوبات أيضاً للخلق الحسن. فالإسلام دين الاعتدال في كل شيء، كذلك في العلاقة بين المادة والمعنى. فلا يصح الفصل بين الطهارة المادية والمعنوية في الإسلام. وقد نجد في مواضع كثيرة تركيزاً على طهارة الروح والنفس، لكننا نلاحظ أيضاً تداخلها مع الطهارة المادية. وإن الإمام النورسي أيضاً يؤكد على أن الإسلام يأمر بطهارة المظهر والمخبر والظاهر والباطن. ولا يتقبل إنساناً نظيف الظاهر ملوث الباطن، كما لا يتقبل نظيف الباطن وملوث الظاهر. ولما كان القلب رمزاً للروح والمعنى في الإنسان، فأول ما يخطر على البال إذا ذكرت طهارة الباطن هو سلامة القلب والوجدان وطهارته. والآثام قذارة تصيب البيئة المعنوية للفرد والمجتمع بالتلوث. لذلك، الفرد الطاهر النظيف والمجتمع الطاهر النظيف يعني التطهر من تلوث الآثام، وبعبارة أخرى: سيادة مفهوم " محاسبة النفس" "ومقاومة باطن الإثم".

---

[١] المكتوبات، ص: ٨٦.

فالبيئة الطاهرة عند الإمام النورسي تعني طهارة الوسط المعنوي والمادي، وليس الوسط المادي وحده. وأول شروط حماية البيئة المعنوية هو نظافة العقل والفكر والقلب والروح والوجدان معاً. بل يذهب أكثر من هذا على أن الهواء المعنوي يؤثر أيضا فيقول:

"كما أن الهواء يؤثر تأثيراً سيئاً إن كان فاسداً -فساداً مادياً- كذلك الهواء المعنوي إذا ما فسد -فساداً معنوياً - فإنه يؤثر تأثيراً سيئاً في كل شخص وحسب استعداده. إن توجّه المؤمنين عامة وإقبالهم الجاد في الشهور الثلاثة (رجب، شعبان، رمضان) إلى كسب مغانم أخروية والفوز في تجارتها، يصفّي الهواء المعنوي للعالم الإسلامي عامة وينقيه ويجمّله. حتى يتمكن من الصمود تجاه الآفات المهلكة والبلايا الرهيبة. فكل مؤمن يستفيد من ذلك الهواء الصافي الجميل حسب درجته.

ولكن بعد مضي الشهور المباركة تتبدل أوضاع السوق الأخروية، وتتفتح أبواب السوق الدنيوية، فيعتري الهمم والتوجهات شيء من التغير والتبدل، إذ الأبخرة تسمم الهواء المتصاعد من الأمور التافهة السخيفة، وتفسد ذلك الهواء الجميل. فيتضرر بدوره كل مؤمن حسب درجته".[1]

ومن هنا نرى أنه يرى الوجود كله في تنظيف مستمر، حيث يقول:

"نعم، إن هذا التنظيف السامي الشامل المشاهَد الذي يجعل قصر العالم طاهراً نقياً نظيفاً لهو تجلٍ من تجليات اسم الله "القدوس" ومقتضىً من مقتضياته. وكما تتوجه تسبيحات المخلوقات جميعها إلى اسم الله "القدوس" وترنو إليه، كذلك يستدعي اسم الله "القدوس" نظافة تلك المخلوقات وطهارتها. ويجب ألاّ ننسى أن الخصال القبيحة، والاعتقادات الباطلة، والذنوب والآثام، والبدع، كلها من الأوساخ المعنوية. وقد عدّ الحديثُ

---

[1] الملاحق، ص: ١١٥.

الشريف (النظافة من الإيمان) الطهورَ نوراً من أنواره لارتباطه القدسي هذا، وأظهرت الآية الكريمة أن الطُهر مدعاة إلى المحبة الإلهية ومدار لها، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (البقرة: ٢٢٢)".[١]

وهكذا ينطلق الإمام النورسي في نظرته الكونية إلى البيئة ويجول بنا ضمن أنوار تجليات الأسماء الحسنى، التي تحيط بالكون وما فيه ما لم تفسده يد الإنسان فيقول:

"إننا لا نكاد نرى في معمل الكون العظيم هذا، وفي دار ضيافة الكرة الأرضية هذه أثراً للنفايات، كما أنه لا توجد في أية زاوية من زواياهما مادة غير نافعة، أو غير ضرورية، أو أُلقِيَتْ عبثاً، حتى إن ظهرت مادةٌ كهذه سرعان ما تُرمى في مكائن تحويل بمجرد ظهورها، تُحيلها إلى مادة نظيفة...

فهذا الأمر الدائب يدلنا على أن الذي يراقب هذا المعمل إنما يراقبه بكل عناية وإتقان، وأن مالكه يأمر بتنظيفه وتنسيقه وتزيينه على الدوام حتى لا يُرى فيه -رغم ضخامته- أثرٌ للقاذورات والنفايات التي تكون متناسبةً مع كُبر المعمل وضخامته. فالمراعاة بالتطهير إذن مستمرة، والعناية بالتنظيف دائمة ومتناسبة مع ضخامة المعمل".[٢]

وبعد ما يسرد سردا مفصلا أهمية التوازن الدقيق في البيئة وكيفية الحفاظ عليها يخاطب الذين يحاولون إفساد هذا النظام ويتهم من يسيء استعمال خلافة الأرض ويظهر الفساد في البر والبحر بالإسراف والتبذير والظلم والجور والقذارة والوساخة لينبهه إلى سوء عمله :

" أيها الإنسان المسرف الظالم الوسخ.!

---

[١] اللمعات،. ص: ٤٧٤.

[٢] نفسه.

اعلم، أن الاقتصاد والطهر والعدالة سنن إلهية جارية في الكون، ودساتير إلهية شاملة تدور رحى الموجودات عليها لا يفلت منها شيء إلاّ أنت أيها الشقي، وأنت بمخالفتك الموجودات كلها في سيرها وفق هذه السنن الشاملة تلقى النفور منها والغضب عليك وأنت تستحقها..

فعلامَ تستند وتثير غضبَ الموجودات كلها عليك فتقترف الظلم والإسراف ولا تكترث بالموازنة والنظافة؟

نعم، إن الحكمة العامة المهيمنة في الكون والتي هي تجلٍ أعظم لاسم الله "الحكيم" إنما تدور حول محور الاقتصاد وعدم الإسراف، بل تأمر بالاقتصاد.

وإن العدالة العامة الجارية في الكون النابعة من التجلي الأعظم لاسم الله "العدل" إنما تدير موازنة عموم الأشياء، وتأمر البشرية بإقامة العدل.

وإن ذكر الميزان أربع مرات في "سورة الرحمن" إشارة إلى أربعة أنواع من الموازين في أربع مراتب وبيان لأهمية الميزان البالغة ولقيمته العظمى في الكون. وذلك في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ. أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ. وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ (الرحمن: ٧- ٩).

نعم، فكما لا إسراف في شيء، فلا ظلم كذلك ظلماً حقيقياً في شيء، ولا بخسَ في الميزان قط، بل إن التطهير والطهر الصادر من التجلي الأعظم لاسم الله "القدوس" يعرض الموجودات بأبهى صورتها وأبدع زينتها، فلا ترى ثمة قذارة في موجود، ولا تجد قبحاً أصيلاً في شيء ما لم تمسّه يد البشر الوسخة.

فاعلم من هذا أن "العدالة والاقتصاد والطهر" التي هي من حقائق القرآن ودساتير الإسلام، ما أشدَّها إيغالاً في أعماق الحياة الاجتماعية، وما أشدَّها عراقة وأصالة. وأدرك من هذا مدى قوة ارتباط أحكام القرآن بالكون، وكيف

أنها مدّت جذوراً عميقة في أغوار الكون فأحاطته بعرىً وثيقة لا انفصام لها. ثم افهم منها أن إفساد تلك الحقائق ممتنعٌ كامتناع إفساد نظام الكون والإخلال به وتشويه صورته".[١]

والله نسأل أن يوفقنا إلى حسن القصد وصحة الفهم وصواب القول وسداد العمل.

وصل اللّهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

* * *

تعقيب:

دعانا (البروفيسور خيرالأنوار) الماليزي (أنا وعلي قاطي أوز) إلى الجامعة الوطنية. ودخلنا إلى قاعة المحاضرات التي سيلقى فيها درس البيئة. اعتلت البروفسورة المنصة وبدأت تشرح الموضوع بالإنكليزية...فقدمت (اسم الله القدوس)[٢] كاملا. وشدّت أنظار الطلاب والطالبات إلى المحاضرة، وهم من أديان وأجناس مختلفة وبدؤوا يسجلون ملاحظاتهم في دفاترهم. فصدّقنا كلام الأستاذ النورسي الذي يقول: سيأتي يوم تقرأ رسائل النور في الجامعات. ونحن شاهدناه بأم أعيننا.

---

[١] نفسه، ص٥٢٥.

[٢] اللمعات، اللمعة الثلاثون ص ٤٧٠.

البعد اللساني في حاشية النورسي
على منظومة السلّم المرونَق للأخضري [1]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين.

حضرات الأساتذة الكرام والأخوة الأعزاء والأخوات الفاضلات

نحييكم بتحية الإسلام من أعماق قلوبنا ومن صميم أفئدتنا فنقول :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛ وبعد

فمن حُسن تجليات القدر الإلهي الحكيم أن يقف غير عربي ومن بلاد غير عربية بعيدة عن الجزائر آلاف الأميال ويتكلم عما قدّمه علماء مغاربيون (الجزائر) من إسهامات في خدمة اللسان العربي وترقيته.

أظن أن هذا الموقف كاف وواف على ما بذله أولئك العلماء الأفذاذ من خدمات جليلة للسان العربي. حتى إنني عندما كنت في ماليزيا وجرى الحديث عن "السلم المرونق" للأخضري، قال أحدهم: إنني أحفظه حفظا. ألا يدل كل

---

[1] بحث ألقي في الملتقى الدولي الذي نظمته جامعة الحاج لخضر – باتنة - كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية بعنوان: الإسهامات المغاربية في البناء المعرفي الإسلامي، في ٢١- ٢٢ /١٠/ ٢٠١١م.

هذا على بركة العمل الخالص لوجه الله سبحانه، ففي أقاصي العالم يعرفون الرجل ويتدارسون مؤلَّفه.

ما الذي دفعني إلى المشاركة في هذا الملتقى الدولي ؟

سأذكره لكم باختصار: لقد منّ المولى الكريم عليّ ورزقني رزقا حسنا بترجمة الأعمال الكاملة للأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي وهي "رسائل النور" من اللسان التركي إلى اللسان العربي في تسعة مجلدات. وجعلت المجلد الثامن خاصاً لآثار النورسي القديمة والذي يضم مؤلَّفين له في علم المنطق كتبهما باللسان العربي وهما: "قزل إيجاز" وهو حواشي على منظومة "السلّم المرونق" للأخضري، والآخر "تعليقات" على البرهان للكلنبوي".

وقد سجلت في مقدمة الكتابين الآتي:

أملي في الله عظيم أن يقيّض من علمائنا المتبحرين في علم المنطق من يقدّر هذه الرسالة والتي تليها "تعليقات" حقّ قدرهما ويستجلي ما غمض فيهما من نفائس علم المنطق لتكونا رسالتين يستفيد منهما الخواص والعوام معاً غير قاصرتين على الخواص من العلماء.

وبعد سنوات عدة كأن الله سبحانه وتعالى استجاب دعائي لضعفي وعجزي فمنّ عليّ بمن له إلمام بهذا العلم، فكمّل ما قصرت عنه من تنسيق وتهميش فقابل الرسالة والمخطوط وراجعهما وضبط كثيرا من كلماتها، وهو الأخ الفاضل "أجير أشيوق" المحترم فجزاه الله عنا خير الجزاء وأجزل ثوابه... والحمد لله أولاً وآخراً.

وسأقتصر الكلام على قزل إيجاز لعلاقته بالموضوع.

اسم الرسالة "قزل إيجاز" قد يثير القارئ الكريم فهو اسم مركب من التركية والعربية أو على الأقل الكلمة تركي التركيب. فكلمة "قَزَل" تعني بالعربية:

العرج الشديد، (أَسوأ العَرَج وأَشدَّه) أي أن اسم الرسالة يعني: الإيجاز الشديد العرج. أما إذا اعتبرنا اسم الرسالة اسماً تركياً فهو يعني: الإيجاز المتّقد، الإيجاز الأحمر إلى حدّ الجمرة. حيث كلمة (قِزل) تعني الأحمر القاني.

والآن أرجو أن تقدروا مدى إسهام مغاربي جزائري وهو الأخضري بكتابه السلم المرونق في خدمة اللسان العربي، إذ يقوم بعد ثلاثة قرون بديع الزمان سعيد النورسي وهو في أقاصي الأناضول من تركيا بوضع حواش بالعربية عليه ثم يدرّسه طلابه طوال سنين. بل يقوم أحد طلبته -وهو أخوه عبد المجيد- بشرح بالعربية أيضاً على ما سجله أستاذه النورسي. ويقوم السيد الفاضل محمد زاهد الملازكردي بطبع الكتاب في مطبعة بركات بدمشق في محرم الحرام سنة١٣٨٧هـ (١٩٦٨م).

ويجمل بنا الآن أن نذكر شيئاً من:

توافقات لطيفة في السيرة العلمية لكلا الشيخين الجليلين الأخضري والنورسي:

عبد الرحمن الأخضري:

هو العلامة الجزائري أبو يزيد عبد الرحمن بن محمد الصغير بن محمد بن عامر الشهير بالأخضري، مالكي المذهب، أشعري العقيدة ويُعد من العلماء البارزين، وعلَما من أعلام الجزائر في القرن العاشر الهجري. ولد سنة ٩٢٠ هجرية ١٥١٢م بقرية "بن اطيوس" إحدى قرى طولقة بمنطقة الزاب ببسكرة. نشأ في أسرة علمية صالحة[١]. (وكذا النورسي نشأ في أسرة تقية ورعة في قرية "نُورْس" شرقي الأناضول. وقد حباه الله من القدرات الفائقة في استيعاب ما

[١] لخصت المعلومات حول الأخضري من عدة مواقع من الإنترنت.

وصل إليه عصره وما وصلت إلى عصره من علوم، حتى لقّب ببديع الزمان)

والأخضري أول ما تلقى العلم هو عن والده محمد الصغير. (وكذا النورسي تلقى العلم من أخيه الكبير عبد الله).

وقد شدّ الأخضري الرحال طلبا لتحصيل العلم والمعرفة. وكانت رحلته إلى تونس وإلى جامعها العامر الزيتونة، وفي الزيتونة جالس حلقات العلم ونهل منها المعارف المختلفة. (وكذا النورسي جال في كثير من المدن والقرى في شرقي تركيا، ثم ذهب إلى الشام وألقى خطبته المشهورة المسماة بالخطبة الشامية على جمع غفير من العلماء في الجامع الأموي).

وعاد الأخضري إلى قريته "بن اطيوس" متشبعا بالعلم والمعرفة، ولم يطل به المكث في قريته فشد الرحال إلى مدينة قسنطينة، وفيها التقى بعلمائها وأخذ عنهم، وعاد بعدها إلى قريته "بن اطيوس" ليدير زاوية جده محمد بن عامر ويرتقي بها إلى مستوى مدرسة علمية ذات إشعاع في تدريس شتى العلوم، يقصدها الطلاب من جميع أنحاء القطر الجزائري.

واشتهر بالعبادة والزهد والتصوف النقي من كل شائبة. (وكذا النورسي تحلى بحقيقة التصوف ومسمّاه من زهد وتقوى وورع وثبات وتضحية).

وكان الأخضري يعتزل الناس ويسكن قمم الجبال العالية. (وكذا النورسي كانت عزلته في السجون والمنافي التي أطلق عليها المدرسة اليوسفية وألّف فيها رسائله النورية طوال ربع قرن من الزمان).

فكانت الجبال العالية للأخضري مكانا للتأمل والتفكر في قدرة الله العظيمة وآياته البالغة البينة في مخلوقاته. هذه الخلوة والانعزال مكّناه من تأليف العديد من الكتب منها "الدرة البيضاء" و"الجوهر المكنون في ثلاثة

فنون" و"السلم المرونق" و"السراج في الهيئة" و"أزهر المطالب في علم الإسطرلاب في هيئة الأفلاك والكواكب" و"شرح السنوسية" و"الفريدة الغراء" و"القدسية". (وكذا النورسي فقد ألف أغلب رسائل النور" الكلمات، المكتوبات، اللمعات"، على قمة جبل "جام" في منفاه قرية بارلا).

توفي الأخضري سنة ٩٨٣هـ / ١٥٧٥م في بلدة قجال شرقي مدينة سطيف، ونقل جثمانه إلى مسقط رأسه بن اطيوس نزولا عند وصية أوصى بها قبل وفاته رحمه الله عليه رحمة واسعة وأسكنه فسيح جنانه. (والنورسي توفاه الله في ٢٥ من شهر رمضان المبارك سنة ١٣٧٩هـ الموافق ٢٣ مارس سنة ١٩٦٠م ودفن في مدينة أورفا. ثم نبشت السلطاتُ العسكرية آنذاك قبره وأُخذ جثمانه إلى مكان مجهول، ومازال قبره مجهولاً).

رحمهما الله رحمة واسعة وأسكنهما فسيح جنانه.

بديع الزمان سعيد النورسي:

ولد بديع الزمان سعيد النورسي في مطلع القرن الهجري الماضي سنة ١٢٩٣هـ (١٨٧٦م) في عهد السلطان عبد الحميد الثاني -رحمه الله- وقاد "فرقة الأنصار" في الحرب العالمية الأولى لمقاتلة الروس في جبهة القفقاس.. وقاوم عقبها الإنكليز والحلفاء الذين احتلوا مناطق مختلفة من تركيا.. وعاصر حرب الاستقلال التي دامت سنوات لطرد الغزاة من البلاد.. وشهد المنعطف الخطير الذي بدأ منذ سنة ١٩٢٣م حيث وُضعت قوانين واتُخذت قرارات بإلغاء الخلافة وإبعاد الإسلام عن الحياة الاجتماعية وممارسات الدولة.. وفي هذه الأثناء تولدت من صميم قلبه معانٍ جليلة، ليست مما مضغته أفكارُه وإنما هي نابعة من فيض القرآن الكريم.. تلك هي المائة والثلاثون رسالة في بيان حقائق القرآن والتي أطلق عليها اسم "رسائل النور".. تلقفتها الأيدي الأمينة

بالاستنساخ اليدوي بالحروف العربية وقاموا بنشرها وقراءتها ودراستها والالتزام بها وصولا إلى الإيمان التحقيقي.

والسؤال الذي يرد هو:

ما هي رسائل النور:

سأجيب عن هذا السؤال بما سطّره يراع أساتذة كرام:

يقول الأستاذ الدكتور عشراتي سليمان (جامعة وهران) في كتابه " النورسي في رحاب القرآن": "رسائل النور كينونة فكرية وروحية متكاملة" [١] .

ويقول في كتابه" سيمياء الشكل والصميم": "لم يترك القرآنُ بصمته الذهبية على روح النُّوْرْسي فحسب، بل لقد حمل تراثه برمته تلك البصمة، إذ جاءت آثارُ القرآن وخصائصُه البنائية والمنهجية والأدائية ملموسةً في النص النوري: تكرار تثبيتي، استدعاء توجيهي، استرسال تكميلي، تمثيل توضيحي، تخشيع، تذكير، تبصير، إدهاش، تحسيس بالطبيعة والكون، تركيز على التوحيد، جعْلُ الإنسان محور الوجود وغاية المخاطبات".[٢]

أما الأستاذ أديب إبراهيم الدباغ فيصف الأستاذ النورسي وأسلوبه بقوله:

"إن النورسي نفسٌ شاعرة، وروح لهيف، وقلب مشتاق، ووجدان رقيق مرهف، وبصيرة نفاذة مذواق، وبصر لمّاح رصّاد لا تفوته بارقةٌ من بوارق الجمال الكوني، ولا تفلت منه سانحة من سوانحه.. وطائر عجيب يلقط لآلئ الحسن من فوق جيد الوجود. وظامئ عطش يترشف زلال الجمال من رضاب ثغور

---

[١] عشراتي سليمان، النورسي في رحاب القرآن، ط ٢ دار سوزلر للنشر- مصر ٢٠١١، ص٥.

[٢] عشراتي سليمان، بديع الزمان النورسي: سيمياء الشكل والصميم- المقدمة. مطبعة النسل - اسطنبول ٢٠٠١ ص: ٥.

الأكوان.... إنه شاعري الروح والنفَس وجداني الانسياب، رشيق في صوره وأخيلته، مع عمق أفكاره ودقيق معانيه!".[١]

والآن بعد أن قدمنا الوجيز عن حياة الشيخين نعود إلى:

السلم المرونق وحواشي النورسي عليه:

وهو عبارة عن متن في علم المنطق من بحر الرجز نظمه الشيخ الأخضري سنة ٩٤١هـ وهو ابن إحدى وعشرين سنة. ويحتوي على ست وستون بيتاً. وله شروح كثيرة جداً.

نجد أن النورسي يعلّق على كل كلمة من كلمات منظومة "السلم". يعلق على بعضها باختصار شديد وأخرى بإسهاب ولاسيما التي تستهل بـ" اعلم".

ونحن هنا نكتفي باقتباس عدد قليل من هذه الفقرات فحسب لبيان البُعد اللساني في حاشيته.

فمثلاً: يقول الأخضري في مستهل المنظومة:

وبعدُ فالمنطق للجَنان نسبته كالنحو للّسان

يعلق النورسي على كلمة "المنطق" فيقول:

"اعلم! كما أن "النحو" شريعةُ الموجودات الطيارة اللسانية. الذين آدمُهم الهابط من ذروة الخيال المسمى باللفظ موجودٌ في فضاء اللسان. كذلك إن "المنطق" شريعةُ الموجودات الذهنية الساكنة في الجنان، أي اللطيفة الربانية، الذين آدمُهم النازل من أعلى الدماغ المسمى بالمعنى موجودٌ في الجنان. إن الآدمَ للآدم نسيبٌ والشرعَ للشرع قريبٌ. لأنهما كليهما وضعٌ إلهي، سائق

---

[١] المثنوي العربي النوري- المدخل. ص ٤٤.

لذوى العقول ممن في الجنان واللسان إلى الصراط المستقيم".[١]

ومثلاً يقول الأخضري:

ممارس السنة والكتاب ليهتدي به إلى الصواب

ويعلق النورسي على كلمة "السنّة" فيقول:

"أي "السنة الصغرى" بجوانبها الأربعة، تفسير كبير "لسنة الله الكبرى" المنبثة في العالم الأصغر والأكبر. ويضيف أخوه عبد المجيد في شرحه: (السنة الصغرى) هي السنة المحمدية التي جوانبها الأربعة عبارة عن الحديث القدسي والقولي والفعلي والتقريري. وتلك السنة كشّافة للسنة الكبرى المنتشرةِ بين أنواع ذوي الحياة وبين طبقات الكائنات من القوانين والارتباطات التي لا تبديل لها ولا تحويل".[٢]

ومثلاً يقول الأخضري في أنواع الدلالات اللفظية:

دلالة اللفظ على ما وافقه يدعونها دلالة المطابقة

ويعلق النورسي على كلمة "اللفظ" فيقول:

"اعلم! ما أدقَّ حكمةُ الله في اللفظ وما أعجبَ شأنُه وما ألطفَه نقشا! إن الرابط بين مأخذَي جنس الإنسان وفصلِه هو النَفَس ذو الرأسين، الموظفُ بوظيفتين، صاحبُ الثمرتين، الموجّهُ إلى القبلتين، المثمِر أسافلُه لنار حياة الحيوان مع تصفية مائها، والمولّد أعاليه لحركات نطق الناطق. فبدخوله إلى عالم الغيب يصفي الدمَ الملوثَ بأنقاض الحجيرات المحلّلة، بسر امتزاج (مولد الحموضة الهوائي بكربونه) بسبب العشق الكيميوي. فإذ يمتزج

---

[١] صيقل الإسلام، ص ١٦١.

[٢] نفسه، ص ١٦٥.

العنصران يتحد كلّ جزئين منهما. وإذ يتحدان يتحركان بحركة واحدة. فتبقى الحركةُ الأخرى معلقة باقية. فبسر "تحول الحركة حرارةً والحرارةِ حركةً" تنقلب تلك الحركةُ الباقية المعلقة حرارةً غريزية. أعني نارَ حياة الحيوان. فبينما يخرج النَفَسُ من عالم الغيب إلى عالم الشهادة تعِباً إذ يتداخل في المخارج متكيفا بالصوت، والصوت يتفرق على المقاطع متحولاً حروفاً "أجدى من تفاريق العصا"[١]. بينما هي قطعاتُ صوتٍ لا حراك لها، إذ صارت أجساماً لطيفةً عجيبةَ النقوش، غريبةَ الأشكال، حاملةً للأغراض والمقاصد، تتطاير مترنّمة من أوكارها، مرسلةً إلى ما قَدّر لها صانُعها الحكيم سفراءَ بين العقول. فاللفظ زبدُ الفكر، صورةُ التصور، بقاءُ التأمل، رمزُ الذهن. فبسبب الخفة والتعاقب وقلة المؤنة وعدم المزاحمة وعدم القرار ترجّح اللفظُ لهذه النعمة العظمى: فما أجهلَ من يكذّب أو يسرف بقيمة هذه النعمة!".[٢]

ونختم البحث بنموذج آخر لتعليق النورسي على الأخضري:

يقول الأخضري : فصلٌ في نسبة الألفاظ للمعاني:

ونسبة الألفاظ للمعاني خمسة أقسام بلا نقصان

ويعلق النورسي على "نسبة" اللسان فيقول:

"اعلم أن اللسان كالإنسان عاش أدواراً وتحول أطواراً وترقّى أعصاراً. فإن نظرت الآن إلى ما تبطن "الآن" من أطلالِ وأنقاضِ اللسان التي تفتت في سيل الزمان لرأيت منها تاريخ حياة اللسان ومنشأه. فالدور الذي نجم اللسان إلى الوجود، إنما هو دور حبات الحروف الضعيفة الانعقادِ، المغمورة في

---

[١] إنك خير من تفاريق العصا، مثل يضرب فيمن نفعه أعمّ من نفع غيره (مجمع الأمثال للميداني).

[٢] صيقل الإسلام، ص ١٧٢.

الأصوات، الدال أكثرُها بطبيعة المحاكاة. ثم بتلخص المعاني ارتقى إلى الهجاء. ثم بتكثّر الأغراض تدرّج إلى التركيبي -ولها آيات في الشرق- ثم بتشعب المقاصد تصاعد إلى التصريفي. ثم بامتزاج الحسيات الرقيقة والأغراض اللطيفة تعارج إلى النحوي، وهو العربي الذي أخصر الاختصارات، الموجز المطنب، القصير الطويل. ثم بسر قلب المجاز بالاستمرار حقيقةً تَوَلَّد الاشتراكُ. وبحكمة نسيان المناسبة وانقلاب الصفة بالجمود تَوَلَّدَ الترادفُ.. وقس.. فالتناسب نتيجة التناسل".[1]

والله نسأل أن يوفقنا إلى حسن القصد وصحة الفهم وصواب القول وسداد العمل.

وصل اللّهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

* * *

[1] صيقل الإسلام، ص ١٨١.

مفهوم الجهاد في العصر الحديث
عند بديع الزمان سعيد النورسي[1]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين وعلى آله وأصحابه أجمعين؛ وبعد

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تقديم

مما لا يختلف فيه اثنان أن الجهاد له مكانةٌ خاصة في الإسلام، فقد سُئل رسول الله ﷺ: أي العمل أفضل؟ فقال: (إيمان بالله ورسوله)، قيل :ثم ماذا؟ قال: (الجهاد في سبيل الله...)[2]. وقال ﷺ: (لَغدوةٌ أو رَوحةٌ في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها)[3] وفي الباب أحاديث شريفة كثيرة.

---

[1] بحث قدم في المؤتمر الذي أقامته جامعة المذاهب الإسلامية بطهران بعنوان (العلامة بديع الزمان سعيد النورسي) وذلك في ١١/ ١٢/ ٢٠١١م.

[2] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: من قال إن الإيمان هو العمل ٧٧/١ برقم ٢٦، وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان، باب: كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال ٨٨/١ برقم٨٣.

[3] أخرجه البخاري، كتاب الجهاد، باب: الغدوة والروحة في سبيل الله ١٣/٦ برقم٢٧٩٢، وأخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب: فضل الغدوة والروحة ١٤٩٩/٣ برقم ١٨٨٠.

والجهاد له معنى واسع لا يقتصر على معنى القتال وحده كما هو لدى الكثير من الناس، وكذلك يتعدى المعنى المحدد القاصر بـ"الحرب المقدسة ضد الكفار" Glorious war الذي يستخدمه الغربيون بكثرة. فالجهاد يحتوي على مراتب أو خطوات من جهاد النفس، وجهاد الشيطان، وجهاد الكفار، وجهاد المنافقين. وكلٌ من هذه المراتب له مراتبُه التالية وأقسامه.

ومن الجدير بالذكر أن نعلم لِمَن نجاهد؟ وكيف نجاهد؟ وبِمَ نجاهد؟ ومَن نجاهد؟ وقد فصّلت كتبُ الشريعة كل ذلك تفصيلا وافياً، وعرّفت أن غاية الجهاد: "إعلاءُ كلمة الله". إذ كان المسلمون في العهد المكي في جهاد كما هم في العهد المدني، حيث حملت الآيات المكية الرسول ﷺ الأوامر التالية: ﴿فَلاَ تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ (سُورَةُ الفُرْقَانِ: ٢٥) ولكن بعد الهجرة أذِن اللهُ للرد بالقوة على القوة ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (سُورَةُ الْحَجِّ : ٢٢)، فالآيتان تدلان على ضرورة الجهاد وإعلاء كلمة الله. ولكن لكل مرحلة جهادها بشكل يوافق شروط تلك المرحلة وبطرز يقابل احتياجات أوضاعها.

مفهوم الجهاد عند بديع الزمان سعيد النورسي

لاشك أن بديع الزمان سعيد النورسي لا يأتي بمفهوم مخالف لما في كتاب الله والسنة الشريفة، بل كان في جهاد دائم وفق ما يأمر به القرآن الكريم والسنة النبوية، وبما يناسب كل مرحلة من مراحل حياته القديمة والجديدة.

فمرحلة سعيد القديم تشمل العقود الأخيرة للدولة العثمانية، أي من فترة شباب بديع الزمان وحتى نهاية الحرب العالمية الأولى.

أما مرحلة سعيد الجديد فتبدأ من إلغاء الخلافة (١٩٢٤م) إلى نهاية العمر (١٩٦٠م)، وهي المرحلة التي رفع النورسي فيها شعار إنقاذ الإيمان؛ حيث إن

الإيمان أصبح في خطر داهم نتيجة قيام النظام الحاكم آنذاك بطمس معالم الإسلام في جميع مناحي الحياة باسم القوانين وتحت ستار العلمانية.

أي أن سعيداً القديم والجديد كان في جهاد مستمر دون هوادة من جهاد النفس، وجهاد الشيطان، وجهاد الكفار، وجهاد المنافقين، ولكن كان أسلوب الجهاد ونوعيته يتغير حسب الظروف المحيطة والإمكانات المتاحة.

العامل الأساس للجهاد في العصر الحديث

إن أهم عامل يشكل مفهوم النورسي للجهاد في العصر الحديث هو كون العصر الحديث عصر علم وحضارة. إذ يقول: "إن البشرية في أواخر أيامها على الأرض ستنساب إلى العلوم، وتنصب إلى الفنون، وستستمد كل قواها من العلوم والفنون فيتسلم العلم زمام الحكم والقوة".

ويقول أيضاً: " ففي آخر الزمان، يغدو الناس يستلهمون أمضى سلاحهم من جزالة البيان وسِحره، ويستلمون أرهبَ قوتهم من بلاغة الأداء؛ وذلك عند بيان أفكارهم ومعتقداتهم لإقناع الآخرين بها، أو عند تنفيذ آرائهم وقراراتهم".[١]

بمعنى أنه مع تطور التكنولوجيا، ومع ترقي الإنسان في وسائل الإعلام المسموعة والمرئية وبأنواعها كافة وظهور عصر الاتصالات الجماعية نتيجة ذلك، سيندفع الناس لعرض أفكارهم للآخرين بطريق الإبلاغ والإقناع. لذلك فوسائط الاتصال الجماعي تصبح وسائل للجهاد بين الحق والباطل، والإيمان والكفر، وستكون ساحة مبارزة القلوب والعقول، وساحة الجهاد لإقناع الآخرين، وساحة الحرب بين الأفكار والحضارات. والأولوية الآن هي الحرب الفكرية والثقافية والاقتصادية. وما تزال هذه الأولوية قائمة تحت هذه الشروط

---

[١] الكلمات، ص٢٩٣.

المعينة وفي جبهات متعددة في أنحاء العالم. حيث إن العالم الإسلامي ما زال لم يحقق التقدم المرجو منه في المستوى العلمي، وتخلّف كثيراً في مجال التكنولوجيا والترقي. مما جعل العدو التقليدي للعالم الإسلامي يسعى لإذلاله، ويهاجم مقدساته هجوماً سافراً وخاصة بعد رواج الفلسفة المادية.

الجهاد العلمي

لقد علم النورسي أيام شبابه من والي منطقة "وان" المرحوم "طاهر پاشا" أن أوروبا تحيك مؤامرة خبيثة حول القرآن الكريم، إذ سمع منه أن وزير المستعمرات البريطاني قد قال: "ما دام هذا القرآن بيد المسلمين فلن نحكمهم حكماً حقيقياً، فلنسعَ إلى نزعه منهم". فثارت ثائرته واحتدّ وغضب.. فجعل جميع العلوم المتنوعة المخزونة في ذهنه (ثمانين كتابا من أمهات الكتب) مدارجَ للوصول إلى إدراك معاني القرآن الكريم وإثبات حقائقه. ولم يعرف بعد ذلك سوى القرآن هدفاً لعلمه وغايةً لحياته. وأصبحت المعجزة المعنوية للقرآن الكريم دليلاً ومرشداً وأستاذاً له. حتى إنه أعلن لمن حوله: "لأبرهنّ للعالم بأن القرآن شمس معنوية لا يخبو سناها ولا يمكن إطفاء نورها".[1] فشدّ الرحال إلى اسطنبول عام ١٣٢٥هـ (١٩٠٧م)، وقدّم مشروعاً إلى السلطان عبد الحميد الثاني رحمه الله لإنشاء جامعة إسلامية في شرقي الأناضول، أطلق عليها اسم "مدرسة الزهراء" –على غرار الأزهر الشريف- تنهض بمهمة نشر حقائق الإسلام وتدمج فيها دراسة العلوم الدينية مع العلوم الكونية الحديثة على وفق مقولته:

"ضياءُ القلب هو العلوم الدينية، ونورُ العقل هو العلوم الحديثة، فبامتزاجهما تتجلّى الحقيقة، فتتربّى همةُ الطالب وتعلو بكلا الجناحين،

---

[1] سيرة ذاتية، ص٨٩.

وبافتراقهما يتولد التعصب في الأولى والحيَل والشبهات في الثانية".[١]

ثم سافر إلى الشام (١٩١١م)، والتقى برجالاتها وعلمائها، وبسبب ما لمسوا فيه من علم ونجابة، استمعوا إليه في الجامع الأموي الشهير وهو يخطب في الآلاف من المصلين خطبة حفظها لنا الزمن واشتهرت في تراثه بـ"الخطبة الشامية ".

وباندلاع الحرب العالمية الأولى كان طبيعيا أن يهبّ بديع الزمان في طليعة المجاهدين، فشكّل فرقاً فدائية من طلابه واستمات معهم في الدفاع عن حمى الوطن في جبهة القفقاس، وجُرح في المعارك مع الروس وأُسر واقتيد شبه ميت إلى (قوصتورما) من سيبيريا روسيا حيث قضى سنتين وأربعة أشهر، هيأ له الله في أثناء (الثورة البلشفية) الانفلات، فعاد إلى بلاده واستُقبل استقبالا رائعاً من قبل الخليفة وشيخ الإسلام والقائد العام وطلبة العلوم الشرعية ومُنح وسام الحرب. وكلّفته الدولة العثمانية بتسنّم بعض الوظائف، رفضها جميعاً إلاّ ما عينته له القيادة العسكرية من عضوية في "دار الحكمة الإسلامية"، التي كانت لا توجّه إلاّ لكبار العلماء، فنشر في هذه الفترة أغلب مؤلفاته باللغة العربية منها: تفسيره القيّم "إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز"، الذي ألفّه في خِضَمّ المعارك، و"المثنوي العربي النوري".

الحضارة والجهاد

إن الهدف الذي أراد بديع الزمان التوصل إليه هو إقامة صرح الحضارة الإسلامية من جديد. ذلك لأنه يرى أن الإسلام مصدر الحضارة الحقيقية؛ وأن العالم الإسلامي لا يستطيع الرقي الحقيقي إلاّ ضمن إطار إسلامي، ولا يسترد موقعه الحاكم الذي يستحقه إلاّ بهذا الشكل وحده. فضلاً عن أن جميع البشرية

---

[١] صيقل الإسلام، ص٤٠٢.

كذلك لا تجد الراحة والسكينة إلاّ في الإسلام وبتأسيس حضارة إسلامية.

لذلك فإن مساعي بديع الزمان كانت في الحقيقة منصبة في هذا الهدف. لأنه كان يعتقد أن حقائق الإسلام تمتاز باستعدادها استعداداً كاملاً لدفع أهلها إلى مراقي التقدم المادي والمعنوي معاً. يقول: "في زماننا هذا يتوقف إعلاء كلمة الله على التقدم المادي والدخول في مضمار المدنية الحقيقية... وكما أن رقي الإسلام وتقدمه في الماضي كان بالقضاء على تعصب العدو وتمزيق عناده ودفع اعتداءاته- وقد تم ذلك بقوة السلاح والسيف- فسوف يُغلب الأعداء ويُشتت شملُهم بالسيوف المعنوية -بدلاً من المادية- للمدنية الحقيقية والرقي المادي والحق والحقيقة".[١]

علاوة على ذلك أن عدو المسلمين في هذا العصر في نظر النورسي ليس العدو الذي في الخارج وحده. إذ يقول: "إن عدونا هو الجهل والضرورة والاختلاف، وسنجاهد هؤلاء الأعداء الثلاثة بسلاح الصناعة والمعرفة والاتفاق. وسنتعاون ونتصادق يداً بيد مع الأتراك وهم إخواننا الحقيقيون الذين كانوا السبب -من جهة- لإيقاظنا من غفلتنا ودفعنا إلى سبيل الرقي.

نعم، نتعاون معهم ومع جميع من يجاورنا، لأن الخصام والعداء فساد أي فساد. فلا نملك وقتاً للخصام".[٢]

الجهاد الخارجي عند النورسي

يقول النورسي:

"ولو أننا أظهرنا بأفعالنا وسلوكنا مكارم أخلاق الإسلام وكمال حقائق

---

[١] صيقل الإسلام، ص٤٧٠.

[٢] صيقل الإسلام، ٤١٥.

الإيمان، لدخل أتباع الأديان الأخرى في الإسلام جماعات وأفواجاً. بل لربما رضخت دول العالم وقاراته للإسلام.

إن البشرية التي أخذت تصحو وتتيقّظ بنتائج العلوم والفنون الحديثة، أدركت كنه الإنسانية وماهيتها، وتيقّنت أنه لا يمكنها أن تعيش هملاً بغير دين، بل حتى أشد الناس إلحاداً وتنكراً للدين مضطر إلى أن يلجأ إلى الدين في آخر المطاف"[١]

وكان على إقتناع تام أن البشرية لن تجد الراحة والسكينة إلاّ في الإسلام دين الله الحق، ولن يتحقق السلام الكوني إلاّ في الإسلام. وقد عرض كثيراً من الأدلة التي تدعم هذا الادعاء، وكرر ذلك مراراً وبكل مناسبة. بل كان على يقين جازم أن الإسلام سيهيمن حكمه الإنسانية. فيخاطب قائلاً:

"كونوا على أمل؛ إن أعظم صوت داوٍ في انقلابات المستقبل هو صوت الإسلام الهادر".[٢]

جهاد الغزو الخارجي

لقد أبلى بديع الزمان النورسي بلاء حسناً ودافع دفاعا مستميتا عند تعرض بلاده للاعتداء الخارجي في أثناء الحرب العالمية الأولى -كما ذكرنا- حتى كانت الميلشيات (فرق الأنصار) التي شكّلها من طلابه والمتطوعين في شرقي الأناضول ميليشيات شجاعة ومحارِبة أرّقت الميليشيات الأرمنية والروس في الحرب.

والجدير بالذكر أن النورسي لم يترك القلم خلال جهاده ضد الاحتلال الروسي. ولم يتنازل للاختباء وراء الحواجز خلال القصف الروسي، بل يقول:"ففي أثناء أداء فريضة الجهاد كلما انتهزتُ فرصة في خط الحرب قيدتُ

---

[١] صيقل الإسلام، ص٤٦٤.

[٢] صيقل الإسلام، ص٣٣٨.

ما لاح لي في الأودية والجبال بعبارات متفاوتة باختلاف الحالات"[١]. فأملى على كاتبه(الملا حبيب) تفسيره المشهور" إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز".

ما ينبغي العمل به لإعلاء كلمة الله

يرى النورسي ضرورة الأخذ بأمرين اثنين لدى القيام بالجهاد وإعلاء كلمة الله في هذا العصر:

الأول : الحيلولة دون تسرب أمور سياسية في الدعوة إلى الإيمان وإعلاء كلمة الله.

يقول النورسي:

"إن أعظم خطر على المسلمين في هذا الزمان هو فساد القلوب وتزعزع الإيمان بضلال قادم من الفلسفة والعلوم. وإن العلاج الوحيد لإصلاح القلب وإنقاذ الإيمان إنما هو النور وإراءة النور. فلو عُمل بهراوة السياسة وصولجانها وأُحرز النصر، تدنّى أولئك الكفار إلى درك المنافقين. والمنافق -كما هو معلوم- أشدُّ خطراً من الكافر وأفسدُ منه. فصولجان السياسة إذن لا يُصلح القلب في مثل هذا الوقت، حيث يُنزل الكفرَ إلى أعماق القلب ويتستر هناك وينقلب نفاقاً ". [٢]

ولعل أهم سبب لتجنب بديع الزمان عن السياسة، هو الإخلاص الذي يعدّ "أكبر قوة وأساسها"، لمنهج رسائل النور، والإخلاص هو قيام الإنسان بوظيفته في خدمة القرآن والإيمان خير قيام، وترك النتائج لله سبحانه. إذ يقول:"إن أعظمَ شرط للجهاد المعنوي عدمُ التدخل في ما هو موكول أمره إلى

---

[١] إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، ص٢٠.

[٢] اللمعات، ص١٤٦.

الله، فواجبنا الخدمة، أما النتيجة فموكول أمرها إلى رب العالمين وإننا مكلفون ومرغمون على الإيفاء بوظيفتنا".[١]

والثاني: الحفاظ على أمن البلاد وعدم الإخلال بالنظام.

إذ يقول مراراً: "..أما نحن طلاب النور فإننا نسعى لمعاونة الإدارة وإقرار الأمن والنظام وإحراز السعادة للأمة والوطن. والذين يجابهوننا هم إرهابيون ملحدون أعداء الأمة والوطن".[٢]

ومن هنا، نستطيع القول أنه رغم تصديه للغزو الخارجي ببطولة نادرة في الحرب العالمية الأولى، إلا أنه يرى أن الجهاد الأساس في الداخل هو إحياء سنة الرسول ﷺ والأخلاق الإسلامية إلى جانب الجهاد المتعلق بالعلم والترقي والحضارة. وإن محاربة "الجهل، والفقر، والاختلاف"، هي أهم الخواص التي لها مكانة في مضمون الجهاد في نظره.

الجهاد المعنوي (الداخلي) والحركة الإيجابية البنّاءة

اكتسب المعارضون للإسلام قوة في الحكم مع تأسيس الجمهورية سنة ١٩٢٣م، وبدأوا يستخدمون إمكانات الدولة في فرض نظام أجنبي على المجتمع المسلم في تركيا بالقوة. وباختصار احتلت الفلسفة المادية مكان الإسلام في مرافق الدولة كلها. فأدرك النورسي يقيناً منذ البداية أنه لا يمكن العمل مع القادة الجدد لتركيا في الدائرة السياسية التي قبلوها. لذلك ابتعد عن الحياة الاجتماعية والسياسية. وبدأ بجهاد معنوي.

---

[١] الملاحق، ص٤٠١.

[٢] الشعاعات ، ص٥٣٤.

ووضّح الأهمية المركزية لمفهوم "الجهاد المعنوي" في منهج رسائل النور لتلاميذه في "الدرس الأخير" الذي ألقاه عليهم قبل رحيله إلى الآخرة، إذ قال لهم:

"إن وظيفتنا هي العمل الإيجابي البنّاء وليس السعي للعمل السلبي الهدام. والقيام بالخدمة الإيمانية ضمن نطاق الرضى الإلهي دون التدخل بما هو موكول أمره إلى الله. إننا مكلفون بالتجمل بالصبر والتقلّد بالشكر تجاه كل ضيق ومشقة تواجهنا وذلك بالقيام بالخدمة الإيمانية البناءة التي تثمر الحفاظ على الأمن والاستقرار الداخلي"...

" نعم، إن في مسلكنا قوةً، إلاّ أننا لم نقم باستعمالها إلاّ في تأمين الأمن الداخلي. لذا قمت طوال حياتي بتحقيق الأمن الداخلي اتباعا لدستور الآية الكريمة: ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ (أي لا يجوز معاقبة إنسان بجريرة أخيه أو أحبائه). إن هذه القوة لا يمكن استعمالها إلاّ ضد الهجمات الخارجية. إن وظيفتنا -وفق دستور الآية الكريمة المذكورة- هي الإعانة على ضمان الأمن الداخلي بكل ما نملك من قوة"..

" أجل، يستوجب مجابهة الهجمات الخارجية بالقوة، لأن أموال العدو وذراريه تكون بمثابة غنيمة للمسلمين. أما في الداخل فالأمر ليس هكذا. ففي الداخل ينبغي الوقوف أمام التخريبات المعنوية بشكل إيجابي بنّاء، بالإخلاص التام. إن الجهاد في الخارج يختلف عما هو في الداخل. ... فنحن نقوم بالعمل الإيجابي البنّاء بكل ما نملك من قوة في سبيل تأمين الأمن الداخلي. فالفرق عظيم بين الجهاد الداخلي والخارجي في الوقت الحاضر".[١]

ويوضح المقصود من " العمل الإيجابي البنّاء" أنه:

---

[١] الملاحق، ص ٤٠١.

" عملُ المرء بمقتضى محبته لمسلكه فحسب، من دون أن يرد إلى تفكيره، أو يتدخل في علمه عداءُ الآخرين أو التهوين من شأنهم، أي لا ينشغل بهم أصلاً".[١]

نخلص مما سبق:

إن القصد الأساس لبديع الزمان في القيام بالجهاد "الجهاد المعنوي والحركة الإيجابية البناءة"، هي:

مواجهةُ الفلسفة الغربية المادية التي هي أكبر خطر تجاه الإسلام والإنسانية في هذا العصر..

وإنقاذُ الإيمان وتجديده في النفوس وجعله موافقاً ومفهوماً لدى المؤمنين وخصوصاً الذين تعرضوا للفلسفة المادية...

وكذا إنشاءُ العالم الإسلامي من جديد وإحيائه، ووضعُ الأسس التي تشكل الحضارة الإسلامية من جديد،

وبسبب نتائج هذا الجهاد، فإن السلام سيعم الإنسانية وسيدخل كثير من الناس في الغرب والشرق إلى الإسلام دين الله الحق.

وكون الصراع بين الحق والباطل في العصر الحديث هو صراع فكري ثقافي أيديولوجي، فإن أسلحة الجهاد المعنوي عند بديع الزمان هي الأدلة المنطقية لحقائق الإيمان؛ أي الإثبات والإقناع. وإزالة الشبهات التي تفرزها الفلسفة المادية، مما يكسب الإنسان "الإيمان التحقيقي".

هذا الإيمان هو أساس "الحركة الإيجابية البنّاءة" التي هي المحصلة الثانية لجهاد بديع الزمان، وهي التي تشكل الكفاح تجاه التخريبات المعنوية التي

---

[١] اللمعات، ٢٠٩.

تؤدي إليها الأفكار الإلحادية العالمية التي تمهد لها الفلسفة المادية. ومثل هذه الحركات أو التيارات في حرب إيديولوجية طاحنة مع الإسلام، وهي في سعي دائم لنشر الفوضى، ودفع البلاد والعباد إلى اللااستقرار؛ لذلك فإن الوظيفة الأولى لطلبة رسائل النور هي المحافظة على الأمن تجاه الإثارات المقصودة والاستفزازات المتواصلة، ودفع تسلط الظلم، سعياً لتحقيق وحدة بناء المجتمع وتعاون أفراده.

والسبيل الوحيد أمامه هي ترسيخ مبادئ الإسلام وحقائق القرآن بنشر رسائل النور، التي تتناول الحقائق الإيمانية والمواضيع المتعلقة بها، وتثبتها بالأدلة المنطقية والعقلية، بحيث تكون هذه الحقائق لدى القارئ واضحة جلية. وتستخدم رسائل النور في ذلك الأمثلة التي توضح القضايا المبهمة. ويستند قسم كبير منها إلى المقايسة والموازنة الواسعة بين الحكمة القرآنية والحضارة القرآنية وبين الفلسفة الغربية ونتائجها. وتردّ الفلسفة المادية الغربية، وتثبت أن القرآن هو المنبع الحقيقي الوحيد الذي يؤمّن سعادة الإنسانية ويضمن رقيها. كل هذه الأمور توضَّح وتفصَّل في ضوء الآيات القرآنية والكونية المبثوثة في الكون. وبهذه الوسيلة تجمع بين حقائق الدين والعلوم المعاصرة، وتثبت هذه الحقائق في ضوء العلم. وتدعو الإنسان إلى التفكر والنظر في الآيات الإلهية المتجلية في الآفاق والأنفس، وبهذا تفتح آفاقا واسعة جداً للتفكر في تجليات الأسماء الحسنى الإلهية، وهذه تكاد تكون خاصية ملازمة لرسائل النور.

ونستطيع أن نقول باختصار أن رسائل النور تقدم تفسيراً للدين يوافق إنسان هذا العصر، ويخاطب عقله وسائر لطائفه الرقيقة والعميقة، وتجيب على احتياجات الإنسان في هذا الزمان. وتبين أنواعا من الجهاد بما يقتضيه كل مرحلة من مراحل الحياة المتنوعة.

وشرح ذلك في رسائل النور بإصرار؛ وبيّن لزوم إصلاح الفساد ومعالجة التفسخ الذي سببته القوى التي تمثل هذه الفلسفة في المجتمع، وكان يضع أسس جهاد يمتد إلى ما بعد الزمان والمكان الذي كان يعيش فيه. والحقيقة أن بديع الزمان كان متفائلاً بقبول العالم الإسلامي منهج التجديد الإيجابي الذي يحقق الأساس السليم لوحدة العالم الإسلامي واتحاده في المستقبل.

والله نسأل أن يوفقنا إلى حسن القصد وصحة الفهم وصواب القول وسداد العمل.

وصل اللّهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

* * *

تعقيب:

عقب انتهاء المؤتمرأخذونا الى مدينة قم. وهناك سألني عالم كان يتقن العربية سؤالًا وهو: نحن دولة إسلامية وشبابنا ينفرون من الدين ويتجهون إلى الإلحاد وأنتم دولة علمانية وشبابكم يُقبلون على الإيمان. ما نظرية النورسي في هذا الأمر؟

قلت: النورسي ليست له نظريات. وإنما القول الفصل في هذا قول الرسول ﷺ: (أَلا وإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ)[1]. بمعنى أن العلاج يبدأ من الداخل، من القلب...

[1] رواه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان حديث رقم ٥٠.

فأنتم أخذتم الأمر من الخارج ومن الأعلى وتصورتم أن الأوامر تكفي لعلاج المجتمع، بينما النورسي يقول بإصلاح القلب أولًا.

قال: هذا أمر مهم. إذًا لا بد أن نجلس معًا ونناقشه.

الإصلاح في نظر علماء الإسلام
النورسي نموذجا[1]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين وعلى آله وأصحابه أجمعين؛ وبعد

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تقديم

لاشك أن مهمة الدعوة إلى الله والتبليغ عنه والقيام بالإصلاح، مهمة جليلة تتسامى فوق صعيد المنافسات والصراعات السياسية والاجتماعية والقبلية، حيث تسري هذه الدعوة عبر أشعة الإخلاص بتقوى من الله والشفقة على الخلق، لتتغلغل في الأوساط كافة، ولتسري إلى جميع الأفئدة والعقول. ومن هذا المستوى الخالص الزكي عن التهم والشوائب، استطاع بديع الزمان سعيد النورسي بفضل من الله وكرمه أن يوجه نصائحه ودروسه، إلى الأمة كافة بجميع فصائلها، بدءاً من المسؤول الأول في الدولة، إلى سائر الناس، دون أن تتسرب أي شائبة إلى صفاء قصده وخلوص نيته، ودون أي تحيز منه إلى أي فئة أو

---

[1] بحث ألقي في الملتقى الدولي الذي نظمه المجلس الإسلامي الأعلى – الجزائر بعنوان "الإصلاح والاجتهاد عند علماء الإسلام بين الماضي والحاضر" في ٢٦-٢٠١٢/٥/٢٨م. وألقي كذلك في الجامعة الأردنية في ٢/ ٤/ ٢٠١٣.

جماعة منهم. فكيف كان- ياترى- ذلك المنهج الذي استطاع به انسان أعزل لا يملك حولا ولاطولا وهو في زاوية من زواياه أن يغير مجرى التاريخ ويحول وجهة الأمة.

مفهوم الإصلاح عند بديع الزمان سعيد النورسي

إن الإصلاح عند بديع الزمان سعيد النورسي يبدأ بنفس الإنسان ثم يسري إلى الآخرين، إذ يقول: "إنّ مَن عجز عن إصلاح نفسه فهو عن غيرها أعجزُ".[١] لذا كان في مراقبة دائمة مع نفسه والقيام بإصلاحها، ثم التوجه إلى الآخرين، وفق ما يأمر به القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وبما يناسب كل مرحلة من مراحل حياته التي تتميز بمرحلتين؛ مرحلة سعيد القديم التي تبدأ من ولادته (١٨٧٦م) إلى إلغاء الخلافة (١٩٢٤م) حيث تبدأ مرحلة سعيد الجديد إلى نهاية العمر (١٩٦٠م)، وهي المرحلة التي رفع النورسي فيها شعار إنقاذ الإيمان؛ حيث أصبح الإيمان في خطر داهم نتيجة قيام النظام الحاكم آنذاك بطمس معالم الإسلام في جميع مناحي الحياة باسم القوانين وتحت ستار العلمانية.

ويمكننا أن نرى وسيلتين بارزتين للإصلاح في حياة بديع الزمان سعيد النورسي وهما:

الوسيلة الأولى للإصلاح: رسائل النور

ما رسائل النور وكيف تقوم بالإصلاح؟

يقول النورسي: "إن رسائل النور برهان باهر للقرآن الكريم، وتفسير قيّم له، وهي لمعةٌ براقة من لمعات إعجازه المعنوي، ورشحةٌ من رشحات ذلك البحر، وشعاعٌ من تلك الشمس، وحقيقةٌ ملهمة من كنز علم الحقيقة، وترجمةٌ

---

[١] الكلمات، ص: ٤٩٧.

معنوية نابعة من فيوضاته.."[١].

نخلص من هذا أن رسائل النور التي هي ثلاثون ومئة رسالة تفسير لمعاني القرآن الحكيم، وهي تعالج القضايا الأساسية في حياة الفرد والمجتمع، فهي تدور بتنوع دلالاتها حول معاني (التوحيد) و(حقيقة الآخرة) و(صدق النبوة) و(عدالة الشريعة) إلى آخر ما هناك من مقاصد القرآن الكريم.

ويفصّل الأستاذ النورسي مدارج ارتقائه إلى القرآن الكريم، بمايأتي:

"لقد أصبح ما يقرب من تسعين كتاباً حفظته مدارجَ للصعود إلى حقائق القرآن الكريم. ولما بلغت تلك الحقائق شاهدتُ أن كل آية كريمة تحيط بالكون وتستوعبه. فلقد كفاني القرآن الكريم عن مراجعةَ أي شيء آخر".[٢]

فألّف النورسي رسائل النور في ظل منهج قرآني حكيم. وهو منهج يقوم على ثلاث قراءات: القرآن الكريم المتلو، وكتاب الكون العظيم الذي هو كقرآن منظور، وسيدنا الرسول الكريم محمد ﷺ الذي خُلُقه القرآن.

والأستاذ النورسي لا ينقل إلى قراء الرسائل الأركان الإيمانية علوماً نظرية مجردة، أو تصورات ذهنية باردة، وإنما ينقل لهم كيانه القرآني في تجربة كونية معرفية خصبة جداً، ذائبة في القرآن الكريم، إذ يقول:

"ما كتبتُ إلاّ ما شاهدت، بحيث لم يبق لنقيضه عندي إمكانٌ وهمي.."[٣]
ويقول:

"لا تحسبن أن ما أكتبه شيء مضغته الأفكارُ والعقول. كلا! بل فيضٌ أُفيض

---

[١] الملاحق، ص:٢٠٨.
[٢] سيرة ذاتية، حياته الاولى، المولد والنشأة، ص: ٨٩.
[٣] المثنوي العربي النوري، ص١٠٤.

على روحٍ مجروح وقلب مقروح، بالاستمداد من القرآن الكريم، ولا تظنّه أيضاً شيئاً سيالاً تذوقُه القلوب وهو يزول. كلا! بل أنوارٌ من حقائق ثابتة انعكست على عقلٍ عليلٍ وقلبٍ مريضٍ ونفسٍ عمي".[١]

هذا النهج القرآني القويم لم يبقه النورسي في دائرة التجريد الفكري، وإنما حوله عبر رسائل النور إلى صياغة جيل رباني مخلص لربه، ومحارب لأنانيته يعي ظروف عصره ومشكلاته، ويشعر بالواجب الملقى على عاتقه في ترشيد الإصلاح الاجتماعي والوقوف أمام الطغيان، الذي فرض الحياة المادية الغربية عليهم بقوة الحديد والنار.

سر فاعلية رسائل النور

ربما يرد بالبال سؤال: صحيح أن رسائل النور تفسير متميز للقرآن الكريم يلائم مفاهيم هذا العصر، ولكن أليس هناك تفاسير قيّمة أخرى لأئمة أعلام ؟ فأين إذن سر فاعلية رسائل النور حتى استطاعت بفضل الله أن تبني في طول البلاد وعرضها مدرسة إيمانية روحية فكرية متكاملة وارفة الظلال مستقيمة المسالك آتت أُكُلها بإذن الله في كل مكان ..؟

نعم، إن في رسائل النور سراً عجيباً كأنها تصوغ الإنسان صياغة جديدة.

إن كل قارئ لرسائل النور بإمعان يشعر بتغير كيانه، وكأن هذا الكيان قد صيغ صياغة جديدة غير ما عَرف من هذا الكيان، بل يكاد يلمسها لمس اليد في نفسه وفي روحه وفي قلبه، حتى إنه يرى بعد مدة من المداومة على القراءة كأنه إنسان جديد؛ عالَمُه قد تبدل واتسع، نظرتُه إلى الوجود وإلى الأحداث وإلى كل ما حوله قد تجددت، عالَمُه الداخلي قد غمره من الإطمئنان والسكينة والانشراح ما يذكّر

---

[١] المثنوي العربي النوري، ص٣١٨.

بسعادة الآخرة قبل بلوغها، وعندئذ لا يتمالك نفسه من البوح بهذه المشاعر والجدة في كيانه إلى كل قريب وصديق. وهذا أمر واقع لا شك فيه.

ولأجل ذلك، نجح المشروع الإصلاحي النهضوي النوري في إخراج الشعب عامة من مستنقع الانحراف إلى مروج الإيمان اليانعة. وكل مَن درس أوضاع المجتمع التركي في العصر الأخير يدرك ذلك تمام الإدراك.

يقول الأستاذ اديب إبراهيم الدباغ :

"وَقَدْ رَأَيتُ تجليات هذا الجمال منعكساً على السلوك الإيماني العملي لقراء رسائل النور ولطلبتها، رأيتُه رأي العين، ولَمَسْتُهُ لمسَ اليد، حيثما تكررت زياراتي لهم في بيوتهم ومدارسهم ومكاتبهم، وأماكن أعمالهم، فإذا واحدهم كأنَّه جَمَالٌ قُرْآنيٌّ مسكوبٌ في قالبٍ بشريٍّ، ومرآة صقيلة شفّافة تعكس من صور الذوق والخُلقُ والأدب ما يكاد يكون نادر الوجود في هذا العصر المجدب الكسيح، وليس هذا رأياً رأيْتُهُ أنا وحدي، بل هو رأي جمهرة من كبار الأساتذة والمربّين مِمَّنْ تهيأتْ لهم فرصُ رؤية "طلبة النور" على الطبيعة في أماكن وجودهم وتجمعاتهم، فأعربوا عن الرأيّ نَفْسِهِ..

فانصباب الإنسان وانكبابه ينبغي أن يبدأ بخويّصة نفسه، وبالسويداء من روحه، ثم ينتقل من هناك نحو الأوسع من الدوائر ثم الأوسع حتى يصل إلى دائرة العالم من حوله، وهذا هو الأساس في البناء الفكري والنفسي لطالب النور كما أراده "النورسي".[1]

---

[1] ندوة "التربية السلوكية عند بديع الزمان النورسي" أقامتها جامعة القاضي عياض بمراكش سنة ٢٠٠٣.

عوامل فاعلية الرسائل في صياغة الإنسان :

إن عوامل هذه الفاعلية كثيرة جداً نذكر منها ستة بإيجاز:

١-سلوك منهج قرآني في تزكية النفس:

وهو طريق العجز، الفقر، الشفقة، التفكر، طريق قصير سليم وسبيل سوي يمكن أن يعايشه القارئ في حياته اليومية معايشة واقعية، مقتصر على أربع خطوات:

الخطوة الأولى: كما تشير إليها الآية الكريمة ﴿فَلاَ تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾ (النجم: ٣٢) وهي: عدم تزكية النفس.

الخطوة الثانية: كما تلقّنه الآية الكريمة من درس﴿وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (الحشر: ١٩) ، أي عدم النسيان في عين النسيان، أي نسيان النفس في الحظوظ والأجرة، والتفكر فيها عند الخدمات والموت.

والخطوة الثالثة: هي ما تُرشد إليه الآية الكريمة: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ (النساء: ٧٩) وهي أن تعلم بأن كمالَ النفس في عدم كمالها، وقدرتَها في عجزها، وغناها في فقرها.

الخطوة الرابعة: هي ما تعلّمه الآية الكريمة: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ (القصص: ٨٨). فتزكيتُها في هذه الخطوة هي معرفة: أن عدمَها في وجودها ووجودَها في عدمها.[١]

---

[١] الكلمات، ص: ٤٥١.

٢- إزالة ركام الشبهات أمام الفطرة:

لاشك أن المخاطب في الوقت الحاضر غيره بالأمس، إذ شنّت عليه الضلالة هجوما شرساَ لتجتث من قلبه جذور الإيمان، وكدّست في عقله ركام الشبهات التي ما أنزل الله بها من سلطان، ووضعت بينه وبين فهم الآيات القرآنية الكريمة والآيات المبثوثة في الآفاق والأنفس، حواجز قاتمة وموانع كثيفة من ظلمات الفكر المادي وتفويض الأمور إلى تأثير الأسباب المادية باسم العلم والثقافة والتقدم، وغرزتها في فكره وذهنه سواء من خلال مناهج دراسية أو عبر قنوات ثقافية وإعلامية المسموعة منها والمرئية. حتى أصبح المخاطب عاجزاً عن اختراق تلك الحواجز وتجاوزها والتخلص منها ليتمكن من التدبر في الآيات الكريمة ويستفيض منها غذاءه الروحي والعقلي.

ولكن بمداومة قراءة الرسائل، والاستفاضة الدائمة منهاوتزكية النفس بها، يزول ما علق على فطرته من الركامات، وتُرفع من أمامها تلك الحواجز والموانع التي وضعتها وسائل الضلالة، حتى تسلَم فطرتُه وتُعافى، وتُفتح بصيرتُه وتنفُذ إلى إدراك الحقائق بإذن الله.

٣- النظرة الحرفية للكائنات والأحداث:

يقول الأستاذ النورسي: "اعلم! أنى أحمد الله على أن فتح لي أعاظم مسائل هذه الكائنات بمسألة من النحو، هي الفرق بين "المعنى الحرفي والإسمى"!.. أي هذه الموجودات كلماتٌ دالات على معانٍ في غيرها، أي مكتوباتٌ ربانية تاليات للأسماء الحسنى، لا إسمية حتى تدل على معنى في نفسها لذاتها".[١]

فالنظرة القرآنية إلى الموجودات تجعل الموجودات جميعها حروفاً، أي

---

[١] المثنوي العربي النوري، ص ٣٥٢.

أنها تعبّر عن معنى في غيرها، بمعنى أنها تعبّر عن تجليات الأسماء الحسنى والصفات الجليلة للخالق العظيم المتجلية على الموجودات.

أما نظرة الفلسفة الميتة فهي تنظر على الأغلب بالنظر الاسمي إلى الموجودات، فتزل قدمُها إلى مستنقع الطبيعة".[1]

٤- تمزيق أستار الألفة والعادة:

تقتفي رسائل النور أثر القرآن العظيم في تمزيقه لغطاء العادة والمألوف، إذ ما إن يطالع المرء رسائل النور ويداوم على قراءتها حتى يشاهد أن الأستار المانعة لرؤية الحقائق وحُجُبَها الملقاة على الموجودات والأحداث تتمزق أمامه وتتلاشى، فيرى معجزات القدرة الإلهية وخوارق العادات في عين العاديّات من الأمور والأشياء التي أصبحت شفافة تشف عما تحتها ووراءها، فيرى من خلال حُجب الأسباب الظاهرية للأحداث والوقائع، الأسبابَ الحقيقية للقدر الإلهي والحكمة الربانية. فلا يضطرب تجاه الحوادث ولا يقلق أمام المصائب والنوائب.

وهكذا بتحرره من النظر السطحي العابر، وبزوال ركام الشبهات والحواجز، وتزكية نفسه ينفتح أمامه باب واسع جداً وهو :

٥-التعامل مع معاني الأسماء الحسنى:

وذلك بعدما بدأ ينظر إلى الموجودات بالمعنى الحرفي حيث تفتقر إلى معنى في ذاتها ويحتاج لمعرفة ماهيتها إلى إسم من الأسماء الحسنى؛ حتى تصبح هذه النظرة لديه مَلَكة. إذ يشعر أنه يزاول تعاملاً ذوقياً وقلبياً وروحياً وفكرياً مع معاني الأسماء الحسنى، لا تعاملا نظريا، بل استكشافياً، فيشاهد أنوار تجليات تلك

---

[1] الملاحق، ص ٩٠.

الأسماء فيما حوله من موجودات، وفي الحوادث اليومية، لكثرة ما تضع الرسائل بين يديه من ضرب الأمثال الحياتية الواقعية، فيحيا بتلك المعاني الجميلة بعقله وقلبه وروحه بل بجميع لطائفه وأحاسيسه ومشاعره.

وبهذا تصبح الموجودات والحوادث لقارئ الرسائل مظاهر لتجليات الأسماء الحسنى ومكاتيب ربانية مفتوحة يفهم منها معانيها الحقيقية، حتى لا يبقى مجال للغفلة عن المولى الكريم، بل يكسب بالتأمل فيها مرتبة من الاطمئنان واسعة سعة الكون، وتفتح أمامه عبودية دائمة وواسعة سعة الكون.. وعندها تتحول أنواع العلوم التي يقرؤها من خلال مناهج دراسية وأشكال الثقافة التي يتلقاها عبر قنوات ثقافية وإعلامية المسموعة منها والمرئية إلى أدوات لمعرفة الله ونوافذ تطل على التوحيد. وكلما عاود القراءة، ظهرت له من معاني الأسماء الحسنى أكثر، وأتته حقائقها تترى في تجاربه اليومية وفي معاملاته الحياتية. وكلما انسكبت أنوار من تلك المعرفة الإلهية إلى روح طالب النور ونفذت إلى قلبه انعكست في سلوكياته وتصرفاته، حتى تطفح على محياه.

علاوة على ذلك تنعش الرسائل روحَ القارئ وتغرز في قلبه وترسخ في عقله أصولاً إيمانية وموازين قرآنية، مما يعينه على اجتياز العقبات التي تجابهه وحل المشكلات التي تقابله.

وربما تحدث هذه العوامل؛ من تمزق أستار العادة أمام نظر القارئ وزوال ركام الشبهات عن فطرته واكتسابه موازين قرآنية وتعامله مع معاني الأسماء الحسنى، لدى دراسته رسالة واحدة من رسائل النور .. وربما تحدث باطلاعه على عدد من الرسائل إن أراد المزيد ، فيغنم فراسة صادقة وبصيرة نافذة وأنواعاً من السعادة الحقة، والسرور الخالص، والنعمة التي ما بعدها نعمة، واللذة التي لا تفوقها لذة.. في معرفة الله.. في محبة الله.

٦- الحضور الأخروي:

يقول الأستاذ النورسي: "إن هذا العصر العجيب الذي أثقل كاهل الإنسان بالحياة الدنيوية بما كثّر عليه من متطلبات الحياة وضيّق عليه مواردَها، وحوّل حاجاته غير الضرورية إلى ضرورية بما ابتلاه من تقليد الناس بعضهم بعضاً ومن التمسك بعادات مستحكمة فيهم، حتى جعل الحياة والمعاش هي الغاية القصوى والمقصد الأعظم للإنسان في كل وقت. هذا العصر العجيب أسدل بهذه الأمور حجاباً دون الحياة الدينية والأخروية والأبدية، أو في الأقل جعلها أمراً ثانوياً أو ثالثياً بالنسبة له.."[١].

ولقد وفق الله سبحانه الأستاذ الجليل أبوالحسن على الحسني الندوي رحمه الله، في بيان الفرق المميّز بين منهج الأنبياء في الدعوة إلى الآخرة وبين منهج الإصلاحيين في الدعوة إليها، فقال:

"لم تكن دعوة الأنبياء إلى الإيمان بالآخرة، أو الإشادة بها "كضرورة خلقية، أو كحاجة إصلاحية، لا يقوم بغيرها مجتمع فاضل ومدنية صالحة، فضلا عن المجتمع الإسلامي" وهذا وإن كان يستحق التقدير والإعجاب، ولكنه يختلف عن منهج الأنبياء وسيرتهم، ومنهج خلفائهم اختلافاً واضحاً، والفرق بينهما أن الأول -منهج الأنبياء- إيمانٌ ووجدانٌ، وشعورٌ وعاطفةٌ، وعقيدةٌ تملك على الإنسان مشاعرَه وتفكيَره وتصرفاته، والثاني اعترافٌ وتقريرٌ، وقانونٌ مرسومٌ، وأن الأولين يتكلمون (عن الآخرة) باندفاع والتذاذ، ويدعون إليها بحماسة وقوة، وآخرون يتكلمون عنها بقدر الضرورة الخلقية، والحاجة الاجتماعية، وبدافع من الإصلاح والتنظيم الخلقي، وشتان ما بين الوجدان والعاطفة، وبين الخضوع للمنطق والمصالح الاجتماعية".[٢]

---

[١] الملاحق، ص ١٤٥.

[٢] أبو الحسن علي الحسني الندوي، الصراع بين الإيمان والمادية، تأملات في سورة الكهف ص ١٠١، دار ابن كثير ٢٠٠٢. والنبوة والأنبياء، ص٥٢، مكتبة وهبة مصر ١٩٦٥.

وصدق أخونا الدكتور فريد الأنصاري في وصفه طلاب النور: "إن طلاب النور يشعرونك أنك أمام عمّال الآخرة. إن أنداء الجنة تفوح من قلوبهم وهم يمارسون مهامهم".[١]

٧- الشعور بالعناية الربانية:

إن كل مؤمن صادق يشعر بلا شك أنه تحت رعاية الله وعنايته الربانية، ولكن شعور قارئ رسائل النور شعور حيّ ملازم له حيث يرى آثار هذه العناية باستمرار وكأنها لا تفارقه، إذ يستشعرها دائماً بأحاسيسه المتيقظة ولطائفه المتنبهة، حتى لكأن العناية الربانية تأخذ بيده وتهديه إلى سواء السبيل.. هكذا تمضي حياة قارئ رسائل النور في يقظة شعورية مع اطمئنان قلبي وراحة نفسية. حتى إذا ما غفل وفتر عن العمل القرآني لسبب من الأسباب بمقتضى بشريته وأخطأ فالعناية الربانية توقظه بـ "لطمة رحمة ورأفة" كما يعبّر عنها الأستاذ النورسي الذي يقول: "إن العاملين المخلصين في هذه الخدمة القرآنية لما يعتريهم الفتور والإهمال في العمل يأتيهم التحذير والتنبيه فيتلقون لطمة ذات رأفة وعطف، وينتبهون من غفلتهم، ويسرعون بجد للخدمة مرة أخرى..".[٢]

الوسيلة الثانية: الإصلاح العلمي (مشروع مدرسة الزهراء)

لقد علم النورسي أيام شبابه من والي منطقة "وان" المرحوم "طاهر پاشا" أن أوروبا تحيك مؤامرة خبيثة حول القرآن الكريم، إذ سمع منه أن وزير المستعمرات البريطاني قد قال: "ما دام هذا القرآن بيد المسلمين فلن نحكمهم حكماً حقيقياً، فلنسعَ إلى نزعه منهم". فثارت ثائرته واحتدّ وغضب.. فجعل جميع العلوم المتنوعة المخزونة في ذهنه مدارجَ للوصول إلى إدراك معاني

---

[١] جريدة التجديد المغربية، العدد ١٢١

[٢] اللمعات، ص: ٦١.

القرآن الكريم وإثبات حقائقه. ولم يعرف بعد ذلك سوى القرآن هدفاً لعلمه وغايةً لحياته. وأصبحت المعجزة المعنوية للقرآن الكريم دليلاً ومرشداً وأستاذاً له. حتى إنه أعلن لمن حوله: "لأبرهنّ للعالم بأن القرآن شمس معنوية لا يخبو سناها ولا يمكن إطفاء نورها".[١] فشدّ الرحال إلى اسطنبول عام (١٩٠٧م)، وقدّم مشروعاً إلى السلطان عبد الحميد الثاني رحمه الله لإنشاء جامعة إسلامية في شرقي الأناضول، أطلق عليها اسم "مدرسة الزهراء" -على غرار الأزهر الشريف- تنهض بمهمة نشر حقائق الإسلام وتدمج فيها دراسة العلوم الدينية مع العلوم الكونية الحديثة على وفق مقولته:

"ضياءُ القلب هو العلوم الدينية، ونورُ العقل هو العلوم الحديثة، فبامتزاجهما تتجلّى الحقيقة، فتتربّى همةُ الطالب وتعلو بكلا الجناحين، وبافتراقهما يتولد التعصب في الأولى والحيَل والشبهات في الثانية".[٢]

فهذا المشروع، إنشاء مدرسة الزهراء، هو لأجل:

١- ألّا تفسد العنصريةُ، ودعوى القومية، الأقوامَ في البلدان العربية والهند وايران والقفقاس وتركستان وكردستان، وبإنماء الروح الإسلامية التي هي القومية الحقيقية الصائبة السامية الشاملة تنال شرف الامتثال بالدستور القرآنى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات: ١٠).

٢- وكذلك لتتصافح العلوم الحديثة مع الدين.

٣- وتتصالح الحضارة الاوروبية مع حقائق الإسلام مصالحة تامة.

٤- ولتتفق المدارس الحديثة وتتعاون مع المدارس الشرعية في الأناضول.

---

[١] سيرة ذاتية، ص: ٨٩.

[٢] صيقل الإسلام، ص٤٢٨.

وباندلاع الحرب العالمية الأولى كان طبيعيا أن يهبّ بديع الزمان في طليعة المجاهدين، فشكّل فرقاً فدائية من طلابه واستمات معهم في الدفاع عن حمى الوطن في جبهة القفقاس، وجُرح في المعارك مع الروس وأُسر واقتيد شبه ميت إلى (قوصتورما) من سيبيريا حيث قضى سنتين وأربعة أشهر، هيأ له الله في أثناء (الثورة البلشفية) الانفلات، فعاد إلى بلاده واستُقبل استقبالا رائعاً من قبل الخليفة وشيخ الإسلام والقائد العام وطلبة العلوم الشرعية ومُنح وسام الحرب. وكلّفته الدولة العثمانية بتسنّم بعض الوظائف، رفضها جميعاً إلاّ ما عينته له القيادة العسكرية من عضوية في "دار الحكمة الإسلامية"، التي كانت لا تُوجّه إلاّ لكبار العلماء، فنشر في هذه الفترة أغلب مؤلفاته باللغة العربية منها: تفسيره القيّم "إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز"، الذي ألفّه في خِضَمّ المعارك، و"المثنوي العربي النوري".

وهكذا توقف مشروع مدرسة الزهراء، ولكن النورسي يقول:

تحقق مشروع مدرسة الزهراء برسائل النور منهجاً وطلاباً:

فـ"المولى القدير أسس برحمته الواسعة الخصائص المعنوية لتلك المدرسة وهويتها في "إسپارطة" فاظهر "رسائل النور" للوجود. وسيوفق -إن شاء الله- طلاب النور إلى تأسيس الجهة المادية لتلك الحقيقة أيضاً.[١] ولكن لما كان هناك موانع كثيرة جداً تحول دون إنشاء مدرسة الزهراء بصورتها المادية، فهي الآن الدائرة الشاملة لطلاب النور...

فطلاب النور في الجامعة يمثلون "سعيدين" شباب، فهم يؤدون مهمة مدرسة الزهراء حق الأداء، سواءً في استانبول أو في آنقرة، ولا يدَعون حاجة إلى هذا السعيد الضعيف".[٢]

---

[١] الملاحق، ص ١٢٦.

[٢] الملاحق، ص ٣٣٦.

ما ينبغي العمل به للإصلاح في هذا العصر

الأول : الحيلولة دون تسرب ما يخل بالإخلاص

يقول النورسي: "إن أعظم خطر على المسلمين في هذا الزمان هو فساد القلوب وتزعزع الإيمان بضلال قادم من الفلسفة والعلوم. وإن العلاج الوحيد لإصلاح القلب وإنقاذ الإيمان إنما هو النور وإراءة النور. فلو عُمل بهراوة السياسة وصولجانها وأُحرز النصر، تدنّى أولئك الكفار إلى درك المنافقين. والمنافق -كما هو معلوم- أشدُّ خطراً من الكافر وأفسدُ منه. فصولجان السياسة إذن لا يُصلح القلب في مثل هذا الوقت، حيث يُنزل الكفرَ إلى أعماق القلب ويتستر هناك وينقلب نفاقاً ". [١] ويقول:

"إن أعظم قوة لرسائل النور تجاه معارضيها الكثيرين، هي الإخلاص. فالرسائل مثلما لا تكون أداة لأي شئ في الدنيا، لا تهتم أيضاً بالتيارات التي تنبني على مشاعر الانحياز والموالاة ولاسيما للتيارات السياسية. وذلك لأن عرق الانحياز يفسد الإخلاص ويغيّر لون الحقيقة. حتى إن السبب في تركي السياسة منذ ثلاثين سنة، هو أن عالماً صالحاً قد أثنى بحرارة على منافق يحمل فكراً ينسجم مع فكره السياسي، وفي الوقت نفسه انتقد عالماً صالحاً يحمل أفكارا تخالف أفكاره، انتقاداً شديداً حتى وصمه بالفسق". [٢]

والثاني: الحفاظ على أمن البلاد وعدم الإخلال بالنظام.

يقول النورسي مراراً: "..أما نحن طلاب النور فإننا نسعى لمعاونة الإدارة وإقرار الأمن والنظام وإحراز السعادة للأمة والوطن. والذين يجابهوننا هم

---

[١] اللمعات، ص: ١٤٥.

[٢] الملاحق، ص ٣١٧.

إرهابيون ملحدون أعداء الأمة والوطن".[١]

ومن هنا، نستطيع القول أنه رغم تصديه للغزو الخارجي ببطولة نادرة في الحرب العالمية الأولى، إلا أنه يرى أن الإصلاح الأساس في الداخل هو إحياء سنة الرسول ﷺ والأخلاق الإسلامية إلى جانب الإصلاح المتعلق بالعلم والترقي والحضارة. وإن محاربة "الجهل، والفقر، والاختلاف"، هي أهم الخواص التي لها مكانة في مضمون الإصلاح في نظره.

الإصلاح من الفرد إلى المجتمع (الحركة الإيجابية البنّاءة)

اكتسب المعارضون للإسلام قوة في الحكم مع تأسيس الجمهورية سنة ١٩٢٣م، وبدأوا يستخدمون إمكانات الدولة في فرض نظام أجنبي على المجتمع المسلم في تركيا بالقوة. وباختصار احتلت الفلسفة المادية مكان الإسلام في مرافق الدولة كلها. فأدرك النورسي يقيناً منذ البداية أنه لا يمكن العمل مع القادة الجدد لتركيا في الدائرة السياسية التي قبلوها. لذلك ابتعد عن الحياة الاجتماعية والسياسية. وبدأ بإصلاح معنوي.

ووضّح الأهمية المركزية لمفهوم "الإصلاح المعنوي" في منهج رسائل النور لتلاميذه في "الدرس الأخير" الذي ألقاه عليهم قبل رحيله إلى الآخرة، إذ قال لهم:

"إن وظيفتنا هي العمل الإيجابي البنّاء وليس السعي للعمل السلبي الهدام. والقيام بالخدمة الإيمانية ضمن نطاق الرضى الإلهي دون التدخل بما هو موكول أمره إلى الله. إننا مكلّفون بالتجمل بالصبر والتقلّد بالشكر تجاه كل

---

[١] الشعاعات، ص: ٥٣٤.

ضيق ومشقة تواجهنا وذلك بالقيام بالخدمة الإيمانية البنّاءة التي تثمر الحفاظ على الأمن والاستقرار الداخلي"...

" نعم، إن في مسلكنا قوةً، إلاّ أننا لم نقم باستعمالها إلاّ في تأمين الأمن الداخلي. لذا قمت طوال حياتي بتحقيق الأمن الداخلي اتباعا لدستور الآية الكريمة: ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ (الأنعام: ١٦٤). إن هذه القوة لا يمكن استعمالها إلاّ ضد الهجمات الخارجية. إن وظيفتنا -وفق دستور الآية الكريمة المذكورة- هي الإعانة على ضمان الأمن الداخلي بكل ما نملك من قوة"..

ويوضح المقصود من " العمل الإيجابي البنّاء" أنه:

١ - عمل المرء بمقتضى محبته لمسلكه فحسب، من دون أن يرد إلى تفكيره، أو يتدخل في علمه عداءُ الآخرين أو التهوينُ من شأنهم، أي لا ينشغل بهم أصلاً.

٢ - بل عليه أن يتحرى روابط الوحدة الكثيرة التي تربط المشارب المعروضة في ساحة الإسلام -مهما كان نوعها- والتي ستكون منابع محبة ووسائل أخوة واتفاق فيما بينها فيتفق معها.

٣- واتخاذ دستور الإنصاف دليلاً ومرشداً، وهو: أن صاحب كل مسلك حق يستطيع القول: "إن مسلكي حق وهو أفضل وأجمل" من دون أن يتدخل في أمر مسالك الآخرين، ولكن لا يجوز له أن يقول: "الحق هو مسلكي فحسب" أو "إن الحسن والجمال في مسلكي وحده" الذي يقضي على بطلان المسالك الأخرى وفسادها.

٤- العلم بأن الاتفاق مع أهل الحق هو أحد وسائل التوفيق الإلهي وأحد منابع العزة الإسلامية.

٥ - الحفاظ على الحق والعدل بإيجاد شخص معنوي، وذلك بالاتفاق مع أهل الحق للوقوف تجاه أهل الضلالة والباطل الذين أخذوا يُغيرون بدهاء شخص معنوي قوي في صورة جماعة على أهل الحق - بما يتمتعون به من تساند واتفاق - ثم الإدراك بأن أية مقاومة فردية -مهما كانت قوية- مغلوبةٌ على أمرها تجاه ذلك الشخص المعنوي للضلالة.

٦ - ولأجل إنقاذ الحق من صولة الباطل:

٧ - ترك غرور النفس وحظوظها.

٨ - وترك ما يُتصور خطأً أنه من العزة والكرامة.

٩ - وترك دواعي الحسد والمنافسة والأحاسيس النفسانية التافهة."[1]

الإصلاح والحضارة

إن الهدف الذي أراد بديع الزمان التوصل إليه بهاتين الوسيلتين (رسائل النور ومدرسة الزهراء) هو إقامة صرح الحضارة الإسلامية من جديد. ذلك لأنه يرى أن الإسلام مصدر الحضارة الحقيقية؛ وأن العالم الإسلامي لا يستطيع الرقي الحقيقي إلاّ ضمن إطار إسلامي، ولا يسترد موقعه الحاكم الذي يستحقه إلاّ بهذا الشكل وحده. فضلاً عن أن جميع البشرية كذلك لا تجد الراحة والسكينة إلاّ في الإسلام وبتأسيس حضارة إسلامية.

لذلك فإن مساعي بديع الزمان في الإصلاح كانت في الحقيقة منصبة في هذا الهدف. لأنه كان يعتقد أن حقائق الإسلام تمتاز باستعدادها استعداداً كاملاً لدفع أهلها إلى مراقي التقدم المادي والمعنوي معاً. يقول: "في زماننا هذا

---

[1] اللمعات ص: ٢١٠.

يتوقف إعلاء كلمة الله على التقدم المادي والدخول في مضمار المدنية الحقيقية ". ويقول كذلك:

"ولو أننا أظهرنا بأفعالنا وسلوكنا مكارم أخلاق الإسلام وكمال حقائق الإيمان، لدخل أتباع الأديان الأخرى في الإسلام جماعات وأفواجاً. بل لربما رضخت دول العالم وقاراته للإسلام."[1]

نخلص مما سبق:

إن القصد الأساس لبديع الزمان في القيام بالإصلاح، هو:

- إنقاذُ الإيمان وتجديده في النفوس وجعله موافقاً ومفهوماً لدى المؤمنين وخصوصاً الذين تعرضوا للفلسفة المادية الجاحدة..

- وكذا إنشاءُ الحضارة الإسلامية من جديد. وإحياؤها، ووضعُ أسس تشكلها.

هذا الإيمان هو أساس "الحركة الإيجابية البنّاءة" التي هي المحصلة الثانية للإصلاح عند بديع الزمان، وهي التي تشكل الكفاح تجاه الدمار المعنوي الذي تؤدي إليه الأفكار الإلحادية العالمية التي تمهد لها الفلسفة المادية. ومثل هذه الحركات أو التيارات في حرب طاحنة مع الإسلام، وهي في سعي دائم لنشر الفوضى، ودفع البلاد والعباد إلى اللااستقرار؛ لذلك فإن الوظيفة الأولى لطلبة رسائل النور هي المحافظة على الأمن تجاه الإثارات المقصودة والاستفزازات المتواصلة، ودفع تسلط الظلم، سعياً لتحقيق وحدة بناء المجتمع وتعاون أفراده.

فالسبيل الوحيد هي في ترسيخ مبادئ الإسلام وحقائق القرآن بنشر رسائل النور، التي تتناول الحقائق الإيمانية والمواضيع المتعلقة بها، وتثبتها بالأدلة

---

[1] صيقل الإسلام، ص: ٤٦٤.

المنطقية والعقلية، بحيث تكون هذه الحقائق لدى القارئ واضحة جلية. وردّ الفلسفة المادية الغربية الجاحدة، وإثبات أن القرآن هو المنبع الحقيقي الوحيد الذي يؤمّن سعادة الإنسانية ويضمن رقيها. كل هذه الأمور توضَّح وتفصَّل في رسائل النور في ضوء الآيات القرآنية والكونية المبثوثة في الكون. وبهذه الوسيلة تجمع بين حقائق الدين والعلوم المعاصرة، وتثبت هذه الحقائق في ضوء العلم. وتدعو الإنسان إلى التفكر والنظر في الآيات الإلهية المتجلية في الآفاق والأنفس، وبهذا تفتح آفاقا واسعة جداً للتفكر في تجليات الأسماء الحسنى الإلهية، وهذه تكاد تكون خاصية ملازمة لرسائل النور.

ونستطيع أن نقول باختصار أن رسائل النور تقدم تفسيراً للدين يوافق إنسان هذا العصر، ويخاطب عقله وسائر لطائفه الرقيقة والعميقة، وتجيب على احتياجات الإنسان في هذا الزمان. وتبين أنواعا من الإصلاح بما تقتضيه كل مرحلة من مراحل الحياة المتنوعة.

وهكذا على الرغم من أن العاملين برسائل النور لا ينتظرون أي شيء مقابل عملهم لله، إلا أنه سبحانه وتعالى قد أجرى على أيديهم فضلاً منه وكرماً، أعمالاً جليلة في تركيا، لسلوكهم هذا النهج الحركي السليم بالعمل الإيجابي البنّاء الخالص لله والمنسجم مع الشريعة الفطرية، والأخذ بالتدرج الفطري وتجنب الخوض في التيارات الجارية.. إذ في ظله انتشرت رسائل النور، وغزت العقول والقلوب والأرواح بجهاد معنوي كبير وشامل انتهى إلى تكوين جيل مؤمن انطلق في المجتمع ينشر حقائق الإيمان والإسلام بالتلمذة على رسائل النور ومدارسها النورانية ومن دورات تحفيظ القرآن الكريم ومن المدارس الابتدائية والثانوية ومن المؤسسات الثقافية والعلمية، ومن الإذاعات المرئية والمسموعة ومن الجرائد اليومية والمجلات العلمية والمتخصصة في

شؤون الحياة المختلفة.. وأمثالها من الثمار الكثيرة. والفضل لله أولاً وآخراً، والمنة والحمد له وحده.

"نعم،كونوا على أمل؛ إن أعظم صوت داوٍ في انقلابات المستقبل هو صوت الإسلام الهادر".[1]

والله نسأل أن يوفقنا إلى حسن القصد وصحة الفهم وصواب القول وسداد العمل.

وصل اللّهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

* * *

[1] صيقل الإسلام، ص: ٣٣٨.

التغيير الحضاري والسنن الكونية
بديع الزمان سعيد النورسي نموذجا[1]

الحمد لله رب العالمين والصلاة على سيدنا محمد رحمة الله للعالمين وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته وسلك طريقه إلى يوم الدين، وبعد

حضرات الأساتذة الكرام والأخوة الأعزاء والأخوات الفاضلات

نحييكم بتحية الإسلام من أعماق قلوبنا ومن صميم أفئدتنا فنقول:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛ وبعد

فقبل أن نخوض في ثنايا البحث لابد أن نلقي ضوءاً على حياة الإمام بديع الزمان سعيد النورسي.

ولد بديع الزمان سعيد النورسي في مطلع القرن الهجري الماضي ١٢٩٣هـ (١٨٧٦م) في قرية (نورس) شرقي تركيا، في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، وجاهد الروس على رأس "فرقة الأنصار" في جبهة القفقاس في الحرب العالمية الأولى. وقاوم عقبها الإنكليز والحلفاء الذين احتلوا مناطق مختلفة من تركيا.. وساهم في حرب الاستقلال التي دامت سنوات لطرد الغزاة من البلاد.. وعاصر المنعطف الخطير الذي بدأ منذ انتهاء الدولة العثمانية ١٩٢٤م،

---

[1] بحث ألقي في الملتقى الدولي الرابع عشر الذي نظمته كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية بالجامعة الأفريقية أحمد دراية بأدرار- الجزائر في ٣-٥ /١٢ /٢٠١٢.

حيث وُضعت قوانين واتُّخذت قرارات بإلغاء الخلافة وإبعاد الإسلام عن الحياة الاجتماعية وممارسات الدولة.

فمُنع تدريس الدين في المدارس كافة، وبُدّلت الأرقام والحروف العربية في الكتابة إلى الحروف اللاتينية، وحُرم الأذان الشرعي وإقامة الصلاة باللغة العربية، كما أُعلنت علمانية الدولة، فمُنع القيام بأي نشاط أو فعالية في صالح الإسلام، إذ حُظر طبع الكتب الإسلامية، وأُرغم الناس على تغيير الزي إلى الزي الأوروبي، فالرجال أُرغموا على لبس القبعة والنساء على السفور والتكشف..

وشُكّلت محاكم زرعت الخوف والإرهاب في طول البلاد وعرضها، ونُصبت المشانق لعلماء أجلاّء، ولكل من تُحدثه نفسه بالاعتراض على السلطة الحاكمة.

"وفي ظل الظروف المشحونة بالإرهاب الفكري والقانوني عمل رواد المقاومة الفكرية في المجتمع العثماني على وضع خطة للإصلاح منسجمة مع تصوّرهم لطبيعة الأزمة، وبهذا الصدد ظهرت عدة تصورات:

١- فريق يرى بأن الأزمة سياسية ذات أصل ثقافي معرفي، وتستدعي حلا سياسيا، تبنّى هذا الرأي الشيخ مصطفى صبري (شيخ الإسلام للدولة العثمانية)، ولخّص الحل في أحد مسلكين:

أ) اتحاد حكومات إسلامية معيّنة (الأفغان والحجاز) تطلبان العون من الشعوب للهجوم كالرجل الواحد على الأئمة الجدد في تركيا بغرض استئصال فكرتهم من المجتمع العثماني.

ب) الطريق الثاني يعمل المسلمون بموجبه على تأسيس مؤسسات علمية إسلامية عالمية تتولى تكوين جحافل المتديّنين الصادقين المهيئين لمواجهة هؤلاء الأئمة الجدد في قابل الأيام.

وقد باء هذا المسلك بالفشل الذريع نظرا –رغم ما قدّمه من خدمات جليلة للثقافة الإسلامية في صورتها المعرفية والتنفيذية- لعدم أخذ المعطيات المحلية والجهوية والدولية بالحسبان في صياغة المشروع البديل هذا من جهة، وقصر المسألة على السياسة المتلبّسة بالثقافة في كثير من الأحيان من جهة ثانية.

٢-فريق آخر يرى بأن الأزمة ثقافية بالدرجة الأولى، وإن كانت سياسية في بعض وجوهها..

يرى رواد هذا الاتجاه أنّ أهم داء أصاب المسلمين في العصر الحديث التطاول على علمائنا المتقدمين والثورة على المذاهب التي تلقتها الأمة بالقبول منذ أمد بعيد، وقد تبنى هذا المسلك العلامة الشيخ زاهد الكوثري رحمه الله".[١]

٣- أما الأستاذ سعيد النورسي فإنه يصرح بوضوح تام عن مشروعه فيقول:

"إلى هنا كانت حياتي طافحة بخدمة البلاد، وفق ما كنت أحمله من فكرة خدمة الدين عن طريق السياسة. ولكن بعد هذه الفترة ولّيت وجهي كلياً عن الدنيا، وقبرتُ "سعيداً القديم" -حسب اصطلاحي- وأصبحتُ سعيداً جديداً يعيش كلياً للآخرة... صرفتُ كل همي ووقتي إلى تدبّر معاني القرآن الكريم... أخذتني الأقدار نفياً من مدينة إلى أخرى (طوال ربع قرن).. وفي هذه الأثناء تولّدت من صميم قلبي معانٍ جليلة نابعة من فيوضات القرآن الكريم.. أمليتُها على مَن حولي من الأشخاص، تلك الرسائل التي أطلقتُ عليها اسم "رسائل النور". إنها انبعثت حقاً من نور القرآن الكريم. لذا نبع هذا الاسم من صميم

---

[١] أ. د.عمار جيدل، بديع الزمان النورسي وإثبات الحقائق الإيمانية، المنهج والتطبيق، ط. نسل، إسطنبول ٢٠٠٤. ص:٤٦.

وجداني، فأنا على إقتناع تام ويقين جازم بأن هذه الرسائل ليست مما مضغته أفكاري وإنما هي إلهام إلهي أفاضه الله سبحانه على قلبي من نور القرآن الكريم، فباركتُ كل مَن استنسخها، لأنني على يقين أن لا سبيل إلى حفظ إيمان الآخرين غير هذه السبيل... وهكذا تلقفتها الأيدي الأمينة بالاستنساخ والنشر..."."[1]

توفاه الله سنة ١٩٦٠ ودفن في مدينة أورفا. ثم فتحت السلطاتُ العسكرية آنذاك قبره وأُخذ جثمانه إلى مكان مجهول، ومازال قبره مجهولاً. رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جنانه.

خريطة البحث باختصار شديد:

بعد أن مهدنا حياة الإمام بديع الزمان سعيد النورسي، والظروف التي أحاطته، ومشاريع العلماء الأفذاذ في عصره الذين قدموها إنقاذاً للأمة مما وقعت فيه من أزمات شديدة حتى كادت تفقد مقوم حياتيتها وهو الإيمان. نجد الإمام النورسي مشمرا لإنقاذ الإيمان وخدمة القرآن، وذلك بتأليف "رسائل النور" التي تمثل حقائق قرآنية بأسلوب ملائم لأفهام هذا العصر. فالإمام يبدأ بمشروع التغيير من الإنسان، بل من نفس المؤلف أولا، فنراه يفصل بين مرحلتين من حياته، سعيد القديم وسعيد الجديد. ثم نتناول مشروعه الحضاري في مهمة رسائل النور لإبراز دورها في استنهاض الإنسان وتغييره إلى إنسان جديد، وإبراز الدور المهم في تتبعه قوانين شريعة الله الكونية فضلا عن اتباعه أوامر الشريعة المعروفة.

وهنا يرد السؤال الذي يطرح نفسه وهو: ما موقفه من الحضارة الغربية؟ وهل للقرآن الكريم حضارة متكاملة لإسعاد الإنسان في الدنيا كما تسعده في الآخرة؟

---

[1] الشعاعات، ص: ٥١٤.

فلنباشر بالتفصيل بإذن الله.

ما رسائل النور؟

إن رسائل النور ثلاثون ومئة رسالة، وهي تفسير معنوي للقرآن الحكيم، وقد منّ الله تعالى علينا فترجمناها من اللسان التركي إلى العربي في تسعة مجلدات. فهي تعالج القضايا الأساسية في حياة الفرد والمجتمع، هذا النهج القرآني القويم لم يبقه النورسي في دائرة التجريد الفكري، وإنما حوّله عبر رسائل النور إلى صياغة جيل رباني مخلص لربه، ومحاربٌ لأنانيته يعي ظروف عصره ومشكلاته، ويشعر بالواجب الملقى على عاتقه في ترشيد الإصلاح الاجتماعي والثبات على حقائق القرآن العظيم أمام الطغيان، الذي فرض الحياة المادية الغربية عليهم بقوة الحديد والنار.

و"الرسائل لكونها فكراً إبداعياً حافزياً لم يسبقه تمهيدٌ أو توطئة، فيصدُم الذهنَ بشكل حادّ، ويهزّ أوتار القلب المسترخية، ويَرُجُّ أمواج الروح الساكنة، ويرفع القارئ فجأةً وعلى حين غِرَّة من مشاغل يومه، واهتمامات أَمْسِه وغَدِه، إلى مسائل الأبدية التي تتجاوز أعمار الأكوان وأعمار الأجيال، وهو أمرٌ عظيم لا يقدر على معالجته إلاَّ فكر عظيم، كما لا يقوى على استقباله واستيعابه إلاّ ذهنٌ منفتح، وروحٌ متحفز، ونفسٌ مشتعلة، ووجدان مشرق، وبديهة فطنة، وضمير ذكي".[١]

١-مهمة رسائل النور

يقول الأستاذ النورسي: "إنَّ "رسائل النور" لا تعمّر تخريبات جزئية، ولا

---

[١] أديب إبراهيم الدباغ، النورسي ما بعد التصوف. حلقة دراسية حول: الإدراك الروحي بين التصوف والنورسي، أقامتها مؤسسة الثقافة والعلوم مركز رسائل النور إسطنبول في٢٦-٢٧ /٧/ ٢٠٠٥. ص: ٥٣.

ترمّم بيتاً صغيراً مهدّماً وحده، بل تعمّر أيضاً تخريبات عامة كلية، وترمّم قلعة محيطة عظيمة -صخورها كالجبال- تحتضن الإسلام وتحيط به. وهي لا تسعى لإصلاح قلب خاص ووجدان معيّن وحده، بل تسعى أيضاً وبيدها إعجاز القرآن لمداواة القلب العام، وضماد الأفكار العامة المكلومة بالوسائل المفسدة التي هُيئَت لها وحشدت متراكمة منذ ألف سنة، وتنشط لمداواة الوجدان العام الذي توجّه نحو الفساد نتيجة تحطّم الأسس الإسلامية وتياراته وشعائره التي هي المستند العظيم للجميع وبخاصة عوام المؤمنين. نعم إنها تسعى لمداواة تلك الجروح الواسعة الغائرة بأدوية إعجاز القرآن والإيمان.

فأمام هذه التخريبات الكلية الرهيبة، والشقوق الواسعة، والجروح الغائرة، ينبغي وجود حجج دامغة وأعتدة مجهّزة بدرجة حق اليقين وبقوة الجبال ورسوخها، ووجود أدوية مجرّبة لها من الخواص ما يفوق ألف ترياق وترياق ولها من المزايا ما يضاهي علاجات لا حدّ لها.

هذه هي مهمة "رسائل النور" النابعة من الإعجاز المعنوي للقرآن الكريم، وفي الوقت الذي تقوم بها في هذا الزمان أتم قيام، فهي تحظى بكونها مدار انكشاف لمراتب غير محدودة للإيمان ومصدر رقي في مدارجه السامية غير المتناهية".[1]

٢- سر فاعلية رسائل النور في الإنسان:

ربما يرد بالبال سؤال:

صحيح أن رسائل النور تفسير متميز للقرآن الكريم يلائم مفاهيم هذا العصر، ولكن أليس هناك تفاسير قيّمة أخرى لأئمة أعلام؟ فأين إذن سر فاعلية رسائل النور حتى استطاعت بفضل الله أن تبني في طول البلاد وعرضها مدرسة

---

[1] الشعاعات، ص:٢١١.

إيمانية روحية فكرية متكاملة وارفة الظلال مستقيمة المسالك آتت أكلها بإذن الله في كل مكان ..؟

فالجواب: إن سر الفاعلية يكمن فيما يستشعر به كلُّ مَن يستمر على قراءة الرسائل، من التغير والتحوّل في قرارة ذاته؛ تحوّلٌ في نفسه، في فكره، بل في كيانه كله، حتى ينعكس على حياته.

وقد مررتُ بهذا التحول بنفسي، كما أفصح لي الكثيرون عما حدث لهم من التحول. وتحريت عن مكمن هذا السر العجيب كثيرا وسألت عنه الكثيرين وما زلت أبحث وأتحرى. وكما لا يخفى ليس سهلا ذكر ما جرى ويجري من حالات التغير الروحي والتحول الفكري والانقلاب النفسي، إذ لها خصوصيتها لكل فرد، ولكن الميزة المشتركة لدى الجميع:

أن في رسائل النور سراً عجيباً كأنها تصوغ الإنسان صياغة جديدة.

نعم، إن كل قارئ لرسائل النور بإمعان يشعر ويحس في كيانه بهذه الصياغة الجديدة بل يكاد يلمسها لمس اليد في نفسه وفي روحه وفي قلبه، حتى إنه يرى بعد مدة من المداومة على القراءة كأنه إنسان جديد؛ عالـمُه قد تبدل واتسع، نظرتُه إلى الوجود وإلى الأحداث وإلى كل ما حوله قد تجددت، عالـمُه الداخلي قد غمره من الاطمئنان والسكينة والانشراح ما يذكّر بسعادة الآخرة قبل بلوغها. وعندئذ لا يتمالك نفسه من البوح بهذه المشاعر والجدة في كيانه إلى كل قريب وصديق. وهذا أمر واقع لا شك فيه. ولكن ربما يجد فيه من لم يقرأ رسائل النور مبالغة وغلواً ومدحاً وثناءً للرسائل أكثر مما تستحق. إلاّ أن الشاهد على أحقية هذا الكلام ألوف بل مئات الألوف ممن قرأوا ودرسوا رسائل النور، وليس فقط التركية منها بل حتى ترجماتها العربية والإنكليزية وغيرها من الترجمات. علماً أن شاهدَين عدلين كافيان لإثبات صدق قضية من القضايا.

إذن التغير المنشود في المنظور النوري لا يبدأ إلاّ من الإنسان نفسِه، وليس من أي شيء آخر.

والآن نتناول قضية السنن ودورَها في التغيير وبناء الحضارة.

٣-نظرة رسائل النور القرآنية إلى السنن الإلهية الكونية

إن لله سبحانه وتعالى سننا ثابتة وقوانين خالدة لا تتحرك بها المادة وحدها، بل تدور بها الأكوان. هذه السنن هي التي تسيّر كذلك المجتمعات البشرية. لذا فاتباع الإنسان لهذه السنن الثابتة يجعله ويجعل مجتمعه مجتمعا مزدهراً أو مندثراً. وبدوره يجعل هذا الاتباع حضارةً ما عالية وأخرى سافلة.

وبديع الزمان سعيد النورسي يطلق على هذه السنن الكونية اسم: "الشريعة"، لها تبعاتها من الجزاء والعقاب في الدنيا كما لها في الآخرة، حيث يقول:

"لله سبحانه وتعالى تجليان -يتجلى بهما على المخلوقات- وهما تجليان شرعيان صادران من صفتين من صفات كماله جل وعلا.

أولهما: الشرع التكويني -أو السنة الكونية- الذي هو المشيئة والتقدير الإلهي الصادر من صفة "الإرادة الإلهية".

والثاني: الشريعة المعروفة الصادرة من صفة "الكلام الرباني".

فكما أن هناك طاعةً وعصياناً تجاه الأوامر الشرعية المعروفة، كذلك هناك طاعةٌ وعصيانٌ تجاه الأوامر التكوينية.

وغالبا ما يرى الأول (مطيعُ الشريعة والعاصي لها) جزاءه وثوابه في الدار الآخرة. والثاني (مطيعُ السنن الكونية والعاصي لها) غالبا ما ينال عقابه وثوابه في الدار الدنيا". [١]

---

[١] الكلمات، ص: ٨٥٩.

بمعنى أن الإنسان لأجل بلوغ ما يهدف إليه، عليه أن يأخذ بالأسباب الموصلة إلى ذلك الهدف، ففضلا عن الثواب الحاصل من امتثاله بالأمر الإلهي التكويني يحصل على النتيجة المقصودة. علماً أنه يعتقد يقيناً، بوحدانية الله سبحانه، وبصدور كلِّ شيء من يد قدرته، وبأنه لا شريكَ له في ألوهيته، ولا معينَ له في ربوبيته. فلا تكون الأسباب بهذا "إلاّ ستائرَ أمام تصرف القدرة الإلهية، لأن العزة والعظمة تقتضيان الحجاب، أما الفاعلُ الحقيقي فهو القدرة الصمدانية، لأن التوحيد والجلال يتطلبان هذا، ويقتضيان الاستقلال".[١] فالأسباب لها دورها في هذه الدنيا لأنها دار حكمة.

٤-الدنيا دار حكمة

إن الإنسان الذي يتتبع الأسباب التي وضعها الحكيم العليم يُثاب عليه، ولو تركها لحرصه واستعجاله، يُحرم من النتيجة المرجوة ولا يبلغ المقصود. ويضرب النورسي مثالاً نراه يومياً فيقول:

"مثلما يترتب وجودُ الخبز على أعمال تتم في المزرعة، والبيدر، والطاحونة، والفرن، فإن ترتّب الأشياء كذلك يقترن بـ"حكمة التأنّي والتدرج"، ولكن الحريص (المتعجل) بسبب حرصه لا يتأنّى في حركاته ولا يراعي الدرجات والمراتب المعنوية الموجودة في ترتب الأشياء. فإما أنه يقفز ويطفر فيسقط، أو يدع إحدى المراتب ناقصةً فلا يرتقي لغايته المقصودة".[٢] وقديما قيل: "من تعجّل شيئاً قبل أوانه عوقب بحرمانه".

ومن هذا ندرك السر الكامن في نهوض المجتمعات وكبوتها وسيطرة الحضارات وانحسارها، ألا هو في اتباع الإنسان والمجتمعات السنن الكونية

---

[١] الكلمات، ص: ٣٢٦.

[٢] المكتوبات، ص١٠١-١٠٥،

الإلهية، ومراعاة الدرجات والمراتب فيها مراعاة تامة. وإلاّ يعاقب الإنسانُ والمجتمع بدوره بخلاف مقصوده، سواء كان جهلا منه بتلك السنن، أو إهمالاً لأهميتها، أو حرصاً واستعجالا ببلوغ المقصد قبل أوانه متناسياً التسلسل في ترتب الأمور.

٥- من هو صاحب الحضارة؟

يلاحظ قارئ رسائل النور أن الأستاذ النورسي يستعمل في جميع الرسائل كلمة "المدنية " بدلا من الحضارة، وفي معرض انتقاده لها يقول: المدنية بلا "ميم" أي الدنيّة. إلا أننا في عرضنا هنا سنستعمل الحضارة التي هي الشائعة في الوقت الحاضر.

يعزو الأستاذ النورسي الحضارة إلى الأمور الآتية فيقول:

"مما لا ينبغي أن ننكر أن في المدنية محاسن كثيرة، إلاّ أنها ليست من صنع هذا العصر، بل هي نتاج العالم وملك الجميع، إذ نشأت:

- بتلاحق الأفكار وتلاقحها،
- وحث الشرائع السماوية، ولا سيما الشريعة المحمدية،
- وحاجة الفطرة البشرية.

فهي بضاعة نشأت من الانقلاب الذي أحدثه الإسلام. لذا لا يتملكها أحد من الناس".[١]

٦ - أسلوب الاستثناء دون التعميم

إن تدهور الأخلاق الفظيع في الغرب وكثرة المظالم التي عانتها وتعانيها البشرية بأيدي الغربيين مع أسباب كثيرة أخرى، أعطت المسوغ الكافي ليكون

---

[١] الكلمات، ص: ٨٤٤.

هدفاً لهجوم لا هوادة فيه لكثير من الكتّاب والمفكرين. والرسائل بدورها تهاجم الغرب كذلك ولكن ليس كل الغرب، وإنما تستثنى منه الطيب النافع، ثم تشدد الهجوم على القسم الفاسد.

ونرى أن هذا الأسلوب (أسلوب الاستثناء) لا يسرى على الغرب وحده، وإنما هو قاعدة التخاطب مع جميع المعارضين. فالرسائل تستل الطيبين من مجموع الخبثاء، وتستنقذ الفكر الجيد من بين الجماعات والهيئات التي أثير حولها غبار الشبهات، وهكذا نرى عملية التحليل والفرز والاستثناء هي في مقدمة أي كلام حول موضوعات يختلط فيها النافع بالضار، والطيب بالخبيث، مما يجعل القارئ يشعر في هذا الأسلوب، التجرد الكامل والموضوعية الحقة، والأخذ بالحيطة والحذر، والاحتراز من توريط مَنْ هم خارج صفوف المعارضين. فلا يلتبس إذن أمرُ الطيب النافع بالخبيث المضر، ولا يؤخذ البريء بجريرة المتهم أو المجرم. فالهجوم إذن لا ينصب إلاّ على الخبثاء من الغربيين دون الطيبين منهم. ويبدأ غزو حصون الفلسفات المضللة المادية بعد ما تُفصل من ركامها الفلسفة النافعة المؤدية إلى التقدم العلمي والصناعي. ويُستثنى ذوو الدين من جماعة (الاتحاد والترقي مثلاً) من بين الذين يحملون الأفكار المعادية للإسلام، وهكذا..

والخلاصة: إن أسلوب الاستثناء دون التعميم هذا خاصة من خصائص رسائل النور مع جميع مَن له علاقة معها سواءً الأشخاص الرسميين أو العلماء أو الطوائف أو الأحزاب أو الأفكار أو الفئات.

ولنأخذ مما هو موضوع بحثنا: الحضارة الغربية. يقول الأستاذ النورسي في مقدمة تقويمه للحضارة الغربية:

"لئلا يُساء الفهمُ لابُدَّ أنْ نُنبِّهَ: أنَّ أوروبا اثنتان:

إحداهما: هي أوروبا النافعة للبشرية، بما استفاضت من النصرانية الحقة، وأدَّتْ خدماتٍ لحياة الإنسان الاجتماعية، بما توصلت إليه من صناعاتٍ وعلومٍ تخدم العدل والإنصاف، فلا أخاطب -في هذه المحاورة- هذا القسمَ من أوروبا.

وإنما أخاطب أوربا الثانية تلك التي تعفَّنت بظلمات الفلسفة الطبيعية وفسدت بالمادية الجاسية، وحَسبَتْ سيئاتِ الحضارة حسناتٍ لها، وتوهّمت مساوئها فضائل. فساقت البشرية إلى السفاهة وأَرْدَتها الضلالة والتعاسة...

فيا أوروبا التي نأتْ عن النصرانية وابتعدت عنها، وانغمست في السفاهة والضلالة! لقد أهديتِ بدهائك الأعور كالدجال لروح البشر حالةً جهنمية، ثم أدركتِ أن هذه الحالة داءٌ عضال لا دواءَ له. إذ يهوى بالإنسان من ذروة أعلى عليين إلى درك أسفل سافلين، وإلى أدنى درجات الحيوان وحضيضها، ولا علاج لك أمام هذا الداء الوبيل إلاّ ملاهيكِ الجذابة التي تدفع إلى إبطال الحسّ وتخدير الشعور مؤقتاً، وكمالياتُكِ المزخرفة وأهواؤك المنوِّمة..". [1]

٧- ما مرتكزات الحضارة الغربية بمنظور رسائل النور؟

لقد بسط الأستاذ النورسي الكلام عن الحضارة الغربية وعواقبها المشاهدة. فيقول:

"إنها تأسَّست على خمسة أسسٍ سلبيَّة:

- فنقطةُ استنادها هي: القوة، وهذه شأنها: الاعتداء.
- وهدفُها وقصدها: المنفعة، وهذه شأنها: التزاحم.
- ودستورها في الحياة: الجدال والصراع، وهذا شأنه: التنازع.
- والرابطة التي تربط المجموعات البشريَّة هي: العنصريَّة، والقوميَّة السلبيَّة التي تنمو على حساب الآخرين. وهذه شأنها: التصادم.

---

[1] اللمعات، ص: ١٦٤.

- وخدمتها للبشريَّة خدمة فاتنة جذَّابة هي: تشجيع هوى المنفعة، وإثارة النفس الأمَّارة، وتطمين رغباتها، وتسهيل مطالبيها. وهذا الهوى شأنه: إسقاط الإنسان من درجة الملائكيَّة إلى درك الحيوانيَّة الكلبيَّة.

وبهذا تكون سببًا لمسخ الإنسان معنويًّا. فمعظم هؤلاء المدنيِّين لو انقلب باطنهم بظاهرهم لوجد الخيال تجاهه صور الذئاب، والدببة، والحيَّات، والقردة، والخنازير.

ولأجل هذا، فقد دفعت المدنية الحاضرة ثمانين بالمائة من البشريَّة إلى أحضان الشقاء، وأخرجت عشرة بالمئة منها إلى سعادة مموَّهة زائفةٍ. وظلَّت العشرة الباقية بين هؤلاء وأولئك، علمًا أنَّ السعادة تكون سعادةً عندما تصبح عامَّة للكلِّ أو للأكثريَّة، بيْدَ أنَّ سعادة هذه المدنيَّة هي لأقل القليل من الناس.."[1].

"والقرآن الكريم النازل رحمة للعالمين لا يقبل إلاّ طرازا من المدنية التي تمنح السعادة للجميع أو الأكثرية، بينما المدنية الحاضرة قد أطلقت الأهواء والنوازع من عقالها، فالهوى حر طليق طلاقة البهائم، بل أصبح يستبد، والشهوة تتحكم، حتى جعلتا الحاجات غير الضرورية في حكم الضرورية. وهكذا مُحيت راحة البشرية؛ إذ كان الإنسان في البداوة محتاجا إلى أشياء أربعة، بينما أفقرته المدنية الحاضرة الآن وجعلته في حاجة إلى مائة حاجة وحاجة. حتى لم يعد السعي الحلال كافيا لسد النفقات، فدفعت المدنية البشرية إلى ممارسة الخداع والانغماس في الحرام. ومن هنا فسدت أسسُ الأخلاق، إذ أحاطت المجتمع والبشرية بهالة من الهيبة ووضعت في يدها ثروة الناس فأصبح الفرد فقيرا وفاقدا للأخلاق.

والشاهد على هذا كثير، حتى إن مجموع ما ارتكبته البشرية من مظالم

---

[1] صيقل الإسلام، ص: ٣٣٦.

وجرائم وخيانات في القرون الأولى قاءتها واستفرغتها هذه المدنية الخبيثة مرة واحدة. وسوف تصاب بالمزيد من الغثيان في قابل أيامها أي أنها ستتقيأ قيئاَ أشد وأفظع.

نعم، لقد قاءت واستفرغت بحربين عالميتين حتى لطخت بالدم البر والبحر والهواء ".[١]

٨- أسس المدنيَّة القرآنية في رسائل النور:

"..أما المدنيَّة التي تأمرنا بها الشريعة الغرَّاء، وتتضمنها، فهي التي ستنكشف بانقشاع هذه المدنيَّة الحاضرة، وتضع أسسًا إيجابيَّة بنَّاءَةً مكان تلك الأسس النخِرَة الفاسدة السلبيَّة.

- نعم. إنَّ نقطة استنادها هي الحق بدلاً من القوَّة. والحق من شأنه: العدالة والتوازن.
- وهدفُها الفضيلة بدلاً من المنفعة، والفضيلة من شأنها: المحبَّة والتجاذب.
- وجهةُ الوحدة فيها والرابطة التي تربط بها المجموعات البشريَّة: الرابطة الدينيَّة، والوطنيَّة، والمهنيَّة بدلاً من العنصريَّة. وهذه شأنها: الأخوَة الخالصة، والسلام، والوئام، والذود عن البلاد عند اعتداء الأجانب.
- ودستورُها في الحياة: التعاون بدل الصراع والجدال، والتعاون من شأنه: التساند والاتحاد.
- وتضع الهدى بدل الهوى ليكون حاكمًا على الخدمات التي تقدَّم للبشر، وشأن الهدى: رفع الإنسانيَّة إلى مراقي الكمالات، فهي تحدِّد الهوى، وتحدُّ من النزعات النفسانيَّة، وتطمئن الروح، وتشوِّقها إلى المعالي..".[٢]

---

[١] الكلمات، ص: ٨٤٢.

[٢] صيقل الإسلام، ص ٣٣٨.

٩- المستقبل للإسلام وللإسلام وحده:

"إن البشرية التي أخذت تصحو وتتيقّظ بنتائج العلوم والفنون الحديثة أدركت كنه الإنسانية وماهيتها، وتيقّنت أنه لا يمكنها أن تعيش هملاً بغير دين، بل حتى أشد الناس إلحاداً وتنكراً للدين مضطر إلى أن يلجأ إلى الدين في آخر المطاف.

نحصل مما سبق: نحن معاشر المسلمين خدام القرآن نتّبع البرهان، ونقبل بعقلنا وفكرنا وقلبنا حقائقَ الإيمان، لسنا كمن ترك التقلّد بالبرهان تقليداً للرهبان كما هو دأب أتباع سائر الأديان!

وعلى هذا فإن المستقبل الذي لا حكمَ فيه إلاّ للعقل والعلم، سوف يسوده حكم القرآن الذي تستند أحكامُه إلى العقل والمنطق والبرهان.

"ولو أننا أظهرنا بأفعالنا وسلوكنا مكارم أخلاق الإسلام وكمال حقائق الإيمان، لدخل أتباع الأديان الأخرى في الإسلام جماعاتٍ وأفواجاً، بل لربما رضخت دول العالم وقاراته للإسلام."

"سنكون في صف الأمم المتمدنة، بطيّنا هذا الزمان القاصر الشبيه بالصحراء الكبرى الموحشة. بل نتسابق معهم حيث إنهم درجوا على ركوب العربات التي تجرها الثيران، بينما نحن -بتكامل الوسائل التي يتوقف عليها العلم- سنَرْكَب مباشرةً القطارَ والمنطاد، فنسبقهم بفراسخ وفراسخ، وذلك بما تسهّل لنا هضمَ تلك الوسائل حقيقةُ الإسلام الجامعة للأخلاق الإسلامية، والاستعدادُ الفطري الكامن فينا، وفيضُ الإيمان الذي نحمله، وشدةُ الجوع التي نشعر بها، فنسبقهم بإذنه تعالى كما كنا سابقين لهم في الماضي".[1]

---

[1] صيقل الإسلام، ص: ٤٣٩.

١٠- من التنظير إلى التطبيق

على الرغم من أن العاملين برسائل النور لا ينتظرون أي شيء مقابل عملهم لله، إلا أنه سبحانه وتعالى قد أجرى على أيديهم فضلاً منه وكرماً، أعمالاً جليلة، لسلوكهم هذا النهج السليم بالعمل الإيجابي البنّاء الخالص لله والمنسجم مع الشريعة الكونية الفطرية، والأخذ بالتدرج الفطري في الأمور كلها وتجنب الخوض مع التيارات الجارية.. إذ في ظله انتشرت رسائل النور، وغزت العقول والقلوب والأرواح بجهاد معنوي كبير وشامل انتهى إلى تكوين جيل مؤمن انطلق في المجتمع ينشر حقائق الإيمان والإسلام بالتلمذة على رسائل النور فيما أسسه من مدارس النور ومن دورات تحفيظ القرآن الكريم ومن المدارس الابتدائية والثانوية ومن المؤسسات الثقافية والعلمية، وأمثالها من الثمار اليانعة الكثيرة، التي تجاوزت ربوع البلاد وبلغت أقاصي البلدان في أرجاء العالم. والفضل لله أولاً وآخراً، والمنة والحمد له وحده.

والله نسأل أن يوفقنا إلى حسن القصد وصحة الفهم وصواب القول وسداد العمل.

وصل اللّهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

* * *

تعقيب:

استقبَلَنا في المطار (أنا والأخ سعيد أوزادالي) الدكتور يونس ملّال (الأستاذ في الجامعة). وقضينا أياما ممتعة طوال فترة الملتقى وبعدها، وأكرمونا أيّما إكرام، حتى أخذنا الدكتور ملّال إلى جولة في الصحراء فشاهدنا جَمالها وجِمالها وخيمها الوارفة الواسعة واستنشقنا هواءها النقي. وذكر لنا أن حفظ القرآن الكريم يسير في هذا الجو الصافي، وهذه ظاهرة خاصة بهذه المنطقة.

مفاتيح لمشاكل المغترب
من حياة بديع الزمان سعيد النورسي [1]

الحمد لله رب العالمين والصلاة على سيدنا محمد رحمة الله للعالمين وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته وسلك طريقه إلى يوم الدين، وبعد

حضرات الأساتذة الكرام والأخوة الأعزاء والأخوات الفاضلات

نحييكم بتحية الإسلام من أعماق قلوبنا ومن صميم أفئدتنا فنقول:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛ وبعد

فمما لاشك فيه أن الاغتراب عن الأهل والأقران والأحباب له وطأته على قلب أي إنسان كان وعلى روحه وعلى مشاعره مهما كانت ثقافته ومكانته وفي أي عمر كان. حيث إنه يعايش مجتمعا غير مجتمعه وناسا غير الذين تعارف وتآلف معهم.

ولا أرى داعيا لإطالة الكلام حول تأثير الغربة على نفس الإنسان، فهو أمر فطري. وإنما أركز كلامي على الحلول دون سرد المشاكل.

---

[1] بحث ألقي في الملتقى الدولي الذي نظمه المجلس الإسلامي الأعلى – الجزائر في موضوع: "الجاليات الجزائرية في الخارج وقضاياها الدينية والاجتماعية الثقافية" في ٢٥-٢٧ /٤/ ٢٠١٣م.

وسأختار علاج الحالة النفسية للمغترب أولا ثم سبل إزالة الخلاف الذي قد يحدث فيما بين المغتربين، مهما كان السبب.

ولما كنت ممن منّ المولى الكريم عليه بترجمة الأعمال الكاملة للأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي وهي "رسائل النور" من اللسان التركي إلى اللسان العربي في تسعة مجلدات، لذا سأورد الأمثلة والحلول من تلك الرسائل.

وسأقتصر البحث حول الحلول التي وضعها الأستاذ النورسي لتحويل الغربة إلى دافع للوصال والوئام بدلاً من الانكفاء والانطواء.

وكذا سأتناول الحلول الناجعة لإزالة الاختلاف أو التخفيف من حدته بين المغتربين أنفسهم أو بينهم وبين الآخرين. بعد التعرف على حياة الأستاذ النورسي ورسائل النور بكلمة موجزة.

مَن بديع الزمان سعيد النورسي؟

ولد في مطلع القرن الهجري الماضي ١٢٩٣هـ (١٨٧٦م) وفي قرية نُوْرْس الواقعة في جنوب شرقي تركيا، ما برح سعيد أن التحق بمجموعة من الكتاتيب، ولكن لم يجد لدى مدرسيه ما يفيدونه به، أضحى يتلقى العلم بجهده، ويلتهم ما في بطون الكتب المتوفرة في ذلك الزمن من تفسير وحديث ونحو وعلم كلام وفقه ومنطق.. كان يعمد إلى الحفظ عن ظهر قلب كل ما تقع عليه عيناه من تلك العلوم، حتى حفظ ما يقرب من ثمانين كتابا من أمهات الكتب. ثم انكبّ بعمق على دراسة كتب الرياضيات والفلك والكيمياء والفيزياء وما شابهها؛ حتى تعمق فيها إلى درجة التأليف في بعضها فسمّي بـ(بديع الزمان) اعترافاً من أهل العلم بذكائه الحاد وعلمه الغزير واطلاعه الواسع.

شدّ الرحال إلى إسطنبول عام ١٣٢٥هـ (١٩٠٧م)، وقدّم مشروعاً إلى السلطان عبد الحميد الثاني رحمه الله لإنشاء جامعة إسلامية في شرقي

الأناضول، أطلق عليها اسم "مدرسة الزهراء" تنهض بمهمة نشر حقائق الإسلام وتدمج فيها الدراسة الدينية مع العلوم الكونية الحديثة، على وفق مقولته: "ضياء القلب هو العلوم الدينية، ونور العقل هو العلوم الحديثة، فبامتزاجهما تتجلّى الحقيقة، فتتربّى همة الطالب وتعلو بكلا الجناحين، وبافتراقهما يتولد التعصب في الأولى والحيل والشبهات في الثانية".[1]

وباندلاع الحرب العالمية الأولى هبّ النورسي في طليعة المجاهدين، فشكل فرقة الأنصار من طلابه للدفاع عن حمى الوطن في جبهة القفقاس. وجرح في المعارك مع الروس وأسر واقتيد إلى (قوصتورما) من مناطق روسيا حيث قضى سنتين وأربعة أشهر، هيأ له الله أثناء (الثورة البلشفية) الانفلات، فعاد إلى بلاده. وكلفته الدولة العثمانية بتسنّم بعض الوظائف، رفضها جميعاً إلاّ ما عينته له القيادة العسكرية من عضوية في "دار الحكمة الإسلامية"، التي تمثل هيئة كبار العلماء.

ومنذ ١٩٢٢م وُضعت قوانين واتُخذت قرارات لقلع الإسلام من جذوره وإخماد جذوة الإيمان في قلب الأمة. فأُلغيت السلطنة العثمانية في (١٩٢٢/١١/١م) وأعقبه إلغاء الخلافة في (١٩٢٤/٣/٣م) فمُنع تدريس الدين في المدارس كافة، وبُدّلت الأرقام والحروف العربية في الكتابة إلى الحروف اللاتينية، وحُرم الأذان الشرعي وإقامة الصلاة باللغة العربية، ومُنع القيام بأي نشاط أو فعالية في صالح الإسلام، إذ حُظر طبع الكتب الإسلامية، وأُرغم الناس على تغيير الزي إلى الزي الأوروبي، فالرجال أُرغموا على لبس القبعة والنساء على السفور والتكشف ..

وشكّلت محاكم زرعت الخوف والإرهاب في طول البلاد وعرضها،

---

[1] صيقل الإسلام ص: ٤٠٢.

ونصبت المشانق لعلماء أجلاّء، ولكل من تُحدثه نفسه بالاعتراض على السلطة الحاكمة آنذاك. ولم ينج بديع الزمان من شرارة الفتن والاضطرابات فنفي في سنة ١٩٢٦م إلى ناحية نائية وهي "بارلا" جنوب غربي الأناضول.

يقول عن نفسه في هذه الفترة:

"... صرفت كل همي ووقتي إلى تدبّر معاني القرآن الكريم. وبدأت أعيش حياة (سعيد الجديد).. أخذتني الأقدار نفياً من مدينة إلى أخرى.. وفي هذه الأثناء تولدت من صميم قلبي معاني جليلة نابعة من فيوضات القرآن الكريم.. أمليتها على مَن حولي من الأشخاص، تلك الرسائل التي أطلقت عليه (رسائل النور) إنها انبعثت حقاً من نور القرآن الكريم. لذا نبع هذا الاسم من صميم وجداني، فأنا على إقتناع تام ويقين جازم بأن هذه الرسائل ليست مما مضغته أفكاري وإنما إلهام إلهي أفاضه الله سبحانه على قلبي من نور القرآن الكريم، فباركت كل من استنسخها، لأنني على يقين أن لا سبيل إلى حفظ إيمان الآخرين غير هذه السبيل... وهكذا تلقفتها الأيدي الأمينة بالاستنساخ والنشر، فأيقنت أن هذا تسخير رباني وسَوق إلهي لحفظ إيمان المسلمين .. فاستشعرت بضرورة تشجيع كل مَن يعمل في هذه السبيل امتثالاً بما يأمرني به ديني..."[١]

وهكذا استمر الأستاذ النُوْرْسي على تأليف رسائل النور حتى سنة ١٩٥٠م وهو يُنقل من سجن إلى آخر ومن محكمة إلى أخرى، طوال ربع قرن من الزمان حتى أصبحت في أكثر من (١٣٠) رسالة، جمعت تحت عنوان "كليات رسائل النور" التي لم تتيسر لها أن ترى طريقها إلى المطابع إلا بعد سنة ١٩٥٤م.

لبّى الأستاذ النُوْرْسي نداء ربه الكريم في الخامس والعشرين من رمضان المبارك سنة ١٣٧٩هـ الموافق ٢٣ آذار (مارس) ١٩٦٠م فدفن في مدينة "أورفا"..

---

[١] الشعاعات، ص: ٥١٥.

ولكن السلطات العسكرية الحاكمة آنذاك لم تدعه يرتاح حتى في قبره؛ إذ قاموا بعد أربعة أشهر من وفاته بنبش القبر ونقل رفاته بالطائرة إلى جهة مجهولة، فأصبح قبره مجهولا حتى الآن لا يعرفه الناس.

تغمده الله برحمته الواسعة وأسكنه فسيح جناته.

والسؤال الذي يرد هو:

ما هي رسائل النور:

سأجيب عن هذا السؤال بما سطّره يراع أساتذة كرام:

يقول الأستاذ الدكتور عشراتي سليمان (جامعة وهران) في كتابه " النورسي في رحاب القرآن":

"رسائل النور كينونة فكرية وروحية متكاملة"[١] .

ويقول في كتابه "سيمياء الشكل والصميم": "لم يترك القرآنُ بصمته الذهبية على روح النُّوْرْسي فحسب، بل لقد حمل تراثه برمته تلك البصمة، إذ جاءت آثارُ القرآن وخصائصُه البنائية والمنهجية والأدائية ملموسةً في النص النوري: تكرار تثبيتي، استدعاء توجيهي، استرسال تكميلي، تمثيل توضيحي، تخشيع، تذكير، تبصير، إدهاش، تحسيس بالطبيعة والكون، تركيز على التوحيد، جعْلُ الإنسان محور الوجود وغاية المخاطبات".[٢]

أما الأستاذ أديب إبراهيم الدباغ فيصف "رسائل النور" بقوله:

---

[١] النورسي في رحاب القرآن، عشراتي سليمان، ط٢ دار سوزلر للنشر- مصر ٢٠١١. ص ٥.

[٢] بديع الزمان النورسي، سيمياء الشكل والصميم، عشراتي سليمان،. مطبعة النسل – إسطنبول ٢٠٠١. ص: ٥.

"..فحدَّةُ الذهن، وسعة التخيل، ويقظة البديهة، وحضور القلب، مقدّمات لا بُدَّ منها بين يدي "الرسائل" لكونها فكراً إبداعياً حافزياً لم يسبقه تمهيد أو توطئة، فيصدم الذهن بشكل حادّ، ويهزّ أوتار القلب المسترخية، ويَرُجَّ أمواج الروح الساكنة، ويرفع القارئ فجأةً وعلى حين غِرَّة من مشاغل يومه، واهتمامات أَمْسِهِ وغَدِه، إلى مسائل الأبدية التي تتجاوز أعمار الأكوان وأعمار الأجيال، وهو أمرٌ عظيم لا يقدر على معالجته إلاَّ فكر عظيم، كما لا يقوى على استقباله واستيعابه إلاَّ ذهن متفتح، وروح متحفز، ونفس مشتعلة، ووجدان مشرق، وبديهة فطنة، وضمير ذكي.

ويكفي أن نعلم أنَّ "الرسائل" إنما هي "صدى صوت القرآن"، فهي مكتوبة من ضياء قلب صاحبها وعقله، فقارئها لا تخطئه من خلال سطورها نفحات القرآن ولمعاته وسانحاته ورشحاته ونضحاته.[1]

أمثلة من واقع الحياة

لقد قضى النورسي أغلب حياته غريبا عن أهله وموطنه، حيث ترك أهله وعمره تسع سنوات ولم يعد إلى موطنه طوال حياته البالغة ثلاث وثمانين سنة. فحياته تعدّ نموذجا جيدا للمغتربين. وقد سجل سيرة حياته ومعاناته بدقائقها تسجيلا ممزوجا بمشاعره وأحاسيسه توظيفا لإنقاذ الإيمان الذي جعله هدف حياته ونثرها في ثنايا رسائله. وسأورد مثالين فحسب من "رسائل النور" ليكونا نموذجين لمن يشعر بالغربة. حيث يقول:

"كُنتُ أسيراً في أثناء الحرب العالمية الأولى في مدينة قصيّة، في شمال شرقي روسيا تُدعى "قوصترما". كان هناك جامع صغير للتتار على حافة نهر

---

[1] أديب إبراهيم الدباغ، النهج الروحي في إدراك العمق الإيماني في "رسائل النور". مقالة لم تنشر.

"فولغا" المشهور.. كنت ضَجِراً من بين زملائي الضباط الأسرى، فآثرتُ العزلة، إلاّ أنه لم يكن يُسمح لي بالتجوال في الخارج دون إذن ورخصة، ثم سُمح لي بأن أظلَّ في ذلك الجامع بضمانة أهل حيّ التتار وكفالتهم، فكنت أنام فيه وحيداً، وقد اقترب الربيع، وكانت الليالي طويلة جداً في تلك البقعة النائية..

كان الأرقُ يصيبني كثيراً في تلك الليالي الحالكة السواد، المتسربلة بأحزان الغربة القاتمة، حيث لا يُسمع إلاّ الخريرُ الحزين لنهر "فولغا"، والأصوات الرقيقة لقطرات الأمطار، ولوعةُ الفراق في صفير الرياح.. كل ذلك أيقظني -مؤقتاً- من نوم الغفلة العميق..

ورغم أنني لم أكن أعدّ نفسي شيخاً بعدُ، ولكن من يرى الحرب شيخٌ، حيث أيامُها يَشيب من هولها الولدانُ، وكأن سراً من أسرار الآية الكريمة: ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ (المزمل: ١٧) قد سرى فيها. ومع أنني كنت قريباً من الأربعين إلاّ أنني وجدتُ نفسي كأنني في الثمانين من عمري..

في تلك الليالي المظلمة الطويلة الحزينة، وفي ذلك الجو الغامر بأسى الغربة، ومن واقعي المؤلم الأليم، جثم على صدري يأسٌ ثقيل نحو حياتي وموطني، فكلما التفتُّ إلى عجزي وانفرادي انقطع رجائي وأملي. ولكن جاءني المدد من القرآن الكريم.. فردد لساني: ﴿ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (آل عمران: ١٧٣).

وقال قلبي باكياً:

أنا غريبٌ.. أنا وحيد.. أنا ضعيف.. أنا عاجز.. أنْشُد الأمانَ.. أطلب العفوَ.. أخطب العون.. في بابك يا إلهي.

أما روحي التي تذكرتْ أحبابي القدامى في بلدي، وتخيلتْ موتي في هذه الغربة، فقد تمثلت بأبيات نيازي المصري، وهي التي تبحث عن صديق:

مررت بأحزان الدنيا، وأطلقت جناحي للحرمان

طائراً في شوق، صائحاً في كل لحظة:

صَدِيق! صديق..!

على أية حال.. فقد أصبح "عجزي" و"ضعفي" في تلك الليالي المحزنة الطويلة والحالكة بالفرقة والرقة والغربة وسيلتين للتقرب إلى عتبة الرحمة الإلهية، وشفيعين لدى الحضرة الإلهية، حتى إنني لا أزال مندهشاً كيف استطعت الفرارَ بعد أيام قليلة. وأقطع بصورة غير متوقعة مسافة لا يمكن قطعها مشياً على الأقدام إلاّ في عام كامل، ولم أكن ملمّاً باللغة الروسية. فلقد تخلصت من الأسر بصورة عجيبة محيّرة، بفضل العناية الإلهية التي أدركتني بناء على عجزي وضعفي، ووصلت إسطنبول ماراً بـ"وارشو" و"فينا". وهكذا نجوت من ذلك الأسر بسهولة تدعو إلى الدهشة، حيث أكملت سياحة الفرار الطويل بسهولة ويسر كبيرين، بحيث لم يكن لينجزها أشجع الأشخاص وأذكاهم وأمكرهم وممن يلمّون باللغة الروسية".[1]

ومثال آخر، يقول النورسي:

"إن مفارقتي لأحبائي الكثيرين خلال عمري الذي ناهز الخمسين ولا أملك سوى تذراف الدموع وراءهم هي غربة تفوق غربتي عن موطني.. وإني لأشعر في هذه الليلة غربة أكثر حزناً وأشد ألماً من غربتي على هذا الجبل الذي توشّح بالغربة والحزن، فشيخوختي تنذرني بدنوي من موعد فراق نهائي عن الدنيا وما فيها، ففي هذه الغربة المكتنفة بالحزن، ومن خلال هذا الحزن الذي يمازجه الحزن، بدأتُ أبحث عن نور، وعن قبس أمل، وعن باب رجاء،

---

[1] اللمعات، ص: ٣٣١.

وسرعان ما جاء "الايمان بالله" لنجدتي ولشد أزري، ومنحني أنساً عظيماً بحيث لو تضاعفت آلامي ووحشتي أضعافاً مضاعفة لكان ذلك الأُنس كافياً لإزالتها.

فما دام هو سبحانه موجوداً ينظر إليك فكل شيء موجود لك. والغريب حقاً والوحيد أصلاً هو ذلك الذي لا ينتسب إليه بالإيمان والتسليم، أو لا يرغب في ذلك الانتساب".[1]

من القواعد الأساسية لإزالة الخلافات:

١- أسلوب الاستثناء دون التعميم

تستل الرسائل الطيبين من مجموع الخبثاء، وتستنقذ الفكر الجيد من بين الجماعات والهيئات التي أثير حولها غبار الشبهات، وهكذا نرى عملية التحليل والفرز والاستثناء هي في مقدمة أي كلام حول موضوعات يختلط فيها النافع بالضار، والطيب بالخبيث، مما يجعل القارئ يشعر في هذا الأسلوب، التجرد الكامل والموضوعية الحقة. فلا يلتبس إذن أمرُ الطيب النافع بالخبيث المضر، ولا يؤخذ البريء بجريرة المتهم أو المجرم. فالهجوم إذن لا ينصب إلاّ على الخبثاء دون الطيبين من الأشخاص الرسميين أو العلماء أو الطوائف أو الأحزاب أو الأفكار أو الفئات.

لماذا الاختلاف؟ وما الحل؟

يثير الأستاذ النورسي هذا السؤال:

"لماذا يختلف أصحاب الدين والعلماء وأرباب الطرق الصوفية وهم أهل حق ووفاق ووئام بالتنافس والتزاحم، في حين يتفق أهل الدنيا والغفلة بل أهل الضلالة والنفاق من دون مزاحمة ولا حسد فيما بينهم؟.

---

[1] اللمعات، ص: ٣١٠.

خلاصة الجواب:

"إن أهل الهداية والدين وأصحاب العلم والطريقة لأنهم يستندون إلى الحق والحقيقة، ولأن كلاً منهم أثناء سيره في طريق الحق لا يرجو إلاّ رضى ربه الكريم ويطمئن إليه كل الاطمئنان، وينال عزة معنوية في مسلكه نفسه، إذ حالما يشعر بضعف ينيب إلى ربه دون الناس، ويستمد منه وحده القوة، زد على ذلك يرى أمامه اختلاف المشارب مع ما هو عليه، لذا تراه لا يستشعر بدواعي التعاون مع الآخرين بل لا يتمكن من رؤية جدوى الاتفاق مع مخالفيه ظاهراً ولا يجد في نفسه الحاجة إليه. وإذا ما كان ثمة غرورٌ وأنانية في النفس يتوهم المرء نفسه محقاً ومخالفيه على باطل فيقع الاختلاف والمنافسة بدل الاتفاق والمحبة، وعندها يفوته الإخلاصُ ويحبط عمله ويكون أثراً بعد عين.

والعلاج الوحيد لهذه الحالة، والحيلولة دون رؤية نتيجتِها الوخيمة هو في تسعة أمور آتية:

١ - العمل الإيجابي البنّاء، وهو: عملُ المرء بمقتضى محبته لمسلكه فحسب، من دون أن يرد إلى تفكيره، أو يتدخل في علمه عداءُ الآخرين أو التهوينُ من شأنهم، أي لا ينشغل بهم أصلاً.

٢ - عليه أن يتحرى روابط الوحدة الكثيرة التي تربط المشارب المعروضة في ساحة الإسلام -مهما كان نوعها- والتي ستكون منابع محبة ووسائل أخوة واتفاق فيما بينها فيتفق معها.

٣- اتخاذ دستور الإنصاف دليلاً ومرشداً، وهو: إن صاحبَ كل مسلك حق يستطيع القول: "إن مسلكي حق وهو أفضل وأجمل" من دون أن يتدخل في أمر مسالك الآخرين، ولكن لا يجوز له أن يقول: "الحق هو مسلكي

فحسب" أو "إن الحسن والجمال في مسلكي وحده" الذي يقضي على بطلان المسالك الأخرى وفسادها.

٤- العلم بأن الاتفاق مع أهل الحق هو أحد وسائل التوفيق الإلهي وأحد منابع العزة الإسلامية.

٥ - الحفاظ على الحق والعدل بإيجاد شخص معنوي؛ وذلك بالاتفاق مع أهل الحق للوقوف تجاه أهل الضلالة والباطل الذين أخذوا يُغِيرون بدهاء شخص معنوي قوي في صورة جماعة على أهل الحق -بما يتمتعون به من تساند واتفاق- ثم الإدراك بأن أية مقاومة فردية -مهما كانت قوية- مغلوبةٌ على أمرها تجاه ذلك الشخص المعنوي للضلالة.

٦ - ولأجل إنقاذ الحق من صولة الباطل:

٧ - ترك غرور النفس وحظوظها.

٨ - ترك ما يُتصور خطأً أنه من العزة والكرامة.

٩ - ترك دواعي الحسد والمنافسة والأحاسيس النفسانية التافهة.

بهذه النقاط التسع يُظفَر بالإخلاص ويوفي الإنسان وظيفته حق الوفاء ويؤديها على الوجه المطلوب".[1]

عداء الإنسان لأخيه الإنسان ظلمٌ

يخاطب الأستاذ النورسي مَن يحمل عداء لأخيه المؤمن فيقول:

"فيا من امتلأ صدرُه غِلاً وعداءً لأخيه المؤمن، ويا عديم المروءة! هب أنك في سفينة أو في دار ومعك تسعةُ أشخاص أبرياء ومجرم واحد. ورأيت من يحاول إغراق السفينة أو هدم الدار عليكم، فلا مراء أنك -في هذه الحالة- ستصرخ بأعلى

---

[1] اللمعات، ص: ٢١٠.

صوتك محتجّاً على ما يرتكبه من ظلم قبيح، إذ ليس هناك قانون يسوّغ إغراق سفينة برمتها ولو كانت تضم مجرمين طالما فيها بريء واحد.

فكما أن هذا ظلم شنيع وغدرٌ فاضح، كذلك انطواؤك على عداء وحقد بالمؤمن الذي هو بناء رباني وسفينة إلهية، لمجرد صفةٍ مجرمة فيه، تستاءُ منها أو تتضرر، مع أنه يتحلى بتسع صفات بريئة بل بعشرين منها: كالإيمان والإسلام والجوار.. ألخ. فهذا العداء والحقد يسوقُك حتماً إلى الرغبة ضمناً في إغراق سفينة وجوده، أو حرق بناء كيانه. وما هذا إلاّ ظلم شنيع وغدرٌ فاضح.

دساتير لإزالة العداء:

الدستور الأول: عندما تعلم أنك على حق في سلوكك وأفكارك يجوز لك أن تقول: "إن مسلكي حق أو هو أفضل" ولكن لا يجوز لك أن تقول: "إن الحق هو مسلكي أنا فحسب". لأن نظرك الساخط وفكرَك الكليل لن يكونا محكّاً ولا حَكَماً يقضي على بطلان المسالك الأخرى، وقديماً قال الشاعر:

وَعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ وَلٰكِنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْدِى الْمَسَاوِيَا [1]

الدستور الثاني: "عليك أن تقول الحقَّ في كل ما تقول، ولكن ليس لك أن تذيع كل الحقائق. وعليك أن تصدق في كل ما تتكلمه، ولكن ليس صواباً أن تقول كل صدق". لأن مَنْ كان على نية غير خالصة -مثلك- يُحتمل أن يثير المقابلَ بنصائحه فيحصل عكس المراد.

الدستور الثالث: إن كنت تريد أن تعادي أحداً فعادِ ما في قلبك من العداوة، واجتهد في إطفاء نارها واستئصال شأفتها. وحاول أن تُعادي مَن هو أعدى عدوك

---

[1] لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب (أدب الدنيا والدين والبيت منسوب للإمام الشافعي أيضا. (ديوان الشافعي ص٩١) طبعة دار النور، بيروت. وفيه: كما أن عين السخط. ص٣٧)

وأشدّ ضرراً عليك، تلك هي نفسُك التي بين جنبيك. فقاوم هواها، واسعَ إلى إصلاحها، ولا تعادِ المؤمنين لأجلها. وإن كنتَ تريد العداء أيضاً فعادِ الكفار والزنادقة، فهم كثيرون. واعلم أن صفة المحبة محبوبةٌ بذاتها جديرة بالمحبة، كما أن خصلة العداوة تستحق العداء قبل أي شيء آخر".

الدستور الرابع: إن الذين يملأ قلوبهم الحقد والعداوة تجاه إخوانهم المؤمنين إنما يظلمون أنفسهم أولاً، علاوة على ظلمهم لإخوانهم، وفضلاً عن تجاوزهم حدود الرحمة الإلهية، حيث إنه بالحقد والعداوة يوقع نفسه في عذاب أليم، فيقاسي عذاباً كلما رأى نعمة حلّت بخصمه، ويعاني ألماً من خوفه. وإن نشأت العداوة من الحسد فدونه العذاب الأليم، لأن الحسد أشد ايلاماً للحاسد من المحسود حيث يحرق صاحبه بلهيبه، أما المحسود فلا يمسه من الحسد شيء، أو يتضرر طفيفاً".[1]

والله نسأل أن يوفقنا إلى حسن القصد وصحة الفهم وصواب القول وسداد العمل.

وصل اللّهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

* * *

[1] المكتوبات، ص: ٣٢٩.

من التغيير إلى التحرير [1]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين وعلى آله وأصحابه أجمعين؛ وبعد

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

توطئة

عهدي مع الشيخ الجليل عبد الحميد بن باديس رحمه الله تعالى يعود إلى ما قبل أكثر من أربعين سنة فقد قرأت كتابا جُمع فيه تفسير مجموعة من آيات جليلة للشيخ فشدّني إلى الاستمرار في القراءة عذوبة لغته العربية وسلاستها وفتوحاته القلبية. وبخاصة تفسيره أن القران الكريم "مبينٌ" في كل عصر بيانا يواكب فهم ذلك العصر فهو مبين إلى يوم القيامة. ومن شدة إعجابي بأسلوبه اقتبست منه الدعاء الذي يختم به كل موضوع وجعلته دعاءً ختام كل ما كتبته وهو:

"والله نسأل أن يوفقنا إلى حُسن القصد وصحة الفهم وصواب القول وسداد العمل وصلِّ اللّهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلِّم".

أما عن الشيخ الجليل البشير الإبراهيمي فلم أحظ برؤيته ولكن سمعت عن كلامه الطيب ممن شاهدوه لدى زيارته للعراق.

---

[1] بدعوة من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من٦-٨ مايس ٢٠١٥.

وأصارحكم أيها الإخوة الأساتذة أنه ليست لي قراءة جادة تستحق أن يكتب بها بحثا علميا أكاديميا في "مجالس التذكير" رغم اقتنائي لها. حيث دفعني القدر الإلهي فضلاً منه وكرماً إلى ترجمة "رسائل النور" لبديع الزمان سعيد النورسي من اللغة التركية إلى اللغة العربية في تسعة مجلدات استغرقت اثنتا عشرة سنة.

هذا وقد اقترح عليّ بعض الإخوة الأساتذة أن أعقد مقارنة بين هؤلاء الأئمة العظام. ففكرت في الأمر ووجدتني أقل شأنا بكثير من أن أقوم بهذا العمل، لأني لم أحط علما على أغلب مراحل حياة الشيخين ولا على سير دعوتهما إلى القرآن إحاطة تامة، ولا أرغب أن يكون البحث مبتورا لا يليق بمقامهما الرفيع. فقلت: من الأفضل أن أعطي القوس باريها، وأضع أمام الأساتذة الأفاضل خلاصة موجزة عن محطات حياة النورسي وعن منهج دعوته إلى الإيمان والقرآن بما يمكن أن يعينهم في عقد المقارنة، لعل الله يهيئ لأحدهم القيام بهذا العمل. مع أمنيتي الشديدة ألاّ يجنح أحد قطعا إلى التفاضل فيما بينهم. لأن كلاً منهم في موقعة ذروة. ذلك لأن كلاً منهم يصدق عليه أنه:

رجل أعزل لا يملك إلا الإخلاص لله يخوض غمار الجهاد أمام طاغوت مدجج بأنواع من الأعتدة، ويوفّق في مسعاه بتوفيق من الله تعالى، فيتغير وجه التاريخ.

رجل القدر في حياة أمة [1]

لقد عصفت بتركيا أحداث جسام فعاشت دوراً حالكاً جداً من الطغيان الغاشم والعداء الصريح الشرس للدين والسعي المتواصل لمحاولة إطفاء نور الله وإمحاء

---

[1] اقتباس من اسم الكتاب الذي ألفه أخونا الأستاذ أورخان محمد علي في سيرة حياة الأستاذ النورسي.

شريعته، تحت أسماء مختلفة، في هذا الوسط الحالك المدلهم بالخطوب ظهر تفسير جديد بمنهج جديد إنقاذاً لإيمان الأمة المنكوبة..

يقول النورسي: "ساقني القدر الإلهي إلى طريق عجيب، صادفتُ في سيري فيه مهالك ومصائب وأعداء هائلةً. فاضطربتُ، فالتجأت بعجزي إلى ربي.. فأخذت العنايةُ الأزلية بيدي، وعلّمني القرآنُ رشدي، وأغاثتني الرحمة فخلصتني من تلك المهالك".[1]

فبعد سقوط الدولة العثمانية، وفي الفترة التاريخية الحاسمة (أي منذ سنة ١٩٢٢م) سُنّت قوانين وقرارات لقلع الإسلام من جذوره وإخماد جذوة الإيمان في قلب الأمة. فأُلغيت السلطنة العثمانية في (١٩٢٢/١١/١) وأعقبها إلغاء الخلافة في (١٩٢٤/٣/٣) وأُلغيت الحروف العربية فأصبحت الأمة بأسرها أُميا بين عشية وضحاها فبُدّلت الحروف العربية في الكتابة إلى الحروف اللاتينية ومُنع تدريس الدين في المدارس كافة، وحُرم الأذان الشرعي والإقامة للصلاة باللغة العربية. ومُنع القيام بأي نشاط أو فعالية في صالح الإسلام، إذ حُظر طبع الكتب الإسلامية، وأُرغم الناس على تغيير زيهم إلى الزي الأوروبي، فالرجال أُرغموا على لبس القبعة والنساء على السفور والتكشف.

وشُكّلت محاكم زرعت الخوف والرعب في طول البلاد وعرضها، ونصبت المشانق لعلماء أجلاّء، ولكل من تُحدثه نفسه بالاعتراض على السلطة الحاكمة. فساد جوٌ من الذعر والهلع في أرجاء البلاد، حتى أصبح الناس يخفون القرآن الكريم عن أنظار موظفي الدولة. وأُسست معاهد للإلحاد باسم المعاهد القروية لتخريج مدرسين ملاحدة، ونشطت الصحافة في نشر الابتذال في الأخلاق والاستهزاء بالدين، فانتشرت كتب الإلحاد.

---

[1] المثنوي العربي النوري، ص ١٠٤.

وقد حدثت ثورات ضد السلطة الحاكمة آنذاك في أنحاء مختلفة من البلاد[١] وأُخمدت جميعها.

ففي هذا المنعطف التاريخي الخطير قيض الله سبحانه وتعالى بفضله وكرمه بديع الزمان سعيد النورسي المولود في مطلع القرن الهجري الماضي ١٢٩٣هـ (١٨٧٦م) فشمّر عن ساعد الجد وبدأ بالإصلاح. والإصلاح عند بديع الزمان سعيد النورسي يبدأ بنفس الإنسان ثم يسري إلى الآخرين، إذ يقول: "إنّ مَن عجز عن إصلاح نفسه فهو عن غيرها أعجزُ".[٢] لذا كان في مراقبة دائمة مع نفسه والقيام بإصلاحها، ثم التوجه إلى الآخرين، وفق ما يأمر به القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وبما يناسب كل مرحلة من مراحل حياته التي تتميز بمرحلتين؛ مرحلة سعيد القديم التي تبدأ من ولادته (١٨٧٦م) إلى إلغاء الخلافة (١٩٢٤م) حيث تبدأ مرحلة سعيد الجديد إلى نهاية العمر (١٩٦٠م)، وهي المرحلة التي رفع النورسي فيها شعار إنقاذ الإيمان؛ حيث إن الإيمان أصبح في خطر داهم نتيجة قيام النظام الحاكم آنذاك بطمس معالم الإسلام في جميع مناحي الحياة باسم القوانين وتحت ستار العلمانية.

يقول عن نفسه بعد هذه الفترة:

"إلى هنا كانت حياتي طافحة بخدمة البلاد، وفق ما كنت أحمله من فكرة خدمة الدين عن طريق السياسة. ولكن بعد هذه الفترة ولّيت وجهي كلياً عن الدنيا، وقبرت "سعيداً القديم" - حسب اصطلاحي - وأصبحت سعيداً جديداً يعيش كلياً للآخرة... صرفتُ كل همي ووقتي إلى تدبّر معاني القرآن الكريم...

---

[١] ففي سنة ١٩٢٥مثلاً حدثت: في سيواس في ١٩٢٥/١١/١٤، وأرضروم في ١٩٢٥/١١/٢٥، ومرعش في ١٩٢٥/١١/٢٧، وريزة في ١٩٢٥/١١/٢ وأخمدت كلها بالقوة، ٥٢٦. (سيرة ذاتية) ص: ٢٥٤.

[٢] الكلمات، ص: ٢٩٧.

أخذتني الأقدار نفياً من مدينة إلى أخرى.. وفي هذه الأثناء تولدت من صميم قلبي معانٍ جليلة نابعة من فيوضات القرآن الكريم.. أمليتُها على مَن حولي من الأشخاص، تلك الرسائل التي أطلقت عليها اسم "رسائل النور". إنها انبعثت حقاً من نور القرآن الكريم. لذا نبع هذا الاسم من صميم وجداني، فأنا على إقتناع تام ويقين جازم بأن هذه الرسائل ليست مما مضغته أفكاري وإنما هي إلهام إلهي أفاضه الله سبحانه على قلبي من نور القرآن الكريم، فباركت كل مَن استنسخها، لأنني على يقين أن لا سبيل إلى حفظ إيمان الآخرين غير هذه السبيل... وهكذا تلقفتها الأيدي الأمينة بالاستنساخ والنشر...".[1]

فالقضية إذن ليست قضية جزئية موضعية في فرد أو أفراد، بل هي قضية كلية عامة شاملة تتعلق بإيمان الملايين من أبناء الجيل المقبل، وتتعلق بالحياة الأبدية لشعب كامل، حتى دفعت تلك المنظمات الإلحادية الجيل الناشئ - ولا سيما طلاب المدارس-إلى نسيان ماضي أجدادهم المليء بالجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله، وذلك بكلام براق في الظاهر لكي يقطعوا صلتهم بالإسلام، حتى هيأوا جواً ملائماً لإقرار نظام إلحادي سافر.

فينبغي إذن وضع تلك الأيام الحالكة القاسية الرهيبة نصب العين لدى دراسة دعوة الأستاذ النُورسي وخدمته للقرآن والإيمان.

نعم، لقد تزعزعت قلاع الإيمان التقليدية وتصدعت أمام هجمات هذا العصر الرهيب، ونأى الإيمانُ عن الناس وتستر بحجب وأستار، مما يستوجب على كل مؤمن أن يملك إيماناً تحقيقياً قوياً جداً كي يمكّنه من المقاومة والثبات وحده تجاه هجوم الضلالة هجوماً جماعياً.

فرسائل النور تؤدي هذه الوظيفة، في أحلك الحالات وأشدها رهبة، وفي

---

[1] الشعاعات، ص: ٥١٤.

أحوج الأوقات وأحرجها، فتنجز خدماتها الإيمانية بأسلوب يفهمه الناس جميعاً. وقد أثبتت أعمق حقائق القرآن والإيمان وأخفاها ببراهين قوية، حتى أصبح كل طالبِ نورٍ وفيٍّ صادق يحمل في قلبه الإيمان التحقيقي كأنه قطب مخفيّ من أقطاب الأولياء وركيزة معنوية للمؤمنين، وذلك لخدماته الإيمانية في القرية أو القصبة أو المدينة التي يقيم فيها. ورغم أنهم غير معروفين وغير ظاهرين ولا يلتقيهم أحد فقد صار كل منهم بعقيدته المعنوية القوية كضابط شجاع في الجيش يبعث مدداً معنوياً إلى قلوب أهل الإيمان فيبث فيهم وينفخ روح الحماس والشجاعة"[١].

ويمكننا أن نرى وسيلتين بارزتين للإصلاح في حياة بديع الزمان سعيد النورسي وهما:

الوسيلة الأولى للإصلاح: رسائل النور

الوسيلة الثانية: الإصلاح العلمي (مشروع مدرسة الزهراء)

الوسيلة الأولى للإصلاح: رسائل النور

فما رسائل النور وكيف تقوم بالإصلاح؟

يقول النورسي: "إن رسائل النور برهان باهر للقرآن الكريم، وتفسير قيّم له، وهي لمعة براقة من لمعات إعجازه المعنوي، ورشحة من رشحات ذلك البحر، وشعاع من تلك الشمس، وحقيقة ملهمة من كنز علم الحقيقة، وترجمة معنوية نابعة من فيوضاته.."[٢].

نخلص من هذا أن رسائل النور التي هي ثلاثون ومئة رسالة تفسير لمعاني القرآن الحكيم، وهي تعالج القضايا الأساسية في حياة الفرد والمجتمع، فهي تدور

---

[١] الملاحق ص٢١٢.

[٢] الملاحق، ص: ٢٠٨.

بدلائل متنوعة حول معاني (التوحيد) و(حقيقة الآخرة) و(صدق النبوة) و(عدالة الشريعة) إلى آخره من الأمور التي هي من مقاصد القرآن الكريم.

ويفصّل الأستاذ النورسي كيف توصل إلى القرآن بعد حفظه لاكثر من ثمانين كتاباً من أمهات الكتب، نقتطف منه الآتي:

"لقد أصبح ما يقرب من تسعين كتاباً حفظته مدارج للصعود إلى حقائق القرآن الكريم. ولما بلغتُ تلك الحقائق شاهدت أن كل آية كريمة تحيط بالكون وتستوعبه. فلقد كفاني القرآن الكريم مراجعة أي شيء آخر".[١]

فألّف النورسي رسائل النور في ظل منهج قرآني حكيم. وهو منهج يقوم على ثلاث قراءات: القرآن الكريم المتلو، وكتاب الكون العظيم قرآناً منظوراً، وسيدنا الرسول الكريم محمد ﷺ الذي خُلُقه القرآن.

والأستاذ النورسي لا ينقل إلى قراء الرسائل الأركان الإيمانية علوماً نظرية مجردة، أو تصورات ذهنية باردة، وإنما ينقل لهم كيانه القرآني في تجربة كونية معرفية خصبة جداً، ذائبة في القرآن الكريم، إذ يقول:

"ما كتبتُ إلاّ ما شاهدتُ، بحيث لم يبق لنقيضه عندي إمكانٌ وهمي..".[٢]
ويقول:

"لا تحسبنّ أن ما أكتبه شيءٌ مضغته الأفكارُ والعقول. كلا! بل فيضٌ أُفيض على روحٍ مجروح وقلب مقروح، بالاستمداد من القرآن الكريم، ولا تظنه أيضاً شيئاً سيالاً تذوقه القلوبُ وهو يزول. كلا! بل أنوارٌ من حقائق ثابتة انعكست على عقلٍ عليلٍ وقلبٍ مريضٍ ونفسٍ عمي".[٣]

---

[١] سيرة ذاتية، ص: ٨٩.
[٢] المثنوي العربي النوري، ص١٠٤.
[٣] المثنوي العربي النوري، ص٣١٨.

هذا النهج القرآني القويم لم يبقه النورسي في دائرة التجريد الفكري، وإنما حوّله عبر رسائل النور إلى صياغة جيل رباني مخلص لربه، ومحارب لأنانيته يعي ظروف عصره ومشكلاته، ويشعر بالواجب الملقى على عاتقه في ترشيد الإصلاح الاجتماعي والوقوف أمام الطغيان، الذي فرض الحياة المادية الغربية عليهم بقوة الحديد والنار.

سر فاعلية رسائل النور

ربما يرد بالبال سؤال: صحيح أن رسائل النور تفسير متميز للقرآن الكريم يلائم مفاهيم هذا العصر، ولكن أليس هناك تفاسير قيّمة أخرى لأئمة أعلام؟ فأين إذن سر فاعلية رسائل النور حتى استطاعت بفضل الله أن تبني في طول البلاد وعرضها مدرسة إيمانية روحية فكرية متكاملة وارفة الظلال مستقيمة المسالك آتت أكلها بإذن الله في كل مكان ..؟

نعم، إن في رسائل النور سراً عجيباً كأنها تستعيد صياغة القرآن للإنسان صياغة جديدة.

إن كل قارئ لرسائل النور بإمعان يشعر ويحس في كيانه بهذه الصياغة الجديدة بل يكاد يلمسها لمس اليد في نفسه وفي روحه وفي قلبه، حتى إنه يرى بعد مدة من المداومة على القراءة كأنه إنسان جديد؛ عالمُه قد تبدل واتسع، نظرتُه إلى الوجود وإلى الأحداث وإلى كل ما حوله قد تجددت، عالمُه الداخلي قد غمره من الاطمئنان والسكينة والانشراح ما يذكّر بسعادة الآخرة قبل بلوغها، وعندئذ لا يتمالك نفسه من البوح بهذه المشاعر والجدة في كيانه إلى كل قريب وصديق. وهذا أمر واقع لا شك فيه.

ولأجل ذلك، نجح المشروع الإصلاحي النهضوي النورسي في إخراج الشعب عامة من مستنقع الانحراف إلى مروج الإيمان اليانعة. وكل من درس

أوضاع المجتمع التركي في العصر الأخير يدرك ذلك تمام الإدراك.

عوامل فاعلية الرسائل في استعادة صياغة القرآن للإنسان:

إن عوامل هذه الفاعلية كثيرة جداً نذكر بإيجاز:

١- إزالة ركام الشبهات أمام الفطرة:

لا شك أن المخاطب في الوقت الحاضر غيره بالأمس، إذ شنّت عليه الضلالة هجوماً شرساً لتجتث من قلبه جذور الإيمان، وكدّست في عقله ركام الشبهات التي ما أنزل الله بها من سلطان، ووضعت بينه وبين فهم الآيات القرآنية الكريمة والآيات المبثوثة في الآفاق والأنفس، حواجز قاتمة وموانع كثيفة من ظلمات الفكر المادي وتفويض الأمور إلى تأثير الأسباب المادية باسم العلم والثقافة والتقدم، وغرزتها في فكره وذهنه سواء من خلال مناهج دراسية أو عبر قنوات ثقافية وإعلامية المسموعة منها والمرئية. حتى أصبح المخاطب عاجزاً عن اختراق تلك الحواجز وتجاوزها والتخلص منها ليتمكن من التدبر في الآيات الكريمة ويستفيض منها غذاءه الروحي والعقلي.

ولكن بمداومة قراءة الرسائل، والاستفاضة الدائمة منها وتزكية النفس بها، يزول ما علق على فطرته من الركامات، وتُرفع من أمامها تلك الحواجز والموانع التي وضعتها وسائل الضلالة، حتى تسلَم فطرتُه وتُعافى، وتُفتح بصيرتُه وتنفُذ إلى إدراك الحقائق بإذن الله.

٢- النظرة الحرفية للكائنات والأحداث:

يقول الأستاذ النورسي: "اعلم! أنى أحمد الله على أن فتح لي أعاظم مسائل هذه الكائنات بمسألة من النحو، هي الفرق بين "المعنى الحرفي والاسمى"!.. أي هذه الموجودات كلماتٌ دالات على معانٍ في غيرها، أي مكتوباتٌ ربانية

تاليات للأسماء الحسنى، لا إسمية حتى تدل على معنى في نفسها لذاتها".[١]

فالنظرة القرآنية إلى الموجودات تجعل الموجودات جميعها حروفاً، أي أنها تعبّر عن معنى في غيرها، بمعنى أنها تعبّر عن تجليات الأسماء الحسنى والصفات الجليلة للخالق العظيم المتجلية على الموجودات. أما نظرة الفلسفة الميتة فهي تنظر على الأغلب بالنظر الاسمي إلى الموجودات، فتزل قدمها إلى مستنقع الطبيعة".[٢]

٣- تمزيق أستار الألفة والعادة:

تقتفي رسائل النور أثر القرآن العظيم في تمزيقه لغطاء العادة والمألوف، إذ ما أن يطالع المرء رسائل النور ويداوم على قراءتها حتى يشاهد أن الأستار المانعة لرؤية الحقائق وحُجُبَها الملقاة على الموجودات والأحداث تتمزق أمامه وتتلاشى، فيرى معجزات القدرة الإلهية وخوارق العادات في عين العاديات من الأمور والأشياء التي أصبحت شفافة تشف عما تحتها ووراءها، فيرى من خلال حجب الأسباب الظاهرية للأحداث والوقائع، الأسبابَ الحقيقية للقدر الإلهي والحكمة الربانية. فلا يضطرب تجاه الحوادث ولا يقلق أمام المصائب والنوائب.

وهكذا بتحرره من النظر السطحي العابر، وبزوال ركام الشبهات والحواجز، وتزكية نفسه ينفتح أمامه باب واسع جداً وهو:

٤-التعامل مع معاني الأسماء الحسنى:

وذلك بعدما بدأ ينظر إلى الموجودات بالمعنى الحرفي حيث تفتقر إلى

---

[١] المثنوي العربي النوري، ص ٣٥٢.

[٢] الملاحق، ص ٩٠.

معنى في ذاتها ويحتاج لمعرفة ماهيتها إلى اسم من الأسماء الحسنى؛ حتى تصبح هذه النظرة لديه مَلَكة. إذ يشعر أنه يزاول تعاملاً ذوقياً وقلبياً وروحياً وفكرياً مع معاني الأسماء الحسنى، لا تعاملا نظريا، بل استكشافياً، فيشاهد أنوار تجليات تلك الأسماء فيما حوله من موجودات، وفي الحوادث اليومية، لكثرة ما تضع الرسائل بين يديه من ضرب الأمثال الحياتية الواقعية، فيحيا بتلك المعاني الجميلة بعقله وقلبه وروحه بل بجميع لطائفه وأحاسيسه ومشاعره.

وبهذا تصبح الموجودات والحوادث لقارئ الرسائل مظاهر لتجليات الأسماء الحسنى ومكاتيب ربانية مفتوحة يفهم منها معانيها الحقيقية، حتى لا يبقى مجال للغفلة عن المولى الكريم، بل يكسب بالتأمل فيها مرتبة من الاطمئنان واسعة سعة الكون، وتفتح أمامه عبودية دائمة وواسعة سعة الكون.. وعندها تتحول أنواع العلوم التي يقرؤها من خلال مناهج دراسية وأشكال الثقافة التي يتلقاها عبر قنوات ثقافية وإعلامية المسموعة منها والمرئية إلى أدوات لمعرفة الله ونوافذ تطل على التوحيد. وكلما عاود القراءة، ظهرت له من معاني الأسماء الحسنى أكثر، وأتته حقائقها تترى في تجاربه اليومية وفي معاملاته الحياتية. وكلما انسكبت أنوار من تلك المعرفة الإلهية إلى روح طالب النور ونفذت إلى قلبه انعكست في سلوكياته وتصرفاته، حتى تطفح على محياه.

علاوة على ذلك تنعش الرسائل روحَ القارئ وتغرز في قلبه وترسخ في عقله أصولاً إيمانية وموازين قرآنية، مما يعينه على اجتياز العقبات التي تجابهه وحل المشكلات التي تقابله.

وربما تحدث هذه العوامل؛ من تمزق أستار العادة أمام نظر القارئ وزوال ركام الشبهات عن فطرته واكتسابه موازين قرآنية وتعامله مع معاني الأسماء الحسنى، لدى دراسته رسالة واحدة من رسائل النور .. وربما تحدث باطلاعه

على عدد من الرسائل إن أراد المزيد، فيغنم فراسة صادقة وبصيرة نافذة وأنواعاً من السعادة الحقة، والسرور الخالص، والنعمة التي ما بعدها نعمة، واللذة التي لا تفوقها لذة.. في معرفة الله.. في محبة الله.

٦- الحضور الأخروي:

يقول الأستاذ النورسي: " إن هذا العصر العجيب الذي أثقل كاهل الإنسان بالحياة الدنيوية بما كثّر عليه من متطلبات الحياة وضيّق عليه مواردَها، وحوّل حاجاته غير الضرورية إلى ضرورية بما ابتلاه من تقليد الناس بعضهم بعضاً ومن التمسك بعادات مستحكمة فيهم، حتى جعل الحياة والمعاش هي الغاية القصوى والمقصد الأعظم للإنسان في كل وقت. هذا العصر العجيب أسدل بهذه الأمور حجاباً دون الحياة الدينية والأخروية والأبدية، أو في الأقل جعلها أمراً ثانوياً أو ثالثياً بالنسبة له.."[١]

الوسيلة الثانية: الإصلاح العلمي (مشروع مدرسة الزهراء)

لقد علم النورسي أيام شبابه من والي منطقة "وان" المرحوم "طاهر پاشا" أن أوروبا تحيك مؤامرة خبيثة حول القرآن الكريم، إذ سمع منه أن وزير المستعمرات البريطاني قد قال: "ما دام هذا القرآن بيد المسلمين فلن نحكمهم حكماً حقيقياً، فلنسعَ إلى نزعه منهم". فثارت ثائرته واحتدّ وغضب.. فجعل جميع العلوم المتنوعة المخزونة في ذهنه مدارجَ للوصول إلى إدراك معاني القرآن الكريم وإثبات حقائقه. ولم يعرف بعد ذلك سوى القرآن هدفاً لعلمه وغايةً لحياته. وأصبحت المعجزة المعنوية للقرآن الكريم دليلاً ومرشداً وأستاذاً له. حتى إنه أعلن لمن حوله: "لأبرهنّ للعالم بأن القرآن شمس معنوية

---

[١] الملاحق، ص ١٤٥.

لا يخبو سناها ولا يمكن إطفاء نورها".[١] فشدّ الرحال إلى إسطنبول عام (١٩٠٧م)، وقدّم مشروعاً إلى السلطان عبد الحميد الثاني رحمه الله لإنشاء جامعة إسلامية في شرقي الأناضول، أطلق عليها اسم "مدرسة الزهراء" –على غرار الأزهر الشريف– تنهض بمهمة نشر حقائق الإسلام وتدمج فيها دراسة العلوم الدينية مع العلوم الكونية الحديثة على وفق مقولته:

"ضياءُ القلب هو العلوم الدينية، ونورُ العقل هو العلوم الحديثة، فبامتزاجهما تتجلّى الحقيقة، فتتربّى همةُ الطالب وتعلو بكلا الجناحين، وبافتراقهما يتولد التعصب في الأولى والحيَل والشبهات في الثانية".[٢]

وبين الأسباب الموجبة لهذا المشروع، إنشاء مدرسة الزهراء، هو لأجل:

- ألّا تفسد العنصريةُ، ودعوى القومية، الأقوام في البلدان العربية والهند وايران والقفقاس وتركستان وكردستان، وبإنماء الروح الإسلامية التي هي القومية الحقيقية الصائبة السامية الشاملة فتنال شرف الامتثال بالدستور القرآنى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات: ١٠).
- وكذلك لتتصافح العلوم الحديثة مع الدين.
- وتتصالح الحضارة الاوروبية مع حقائق الإسلام مصالحة تامة.
- ولتتفق المدارس الحديثة وتتعاون مع المدارس الشرعية في الأناضول.

وباندلاع الحرب العالمية الأولى كان طبيعيا أن يهبّ بديع الزمان في طليعة المجاهدين، فشكّل فرقاً فدائية من طلابه واستمات معهم في الدفاع عن حمى الوطن في جبهة القفقاس، وجُرح في المعارك مع الروس وأُسر واقتيد

---

[١] سيرة ذاتية، ص: ٨٩.

[٢] صيقل الإسلام، ص٤٢٨.

شبه ميت إلى (قوصتورما) من سيبيريا روسيا حيث قضى سنتين وأربعة أشهر، هيأ له الله في أثناء (الثورة البلشفية) الانفلات، فعاد إلى بلاده واستُقبل استقبالا رائعاً من قبل الخليفة وشيخ الإسلام والقائد العام وطلبة العلوم الشرعية ومُنح وسام الحرب. وكلّفته الدولة العثمانية بتسنّم بعض الوظائف، رفضها جميعاً إلاّ ما عينته له القيادة العسكرية من عضوية في "دار الحكمة الإسلامية"، التي كانت لا توجّه إلاّ لكبار العلماء، فنشر في هذه الفترة أغلب مؤلفاته باللغة العربية منها: تفسيره القيّم "إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز"، الذي ألفّه في خِضَمّ المعارك، و"المثنوي العربي النوري".

وهكذا توقف مشروع مدرسة الزهراء، ولكن النورسي يقول:

تحقق مشروع مدرسة الزهراء برسائل النور منهجاً وطلاباً:

فـ"المولى القدير أسس برحمته الواسعة الخصائص المعنوية لتلك المدرسة وهويتها في "إسپارطة" فأظهر "رسائل النور" للوجود. وسيوفق -إن شاء الله- طلاب النور إلى تأسيس الجهة المادية لتلك الحقيقة أيضاً.[١] ولكن لما كان هناك موانع كثيرة جداً تحول دون إنشاء مدرسة الزهراء بصورتها المادية، فهي الآن الدائرة الشاملة لطلاب النور...

فطلاب النور في الجامعة يمثلون "سعيدين" شباب، فهم يؤدون مهمة مدرسة الزهراء حق الأداء، سواءً في إسطنبول أو في أنقرة، ولا يدعون حاجة إلى هذا السعيد الضعيف".[٢]

---

[١] الملاحق، ص١٢٦.

[٢] الملاحق، ٣٣٦ ،

ما ينبغي العمل به للإصلاح في هذا العصر

الأول: الحيلولة دون تسرب ما يخل الإخلاص

يقول النورسي: "إن أعظم خطر على المسلمين في هذا الزمان هو فساد القلوب وتزعزع الإيمان بضلال قادم من الفلسفة والعلوم. وإن العلاج الوحيد لإصلاح القلب وإنقاذ الإيمان إنما هو النور وإراءة النور. فلو عُمل بهراوة السياسة وصولجانها وأُحرز النصر، تدنّى أولئك الكفار إلى درك المنافقين. والمنافق -كما هو معلوم- أشدُّ خطراً من الكافر وأفسدُ منه. فصولجان السياسة إذن لا يُصلح القلب في مثل هذا الوقت، حيث يُنزل الكفرَ إلى أعماق القلب ويتستر هناك وينقلب نفاقاً ".[١] ويقول:

"إن أعظم قوة لرسائل النور تجاه معارضيها الكثيرين، هي الإخلاص. فالرسائل مثلما لا تكون أداة لأي شيء في الدنيا، لا تهتم أيضاً بالتيارات التي تنبني على مشاعر الانحياز والموالاة ولاسيما للتيارات السياسية. وذلك لأن عرق الانحياز يفسد الإخلاص ويغير لون الحقيقة. حتى إن السبب في تركي السياسة منذ ثلاثين سنة، هو أن عالماً صالحاً قد أثنى بحرارة على منافق يحمل فكراً ينسجم مع فكره السياسي، وفي الوقت نفسه انتقد عالماً صالحاً يحمل أفكارا تخالف أفكاره، انتقاداً شديداً حتى وصمه بالفسق".[٢]

والثاني: الحفاظ على أمن البلاد وعدم الإخلال بالنظام.

يقول النورسي مراراً: "..أما نحن طلاب النور فإننا نسعى لمعاونة الإدارة وإقرار الأمن والنظام وإحراز السعادة للأمة والوطن. والذين يجابهوننا هم

---

[١] اللمعات، ص: ١٤٦.

[٢] الملاحق، ص٣١٧،

إرهابيون ملحدون أعداء الأمة والوطن".[١]

ومن هنا، نستطيع القول أنه رغم تصديه للغزو الخارجي ببطولة نادرة في الحرب العالمية الأولى، إلا أنه يرى أن الإصلاح الأساس في الداخل هو إحياء سنة الرسول ﷺ والأخلاق الإسلامية إلى جانب الإصلاح المتعلق بالعلم والترقي والحضارة. وإن محاربة "الجهل، والفقر، والاختلاف"، هي أهم الخواص التي لها مكانة في مضمون الإصلاح في نظره.

الإصلاح من الفرد إلى المجتمع (الحركة الإيجابية البنّاءة)

اكتسب المعارضون للإسلام قوة في الحكم مع تأسيس الجمهورية سنة ١٩٢٣م، وبدأوا يستخدمون إمكانات الدولة في فرض نظام أجنبي على المجتمع المسلم في تركيا بالقوة. وباختصار احتلت الفلسفة المادية مكان الإسلام في مرافق الدولة كلها. فأدرك النورسي يقيناً منذ البداية أنه لا يمكن العمل مع القادة الجدد لتركيا في الدائرة السياسية التي قبلوها. لذلك ابتعد عن الحياة الاجتماعية والسياسية. وبدأ بإصلاح معنوي.

ووضّح الأهمية المركزية لمفهوم "الإصلاح المعنوي" في منهج رسائل النور لتلاميذه في "الدرس الأخير" الذي ألقاه عليهم قبل رحيله إلى الآخرة، إذ قال لهم:

"إن وظيفتنا هي العمل الإيجابي البنّاء وليس السعي للعمل السلبي الهدام. والقيام بالخدمة الإيمانية ضمن نطاق الرضى الإلهي دون التدخل بما هو موكول أمره إلى الله. إننا مكلّفون بالتجمل بالصبر والتقلّد بالشكر تجاه كل ضيق ومشقة تواجهنا وذلك بالقيام بالخدمة الإيمانية البنّاءة التي تثمر الحفاظ على الأمن والاستقرار الداخلي".

---

[١] الشعاعات، ص: ٥٣٤.

أقول متخذاً من نفسي مثالاً: إنني لم أنحن تجاه التحكم والتسلط منذ القدم. وهذا ثابت بكثير من الحوادث. فمثلاً: عدم قيامي للقائد العام الروسي، وكما أنني لم أعر أية أهمية على أسئلة الباشوات في ديوان المحكمة العسكرية العرفية الذين كانوا يهددوني بالشنق والإعدام. وطوري هذا تجاه القواد الأربعة تُبين عدم قبولي للتحكم والتسلط. إلاّ أنني قابلت المعاملات الشائنة بحقي منذ ثلاثين سنة الأخيرة بالرضى والقبول، ذلك من أجل السعي للعمل الإيجابي والاجتناب عن السعي للعمل السلبي لئلاّ أتدخل بما هو موكول أمره إلى الله. بل قابلتها بالرضى والصبر الجميل اقتداءً بنبي الله جرجيس عليه السلام وبالصحب الكرام الذين قاسوا كثيراً في غزوة بدر وغزوة أحد.

فمثلاً: إنني لم أدعُ حتى على المدعي العام الذي اتخذ علينا القرار الجائر رغم أنني قد أثبت أخطاءه البالغة واحداً وثمانين خطأً. لأن المسألة الأساسية في هذا الزمان هو الجهاد المعنوي، وإقامة السد المنيع أمام التخريبات المعنوية، وإعانة الأمن الداخلي بكل ما نملك من قوة.

" نعم، إن في مسلكنا قوةً، إلاّ أننا لم نقم باستعمالها إلاّ في تأمين الأمن الداخلي. لذا قمت طوال حياتي بتحقيق الأمن الداخلي اتباعا لدستور الآية الكريمة: ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ (الأنعام: ١٦٤). إن هذه القوة لا يمكن استعمالها إلاّ ضد الهجمات الخارجية. إن وظيفتنا -وفق دستور الآية الكريمة المذكورة- هي الإعانة على ضمان الأمن الداخلي بكل ما نملك من قوة".

وأقول كجلال الدين خوارزم شاه: "إن وظيفتي هي الخدمة الإيمانية، أما النصر أو الهزيمة فمن الله سبحانه". وإنني قد تلقيت درس التقلّد بالإخلاص التام من القرآن الكريم.

أجل، يستوجب مجابهة الهجمات الخارجية بالقوة، لأن أموال العدو وذراريه تكون بمثابة غنيمة للمسلمين. أما في الداخل فالأمر ليس هكذا. ففي

الداخل ينبغي الوقوف أمام التخريبات المعنوية بشكل إيجابي بناء، بالإخلاص التام. إن الجهاد في الخارج يختلف عما هو في الداخل. وقد أحسن إليّ المولى سبحانه وتعالى بملايين من الطلاب الحقيقيين. فنحن نقوم بالعمل الإيجابي البناء بكل ما نملك من قوة في سبيل تأمين الأمن الداخلي. فالفرق عظيم بين الجهاد الداخلي والخارجي في الوقت الحاضر.

وهناك مسألة أخرى في غاية الأهمية. وهي أن متطلبات المدنية الدنية (الدنية بالنسبة لأحكام القرآن الكريم) في يومنا هذا قد زيّدت الحاجات الضرورية من الأربعة إلى العشرين. فجعلت الحاجات غير الضرورية بمثابة الحاجات الضرورية بالإدمان والاعتياد والتقليد. فتجد من يفضل الدنيا على الآخرة رغم إيمانه بها لانهماكه بالأمور المعاشية والدنيوية ظناً منه أنها ضرورة.

ويوضح المقصود من " العمل الإيجابي البنّاء" أنه:

١ - عمل المرء بمقتضى محبته لمسلكه فحسب، من دون أن يرد إلى تفكيره، أو يتدخل في علمه عداء الآخرين أو التهوين من شأنهم، أي لا ينشغل بهم أصلاً.

٢ - بل عليه أن يتحرى روابط الوحدة الكثيرة التي تربط المشارب المعروضة في ساحة الإسلام -مهما كان نوعها- والتي ستكون منابع محبة ووسائل أخوة واتفاق فيما بينها فيتفق معها.

٣- واتخاذ دستور الإنصاف دليلاً ومرشداً، وهو: أن صاحب كل مسلك حق يستطيع القول: "إن مسلكي حق وهو أفضل وأجمل" من دون أن يتدخل في أمر مسالك الآخرين، ولكن لا يجوز له أن يقول: "الحق هو مسلكي فحسب" أو طإن الحسن والجمال في مسلكي وحده" الذي يقضي على بطلان المسالك الأخرى وفسادها.

٤- العلم بأن الاتفاق مع أهل الحق هو أحد وسائل التوفيق الإلهي وأحد منابع العزة الإسلامية.

٥ - الحفاظ على الحق والعدل بإيجاد شخص معنوي، وذلك بالاتفاق مع أهل الحق للوقوف تجاه أهل الضلالة والباطل الذين أخذوا يغيرون بدهاء شخص معنوي قوي في صورة جماعة على أهل الحق - بما يتمتعون به من تساند واتفاق - ثم الإدراك بان أية مقاومة فردية - مهما كانت قوية - مغلوبة على أمرها تجاه ذلك الشخص المعنوي للضلالة.

٦ - ولأجل إنقاذ الحق من صولة الباطل:

٧ - ترك غرور النفس وحظوظها.

٨ - وترك ما يُتصور خطأً أنه من العزة والكرامة.

٩ - وترك دواعي الحسد والمنافسة والأحاسيس النفسانية التافهة."[١]

نخلص مما سبق:

إن القصد الأساس لبديع الزمان في القيام بالإصلاح، هو:

-إنقاذُ الإيمان وتجديده في النفوس وجعله موافقاً ومفهوماً لدى المؤمنين وخصوصاً الذين تعرضوا للفلسفة المادية الجاحدة..

-كذا إنشاءُ الحضارة الإسلامية من جديد. وإحياؤها، ووضعُ الأسس التي تشكلها.

هذا الإيمان هو أساس "الحركة الإيجابية البنّاءة" التي هي المحصلة الثانية للإصلاح عند بديع الزمان، وهي التي تشكل الكفاح تجاه الدمار المعنوي الذي

---

[١] اللمعات، ص: ٢١٠.

تؤدي إليه الأفكار الإلحادية العالمية التي تمهد لها الفلسفة المادية. ومثل هذه الحركات أو التيارات في حرب طاحنة مع الإسلام، وهي في سعي دائم لنشر الفوضى، ودفع البلاد والعباد إلى اللااستقرار؛ لذلك فإن الوظيفة الأولى لطلبة رسائل النور هي المحافظة على الأمن تجاه الإثارات المقصودة والاستفزازات المتواصلة، ودفع تسلط الظلم، سعياً لتحقيق وحدة بناء المجتمع وتعاون أفراده. ولهذا لم تسجل الشرطة حتى حادثة واحدة سلبية على طلاب النور طوال السنين.

فالسبيل الوحيد هي في ترسيخ مبادئ الإسلام وحقائق القرآن بنشر رسائل النور، التي تتناول الحقائق الإيمانية والمواضيع المتعلقة بها، وتثبتها بالأدلة المنطقية والعقلية، بحيث تكون هذه الحقائق لدى القارئ واضحة جلية. وردّ الفلسفة المادية الغربية الجاحدة، وإثبات أن القرآن هو المنبع الحقيقي الوحيد الذي يؤمّن سعادة الإنسانية ويضمن رقيها. كل هذه الأمور توضَّح وتفصَّل في رسائل النور في ضوء الآيات القرآنية والكونية المبثوثة في الكون. وبهذه الوسيلة تجمع بين حقائق الدين والعلوم المعاصرة، وتثبت هذه الحقائق في ضوء العلم. وتدعو الإنسان إلى التفكر والنظر في الآيات الإلهية المتجلية في الآفاق والأنفس، وبهذا تفتح آفاقا واسعة جداً للتفكر في تجليات الأسماء الحسنى الإلهية، وهذه تكاد تكون خاصية ملازمة لرسائل النور.

ونستطيع أن نقول باختصار أن رسائل النور تقدم تفسيراً للدين يوافق إنسان هذا العصر، ويخاطب عقله وسائر لطائفه الرقيقة والعميقة، وتجيب على احتياجات الإنسان في هذا الزمان. وتبين أنواعا من الإصلاح بما يقتضيه كل مرحلة من مراحل الحياة المتنوعة.

وهكذا على الرغم من أن العاملين برسائل النور لا ينتظرون أي شيء مقابل عملهم لله، إلا أنه سبحانه وتعالى قد أجرى على أيديهم فضلاً منه وكرماً،

أعمالاً جليلة في تركيا، لسلوكهم هذا النهج الحركي السليم بالعمل الإيجابي البنّاء الخالص لله والمنسجم مع الشريعة الفطرية، والأخذ بالتدرج الفطري وتجنب الخوض مع التيارات الجارية.. إذ في ظله انتشرت رسائل النور، وغزت العقول والقلوب والأرواح بجهاد معنوي كبير وشامل انتهى إلى تكوين جيل مؤمن انطلق في المجتمع ينشر حقائق الإيمان و الإسلام بالتلمذة على رسائل النور فيما أسسه من مدارس النور ومن دورات تحفيظ القرآن الكريم ومن المدارس الابتدائية والثانوية ومن المؤسسات الثقافية والعلمية،. وأمثالها من الثمار الكثيرة. والفضل لله أولاً وآخراً، والمنة والحمد له وحده.

ويؤكد الأستاذ الدكتور طه عبد الرحمن هذا النهج بل يجعله نهجا لإنقاذ الإنسانية، فيقول:

"...ومن هنا، يظهر جليا أن البُعْد الذي يكتسبه إنتاج بديع الزمان لا ينحصر في تركيا حيث آثار الفلسفة "الكانطية" قد فعلت فعلها وبدَّلت قِيَم أهلها تبديلا، ولا هو ينحصر في الأمة الإسلامية التي تفككت أوصالها وفقدت وِجهتها، وإنما يتعدى ذلك إلى العالم بأسْره لِيُنقذ الإنسان، خاصِيّه وعامِيّه، من سلطان فكر فلسفي أضر بوجوده في هذا العالم؛ ومن كان هذا عمله، فما أجدر به أن يُعدَّ في حكماء العالم الذين رفعوا همة الإنسان إلى الاضطلاع بأمور روحه كاضطلاعه بأمور جسمه، ومهدوا الطريق إلى تجديده، فاستوى إنسانا آخر في عالم آخر".[1]

وقد صدع الأستاذ النورسي والظلام قد خيم على العالم الإسلامي:

"نعم، كونوا على أمل؛ إن اعظم صوت داوٍ في انقلابات المستقبل هو

---

[1] النور للدراسات الحضارية والفكرية – العدد ١في١/ ٢٠١٠ .

صوت الإسلام الهادر".[١]

والله نسأل أن يوفقنا إلى حسن القصد وصحة الفهم وصواب القول وسداد العمل.

وصل اللّهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

* * *

[١] صيقل الإسلام، ص ٣٦٠.

دور رسائل النور
في استعادة صياغة القرآن للإنسان [1]

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد،

عَقِبَ المحاضرة التي ألقيتها عن ترجمة رسائل النور من اللغة التركية إلى اللغة العربية في قاعة كلية الآداب في الدار البيضاء بالمغرب. سألني أحد الطلبة قائلا:

"ما الذي دفعك للقيام بهذا المجهود الضخم بترجمة كليات رسائل النور في تسعة مجلدات من اللغة التركية إلى العربية، فإن جميع المصادر الإسلامية هي باللغة العربية ومنها تُترجم إلى اللغات الأخرى، فما الذي دفعك بالسير المخالف هذا؟."

وكان جوابي جملة قصيرة:

أخلاق طلاب النور وسلوكهم الإسلامي. وعندنا كل من قرأ رسائل النور هو طالب النور، ولا أزكّي على الله أحداً.

---

[1] بحث نشر في مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية، العدد ١٣في١/ ٢٠١٦م.

نعم، عند لقائي طلاب النور في سنوات السبعينات لمست الإسلام حياً نابضاً ومعيشاً في حلّهم وترحالهم، بل اكتشفت فيهم صفاء الإيمان ونقاء الوفاء وصدق الإخلاص ودوام العطاء، واستشعرت بالاطمئنان والسكينة تغمران قلوبهم.

لست بدعاً في هذا الإعجاب تجاه هذا الإسلام الحي والإيمان الفتي. فقد لمس هذا الإيمان الحي كثير جداً ممن التقوا طلاب النور، وصرحوا به أو كتبوا عما شاهدوه.

فقد عبّر أخونا الأديب "أديب إبراهيم الدباغ" بقلمه السيال عن هذا السلوك الإيماني بعد ما خالطهم لمدة وجيزة فكتب قائلا:

"عندكم - يا أخوتي- وجدنا عظمة أصولنا الإيمانية وهي تشع بالنضارة والرّي.. وفي رياضكم وقفنا على منابت جذورنا القرآنية وهي تموج بالخصب وتَسُحّ بالعطاء.. ومن بين أيديكم كنا نتناول أبكار المعاني والأفكار في شَدَهٍ وذهول وكأننا لم نكن نعرف الإيمان قبل أن نرتشف معانيَه من كؤوسكم، ولم نكن نعرف القرآن قبل أن نسمعه من بين شفاهكم.. فلا والله لا أدري ما أقول: أأنتم بالإيمان تحيَون؟ أم يحيا الإيمان بكم؟ وهل بالقرآن تتحركون أم يتحرك القرآن بكم ؟ فمذ عرفناكم عرفنا كيف يتحول الإيمان في نفس المؤمن إلى يقظة وجدان.. وصحوة فكر.. وهزة ضمير.. ولهفة مشتاق.."."[1]

وكتب الأستاذ الدكتور محسن عبد الحميد:

"إنّ من لا يصاحب طلبة النور ولا يخالط أجيالهم الشابة في إيمانهم العميق وهدوئهم البريء، وأخلاقهم العالية ونظافتهم البديعة، ودروسهم الإيمانية المطهرة، لا يعلم مدى عمق أثر الإمام النُّوْرْسي في تربية الجيل الجديد على

---

[1] أديب إبراهيم الدباغ ، سعيد النورسي رجل الإيمان في محنة الكفر والطغيان. ص ١٦، دار نشر الأنوار، اسطنبول ١٩٩٤.

حب الله ورسوله، ثم حب العلم والفكر والعرفان والتغيير".[١]

والأمثلة في هذا كثيرة وكثيرة جداً اكتفيت بهذين المثالين.

وساءلت نفسي: كيف نالوا هذا القدر الوافر من السلوك القويم والإيمان العميق الذي ينعكس نوره حتى على ملامحهم ناهيك عن أعمالهم وحركاتهم، على الرغم من حرمانهم من اللغة العربية بل حتى من الحروف العربية، بعد ما فعلت بهم فؤوس الحقد ومعاول الهدم والتخريب ما فعلت ؟.

لا شك أن السر يكمن في رسائل النور التي يقرأونها ويتدارسونها، ولا شيء غيرها.. فلقد حيل بينهم وبين مصادر الإسلام كافة بتغيير الحروف إلى اللاتينية، بل حيل بينهم وبين القرآن الكريم.. وغدت لهم هذه الرسائل المصدر والمرجع لاستلهام حقائق الإيمان. وبفضل الله سبحانه وتعالى استطاعت هذه الرسائل بروحها القرآنية أن تأخذ بأيدي طلابها من الإيمان التقليدي إلى الإيمان التحقيقي (التصديقي) والعروج بهم إلى معرفة الله سبحانه وتعالى، معرفة مَن يصدُق عليه حديث جبريل عليه السلام الذي سأل رسول الله ﷺ عن الإيمان والإسلام، ثم قال: (ما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنّك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك).[٢]

هذا الإيمان "التحقيقي التصديقي" هو الذي جعل طالب النور وكأنه في معية الله جلّ وعلا "فيفكر دائماً في حضور الخالق الرحيم سبحانه ورؤيته له، أي أنّه حاضر وناظر إليه دائماً. فلا يلتفت عندئذٍ إلى غيره، ولا يستمد من سواه. حيث النظر والالتفات إلى ما سواه يخل بأدب الحضور وسكينة القلب".[٣]

---

[١] مقدمة المؤتمر العالمي الرابع لبديع الزمان سعيد النورسي (نحو فهم عصري للقرآن الكريم:رسائل النور أنموذجاً). سنة ١٩٩٨.

[٢] حديث متفق عليه.

[٣] اللمعات ص٢٤٧.

هذا الإيمان "التحقيقي التصديقي" هو الذي جعل إيمانه بالملائكة إيماناً عميقاً حتى يستشعر وجودهم معه، فيأنس بهم كل حين..حيث أثبتت له رسائل النور وجود الملائكة والعالم الروحاني كثبوت وجود الإنسان والكائنات الأخرى من حوله.

هذا الإيمان "التحقيقي التصديقي" هو الذي جعل محبته للرسول الكريم ﷺ وسنته الشريفة مهيمنة على قلبه لا تغادره ليل نهار حتى في أبسط آدابها، لما تعلم من الرسائل أن "شعاع السنة المطهرة هو الإكسير النافذ، فهي كافية ووافية لمن يبتغي النور، فلا داعي للبحث عن نور في خارجها".[١]

هذا الإيمان "التحقيقي التصديقي" هو الذي جعل الحياة الآخرة عنده كحياة مشهودة شهادة عين وبصيرة، لكثرة ما استلهم من الرسائل من دلائل وجودها ويرى في آفاق الكون والحياة من نظائرها.

هذا الإيمان "التحقيقي التصديقي" هو الذي جعل طالب النور المدقق لا يجد في نفسه ضرورة إلى البحث عن مرشد طريقة ليحصل على الحضور القلبي الدائم والمعرفة الإلهية الدائمة. حيث إن رسائل النور قد بيّنت له أساسا مستفادا من قول الأستاذ:

"إن التوحيد الحقيقي- أسمى بكثير من معرفة تصورية مجردة - فهو حكمٌ وتصديقٌ وإذعانٌ وقبولٌ، بحيث يمكّن المرء من أن يهتدي إلى ربه من خلال كل شيء. و يرى في كل شيء السبيل المنورة التي توصله إلى خالقه الكريم، فلا يمنعه شيء قط عن سكينة قلبه واطمئنانه، واستحضاره لمراقبة ربّه".[٢]

---

[١] اللمعات، ص٩٠.

[٢] الشعاعات ص ١٩٧.

أي أن في كل شيء ابتداء من الذرات وانتهاء إلى المجرات، نافذةً تطل على التوحيد، وفي كل منها دلائل وإشارات تدل مباشرة على الواحد الأحد بصفاته الجليلة.

والأستاذ النُّورْسي لا ينقل إلى قراء الرسائل هذه الأركان الإيمانية علوماً نظرية مجردة، أو تصورات ذهنية باردة، وإنما ينقل لهم كيانه القرآني في تجربة كونية معرفية خصبة جداً، ذائبة في القرآن الكريم، قال رحمه الله:

"ما كتبتُ إلاّ ما شاهدت، بحيث لم يبق لنقيضه عندي إمكانٌ وهمي.."[١]

وقال أيضا:

"لا تحسبن أن ما أكتبه شيء مضغته الأفكار والعقول. كلا! بل فيض أفيض على روحٍ مجروح وقلب مقروح، بالاستمداد من القرآن الكريم، ولا تظنه أيضاً شيئاً سيالاً تذوقه القلوب وهو يزول. كلا! بل أنوارٌ من حقائق ثابتة انعكست على عقلٍ عليلٍ وقلبٍ مريضٍ ونفسٍ عمي".[٢]

ونراه مخاطبا القارئ:

"لا تخف من تمرد النفس؛ لأن نفسي الأمارة المتمردة المتجبرة انقادتْ وذلّلت تحت سطوة ما في هذه الرسالة من الحقائق! بل شيطاني الرجيم أُفحم و انخنس.

كُن مَن شئت، فلا نفسُك أطغى وأعصى من نفسي، ولا شيطانُك أغوى و أشقى من شيطاني".[٣]

---

[١] المثنوي العربي النوري ص١٠٤.

[٢] نفسه ص٣١٨.

[٣] المثنوي العربي النوري ١٤-١٥.

فالرسائل إذن دروس قرآنية توافق هذا العصر تتفجر حيوية وتتدفق أفكاراً حارة. وحيث إن أساتذة فضلاء وعلماء أجلاء قد أثبتوا هذا بدلائل قوية تستحق كل تقدير في بحوثهم العلمية التي قدموها في المؤتمرات العالمية والندوات العلمية العديدة[١]، أحيل إليها وليس لي عليها من مزيد، سوى هذا الذي أقتبسه من كلام الأستاذ الدكتور عشراتي سليمان حيث قال:

"لم يترك القرآن بصمته الذهبية على روح النُّوْرْسي فحسب، بل لقد حمل تراثه برمته تلك البصمة، إذ جاءت آثار القرآن وخصائصه البنائية والمنهجية والأدائية ملموسة في النص النوري: تكرار تثبيتي، استدعاء توجيهي، استرسال تكميلي، تمثيل توضيحي، تخشيع، تذكير، تبصير، إدهاش، تحسيس بالطبيعة والكون، تركيز على التوحيد، جعْلُ الإنسان محور الوجود وغاية المخاطبات".[٢]

سر فاعلية رسائل النور

ربما يرد بالبال سؤال:

صحيح أن رسائل النور تفسير متميز للقرآن الكريم يلائم مفاهيم هذا العصر، ولكن أليس هناك تفاسير قيّمة أخرى لأئمة أعلام ؟ فأين إذن سر فاعلية رسائل النور حتى استطاعت بفضل الله أن تبني في طول البلاد وعرضها مدرسة إيمانية روحية فكرية متكاملة وارفة الظلال مستقيمة المسالك آتت أكلها بإذن الله في كل مكان ..؟

---

[١] انظرالمؤتمر العالمي الثالث والرابع لبديع الزمان سعيد النورسي بإسطنبول أيلول سنة ١٩٩٥و١٩٩٨، والندوة الدولية (جهود بديع الزمان سعيد النورسي في تجديد الفكر الإسلامي) ١٨ مارس ١٩٩٩ جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية في الرباط – المغرب.

[٢] بديع الزمان النورسي: سيمياء الشكل والصميم– المقدمة، مطبعة نسل، إسطنبول ٢٠٠٠.

فالجواب: إن سر الفعالية يكمن فيما يستشعره كلُّ مَن يستمر على قراءة الرسائل، من التغير والتحوّل في قرارة ذاته؛ تحوّلٌ في نفسه، في فكره، بل في كيانه كله، حتى ينعكس على حياته.

وقد مررتُ بهذا التحول بنفسي، كما أفصح لي الكثيرون عما حدث لهم من التحول. وتحريت عن مكمن هذا السر العجيب كثيرا، وسألت عنه الكثيرين ومازلت أبحث وأتحرى. وكما لا يخفى ليس سهلا ذكر ما جرى ويجري من حالات التغير الروحي والتحول الفكري والإنقلاب النفسي، إذ لها خصوصيتها لكل فرد، ولكن الميزة المشتركة لدى الجميع:

أن في رسائل النور سراً عجيباً كأنها تصوغ الإنسان صياغة جديدة بفضل ارتباطها العميق بالقرآن الكريم، مضمونا ومنهجا ومقاصدا.

نعم، إن كل قارئ لرسائل النور بإمعان يشعر ويحس في كيانه بهذه الصياغة الجديدة، بل يكاد يلمسها لمس اليد في نفسه وفي روحه وفي قلبه، حتى إنه يرى بعد مدة من المداومة على القراءة كأنه إنسان جديد؛ عالمُه قد تبدل واتسع، نظرتُه إلى الوجود وإلى الأحداث وإلى كل ما حوله قد تجددت، عالمُه الداخلي قد غمره من الإطمئنان والسكينة والانشراح ما يذكّر بسعادة الآخرة قبل بلوغها، وعندئذ لا يتمالك نفسه من البوح بهذه المشاعر والجدة في كيانه إلى كل قريب وصديق. وهذا أمر واقع لا شك فيه. ولكن ربما يجد فيه من لم يقرأ رسائل النور مبالغة وغلواً ومدحاً وثناءً للرسائل أكثر مما تستحق. إلاّ أن الشاهد على أحقية هذا الكلام ألوف بل مئات الألوف ممن قرأوا ودرسوا رسائل النور، وليس فقط التركية منها بل حتى ترجماتها العربية والإنكليزية وغيرها من الترجمات. علماً أن شاهدَين عدلَين كافيان لإثبات صدق قضية من القضايا. ولما كنت عاجزاً عن بسط هذا الأمر "صياغة رسائل

النور للإنسان" أكثر من هذا، سوف لا أذكر إلاّ بضعة عوامل من هذه الصياغة.. أذكرها باختصار شديد

عوامل فاعلية الرسائل في صياغة الإنسان:

١- إن عوامل هذه الفاعلية كثيرة جداً نذكر منها ستة بإيجاز:

٢- سلوك منهج قرآني في تزكية النفس:

وهو طريق العجز، الفقر، الشفقة، التفكر، طريق قصير سليم وسبيل سوي يمكن أن يعايشه القارئ في حياته اليومية معايشة واقعية، مقتصر على أربع خطوات:

الخطوة الأولى:

كما تشير إليها الآية الكريمة ﴿ فَلاَ تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ (النجم: ٣٢) وهي: عدم تزكية النفس. ذلك لأن الإنسان حسب جبلّته، وبمقتضى فطرته، محبٌ لنفسه بالذات، بل لا يحب إلا ذاته في المقدمة. ويضحي بكل شيء من أجل نفسه، ويمدح نفسه مدحاً لا يليق إلا بالمعبود وحده، وينزّه شخصه ويبرئ ساحة نفسه، بل لا يقبل التقصير لنفسه أصلاً ويدافع عنها دفاعاً قوياً بما يشبه العبادة، حتى كأنه يصرف ما أودعه الله فيه من أجهزة لحمده سبحانه وتقديسه إلى نفسه، فيصيبه وصف الآية الكريمة: ﴿مَن اتّخذ إلهَه هَواه﴾ (الفرقان: ٤٣) فيعجب بنفسه ويعتد بها.. فلابد إذن من تزكيتها فتزكيتُها في هذه الخطوة وتطهيرها هي بعدم تزكيتها.

الخطوة الثانية:

تلقّن الآية الكريمة الإنسان من درس: ﴿ وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (الحشر: ١٩). وذلك: أن الإنسان ينسى نفسه ويغفل عنها، فإذا ما فكر في الموت صرَفه إلى غيره، وإذا ما رأى الفناء والزوال دفعه إلى

الآخرين، وكأنه لا يعنيه بشيء، إذ مقتضى النفس الأمارة أنها تذكر ذاتها في مقام أخذ الأجرة والحظوظ وتلتزم بها بشدة، بينما تتناسى ذاتها في مقام الخدمة والعمل والتكليف. فتزكيتها وتطهيرها وتربيتها في هذه الخطوة هي: العمل بعكس هذه الحالة، أي عدم النسيان في عين النسيان، أي نسيان النفس في الحظوظ والأجرة، والتفكر فيها عند الخدمات والموت.

والخطوة الثالثة:

ترشد إلى الخطوة الثالثة الآية الكريمة: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ (النساء:٧٩) وذلك: إن ما تقتضيه النفس دائماً أنها تنسب الخير إلى ذاتها، مما يسوقها هذا إلى الفخر والعجب. فعلى المرء في هذه الخطوة أن لا يرى من نفسه إلاّ القصور والنقص والعجز والفقر، وأنْ يرى كلّ محاسنه وكمالاته إحساناً من فاطره الجليل، ويتقبلها نعماً منه سبحانه، فيشكر عندئذ بدل الفخر ويحمد بدل المدح والمباهاة. فتزكية النفس في هذه المرتبة هي في سر هذه الآية الكريمة: ﴿قَد أفلَحَ مَنْ زَكّاها﴾ (الشمس:٩).

وهي أن تعلم بأن كمالها في عدم كمالها، وقدرتَها في عجزها، وغناها في فقرها، (أي كمال النفس في معرفة عدم كمالها، وقدرتها في عجزها أمام الله، وغناها في فقرها إليه).

الخطوة الرابعة:

نتعلم الخطوة الرابعة من الآية الكريمة: ﴿كُلُّ شَيءٍ هالكٌ إلاّ وجْهَه﴾ (القصص:٨٨). ذلك لأن النفس تتوهم نفسها حرة مستقلة بذاتها، لذا تدّعى نوعاً من الربوبية، وتضمر عصيانا حيال معبودها الحق. فبادراك الحقيقة الآتية ينجو الإنسان من ذلك وهي: كل شيء بحد ذاته، وبمعناه الاسمي: زائلٌ، مفقود، حادث، معدوم، إلا أنه في معناه الحرفي، وبجهة قيامه بدور المرآة العاكسة

لأسماء الصانع الجليل، وباعتبار مهامه ووظائفه: شاهد، مشهود، واجد، موجود.

فتزكيتها في هذه الخطوة هي معرفة: أن عدمَها في وجودها ووجودَها في عدمها، أي إذا رأت ذاتها وأعطت لوجودها وجوداً، فإنها تغرق في ظلمات عدم يسع الكائنات كلها. يعني إذا غفلت عن موجدها الحقيقي وهو الله، مغترة بوجودها الشخصي فإنها تجد نفسها وحيدة غريقة في ظلمات الفراق والعدم غير المتناهية، كأنها اليراعة في ضيائها الفردي الباهت في ظلمات الليل البهيم. ولكن عندما تترك الأنانية والغرور ترى نفسها حقاً أنها لا شيء بالذات، وإنما هي مرآة تعكس تجليات موجدها الحقيقي. فتظفر بوجود غير متناه وتربح وجود جميع المخلوقات.

نعم، من يجد الله فقد وجد كل شيء، فما الموجودات جميعها إلاّ تجليات أسمائه الحسنى جل جلاله.."[1].

١- إزالة ركام الشبهات أمام الفطرة:

لاشك أن المخاطب في الوقت الحاضر غيره بالأمس، إذ شنّت عليه الضلالة هجوما شرساَ لتجتث من قلبه جذور الإيمان، وكدّست في عقله ركام الشبهات التي ما أنزل الله بها من سلطان، ووضعت بينه وبين فهم الآيات القرآنية الكريمة والآيات المبثوثة في الآفاق والأنفس، حواجز قاتمة وموانع كثيفة من ظلمات الفكر المادي وتفويض الأمور إلى تأثير الأسباب المادية باسم العلم والثقافة والتقدم، وغرزتها في فكره وذهنه سواء من خلال مناهج دراسية أو عبر قنوات ثقافية وإعلامية المسموعة منها والمرئية. حتى أصبح المخاطب عاجزاً عن اختراق تلك الحواجز وتجاوزها والتخلص منها ليتمكن من التدبر في الآيات الكريمة ويستمد باستفاضة غذاءه الروحي والعقلي.

---

[1] الكلمات ص٥٦٠.

ولكن بمداومة قراءة الرسائل، والاستزادة الدائمة منها وتزكية النفس بها، يزول ما علق بفطرته من الركامات، وتُزال من أمامها تلك الحواجز والموانع التي وضعتها وسائل الضلالة، حتى تسلَم فطرتُه وتُعافى، وتُفتح بصيرتُه وتنفُذ إلى إدراك الحقائق بإذن الله.

٢-النظرة الحرفية للكائنات والأحداث:

قال الأستاذ النورسي:

"اعلم! أنى أحمد الله على أن فتح لي أعاظم مسائل هذه الكائنات بمسألة من النحو، هي الفرق بين "المعنى الحرفي والإسمى"!.. أي هذه الموجودات كلماتٌ دالات على معانٍ في غيرها، أي مكتوباتٌ ربانية تاليات للأسماء الحسنى، لا إسمية حتى تدل على معنى في نفسها لذاتها".[١]

وهكذا ورد في كتب النحو تعريف الاسم أنه: ما دلّ على معنى في نفسه. أما الحرف فهو: ما دلّ على معنى في غيره.

"فالنظرة القرآنية إلى الموجودات تجعل الموجودات جميعها حروفاً، أي أنها تعبّر عن معنى في غيرها، بمعنى أنها تعبّر عن تجليات الأسماء الحسنى والصفات الجليلة للخالق العظيم المتجلية على الموجودات.

أما نظرة الفلسفة الميتة فهي تنظر على الأغلب بالنظر الاسمي إلى الموجودات، فتزل قدمُها إلى مستنقع الطبيعة".[٢]

"نعم! إن ذلك الفرقان الحكيم هو الذي يرشد الجن والإنس إلى الآيات الكونية التي سطَّرها قلمُ القدرة الإلهية على صحائف الكون الواسع ودبَجَها

---

[١] المثنوي العربي النوري ص ٣٥٢.

[٢] اللمعات ص ١٧٢، الملاحق ص ٩٠.

على أوراق الأزمنة والعصور. وهو الذي ينظر إلى الموجودات -التي كل منها حرف ذو مغزى- بالمعنى الحرفي، أي ينظر إليها من حيث دلالتها على الصانع الجليل. فيقول: ما أحسنَ خلقه! ما أجملَ خلقه! ما أعظم دلالته على جمال المبدع الجليل. وهكذا يكشف أمام الأنظار الجمالَ الحقيقي للكائنات.

لذا فإن رسائل النور أيضاً تسوق الأمثلة من الموجودات التي يعايشها القارئ للدلالة على الله سبحانه وتعالى، فتجعل لديه "زاوية نظر" ينظر منها إلى الكائنات والأحداث، وهي زاوية "نظر حرفي" أي من حيث دلالتها على الله سبحانه وتعالى.

٣- تمزيق أستار الألفة والعادة:

قال الأستاذ النورسي:

"لما عجز الإنسان بنظره السطحي أن يتذوق ما في جفان الكائنات وصحونها من غذاء روحي مغطى بغطاء الألفة، سئم من لعق الجفان ولَحْس الغطاء. ولم يفده سوى عدم القناعة، والتلهف إلى خوارق العادات والرغبة في الخيالات، مما ولّد لديه الرغبة في المبالغة للتجدد أو الترويج.."."[١]

إلاّ أن الألفة - التي هي أخت الجهل المركب وأمّ النظر السطحي - هي التي عصبت عيون المبالغين. ولا يفتح تلك العيون المعصوبة إلاّ أمر القرآن الكريم بالتدبر والتأمل في الآفاق والأنفس المألوفتين.

نعم! إن نجوم القرآن الثاقبة هي التي تفتح الأبصار وترفع ظلام الجهل وظلمات النظرة العابرة. إذ تمزق الآيات البينات بيدها البيضاء حجاب الألفة والنظر السطحي.."."[٢]

---

[١] صيقل الإسلام، ص ٦٤.

[٢] صيقل الإسلام، ص ٦٣.

فـ" القرآن الكريم، ببيناته القوية النافذة، إنما يمزّق غطاء الألفة وستار العادة الملقى على موجودات الكون قاطبة، والتي لا تُذكر إلاّ أنها عادية مألوفة مع أنها خوارق قدرةٍ بديعة ومعجزاتها العظيمة. فيكشف القرآن بتمزيقه ذلك الغطاء حقائق عجيبة لذوي الشعور، ويُلفت أنظارهم إلى ما فيها من دروس بليغة للاعتبار والعظة، فاتحاً كنزاً لا يفنى للعلوم أمام العقول".[1]

ورسائل النور تقتفي أثر القرآن العظيم في تمزيقه لغطاء العادة والمألوف، إذ ما أن يطالع المرء رسائل النور ويداوم على قراءتها حتى يشاهد أن الأستار المانعة من رؤية الحقائق وحُجُبَها الملقاة على الموجودات والأحداث تتمزق أمامه وتتلاشى، فيرى معجزات القدرة الإلهية وخوارق العادات في عين العاديات من الأمور والأشياء التي أصبحت شفافة تشف عما تحتها ووراءها، فيرى من خلال حجب الأسباب الظاهرية للأحداث والوقائع، الأسبابَ الحقيقية للقدر الإلهي والحكمة الربانية. فلا يضطرب تجاه الحوادث ولا يقلق أمام المصائب والنوائب.

وهكذا بتحرره من النظر السطحي العابر، وبزوال ركام الشبهات والحواجز، وتزكية نفسه ينفتح أمامه باب واسع جداً، نستشفه في الفكرة الموالية.

٤-التعامل مع معاني الأسماء الحسنى:

وذلك بعدما بدأ ينظر إلى الموجودات بالمعنى الحرفي حيث تفتقر إلى معنى في ذاتها ويحتاج لمعرفة ماهيتها إلى إسم من الأسماء الحسنى؛ حتى تصبح هذه النظرة لديه مَلَكة. إذ يشعر أنه يزاول تعاملاً ذوقياً وقلبياً وروحياً وفكرياً مع معاني الأسماء الحسنى، لا تعاملا نظريا، بل استكشافياً، فيشاهد أنوار تجليات تلك الأسماء فيما حوله من موجودات، وفي الحوادث اليومية،

---

[1] الكلمات، ص ١٥٠.

لكثرة ما تضع الرسائل بين يديه من ضرب الأمثال الحياتية الواقعية، فيحيا بتلك المعاني الجميلة بعقله وقلبه وروحه بل بجميع لطائفه وأحاسيسه ومشاعره.

وبهذا تصبح الموجودات والحوادث لقارئ الرسائل مظاهر لتجليات الأسماء الحسنى ومكاتيب ربانية مفتوحة يفهم منها معانيها الحقيقية، حتى لا يبقى مجال للغفلة عن المولى الكريم، بل يكسب بالتأمل فيها مرتبة من الاطمئنان واسعة سعة الكون، وتفتح أمامه عبودية دائمة وواسعة سعة الكون.. وعندها تتحول أنواع العلوم التي يقرؤها من خلال مناهج دراسية وأشكال الثقافة التي يتلقاها عبر قنوات ثقافية وإعلامية المسموعة منها والمرئية إلى أدوات لمعرفة الله ونوافذ تطل على التوحيد. وكلما عاود القراءة، ظهرت له من معاني الأسماء الحسنى أكثر، وأتته حقائقها ترى في تجاربه اليومية وفي معاملاته الحياتية. وكلما انسكبت أنوار من تلك المعرفة الإلهية إلى روح طالب النور ونفذت إلى قلبه انعكست في سلوكياته وتصرفاته، حتى تطفح على محياه.

علاوة على ذلك تنعش الرسائل روحَ القارئ وتغرز في قلبه وترسخ في عقله أصولاً إيمانية وموازين قرآنية، مما يعينه على اجتياز العقبات التي تجابهه وحل المشكلات التي تقابله.

وربما تحدث هذه العوامل؛ من تمزق أستار العادة أمام نظر القارئ وزوال ركام الشبهات عن فطرته واكتسابه موازين قرآنية وتعامله مع معاني الأسماء الحسنى، لدى دراسته رسالة واحدة من رسائل النور.. وربما تحدث باطلاعه على عدد من الرسائل إن أراد المزيد، فيغنم فراسة صادقة وبصيرة نافذة وأنواعاً من السعادة الحقة، والسرور الخالص، والنعمة التي ما بعدها نعمة، واللذة التي لا تفوقها لذة.. في معرفة الله.. في محبة الله.

فهذا النظر إلى الكائنات والأحداث هو نظر قرآني محض، ينقذ الكائنات من الإهمال والعبثية ويجعلها مسخرة في سبيل الله سبحانه، جاعلاً من كل شيء مرآة تعكس أنوار المعرفة الإلهية، فاتحاً في كل شيء نافذة تطل إلى المعرفة الربانية.

٥- الحضور الأخروي:

قال الأستاذ النورسي:

"إن هذا العصر العجيب الذي أثقل كاهل الإنسان بالحياة الدنيوية بما كثّر عليه من متطلبات الحياة وضيّق عليه مواردَها، وحوّل حاجاته غير الضرورية إلى ضرورية بما ابتلاه من تقليد الناس بعضهم بعضاً ومن التمسك بعادات مستحكمة فيهم، حتى جعل الحياة والمعاش هي الغاية القصوى والمقصد الأعظم للإنسان في كل وقت. هذا العصر العجيب أسدل بهذه الأمور حجاباً دون الحياة الدينية والأخروية والأبدية، أو في الأقل جعلها أمراً ثانوياً أو ثالثياً بالنسبة له.."[١]

ولما كانت رسائل النور تستقي من فيض القرآن وتستمد من بحره وترجع إليه، وأن رُبع القرآن الكريم آيات حول الآخرة، فما يفتح القارئ رسالة إلاّ ويجد فيها ما يذكّره بالآخرة تصريحاً أو تلميحاً أو إشارة، بأمثلة واقعية من حياته اليومية، فيغدو "الكون بسر التوحيد، بمثابة مزرعة تهيئ محاصيل وفيرة جداً لعالم الآخرة ومنازلها.. وبمثابة مصنع عظيم يهيئ لوازم لطبقات دار السعادة من أعمال بشرية غنية بمحاصيلها.. وبمثابة جهاز تصوير سينمائي دائب عظيم يضم مئات الألوف من أجهزة الالتقاط لالتقاط صور من الدنيا وعرضها مناظر سرمدية لأهل عالم البقاء ولأهل الشهود في الجنة".[٢]

فضلا عن أنه تعلّم من الرسائل أن الآخرة ليست منتهى الدنيا، بل هي

---

[١] الملاحق ص ١٤٥.

[٢] الشعاعات ص ١٥.

موجودة الآن فتُرسل إليها أعماله وأقواله في كل آن، وصدق الله العظيم : ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ (فاطر:١٠).. وبهذا يتكامل حسّه الأخروي، فتكون الآخرة قريبة إليه كأنه يشاهدها مشاهدة عين وبصيرة ويعايشها معايشة حياتية.

وصدق أخونا الدكتور فريد الأنصاري رحمه الله في وصفه طلاب النور: "إن طلاب النور يشعرونك أنك أمام عمّال الآخرة. إن أنداء الجنة تفوح من قلوبهم وهم يمارسون مهامهم".[١]

٦- الشعور بالعناية الربانية:

إن كل مؤمن صادق يشعر بلا شك أنّه تحت رعاية الله وعنايته الربانية، ولكن شعور قارئ رسائل النور شعور حيّ ملازم له حيث يرى آثار هذه العناية باستمرار وكأنها لا تفارقه، إذ يستشعرها دائماً بأحاسيسه المتيقظة ولطائفه المتنبهة، حتى لكأن العناية الربانية تأخذ بيده وتهديه إلى سواء السبيل.. هكذا تمضي حياة قارئ رسائل النور في يقظة شعورية مع اطمئنان قلبي وراحة نفسية. حتى إذا ما غفل وفتر عن العمل القرآني لسبب من الأسباب بمقتضى بشريته وأخطأ فالعناية الربانية توقظه بـ"لطمة رحمة ورأفة" كما يعبّر عنها الأستاذ النورسي الذي قال: "إن العاملين المخلصين في هذه الخدمة القرآنية لما يعتريهم الفتور والإهمال في العمل يأتيهم التحذير والتنبيه فيتلقون لطمة ذات رأفة وعطف، وينتبهون من غفلتهم، ويسرعون بجد للخدمة مرة أخرى..".[٢]

نخلص مما سبق: إنّه بهذه العوامل التي ذكرناها وهي قليل من كثير من عوامل النجاح، وهي عوامل متمازجة وليست متسلسلة، تفعل الرسائل فعلها

---

[١] جريدة التجديد المغربية العدد ١٢١

[٢] اللمعات، ص٦٧.

في تطهير ذهن القارئ وتحريك قلبه وتوجيه عقله وتنبيه روحه فيصبح خادماً حقاً للقرآن، في أخلاقه، في سلوكه، في كلامه، في عمله، في تفكيره، في جميع تصرفاته. ولا نزكّي على الله أحداً.والله نسأل أن يوفقنا إلى حسن القصد وصحة الفهم وصواب القول وسداد العمل. وصل اللّهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

* * *

رسائل النور أنموذج متكامل
لتقديم الإسلام إلى الإنسان المعاصر [1]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين وعلى آله وأصحابه أجمعين؛ وبعد

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مقدمة

حالة الإنسان النفسية بصفة عامة في الوقت الحاضر هي أسوأ بكثير من حالته في القرون السابقة، إذ كان بإمكانه في الماضي الرجوع إلى دينه ليجد سبيله والفرار إلى خالقه ليضمد جراحه أو يسكن حيرته. فأصبح الإنسان في هذا العصر لا يعرف كيفية رفع يديه إلى السماء، وبالتالي أمسى هاويا لا يعرف ما نهايته ومن أين يستمد قوته.

يذكر المفكر النصراني بول تليخ (Paul Tillich. 1965) في تحليله الفكر العلمي التقني والعقل الحديث، اللذين تميزت بهما "الحداثة"، فلاحظ بأن هذا العقل الأفقي، أي الفاقد للاتجاه العمودي نحو السماء، يتميز هذا العقل بتعاطيه

---

[1] نشر في مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية، العدد ٢٠في١/ ٢٠٢٠. وقد ألقي في مؤتمر (الإسلام والمسلمون في القرن الخامس عشر الهجري) باتنة – الجزائر في ٣/ ٢٠٠٤.

السببية متماديا في علاقاتها اللامتناهية، من دون أن يتوقف على المعاني المنطوية في مظان انتظاماتها، لأن كل ما يهمّه هو التحكم والسيطرة والبطش والتسلط على حركة الأكوان ومعادنها، ومن دون أن يسأل -هذا العقل- لماذا هذا التحكم وما الغرض من ورائه [1].

وينظر هذا العقل -حسب هذا المفكر الأمريكي- إلى المخلوقات من حيث هي أشياء تدخل في عبارة رياضية أو عملية حسابية، كأن العقل لم يُخلق إلاّ من أجل هذه التجريدات الجافة، وكأن الكون لم يُخلق إلا لجلب المنافع المادية وما شابهها.

إن انفراد العقل العلمي التقني الذي غلب على الحداثة بهذه الأوصاف وهذه الأفعال وانغماسه فيها بطريقة شبه كلية جعلته يفقد توازنه، لأن هذه الأوصاف جاءت على حساب أوصاف وكمالات عقلية أخرى.

ويرى "تليخ" أن السبب الأكبر وراء الأزمة الأخلاقية التي يمر بها إنسان الغرب يعود في أغلبها إلى ذلك العقل الأفقي الحسابي التحكمي الذي اندفع متماديا يركض وراء الأقمار والأجرام من دون أن يقف عند معاني ما هو بصدد الغور فيه. فمعاني الأشياء ليست في "أنفسها" بل في ما تدل عليه "بإشارتها".ومن هنا يرى هذا المفكر أن هناك علاقة وطيدة بين "أزمة المعنى" و"أزمة الأخلاق".

يأتي الإنسان فيسأل: ما معنى وجودي ووجود الكائنات التي من حولي؟ كيف أكون إنسانا في عالم يسوده الوحش والعدم والشر؟ من أين أتيت وإلى أين أنتهي؟ وما نقطة استمدادي واستنادي في تلك الحالات ؟ وكيف أنجو

(1) Paul Tillich, *The Irrelevance and Relevance of the Christian Message*. Ed, Durwood Foster, Ohio: The Pilgrim Press, 1996, p, 24-25.

بحياتي وأفكّ سلاسل الأسباب وحتميتها المغلقة؟ وكيف أحصل على الأمل وماذا بالأمل؟ كيف أتخلص من هذا الأسى الذي يعذبني ويأبى أن يغادرني؟ ثم لا يجد معرفة تسلي عن همومه أو تقضي على شكوكه أو تشفي غليله[١].

وهكذا نرى كيف أصبح العقل -الذي هو نعمة إلهية- وبالاً على الإنسان، فهو يتقلب في هذه الأحوال ليس أمامه إلاّ إسكاته. وهذه هي بداية الأزمة الأخلاقية. ذلك أن إسكات العقل لن يتم إلاّ بتخديره أو تغفيله أو تزييفه وإخراجه عن فطرته.

قال هذا المفكر النصراني:"ياليت رجال الدين يضعوا تلك الأسئلة نصب أعينهم ويَدَعوا لتلك الأنينات ممراً لآذانهم حتى تطرق أسماعهم، إذ خدمة الدين في الغرب اليوم تتمحور حولها". ثم يتأسف لعدم وجود من يجتهد في البحث عن الجواب الشافي لها أو حتى الإصغاء لها[٢].

ويأتي العالم النفساني الشهير اليهودي فكتور فرانكل Viktor Frankel ليعزز هذه الملاحظات. فقد اشتهر فرانكل بكتابه "الإنسان ومعضلة معنى الحياة" Man Search for Meaning الذي أحدث انقلابا كبيرا في علم النفس خلال العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين. لما سئل هذا المفكر كيف يفسر الرواج الكبير الذي نالته أطروحاته في هذا الكتاب؟ كان جوابه: إن السؤال الذي أصبح يشغل الإنسان أكثر من أي وقت مضى والغاية التي أصبحت تحفز سلوكه ليست هي "إشباع الشهوة" كما زعمه "فرويد" ولا هي رغبة التنافس وابتغاء القوة كما أدلى به "أدلير" ولكن غايته هي الوصول إلى

---

[١] نفس المصدر، ص ١٣.

[٢] نفس المصدر، ص ٤٠.

فهم معنى الحياة أو قل معنى الوجود الذي من حوله[١]. فإذن الإقبال الذي ناله كتابه من قبل العامة والخاصة -وإن لم يكن دليلا كافيا على صحة نظريته- يبقى بالنسبة لنا شاهدا قويًا على أن في المجتمع الغربي أو بالأحرى في قلب الإنسان الغربي حرقة يريد إطفاءها وفي جنبيه ازعاجات يبغي إزالتها.

ما دور المسلمين في الإنقاذ؟

وبعد هذه المقدمة التي بيّنت لنا تشخيص بعض مفكري الغرب الأمراض والأزمات الخُلقية والفكرية في إنسان العصر وخاصة في مجتمعاتهم يأتي سؤالنا: ما هو دور المسلمين اليوم وماذا يمكن لهم أن يقدموه تجاه هذه الأزمة الحضارية؟ وإذا فرضنا أن رسائل النور كإنتاج إيماني قرآني مرشّح من بين إنتاجات فكرية إسلامية أخرى أن تساهم في الهداية الإيمانية فما هي يا ترى مؤهلات هذه الرسائل؟

أجاب عن تساؤلنا الدكتور كولن تورنر Colin Turner الأستاذ في جامعة مانشستر بإنكلترة، والذي اهتدى إلى الإسلام سنة ١٩٧٥ حيث سأل السؤال نفسه في بحثه القيم الذي ألقاه في المؤتمر الأول لبديع الزمان سعيد النورسي بإسطنبول [٢]:

"السؤال : ماذا نستطيع نحن المسلمين أن نقدم للغرب ؟.

ثم يجيب عنه محللاً: كل شيء ... أو لا شيء .

فنحن نملك الإيمان والإسلام وهما كل شيء، بيد أن فهمنا وتفسيرنا

---

(١) Viktor. E. Frankel, *Man Search for Meaning*. Eng Trans by Ilse Lasch, New York: Touchstone, انظر ص ١٠٤، ١١٠

(٢) المؤتمر العالمي الأول لبديع الزمان سعيد النورسي "مكانة فكر بديع الزمان سعيد النورسي في الفكر الإسلامي". في ١٦/ ٣ / ١٩٩١ بإسطنبول.

للإسلام في كثير من الأحيان لا يسمن ولا يغني من جوع". ويذكر أنه في إحدى المظاهرات التي نظمتها الجالية المسلمة بلندن تقدم إليه أحدهم ليستفسره عن شعار كان يرفعه المتظاهرون، وهو شعار "لا إله إلا الله"، فأجابه "تورنر" بأن معناه "لا يوجد إله إلا الله". لكن السائل لم يقتنع بهذا الجواب الذي اعتبره مجرد ترجمة للشعار، "وعند ما تبين عجزي كان هناك صمت طويل ومحرج"[1]، الأمر الذي دفعه ليشد الرحال بحثا عن الجواب الشافي لمعنى "لا إله إلا الله". ويستطرد قائلاً:

"عادة ما يكون المهتدون متحمسين جدا لمعرفة كل ما يمكنهم معرفته حول دينهم الجديد وفي أقصر مدة ممكنة. لذا فبعد بضع سنوات من اهتدائي توسعت مكتبتي بسرعة، فقد كان هناك الكثير لأتعلمه، وكانت هناك كتب عديدة مستعدة لتعليمي... كتب حول التاريخ الإسلامي، وحول النظام الاقتصادي للإسلام، وحول مفهوم الدولة في الإسلام، وكتب وكراسات عديدة حول القوانين الإسلامية (الشريعة الإسلامية) ..

رجعت إلى هذه الكتب للعثور على جواب حول السؤال: ما معنى لا إله إلاّ الله؟ ولكني أصبت بخيبة أمل... كانت هذه الكتب حول "الإسلام"... وليس حول "الله"... كان في هذه الكتب كل ما يخطر على بال الإنسان من مواضيع... ولكن الموضوع الأهم لم يكن موجودا...

والنتيجة الحتمية لهذا هي أن التوجه نحو الغرب قد تركّز في تقديم الإسلام له كنظام سياسي وكبديل أيديولوجي، وتم هذا التقديم في الغالب دون

---

[1] ثورة الإيمان، مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية، العدد الأول في ٢٠١٠/١. مؤسسة اسطنبول للثقافة والعلوم. ص: ٧.

الإشارة إلى حقائق الإيمان.."[١].

نفهم من هذا أن حاجة الغرب بل حاجة إنسان العصر إلى حقائق الإيمان وتذوق معرفة الله وراحة الاطمئنان القلبي، أكثر بكثير من حاجته إلى فهم الإسلام نظاماً اجتماعياً واقتصادياً أو ما شابه ذلك.

ويحدد الأستاذ الدكتور طه عبد الرحمن الوسائل الناجعة في تقديم الإسلام إلى الغرب بالقيم الروحية الخالصة والمعاملة الأخلاقية الخالصة. وذلك بعد عرضه للأخطاء التي تقع فيها بعض الفئات. فيقول:" فإذا كان خطأ (الفئة الأولى) أنها قد قدمت للمخاطَب من الإسلام ما عند هذا المخاطَب من القِيَم، فينبغي إذن أن نقدّم للغرب من القيَم ما ليس عنده أو ما يمكن أن لا يكون عنده، حتى يشعر بالحاجة إليه. وإذا كان خطأ (الفئة الأخرى) أنها قدّمت للمخاطب جانب البأس من الإسلام، فينبغي إذن أن نقدم له من وجوه الدفع بالتي هي أحسن الموجودة في الإسلام ما ليس عنده أو لا يمكن أن يكون عنده، حتى يجد الاطمئنان إليه؛ ولا سبيل إلى إشعاره بالحاجة إلى قيَم الإسلام إلاّ متى كانت هذه القيم تُصحِّح القيم المادية التي تمسّك بها وتتعالى عليها، وليست هذه القيم إلا القيم الروحية الخالصة؛ كما أنه لا سبيل إلى جلب الاطمئنان إليه إلاّ متى كانت معاملتنا له تفضُل معاملته المنفعية لنا درجات وليس هذه المعاملة غير المنفعية إلاّ المعاملة الأخلاقية الخالصة"[٢].

ما يؤهل رسائل النور لتقديم الإسلام على أفضل وجه :

بعد هذا التشخيص لحاجة الغرب أو إنسان العصر من قبل علماء نصارى

---

[١] المؤتمر العالمي الأول لبديع الزمان سعيد النورسي "مكانة فكر بديع الزمان سعيد النورسي في الفكر الإسلامي". في ١٦/ ٣ / ١٩٩١ بإسطنبول.

[٢] حوارات من أجل المستقبل، طه عبد الرحمن ، منشورات الزمن، المغرب. ص١١٨.

من الغرب وعالمين فاضلين ومفكرين جليلين أحدهما من الغرب والآخر من الشرق. ننظر إلى رسائل النور، لنرى مدى كونها أهلاً لتقديم الإسلام إلى الغرب وإلى كل إنسان في هذا العصر. ونستهل العرض بالسؤال الآتي:

لماذا رسائل النور؟

فالجواب: لا جرم أن الإيمان والتصديق بالأمور الغيبية خاصة لا يتم أو لا تتكامل عناصرُه ولا سيما في هذا العصر بالاكتفاء بعرض النصوص وحدها، فلا يكفيه عرض الآيات الكريمة وسردها آية آية، وإيراد الأحاديث الشريفة حديثاً حديثاً من غير تنوير عقلي وإدراك إنساني متناسب مع قدراته. كما أن مدارك الإنسان وقدراته العقلية وسعة أفقه لا تكفي أساساً لبناء إيماني متين، من غير تبصير قلبي وانبعاث روحي، واستلهام وجداني من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة.

وبديع الزمان سعيد النورسي رجلٌ أفاض الله على قلبه من نور القرآن الكريم ما جعله يدخل عالم الإيمان والغيبيات بثبات وإقدام، في هذا العصر الذي طغت فيه قوى المادية، فأسدلت غشاوة على الأبصار والبصائر، فلم تعد ترى العقبى، وبدت الغيبيات شاحبة باهتة خافتة تنتظر من يجلوها بنور الإيمان، فما فتئ النورسي يجول ويصول في هذه الساحة متزوداً بنور الهداية الربانية، حتى وجدناه في رسائله -رسائل النور- وفي تربيته لطلابه مثالاً للمجدد المُقتدي بالرسول الكريم ﷺ، والمُقتفي خطوات الهداية في نور القرآن المبين.

ولعل العناية الإلهية شاءت أن تغرس في النورسي بصيرة نفَّاذة، وقدرة عجيبة في دمج العلوم العقلية الحديثة والعلوم النقلية الشرعية، فكأنه ينهل من منابع المعرفة وأصولها لا من فروعها؛ إذ يقدم حلولاً وإرشادات في أعقد الأمور الحياتية والإيمانية والغيبية في بلاغة رائقة وأسلوب رشيق، تأنس به

العقول وتطمئن به القلوب، فتجد فيه ضالتها، ومنفذ خلاصها من دون أن يكدّر شيئاً على صفو الأفهام أو يغرقها في الفروع، وإهمال الأصول.

ولكي يكون أسلوبه ملجماً لجماح العقول وشرود القلوب، فقد أودع الله فيه قدرة على الاستشهاد بـ"الأمثلة" المقنعة القريبة من العقل والقلب معاً، ومنحه قوة المنطق الفطري والبرهان العقلي والأدلة المقنعة وإقامة الحجج القوية في معالجته الأمور الغيبية الإيمانية، لذا يجد قارئ الرسائل متعة جديدة كلَّما أعاد قراءتها، بما ينكشف أمامه من آفاق إيمانية احتجبت عنه في مطالعته الأولى.

فما مؤهلات رسائل النور ؟

في الحقيقة يمكننا أن ندرج تحت هذا العنوان مزايا كثيرة وكثيرة جداً لرسائل النور تؤهلها لتكون أنموذجاً متكاملاً لتقديم الإسلام إلى الغرب، إلاّ أننا نكتفي بالمزايا الآتية:

١- الخطاب النوري خطاب إلى الإنسان مسلما كان أم غير مسلم :

لاشك أن الخراب المادي والدمار المعنوي قد أصاب العالم أجمع، والإنسان هو المستهدف بالذات، وليس المسلم وحده. فبات من الضروري على كل من سهر على فلاح مشروعه الإصلاحي أن يخاطب كل أجناس البشر وكل طبقات المجتمع ذكورا وإناثا. فما سجله الأستاذ النورسي في الرسائل ما هو إلاّ أدوية استفادها من القرآن الكريم وجرّبها أولاً على نفسه حيث إن النفس الإنسانية واحدة في جوهرها، وواحدة في أسباب صحتها ومرضها، كالجسد تماماً . فيقول: "كُن مَن شئت، فلا نفسُك أطغى وأعصى من نفسي، ولا شيطانُك أغوى وأشقى من شيطاني"[١].

---

[١] المثنوي العربي النوري، ص ٣٤.

لذا نجد أن رسائل النور تسدّد خطابها نحو الإنسان وتفسح مجال الحوار، بحيث يبلغ مداه الإنساني، وتسعى لخلاصه من الكفر والإلحاد والضلال والضياع، وإيجاد الحلول لمشكلاته وهمومه الحقيقية من حيث هو إنسان، سواء أكان مسلماً أم غير مسلم. فـ" تقول: كن من شئت وأبصر! وافتح عينيك فحسب وشاهد الحقيقة وانقذ إيمانك الذي هو مفتاح السعادة الأبدية"[١].

٢-قراءة الكون كتاب الله المفتوح

إن أكبر هدف لرسائل النور هو تصحيح العقيدة في الله، وبلوغ التوحيد الحقيقي. لأن التوحيد الحقيقي ليس مقصوراً على معرفة نابعة من "تصور"، بل هو أيضاً ما يقابل التصور في علم المنطق من "التصديق" الذي هو علمٌ، وهو نتيجة نابعة من البرهان، وهو أسمى من مجرد المعرفة التصورية بكثير. فالتوحيد الحقيقي إنما هو حكمٌ وتصديق وإذعان وقبول، بحيث يمكّن المرء من أن يهتدي إلى ربه من خلال كل شيء. ويمكّنه من أن يرى في كل شيء السبيل المنورة التي توصله إلى خالقه الكريم، فلا يمنعه شيء قط عن سكينة قلبه واطمئنانه، واستحضاره لمراقبة ربّه"[٢].

أي أنّ في كل شيء ابتداء من الذرات وانتهاء إلى المجرات، نافذةً تطل على التوحيد، وفي كل منها دلائل وإشارات تدلُّ مباشرة على الواحد الأحد بصفاته الجليلة.

وسار النورسي على هذا الدرب إلى أن ذاب عقلُه في قلبه فامتزج هذا بذاك والتحمت حينذاك العلوم النقلية بالعلوم العقلية الحديثة مما أدى إلى

---

[١] الملاحق، ص ١٠٥.

[٢] الشعاعات، ص ١٩٧.

غسل هذه الأخيرة من شوائبها وإيقاظ الأخرى من سباتها حتى أصبحت كلتاهما نوافذ مطلة على نور معرفة الله.

والأستاذ النورسي لا ينقل إلى قراء الرسائل هذه الأركان الإيمانية علوماً نظرية مجردة، أو تصورات ذهنية باردة، وإنما ينقل لهم كيانه القرآني في تجربة كونية معرفية خصبة جداً، ذائبة في القرآن الكريم، إذ يقول: "ما كتبتُ إلاّ ما شاهدتُ، بحيث لم يبق لنقيضه عندي إمكانٌ وهمي.."[١] وميزة رسائل النور هنا أنها ناجمة عن تجربة حية، لم تتوقف عند إظهار وجوه إعجاز القرآن البلاغية أو إشكالاته اللغوية وما شابه ذلك بل دخلت في الصراع الحضاري ولم تتسم في هذا المشوار بمبدأ الخصومة والرفض المتزمت لما يأتي من الثقافات الأخرى، ولم تعمل حتى بمبدأ الانتقاء كأن تأخذ علوما من الغرب تراها نافعة وترمي بالأخرى إن بدت لها ضارة. بالعكس ذهبت رسائل النور لكي يصبح كل العلوم علوما نافعة تنير السبيل إلى سعادة الدارين. وكيف تم ذلك؟

٣- امتزاج العقل والقلب معاً

"إن الرسائل ليست كبقية مصنفات العلماء تسير على وفق خطى العقل وأدلته ونظراته، ولا تتحرك كما هو الشأن لدى الأولياء المتصوفين بمجرد أذواق القلب وكشوفاته.. وإنما تتحرك بخطى اتحاد العقل والقلب معاً وامتزاجهما، وتعاون الروح واللطائف الأخرى، فتحلّق إلى أوج العلا وتصل إلى مراقٍ لا يصل إليها نظرُ الفلسفة المهاجمة فضلاً عن أقدامها وخطواتها، فتبين أنوار الحقائق الإيمانية وتوصلها إلى عيونها المطموسة".[٢] لذا يوصي الأستاذ النورسي لدى قراءة الرسائل بـ "التأني والتروّي حتى يتمكن كل من

---

[١] المثنوي العربي النوري، ص ١٠٤.

[٢] الملاحق، ص ١٠٥.

العقل والقلب والروح والنفس والشعور من تناول حقائق رسائل النور التي هي في حكم الغذاء والطعام. وبخلافه فإن القراءة السريعة تجعل العقل وحده آخذاً حظه، بينما تظل الأخريات دون غذاء"[١].

٤- من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة

" إن هذا العصر العجيب الذي أثقل كاهل الإنسان بالحياة الدنيوية بما كثّر عليه من متطلبات الحياة وضيّق عليه مواردَها، وحوّل حاجاته غير الضرورية إلى ضرورية بما ابتلاه من تقليد الناس بعضهم بعضاً ومن التمسك بعادات مستحكمة فيهم، حتى جعل الحياة والمعاش هي الغاية القصوى والمقصد الأعظم للإنسان في كل وقت. هذا العصر العجيب أسدل بهذه الأمور حجاباً دون الحياة الدينية والأخروية والأبدية، أو في الأقل جعلها أمراً ثانوياً أو ثالثياً بالنسبة له.."[٢].

ولما كانت رسائل النور تستقي من فيض القرآن وتستمد من بحره وترجع إليه، وأن رُبع القرآن الكريم آيات حول الآخرة، فما يفتح القارئ رسالة إلاّ ويجد فيها ما يذكّره بالآخرة تصريحاً أو تلميحاً أو إشارة، بأمثلة واقعية من حياته اليومية ، فيغدو "الكون بسر التوحيد، بمثابة مزرعة تهيئ محاصيل وفيرة جداً لعالم الآخرة ومنازلها.. وبمثابة مصنع عظيم يهيئ لوازم لطبقات دار السعادة الأخروية من أعمال بشرية غنية بمحاصيلها.. وبمثابة جهاز تصوير سينمائي دائب عظيم يضم مئات الألوف من أجهزة الالتقاط لالتقاط صور من الدنيا وعرضها مناظر سرمدية لأهل عالم البقاء ولأهل الشهود في الجنة"[٣].

---

[١] الملاحق، ص ٢٦٢.

[٢] الملاحق، ص ١٤٥.

[٣] الشعاعات، ص ١٥.

فضلا عن أن القارئ يتعلّم من الرسائل أن الآخرة ليست منتهى الدنيا، بل هي موجودة الآن فيُرسَل إليها أعمالُه وأقوالُه في كل آن، وبهذا يتكامل حسّه الأخروي. فالآخرة لديه إيمانٌ ووجدانٌ، وشعورٌ وعاطفةٌ، وعقيدةٌ تملك عليه مشاعرَه وتفكيرَه وتصرفاته، ويتكلم عنها باندفاع والتذاذ، ويدعو إليها بحماسة وقوة. فتكون الآخرة قريبة إليه كأنه يشاهدها مشاهدة عين وبصيرة ويعايشها معايشة حياة يومية.

٥-الاستثناء لا التعميم

تستل رسائل النور الطيبين من مجموع الخبثاء، وتستنقذ الفكر الجيّد من بين الجماعات والهيئات التي أثير حولها غبار الشبهات. فعملية التحليل والفرز والاستثناء هي في مقدمة أي كلام حول موضوعات يختلط فيها النافع بالضار، والطيب بالخبيث، مما يجعل القارئ يشعر في هذا الأسلوب، التجرد الكامل والموضوعية التامة، والأخذ بالحيطة والحذر، والاحتراز من توريط مَنْ هم خارج الموضوع. فلا يلتبس أمرُ الطيب النافع بالخبيث المضر، ولا يؤخذ البريء بجريرة المتهم أو المجرم.

نورد هنا أنموذجا لنظرة رسائل النور إلى أوروبا وكيف أنها تستثني الطيب من الخبيث ولا تعمم. قال الأستاذ النورسي:

" لابد أن ننبه: إن أوروبا اثنتان.

إحداها: هي أوربا النافعة للبشرية، بما استفاضت من النصرانية الحقة، وأدّت خدماتٍ لحياة الإنسان الاجتماعية، بما توصلت إليه من صناعاتٍ وعلومٍ تخدم العدل والإنصاف، فلا أخاطب -في هذه المحاورة- هذا القسم من أوروبا. وإنما أخاطب أوروبا الثانية تلك التي تعفّنت بظلمات الفلسفة الطبيعية وفسدت بالمادية الجاسية، وحَسبِتْ سيئات الحضارة حسناتٍ لها، وتوهّمت

مساوئها فضائل. فساقت البشرية إلى السفاهة وأردتها الضلالة والتعاسة..".[١]

٦- القول اللين المقنع

حيث "إن الظهور على المدنيين المثقفين إنما هو بالإقناع وليس بالضغط والإجبار. وإن تحرّي الحقيقة لا يكون إلاّ بالمحبة، بينما الخصومة تكون إزاء الوحشية والتعصب".[٢] ونلمس هذا الخطاب اللطيف المقنع مثلاً في تفسير قوله تعالى ﴿وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ (البقرة: ٤) إذ يقول:

"إن فيه إشارةً إلى تشويق أهل الكتاب على الإيمان وتأنيسهم، والتسهيل عليهم. كأنه يقول: "لا يشقنّ عليكم الدخول في هذا السلك، إذ لا تخرجون عن قشركم بالمرة بل إنما تكمّلون معتقداتكم، وتبنون على ما هو مؤسس لديكم، إذ القرآن معدِّلٌ ومكمِّلٌ في الأصول والعقائد، وجامعٌ لجميع محاسن الكتب السابقة"[٣].

وشهد شاهد من أهله

ولقد منّ المولى الكريم علينا بلقاءات ودّية وعلمية مع عدد كبير من الأساتذة الأفاضل في العديد من المؤتمرات العالمية والندوات العلمية التي قدّر الله أن نشترك فيها. فبحثنا معاً شتى الموضوعات منها ما نحن بصدده.

ولهذا فأجد من الأَولى الإنصات إلى بعضٍ منهم لنرى ماذا يقولون حول ملاءمة رسائل النور كنموذج لتقديم الإسلام إلى الغرب:

---

[١] اللمعات، ص ١٧٦.

[٢] صيقل الإسلام، ص ٤٤٦.

[٣] إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، ص ٥٩.

١- الأستاذ هنري استيك (سعيد إبراهيم)[١] الذي اهتدى إلى الإسلام في تركيا بداية سنة ١٩٩٤ بعد اطلاعه على فكر بديع الزمان سعيد النورسي، ذكر أنه:

- يثبت وبأمثلة واقعية وأدلة لا تقبل الشك امتزاج الإيمان التام بالعلم الحديث، وتصديق الحقائق العلمية وتعزيزها للدين. (وهذه النقطة بالغة الأهمية لأن العقل الغربي يعتقد بتناقض العلم والدين استنادا إلى تاريخ المسيحية في أوروبا).

- يحدد ويشخص بدقة لا مثيل لها مساوئ الثقافة العلمانية الغربية الحديثة ومناوءة التطورات الثقافية الغربية للدين والإيمان بالله.

- كل مَن يطلع على أجوبته للأسئلة الدينية الصادرة من أشخاص يتبنون طرز الحياة العصرية لا يملك نفسه إلاّ التصديق عليها. ورغم التجديدات العديدة التي جاء بها بخصوص إثبات الإيمان فلم يحد قيد أنملة عن أحكام الكتاب المبين والسنة الشريفة.

- يكتشف بديع الزمان سعيد النورسي طرقاً وأساليب لنشاطات بُرهن قبلاً على نجاحها ويطرحها على بساط البحث مجدداً في مجال الإصلاح المعنوي للمؤمنين، خارج نطاق الطرق الصوفية.

- يضع أساليب جديدة لإحياء أمور الدين وتعزيز العالم الإسلامي والوقوف بوجه الهجمة الشرسة للعلمانية الغربية وتيار المستحدثات، بجانب

---

[١] ولد في سنة ١٩٥٣ في امستردام عاصمة هولندا. يتقن الإنكليزية والفرنسية والألمانية فضلاً عن الهولندية. يعمل الآن في شركة شل بإنكلترا بمهمة منسق التمويل.

قبوله الجوانب الإيجابية للحضارة والتكنولوجيا والعلوم الحديثة "[١].

٢- الدكتور أوليفر ليمان أستاذ الفلسفة في جامعة جون مورس بليفربول - المملكة المتحدة فقال:

"قدّم النورسي أفضل نوع من أدب "الإحياء" ولا سيما في مؤلفه رسائل النور. وليست المسألة في أنه ناقش بشكل أفضل من الغزالي أو من إقبال، ولا أنه عبّر عن نفسه بلباقة ورشاقة أكثر، ولكن الذي عمله هو أنه عبّر عن نفسه بوضوح وبساطة وبطريقة تجمع بين العاطفة وبين العقل، فهو يمزج في نقاشه عند تناوله المشاكل أو المتون الإسلامية بين تصويره الشخصي وبين البراهين غير الشخصية، مما مكّنه من إيصال دعوته ورسالته إلى أوسع نطاق.

"وحركة "الإحياء" الناجحة هي الحركة التي تقدّم المبادئ الدينية المقنعة والقوية بشكل تكون قادرة على الوصول إلى جماهير المجتمع. ولا يشك أحد في أن النورسي نجح في هذا الأمر".[٢]

٣- الدكتور كولن تورنر يختم بحثه القيم السابق ذكره بالنتيجة الآتية:

"بعد سنوات عديدة من البحث والمقارنة أستطيع أن أقول أن رسائل النور هي المؤلّف الإسلامي الوحيد الشامل، والذي يرى الكون كما هو في الواقع، ويقدم حقائق الإيمان كما هي، ويفسر القرآن كما أراده نبينا ﷺ ، ويشخّص الأمراض الحقيقية الماحقة التي أُبتلي بها الإنسان، ويقدم له الدواء الناجع والشفاء.

---

[١] سعيد إبراهيم (هنري استيك) المؤتمر العالمي الثالث ل "تجديد الفكر الإسلامي في القرن العشرين وبديع الزمان سعيد النورسي" في ٢٤-٢٦ / أيلول /١٩٩٥ بإسطنبول.

[٢] المؤتمر العالمي الرابع لبديع الزمان سعيد النورسي "نحو فهم عصري للقرآن الكريم – رسائل النور أنموذجاً" في ٢٠-٢٢ أيلول ١٩٩٨ بإسطنبول.

إن مؤلَّفًا مثل رسائل النور الذي يعكس نور القرآن، ويضيء الكون... مثل هذا المؤلَّف لا يمكن تجاهله أبداً، ذلك لأن الإسلام هو وحده الحائل والحاجز بين الإنسان وبين الكارثة، وأنا اعتقد أن مستقبل الإسلام يعتمد على رسائل النور وعلى الذين يتبعونها ويستلهمون من تعليماتها ومن دروسها".[١]

٤- الأستاذة الفاضلة شكران واحدة (ماري ويلد) [٢]، قالت: "إن بديع الزمان برسائل النور أعطى أفضل أنموذج لتقديم الإسلام إلى الغرب وشرحه لهم، وقدم بذلك للإسلام وللقرآن خدمة لا نظير لها. ذلك لأنه بتفسيره رسالة القرآن لإنسان هذا العصر، أثبت أن الإسلام هو دين العقل الكامل وهو منبع الحضارة الحقيقية ورقي الإنسانية وتقدمها. وفي الوقت الذي يُقدَّم فيه الإسلام على أنه دين المتعصبين والرجعيين، أو كأيدلوجية سياسية أو أنه يمثل بوساطة بعض الطغاة والمجرمين، أثبت بديع الزمان أن جميع الكمالات الإنسانية ورقيها وسعادتها كامنةٌ وموجودة في الإيمان بالله، وفي التصديق بوحدانيته سبحانه، وكامنة في الإسلام الذي يمثل العبودية المطلقة والدين الأسمى".[٣]

الخاتمة: المستقبل للإسلام

توشك الأزمة الإيمانية الأخلاقية المعاصرة أن تفتك بكيان الإنسان كله

---

[١] ثورة الإيمان، مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية، العدد الأول يناير٢٠١٠. مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم.

[٢] شكران واحدة "ماري ويلد" باحثة وكاتبة: ولدت عام ١٩٤٨ في مدينة لانكشاير في انكلترة. تخرجت سنة ١٩٨٠ من قسم الأدب التركي والفارسي في كلية الاستشراق/ جامعة دورهام. اهتدت إلى الإسلام سنة ١٩٨١ بعد أن قرأت رسائل النور واتخذت اسم "شكران واحدة" وتقيم حالياً في تركيا حيث تُعدّ بحوثاً حول رسائل النور، وترجمة كليات رسائل النور إلى الإنكليزية .

[٣] المؤتمر العالمي الثالث لبديع الزمان سعيد النورسي في ٢٤/ ٩ /١٩٩٥ بإسطنبول.

وتدمره نهائيا إن لم يستيقظ من غفلته أو يكسر شوكة جبروته ويعود في أقرب وقت إلى رشده. لذا فإن أحوج ما يكون إليه الإنسان في هذا الزمان هو ذلك النور الذي يبدد ظلمات الطريق ويُنَوِّرُها له، فيجد به سبيلا للخروج من الورطة التي أوقع نفسه فيها. فلا غرو إذاً أن عالم الإسلام حينئذ مدعو للمساهمة برسالة أخلاقية خالصة لا شبهة فيها ولا غبار عليها أكثر من أي شيء آخر. قال الأستاذ النورسي:

"ولو أننا أظهرنا بأفعالنا وسلوكنا مكارم أخلاق الإسلام وكمال حقائق الإيمان، لدخل أتباع الأديان الأخرى في الإسلام جماعات وأفواجاً. بل لربما رضخت دول العالم وقاراته للإسلام"[١]. وقال أيضًا:

"إن المستقبل الذي لا حُكمَ فيه إلاّ للعقل والعلم، سوف يسوده حكم القرآن الذي تستند أحكامُه إلى العقل والمنطق والبرهان".[٢].

فالرسالة الإيمانية الأخلاقية تجدد صلة الإنسان بربه بعد أن كانت مقطوعة وتزكي علومه بعد أن كانت مشؤومة فتعرّفه بالكون بعد أن كان يجهله وتؤنسه بأخيه بعد أن كان ينفر منه ويبغضه ويستوحشه.

والله نسأل أن يوفقنا إلى حسن القصد وصحة الفهم وصواب القول وسداد العمل.

وصل اللّهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

* * *

---

[١] صيقل الإسلام، ص ٤٩٤.

[٢] صيقل الإسلام، ص ٤٩٥.

تعقيب:

كنت في الجزائر وفي مدينة "باتنة" للمشاركة في مؤتمر "الإسلام والمسلمون في القرن الخامس عشر الهجري" الذي عقدته في مارس ٢٠٠٤م كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية جامعة العقيد الحاج لخضر.

لما جاء دوري في العرض وكان موضوعي "ملامح مستقبل الإسلام". وكان مما ذكرت: ماذا أحدثت فينا رسائل النور. ومضيت أسرد البحث وحينما وصلت إلى "الحضور الأخروي أو تكامل الحس الأخروي" رفع أحد الأساتذة الكرام الجالس في الصف الأول من القاعة يده للسؤال أو الاعتراض. ولما أنهيت البحث أشار رئيس الجلسة إليه قائلًا: تفضل أيها الأستاذ لبيان ما عندك، فأتى إلى منصة خاصة للمتداخلين وتوجّه إليّ قائلًا:

أستاذ إحسان وهل الآن وقت الآخرة، نحن في الوقت الذي نتحدث فيه عن الآخرة تفعل الصهيونية بنا كذا وكذا وتفعل بنا أمريكا كذا وكذا.. ثم عاد إلى مكانه.

انتظرت أن يشير إليّ رئيس الجلسة بالجواب على الاعتراض. ولما أشار إليّ بذلك، قلت موجهًا الكلام إلى الأستاذ المعترض:

- الأستاذ الكريم يصدق.. الآخرة غير موجودة، لأنها غير موجودة في المناهج الدراسية ولا في البيت ولا في الشارع ولا في الجرائد ولا في التلفاز ولا في الراديو.. ولكن بالله عليكم هل نأخذ ديننا من الشارع أو من التلفاز أو من الجرائد.. أم نأخذه من القرآن الكريم؟ فلو لم تكن إلّا آية واحدة نزلت من العرش الأعظم ومن أعظم مرتبة من مراتب الأسماء الحسنى إلى قلب محمد ﷺ لكانت كافية ووافية لنا، ولكن، كم من الآيات في الذكر الحكيم تذكّرنا بالآخرة أليس ربع مقاصد القرآن البعث بعد الموت أي الآخرة.

ثم إننا نتصور الآخرة بعيدة عنا والحال أن صوَرنا وأقوالنا تؤخذ في كل آن في هذه القاعة وكل شيء يسجل بدقة وكل ذلك يُرفع إلى رب العزة.. وصدق الله العظيم: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ (فاطر:١٠)

وعقّب أحد الأساتذة القادمين من فرنسا بكلام جميل عن أهمية الآخرة، وكيف أنها ركن مهم من أركان الإيمان.

ثم قام الأستاذ المعترض وقال: إنني والله أؤمن بالآخرة وأنها ركن عظيم من أركان الإسلام، إلّا أنني قلت ذلك الكلام متسائلًا: لماذا الأستاذ إحسان اختار هذا العنوان بدلًا من أن يذكر نواحي أخرى عن النورسي.

آثار بديع الزمان سعيد النورسي

يطلق الأستاذ النورسي على نفسه "سعيد القديم" قبل تأليفه لرسائل النور (سنة ١٩٢٧م) حيث كان يأمل أن الإصلاح وخدمة الدين يمكن ان يكون في بعث الروح في مؤسسات الدولة الاجتماعية والدينية بالطرق السياسية. بينما يعدّ نفسه بعد تلك السنة "سعيداً الجديد" الذي تولى مهمة إنقاذ الإيمان وترسيخه في القلوب والأذهان، بأسلوب منطقي علمي قلبي فطري برسائل النور المستلهمة من فيض القرآن الكريم، وبالإلتزام التام بالإخلاص لله، بعيداً عن الأجواء السياسية.

ترك الأستاذ النورسي وراءه موسوعة إيمانية رائعة تسدّ حاجة هذا العصر وتخاطب مدارك أبنائه، تلك هي "رسائل النور" التي استقاها من فيض نور القرآن الكريم، فهي:

تفسير شهودي للقرآن الكريم، يعتمد على حقائق الآيات الكريمة، وإثبات معانيها، بتوضيحها من خلال استشهادات يتحاور فيها العقل والقلب، وتمتزج فيها الروح واللطائف الاخرى. فهي تفسير لمعاني القرآن الكريم اكثر مما هو تفسير لألفاظ الآيات الكريمة وعباراتها، تعالج القضايا والمقاصد الأساسية التي يدور عليها القرآن الكريم وهي: التوحيد والنبوة والآخرة والعدالة. وتدحض في الوقت نفسه أباطيل الفلاسفة الأوربيين وشبهات أعداء الإيمان حول القرآن والإيمان من أساسها، وتثبت حقائق القرآن والإيمان وأركانه

بدلائل قاطعة وأدلة رصينة وأمثلة واقعية قريبة.

أ- آثار سعيد القديم :

١- إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز (ط. ١٩١٨) باللغة العربية.
٢- نقطة من نور معرفة الله جل جلاله (ط. ١٩١٩) باللغة التركية.
٣- سنوحات (ط. ١٩٢٠) باللغة التركية.
٤- حقيقت جكردكلري، ١ (ط. ١٩٢٠) باللغة التركية.
٥- طلوعات (ط. ١٩٢١) باللغة التركية.
٦- شعاعات من معرفة النبي ﷺ (ط. ١٩٢١) باللغة التركية.
٧- قزل إيجاز على السلم (ط. ١٩٢١) باللغة العربية.
٨- رموز (ط. ١٩٢١) باللغة التركية.
٩- إشارات (ط. ١٩٢١) باللغة التركية.
١٠- لمعات (ط. ١٩٢١) باللغة التركية.
١١-خطوات ستة (بدون تاريخ) باللغة العربية والتركية.
١٢- حقيقت جكردكلري، ٢ (ط. ١٩٢١) باللغة التركية (ذيل تاريخجهء حياة لعبد الرحمن).

وطبع أيضاً في هذه الفترة: محاكمات (ط. ١٩١١) باللغة التركية. وقد طبع من قبل كلاً من:

١- رجتة العوام ورجتة العلماء (صيقل الإسلام) (ط. ١٩١٢) باللغة العربية.
٢- الخطبة الشامية -دواء اليأس- (ط. ١٩١١و ١٩١٢) باللغة العربية.
٣- مناظرات (ط. ١٩١١) باللغة التركية.
٤- تشخيص العلة (ط. ١٩١٢) باللغة التركية.
٥- نطق (ط. ١٩١٢) باللغة التركية.

٦- ديوان حرب عرفي (ط. ١٩١١ و١٩١٢) باللغة التركية.

ب- آثار سعيد الجديد (رسائل النور)

١-الكلمات: تضم ٣٣ كلمة باللغة التركية
٢-المكتوبات: تضم ٣٣ مكتوبا باللغة التركية
٣-اللمعات: تضم ٣٣ لمعة باللغة التركية
٤-الشعاعات: تضم ١٥ شعاعاً باللغة التركية
٥- اشارات الإعجاز في مظان الإيجاز: باللغة العربية (من آثاره القديمة وضمّه الى (رسائل النور)
٦- المثنوي العربي النوري (ويضم رسائل من آثاره العربية: لمعات، رشحات، لاسيما، قطرة، ذرة، شمة، حبة، حباب، زهرة، شعلة، نور من انوار نجوم القرآن، ونقطة" باللغة التركية")
٧- الملاحق في فقه دعوة النور (وتضم: ملحق بارلا، ملحق قسطموني، ملحق أميرداغ ٢،١ باللغة التركية)
٨-صيقل الإسلام (آثار سعيد القديم): محاكمات، قزل إيجازعلى السلم (في المنطق)، تعليقات على برهان الكلنبوي (في المنطق)، السانحات، المناظرات، المحكمة العسكرية العرفية، الخطبة الشامية، الخطوات الست.
٩-سيرة ذاتية باللغة التركية

ولقد منّ الله علينا بفضله وكرمه ترجمة رسائل النور كاملة الى اللغة العربية. وحقّقنا العربية منها على اصولها المخطوطة. كما ترجمت الأربعة الأولى منها الى اللغة الإنكليزية الأخت الفاضلة شكران واحدة. وترجم الكليات كاملة إلى

الى اللغة الكردية الأخ الفاضل فاروق رسول يحيى. كما ترجم كثير من الرسائل الصغيرة الى ١٥ لغة اخرى أو يزيد.

نورد النص الآتي لينير لنا جانباً من أسلوب رسائل النور المتميز، في عرض حقائق القرآن وترسيخ أركان الإيمان:

(...إن معرفة الله المستنبطة بدلائل (علم الكلام) ليست هي المعرفة الكاملة، ولا تورث الإطمئنان القلبي، في حين أن تلك المعرفة متى ما كانت على نهج القرآن الكريم المعجز، فإنها تصبح معرفة تامة، وتسكب الإطمئنان الكامل في القلب. نسأل الله العلي القدير أن يجعل كل جزء من أجزاء رسائل النور بمثابة مصباح يضيء السبيل القويم النوراني للقرآن الكريم...

وكما أن معرفة الله الناشئة من علم الكلام تبدو ناقصة وقاصرة، فإن المعرفة الناتجة عن طريق (التصوف) أيضاً ناقصة ومبتورة بالنسبة نفسها أمام المعرفة التي استقاها ورثة الأنبياء من القرآن الكريم مباشرة ...

فالمعرفة المستقاة من القرآن الكريم تمنح الحضور القلبي الدائم، فضلاً عن انها لا تقضي على الكائنات بالعدم و لا تسجنها في سجن النسيان المطلق، بل تنقذها من الاهمال والعبثية وتستخدمها في سبيل الله سبحانه، جاعلة من كل شئ مرآة تعكس المعرفة الآلهية وتفتح في كل شئ نافذة الى المعرفة الإلهية.

ولقد شبهنا في "كلمات" أخرى من رسائل النور، لبيان الفروق بين الذين يستلهمون نهجهم من القرآن الكريم – ذلك المنهج الأقوم - والذين يسلكون نهج علماء الكلام بمثال هو:

إنه لأجل الحصول على الماء، هناك من يأتي به بوساطة أنابيب من مكان بعيد يحفره في أسفل الجبال، وآخرون يجدون الماء أينما حفروا، ويفجرونه أينما كانوا، فالأول سيرٌ في طريق وعر وطويل والماء معرّض فيه للإنقطاع والشحة. بينما

الذين هم أهل لحفر الآبار يجدون الماء اينما حلوا دونما صعوبة ومتاعب.

فعلماء الكلام يقطعون سلسلة الأسباب بإثبات استحالة الدور والتسلسل في نهاية العالم، ومن بعده يثبتون وجود واجب الوجود.

أما المنهج الحقيقي للقرآن الكريم فيجد الماء في كل مكان ويفجره أينما كان، فكل آية من آياته الجليلة كعصا موسى تفجّر الماء أينما ضربت وتستقرىء كل شيء القاعدة الآتية:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

...ثم إن الإيمان لا يحصل بالعلم وحده، إذ إن هناك لطائف كثيرة للإنسان لها حظها من الإيمان، فكما أن الأكل إذا ما دخل المعدة ينقسم ويتوزع إلى مختلف العروق حسب كل عضو من الأعضاء، كذلك المسائل الإيمانية الآتية عن طريق العلم، إذا مادخلت معدة العقل والفهم، فإن كل لطيفة من لطائف الجسم -كالروح والقلب والسر والنفس وأمثالها- تأخذ حظها منها، وتمصها حسب درجاتها. فإن فقدت لطيفة من اللطائف غذاءها المناسب، فالمعرفة إذن ناقصة مبتورة، وتظل تلك اللطيفة محرومة منها)[1].

* * *

[1] المكتوبات، ص ٤٢٤-٤٢٦

المصادر والمراجع

(أ) **كليات رسائل النور** :

الكلمات، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، القاهرة، ٢٠١٤م.

المكتوبات، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، القاهرة، ٢٠١٤م.

اللمعات، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، القاهرة، ٢٠١٤م.

الشعاعات، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، القاهرة، ٢٠١٤م.

إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، القاهرة، ٢٠١٤م.

المثنوي العربي النوري، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، القاهرة، ٢٠١٤م.

الملاحق في فقه دعوة النور، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، القاهرة، ٢٠١٤م.

صيقل الاسلام، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، القاهرة، ٢٠١٤م.

سيرة ذاتية، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، القاهرة، ٢٠١٤م.

(ب) الكتب :

إحياء علوم الدين: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، دار المعرفة، بيروت.

الأعلام (قاموس تراجم): خيرالدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٦م.

الأغاني: أبو الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ)، دار ومكتبة الهلال، القاهرة، ٢٠٠٠م.

البحر الزخار (مسند البزار): أبو بكر أحمد بن عمرو البزار (ت٢٩٢هـ)، ط١، تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، ١٤٠٩هـ.

بديع الزمان النورسي وإثبات الحقائق الإيمانية (المنهج والتطبيق): الدكتور عمار جيدل، مطبعة النسل، اسطنبول، ٢٠٠١م.

بديع الزمان النورسي: سيمياء الشكل والصميم: عشراتي سليمان، مطبعة النسل، اسطنبول، ٢٠٠١م.

تاريخ دمشق: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر، (ت ٥٧١هـ)، تحقيق: عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥-١٤٢١هـ.

تحفة المحتاج بشرح المنهاج: الإمام ابن حجر الهيتمي الشافعي، دار الحديث، القاهرة.

تذكرة الحفاظ: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٩٩٨م.

ترجمة القرآن الكريم غرض للسياسة وفتنة في الدين: محمد مصطفى الهيهاوي، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، ١٣٥٠هـ.

تفسير المنار: محمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤هـ) الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

الجامع الكبير (سنن الترمذي): محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر وإبراهيم عطوة ومحمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة.

جامع بيان العلم وفضله، الحافظ ابن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت.

جمالية التشكيل الفني في رسائل النور: عشراتي سليمان، دار النيل، القاهرة، ٢٠٠٥م.

حاضر العالم الإسلامي: لوثروب ستودارد، تعليق شكيب ارسلان، ترجمة عادل نويهض، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٩م.

حدث الأحداث في الإسلام الإقدام على ترجمة القرآن: محمد سليمان، مطبعة جريدة مصر الحرة، ١٩٣٦م.

حوارات من أجل المستقبل: طه عبد الرحمن، منشورات الزمن، المغرب.

دراسة حول ترجمة القرآن الكريم: أحمد ابراهيم مهنا، مطبوعات الشعب، القاهرة، ١٩٧٨م.

ديوان الشافعي، طبعة دار النور، بيروت.

ذكريات عن سعيد النورسي: أسيد إحسان قاسم، مطبعة الحوادث، بغداد ١٩٨٦م.

رجل الإيمان في محنة الكفر والطغيان: أديب إبراهيم الدباغ، دار نشر الأنوار، اسطنبول ١٩٩٤.

الرسالة القشيرية، الإمام أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري (ت ٤٦٥هـ)، تحقيق: عبد الكريم العطا، توزيع مكتبتا مكتبة الإمام الأعظم، ومكتبة العلم الحديث. دمشق.

رسالة في حكم ترجمة معاني القرآن الكريم وقراءته وكتابته بغير اللغة العربية: حسنين محمد مخلوف، مطبعة مطر، مصر، ١٩٢٥م.

زاد المعاد في هدي خير العباد: ابن القيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠١٣م.

سعيد النورسي رجل القدر في حياة أمة: أورخان محمد علي؛ دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة ط.٣ ، ١٩٩٩م.

السنة، ابن أبي عاصم: أبو بكر أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني، (ت ٢٨٧هـ) تحقيق: باسم بن فيصل الجوابرة، دار الصميعي، الرياض، ١٩٩٨م.

سنن ابن ماجة: الحافظ أبو عبد الله محمد بن زيد القزويني (ت٢٧٣هـ)، ط٢ تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ .

سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت٢٠٠٩م.

سنن الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي البغدادي الدارَقطني، (ت ٣٨٥هـ) تحقيق: شعيب الارنؤوط وحسن عبد المنعم شلبي وعبد اللطيف حرز الله

وأحمد برهوم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٣م.

سنن الدارمي: عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي(٢٥٥ هـ)، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ.

السنن الكبرى: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ) ، ط١، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤هـ .

السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، (ت ٣٠٣هـ)، تحقيق: جاد الله بن حسن الخداش، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٧هـ.

سنن سعيد بن منصور، سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني ، (ت ٢٢٧هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الدار السلفية، الهند.

صبح الأعشى في صناعة الإنشاء: أحمد بن علي القلْقشندي (ت ٨٢١ هـ)، شرحه وعلق عليه وقابل نصوصه: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.

صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م.

صحيح البخاري: البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ)، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، ط٤، دمشق، ١٤١٠هـ.

صحيح الجامع الصغير وزياداته: محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت.

صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١هـ)، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، بيروت، ١٩٧٢م.

الصراع بين الإيمان والمادية تأملات في سورة الكهف: أبو الحسن علي الحسني الندوي، دار ابن كثير، بيروت، ٢٠٠٢م.

طبقات الأولياء: ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (ت ٨٠٤هـ)، تحقيق: نورالدين شريبه، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٤م.

الطبقات الكبرى: لوافح الأنوار في طبقات الأخيار: الإمام عبدالوهاب الشعراني، دار العلم للجميع، بيروت.

طبقات المفسرين: محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي (ت ٩٤٥هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت.

فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)، تعليق الشيخ عبدالعزيز بن باز. المكتبة السلفية، ط ٣، القاهرة ، ١٤٠٧هـ.

القول السديد في حكم ترجمة القرآن المجيد: محمد مصطفى الشاطر، مطبعة حجازي، مصر، ١٩٣٦م.

القول الفصل في ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأعجمية: محمد شاكر، مطبعة النهضة، مصر، ١٩٢٥م.

قول على قول: حسين سعيد الكرمي، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٨م.

كتاب التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ١٩٨٣م.

كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس: إسماعيل بن محمد العجلوني (ت ١١٦٢م)، تحقيق: أحمد القلاش، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥ هـ.

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: حاجي خليفة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٦م.

مجمع الأمثال: أبي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري الميداني، دار الكتب العلمية، بيروت.

المستدرك على الصحيحين: محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.

المستشرقون وترجمة القرآن الكريم: محمد صالح البنداق، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٠م.

المستطرف في كل فن مستظرف: شهاب الدين محمد الأبشيهي، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠١٣م.

المسند: الامام احمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الارناؤوط، المكتب الاسلامي، بيروت، ١٩٨٦م.

مسند الشهاب: أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي (ت ٤٥٤هـ) تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت.

مصنف عبد الرزاق: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميريّ الصنعاني (ت ٢١١هـ) تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت.

المعجم الأوسط: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ.

المعجم الكبير: ابو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق عبدالمجيد السلفي، الدار العربية، بغداد، ط١، ١٣٩٨هـ .

المكتوبات للإمام الرباني: احمد بن عبد الاحد السرهندي الفاروقي (ت١٠٣٤هـ)، ترجمها الى العربية محمد مراد بن عبد الله القزاني المنزلوي (الدرر المكنونات النفيسة في تعريب المكتوبات الشريفة)، مكتبة النيل، القاهرة.

الموسوعة العربية: دمشق، ١٩٨١.

النبوة والأنبياء: أبو الحسن علي الحسني الندوي، مكتبة وهبة، مصر، ١٩٦٥م.

نظرة عامة عن حياة سعيدالنورسي: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، القاهرة.

النهج الروحي في إدراك العمق الإيماني في "رسائل النور"، أديب إبراهيم الدباغ، مقالة لم تنشر.

النورسي أديب الإنسانية: أ.د. حسن الأمراني، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٥م.

النورسي في رحاب القرآن: عشراتي سليمان، ط٢ دار سوزلر للنشر، القاهرة، ٢٠١١م.

هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: إسماعيل باشا بن محمد أمين بن مير سليم البغدادي (ت ١٣٩٩هـ)، وكالة المعارف بإسطنبول، ١٩٥١ – ١٩٥٥هـ.

(ج) المؤتمرات والندوات:

- أعمال مؤتمر" اللغة العربية إلى أين؟" الذي نظمه مركز الأبحاث والتنمية في جامعة الجنان- لبنان يومي ٢٤-٢٥/٤/٢٠٠٦.
- ندوة جامعة العلوم الإسلامية العالمية الخاصة،عمان، الأردن في ٣١/٣/٢٠١٣.
- ندوة جمعية المحافظة على القران الكريم: عمان، الأردن في ٣/٤/٢٠١٣.
- حلقة دراسية حول: الإدراك الروحي بين التصوف والنورسي، أقامتها مؤسسة الثقافة والعلوم مركز رسائل النور إسطنبول في٢٦-٢٧ /٧/ ٢٠٠٥.
- ندوة دولية "عالمية الأدب الإسلامي" في ٥- ٨ /١٠ /٢٠٠٢م عقدت جامعة الملك فيصل في انجمينا عاصمة تشاد، بالتعاون مع رابطة الأدب الإسلامي العالمية، وخصصوا يومًا للأستاذ النورسي.
- ندوة النورسي أديباً نظمها مختبر تحليل الخطاب بكلية الآداب والعلوم الإنسانية ابن مسيك-الدار البيضاء، المغرب في ٢١- ٢٢/ ١ /٢٠٠٣.
- ندوة كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة ابن زهر، أكادير – المغرب، ١/٤/ ٢٠٠٥م.
- المؤتمر العالمي الرابع لبديع الزمان سعيد النورسي (نحو فهم عصري للقرآن الكريم:رسائل النور أنموذجاً). سنة ١٩٩٨.
- الملتقى الخامس لسلسلة الدروس المحمدية في الزاوية البلقائدية الهبرية بسيدي معروف - وهران- الجزائر، الذي انعقد في تاريخ من ١٩/٨/٢٠١٠م إلى ٢/٩/٢٠١٠م. وموضوعه "العلم " استمدادا من قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (سُورَةُ فَاطِرٍ : ٢٨).
- الملتقى الدولي الذي انعقد في كوجي عاصمة سراواك – بماليزيا وقد نظمته ندوة العلماء في ساراواك مع الجامعة الوطنية الماليزية في ١٣-١٥/٧/٢٠٠٣.
- الملتقى الدولي الذي نظمته جامعة الحاج لخضر – باتنة - كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية بعنوان: الإسهامات المغاربية في البناء المعرفي الإسلامي، في ٢١- ٢٢ /١٠/ ٢٠١١م.
- الملتقى الدولي الذي نظمته مدرسة ابن سينا تحت رعاية المجلس الإسلامي الأعلى

وموضوعه: أثر ابن عربي على الفكر الإنساني ومتصوفة الغرب الإسلامي وذلك أيام ١١-٢٠١٠/٥/١٢.

- الملتقى الدولي الذي نظمه المجلس الإسلامي الأعلى – الجزائر بعنوان "الإصلاح والاجتهاد عند علماء الإسلام بين الماضي والحاضر" في ٢٦-٢٠١٢/٥/٢٨م.
- الملتقى الدولي في الجامعة الأردنية في ٢/ ٤/ ٢٠١٣.
- الملتقى الدولي الذي نظمه المجلس الإسلامي الأعلى – الجزائر في موضوع: "الجاليات الجزائرية في الخارج وقضاياها الدينية والاجتماعية الثقافية" في ٢٥-٢٧ /٤/ ٢٠١٣م.
- الملتقى الدولي الذي نظمه المجلس الإسلامي الأعلى بالجزائر العاصمة في موضوع "الحفاظ على البيئة في الإسلام وفي الدراسات العلمية المعاصرة" في ٢٨ - ٣٠ /٣/ ٢٠١١م.
- الملتقى الدولي الرابع عشر الذي نظمته كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية بالجامعة الأفريقية أحمد دراية بأدرار- الجزائر في ٣-٥ /١٢ /٢٠١٢.
- الملتقى الدولي بكلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة العقيد الحاج لخضر – باتنة – الجزائر في ١٩-٢١ /١٠ /٢٠٠٢.
- مؤتمر "مناهج تفسير القرآن الكريم وشرح الحديث الشريف" الذي نظمه قسم دراسات القرآن والسنة، في كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، في ١٧-٢٠٠٦/٧/١٨م.
- مؤتمر (الإسلام والمسلمون في القرن الخامس عشر الهجري) باتنة – الجزائر في ٥/ ٢٠٠٤.
- مؤتمر جامعة المذاهب الإسلامية بطهران بعنوان (العلامة بديع الزمان سعيد النورسي) وذلك في ١١/ ١٢/ ٢٠١١م.
- مؤتمر كلية الشريعة والدراسات الإسلامية- جامعة الشارقة في ١٦-١٨/٤/ ٢٠٠٧.
- المؤتمر العالمي الأول لبديع الزمان سعيد النورسي "مكانة فكر بديع الزمان سعيد النورسي في الفكر الإسلامي". في ١٦/ ٣ / ١٩٩١ بإسطنبول.

- المؤتمر العالمي الثالث "تجديد الفكر الإسلامي في القرن العشرين وبديع الزمان سعيد النورسي". ٢٤ - ٢٦ أيلول اسطنبول – تركيا ١٩٩٥ تجربة الدعوة عن طريق العمل السياسي في حياة بديع الزمان رحمه الله.
- المؤتمر العالمي الثاني "بديع الزمان سعيد النورسي وإعادة بناء العالم الإسلامي في القرن العشرين" في٢٧ - ٢٩ أيلول ١٩٩٢ اسطنبول – تركيا.
- المؤتمر العالمي لحركة التجديد في القرن الحادي والعشرين ودور بديع الزمان سعيد النورسي المنعقد في الجامعة الوطنية في كوالالمبور بماليزيا في ٢١-١٩٩٩/٨/٢٢.
- مؤتمر جامعة الخرطوم في ٢٠١٠/٢/١٧م.
- مؤتمر فقه المقاصد والحكم في فكر بديع الزمان سعيد النورسي -كلية الشريعة بأكادير التابعة لجامعة القرويين، المغرب في ١٣-٢٠٠٨/٣/١٤.
- ندوة "التربية السلوكية عند بديع الزمان النورسي" أقامتها جامعة القاضي عياض بمراكش سنة ٢٠٠٣
- الندوة الدولية (جهود بديع الزمان سعيد النورسي في تجديد الفكر الإسلامي) ١٨ مارس ١٩٩٩ جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية في الرباط - المغرب.
- ندوة الفكر الإسلامي المعاصر في الجزائر وتركيا، نظمها مخبر أصول الدين، المعهد العالي لأصول الدين، بجامعة الجزائر العاصمة في ٢٢-٢٣ /١١/ ٢٠٠١.
- ندوة دولية: "سؤال الاخلاق في مشروع النورسي" أقامتها جمعية النبراس الثقافية بوجدة، المغرب، في ١٨-٢٠٠٧/٥/٢٠م.
- ندوة كلية الشريعة- جامعة سراييفو- البوسنة والهرسك في ٣٠ /٨/ ٢٠٠٦.
- ندوة وحدة الأمة الإسلامية في القرن الحادي والعشرين- نظمها المعهد العالمي لوحدة المسلمين، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا في ١-٢ /١١/ ٢٠٠٣م.
- ندوة جامعة كوشتيا ببنغلاديش في ١٢/٢٨/ ٢٠١٩.

(د) الصحف والمجلات

جريدة التجديد – المغرب

مجلة الأزهر – مصر

مجلة الصراط المستقيم –

مجلة المشكاة – المغرب

مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية – تركيا

مجلة سبيل الرشاد – تركيا

مجلة نور الإسلام ١٩٣١ –١٣٥٠(وهي مجلة الأزهر قبل تغيير اسمها) – مصر.

(هـ) كتب بلغات غير عربية

Aydar, *Kura'n Kerimin Tercüme Meselesi* 105. Erdoğan, 47-48, Togan, *Kura'n ve Türkler*, 19. İnan, bir inceleme 10-11 İhsanoğlu 19. Keskioğlu, *Kur'an'ın Başka Dillere çev*. XX11. Eckman 17-18 Hamidullah; *Kur'an Tarihi* 73.

Barthold, 69-74; Çetiner, 155-158; Cundur, 124; *Hamidullah Kur'an Tarihi*, 91-96.

Abdülkadir Badıllı, Mufassal Tarihçe-i Hayat.

Bediuzzaman Said Nursi, Yavuz Bahadiroğlu.

Paul Tillich, *The Irrelevance and Relevance of the Christian Message*. Ed, Durwood Foster, Ohio: The Pilgrim Press, 1996, p, 24-25.

Viktor. E. Frankel, *Man Search for Meaning*. Eng Trans by Ilse Lasch, New York: Touchstone .

Düzdağ, *M. Akif'in Hayatı LXXIV.*

Miras Kur'an Tercümesi, 195; Yazır (Mukaddime).

Akdemir, *Cumhuriyet Dönemi Kur'an Tercümeleri*, 34, Doğrul, Kur'an Nedir.

Bilinmeyen Taraflariyle Bediuzzaman Said Nursi. Necmeddin Şahiner, s. 382.

* * *